

الموسوعة السعدية :

# الفقهاء السعدية

تأليف العلامة

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

منشورات المؤسسة السعودية بالرياض

لصاحبها : قهر بن عبد العزيز السعدي

شارع الخزان - هاتف ٤١٢١٣١٩ - سجل تجاري ٦٦٩٢

( تنبيه )

يُرجى مراجعة جدول الخطأ والصواب

في آخر الكتاب



## مباحث الكتاب

الصفحة	المبحث	الصفحة	المبحث
٤	مقدمة	٦٥	الحازم مع نفسه
٧	القسم الأول : فيما يتعلق	٧٠	الدين النصيحة
	بأصول الدين والحديث	٧١	حسن المعاتبه
٨	حد التوحيد الجامع لأنواعه	٧٣	القول الجامع في البدعه
١٤	الإيمان بالأنبياء	٧٦	أركان الشكر
١٦	مسألة الإيمان	٧٧	قوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾
١٦	الإيمان باليوم الآخر	٧٨	كامل تعليم الدين
٢٠	طريقة أهل السنة في العلم والعمل	٧٩	تقديم الأعلى من المصالح
٢٩	« لا أحد أصبر من الله »	٨٠	تكرار الأجر بتذكر المصيبة
٣٠	الحب في الله ، والبغض في الله : من الإيمان	٨١	سبب الحياة الطيبة
٣١	التوسل والإيمان بالقدر	٨٤	إشكال وجوابه ، في أصحاب النار
٣٦	الحث على الحرص على ما ينفع	٨٥	منزلة الحياة من الدين
٤٣	الطريقة التي تدرك بها العلوم	٨٦	كلام في « صيد الخاطر »
٥٢	الأسباب والأعمال التي يضاعف بها الثواب	٨٨	الأحاديث التي رتب فيها دخول الجنة والنجاة من النار
٥٩	تفاوت أهل اليقظة في حفظ الوقت	٨٩	في حديث الوسوسة
٦٢	تفسير : من لم يهتزم من عقله بمقله ، هلك بمقله	٩٠	اعملوا فكل ميسر لما خلق له
		٩٢	الاحتجاج بالقدر
		٩٤	في السكر به وتناثجها

الصفحة	المبحث	الصفحة	المبحث
١٤٠	نواقض الوضوء	٩٨	الوقت لك أو عليك
١٤١	ما يتعلق بال غسل	٩٩	مقاومة الفقر والجهل والمرض
١٤٢	ما يتعلق بالتيمم	١٠٢	ما يخرج من الدين من الكفر
١٤٥	إزالة النجاسة		والنفاق وما لا يخرج
١٤٧	الحيض	١٠٤	ما تصير به البلاد بلاد إسلام
١٥٢	ما يتعلق بكتاب الصلاة	١٠٥	المهجرة والسفر لبلاد الشرك
١٥٤	ما يتعلق بالأذان		لأجل التجارة وعمن يقيم بها
١٥٤	شروط الصلاة		ثم يرغب ويسكن
١٥٧	ما يتعلق بصفة الصلاة	١١٢	اختلاط المسلمين بالكفار
١٦٣	سجود السهو	١١٢	آداب العالم والمعلم
١٧١	ما يتعلق بصلاة التطوع	١١٧	فائدة السؤال لمن يوجه إليه
١٧٦	ما يتعلق بصلاة الجماعة	١١٨	أقسام العلوم
١٨٨	صلاة أهل الأعدار	١٢٠	أصول الفقه ، افراد بعض
١٩١	صلاة الجمعة		مسائل الفقه بجهنك خاص .
٢٠٠	ما يتعلق بصلاة الجنائز		ذكر نموذج منها
٢١٢	ما يتعلق بكتاب الزكاة	١٣١	القسم الثاني :
٢١٩	زكاة السائمة والحبوب والثمار		فما يتعلق بفروع الدين
٢٢١	زكاة النقدين	١٣٢	أسئلة وأجوبة تتعلق بالطهارة
٢٢٢	زكاة العروض	١٣٥	أسئلة وأجوبة تتعلق بالاستنجاة
٢٢٣	زكاة الفطر	١٣٧	حلق اللحية ودواء الوسوسة
٢٢٤	إخراج الزكاة	١٣٨	ما يتعلق بالوضوء والمسح
			على الخفين

الصفحة	المبحث	الصفحة	المبحث
٣٤٩	قلب الدين وحكمه	٢٢٧	أهل الزكاة
٣٥٥	معنى التنبية	٢٣١	ما يتعلق بكتاب الصيام
٣٥٥	ما يتعلق بباب بيع الأصول والثمار	٢٤٦	صوم التطوع
٣٥٧	بيع الثمرة والزرع قبل بدو الصلاح	٢٤٧	الاعتكاف
٣٥٧	نمو الخشب بعد مدة قسرت قطعه فيها ، لمن يكون ؟	٢٤٩	ما يتعلق بكتاب الحج
٣٥٨	من اشترى شجرا عليه ثمر للبائع	٢٥٨	باب الإحرام
٣٦١	من باع نخلا بأصله واستثنى منه نخلتين بأرضهما لأجل الغرس بعد فئامها	٢٦٣	محظورات الإحرام
٣٦٤	عيب الشجرة إذا لم يبلغ الثلث	٢٦٥	صفة الحج والعمرة وأركان الحج وواجباته ومستحباته
٣٦٤	الجائحة في الزرع	٢٦٨	كتاب الأضاحى وما يتعلق بها
٣٦٥	بيع القرع والبطيخ جملة صغاراً وكباراً	٢٨٤	كتاب الجهاد
٣٦٦	ما يتعلق بباب السلم	٢٨٥	كتاب البيع وما يتعلق به
٣٦٧	الأوصاف التي ذكرت في السلم	٢٩٦	الشروط في البيع
٣٦٩	إذا أسلم في جنس إلى أجلين	٢٩٨	الخيار والتصرف في المبيع
٣٦٩	أخذ الشعير عن البئر في السلم	٣٠١	أشياء يثبت بها الخيار
		٣٢١	ضمان المقبوض بعقد فاسد
		٣٢٢	ما يتميز به ثمن عن ثمن
		٣٢٣	ما يتعلق بباب الربا والعرف
		٣٢٤	الربا بين العبد وسيد
		٣٢٩	ما يتعلق بالعرف
		٣٣١	المعاملة بالأنواط

الصفحة	المبحث	الصفحة	المبحث
٣٩٢	ما يتعلق بباب الضمان	٣٧١	إذا أسلم في بر فلم يكن عند المسلم إلا شمير أو ذرة وأراد أخذه عن البر
٣٩٣	ألفاظ ضمان العمدة	٣٧١	معنى : دين السلم لا يصح بيعه ولا رهنه
٣٩٣	ما يتعلق بالسكفالة	٣٧٢	بيع المسلم فيه والحوالة به وعليه
٣٩٥	ضمان المعرفة، وإذا ضمن معرفة إنسان	٣٧٣	التعويض عن الديون التي في الذم
٣٩٦	ما يتعلق بالحوالة	٣٧٤	ما يتعلق بباب القرض
٣٩٦	حديث : « مطلق النقي ظلم »	٣٧٦	ما يتعلق بباب الرهن
٣٩٦	معنى الملىء النخ	٣٧٧	معنى قولهم : ما لا يصح بيعه لا يصح رهنه
٣٩٨	كتاب الصلح	٣٧٧	رهن المجهول
٣٩٨	الصلح عن دين مجهول النخ	٣٨١	رهن الديون
٤٠١	إذا طلب من جاره المباناة فامتنع	٣٨٢	الزيادة في دين الرهن
٤٠١	إحداثا بئر ينقطع بها ماء الجار	٣٨٢	عتق الرهن
٤٠٢	ما يتعلق بباب الحجر	٣٨٥	المرهون لا يرهن ، والمشغول لا يشغل
٤٠٣	منع المدين العاجز من السفر	٣٨٧	الاختلاف في عين الرهن
٤٠٤	تصرف المفلس قبل الحجر	٣٩٠	حكم الوثيقة إذا زال العقد
٤٠٥	حلول الدين المؤجل بالمفلس	٣٩٠	الاتفااع بالمرهون
٤٠٧	إذا وجد عين ماله عند من أفلس		
٤٠٨	شروط الرجوع بعين ماله على المفلس		

الصفحة	المبحث	الصفحة	المبحث
٤٣٢	شركة الدالين	٤١١	حكم تصرف من حكم الحاكم
٤٣٣	ما يتعلق بباب المساقاة		بالحجر عليه
	والمزارعة	٤١٢	أحكام الأرقاء
٤٣٥	إذا شرط في [ المساقاة ]	٤١٤	ما يتعلق بباب الوكالة
	والمزارعة ما يلزم رب	٤١٦	أقسام النيابة عن الغير
	المال أو بالعكس	٤١٧	صفة الوكالة الدورية
٤٣٦	تأمين الجمارة إذا خرج المساق	٤١٨	من وكل شخصاً ثم وكل بعمه
٤٣٦	ما يتعلق بباب الإجارة		آخر من غير عزل للأول النخ
٤٣٧	أخذ الأجرة على عقد النكاح	٤٢٣	ما يتعلق بكتاب الشركة
٤٣٧	أخذ الأجرة على العزيمة	٤٢٣	بيان قولهم : لا يشترط كون
٤٣٩	إذا استأجر سيارة ثم خربت		المالين من جنس واحد
	في أثناء الطريق	٤٢٤	إذا قال : خذ هذا فاتجر به
٤٤١	الأجير الخاص والفرق بينه		والربح لك
	وبين الأجير المشترك	٤٢٥	إذا أعطى شخصاً ريبالات
٤٤٢	ضمان الأجير المشترك والخاص		فرنسية مضاربة . فهل يلزم
٤٤٤	بيع العين المؤجرة		عند تصفيتهما ردها النخ
٤٤٥	الاختلاف : هل هي عارية	٤٢٨	إذا فسدت المضاربة . فإذا
	أو مؤجرة		للمالك وللعامل
٤٤٦	السبق	٤٢٩	إذا اختلفا : لمن الجزء
٤٤٦	اللعب بالشطرنج والنرد وأم		المشروط بعد الربح
	خبطوط لا يهل ولا يجوز	٤٣١	المدة المعروفة
٤٤٧	ما يتعلق بكتاب العارية		



الصفحة	المبحث	الصفحة	المبحث
٤٧٦	تجب عمارة الوقف بحسب البلون	٤٤٨	ضمان العارية
٤٧٩	ما يتعلق ببياب الهبة	٤٤٩	ما يتعلق بكتاب التصيب
٤٨٠	وقف المريض ثلثه على بعض ورثته	٤٥٠	إذا تعذر رد المصوب ثم رد المثل ثم قدر على عين المصوب
٤٨٠	تصرف الابن بما وهبه له أبوه	٤٥١	من عنده مال مصوب وتقدر معرفة صاحبه
٤٨١	الزيادة المتصلة في الهبة	٤٥٤	من دفع مفتاحاً للص - فهل يضمن ؟
٤٨٣	ما يتعلق بكتاب الوصية	٤٥٥	من مال حائطه فأتلف شيئاً
٤٨٣	الفرق بين الهبة والوصية	٤٥٦	الإتلافات للنفوس والأموال بغير حق
٤٨٤	باب الموصى له	٤٥٨	ما يتعلق ببياب الشفعة من الأسئلة والأجوبة
٤٨٦	باب الموصى به	٤٦٠	الفورية في الشفعة
٤٨٨	من عنده وصية أو وصايا بعدة أضاحى والمفل لا يكنى	٤٦١	إذا بيع ما فيه الشفعة بمحاباة
٤٩٢	باب الموصى إليه	٤٦٣	ما يتعلق ببياب الوديعة
٤٩٣	ما يتعلق بكتاب الفرائض	٤٦٣	ما يتعلق بباب القطة والقيط
٤٩٤	إشكال وجوابه في موضع من كلام الأصحاب	٤٦٤	الوقف
٥٠٠	ميراث الجد مع الإخوة	٤٦٧	إذا لم يأت الموقوف بلفظ يدل على الشريك والترتيب
٥٠٣	أصول المسائل والمول والرد	٤٦٨	من وقف بشرأ للشرب فهل يجوز الوضوء منها ؟
٥٠٤	ما يتعلق بكتاب النكاح		
٥٠٨	حكم توكيل الأب في قبول النكاح		

الصفحة	المبحث	الصفحة	المبحث
٥٤٥	بماذا تحصل الرجعة	٥١١	حكم إجبار البكر أو الثيب
٥٤٦	حكم المطلقة الرجعية		على من ليست ترضاه
٥٤٧	الإبلاء	٥١٢	حكم الولي والشهادة في النكاح
٥٤٨	كتاب الظهار	٥١٣	معنى الكفاءة في النكاح
٥٤٩	المعتبر في الكفارات	٥١٤	باب الهرمات في النكاح
٥٥٢	كتاب العان	٥١٦	حكم خطبة أخت المطلقة
٥٥٢	ما يعتبر في إلحاق النسب		الرجعية أو البأن قبل انقضاء
٥٥٥	كتاب العدد		العدة الخ
٥٥٨	حكم ما إذا مات زوج رجعية	٥٢٠	الشروط والعيوب في النكاح
٥٦٢	الإحداذ في الفكاح الفاسد	٥٢٣	كتاب الصداق وما يتعلق به
٥٦٥	ما يتعلق بكتاب الرضاع	٥٢٤	وليمة العرس
٥٦٦	باب النفقات	٥٢٥	عشرة النساء
٥٦٨	فقه الحامل	٥٢٨	الخلع وما يتعلق به
٥٧١	فقه الرقيق الآبق والناشر	٥٣١	حكم الخلع إذا لم يقع فيه
٥٧٤	باب الحضنة		عوض والخلع بالمجهول
٥٧٤	من له الحضنة	٥٣٢	ما يتعلق بكتاب الطلاق
	ومن لا حضنة له	٥٣٣	كتاب الطلاق
٥٧٧	ما يتعلق بكتاب الجنسيات	٥٣٤	صريح الطلاق وكنايته الصيغ
٥٨١	استيفاء القصاص		المعتبرة في الطلاق
٥٨٢	العفو عن القصاص	٥٣٧	ما يختلف به عدد الطلاق
٥٨٢	ما يوجب القصاص	٥٣٨	الشك في الطلاق
	فيما دون النفس	٥٤٠	تعليق الطلاق بالشروط
		٥٤٥	باب الرجعة

الصفحة	المبحث	الصفحة	المبحث
٦٣٧	الدعاوى والبيِّنات	٥٨٤	الديبات وما يتعلق بها
٦٣٨	اليمين في الدعوى	٥٨٩	مقادير ديات النفس فسادونها
٦٤٠	كتاب الشهادات	٥٩١	ديات الأعضاء ومنافعها
٦٤٣	فوائد في آداب المسلمين	٥٩٢	العاقلة وما تحمله
	والمتعلمين	٥٩٣	القسامة
٦٤٤	حسن الخلق	٥٩٤	كتاب الحدود
٦٦١	الرجاء ومدوح واليأس مذموم	٥٩٦	حد الزنا وما يتعلق به
٦٦٨	نظم معنى حديث نبوي	٥٩٧	حد القذف
٦٧٣	مدح شيخ الإسلام ابن تيمية	٥٩٧	التعمير
	وتلميذ ابن القيم	٥٩٩	حد السرقة
٦٧٦	مرثية أصحاب ثلاثة	٥٩٩	حكم المرتد
٦٧٨	أبيات إلى بعض أصحابه	٦٠٨	كتاب الأطمسة
٦٧٩	أبيات في جواب صاحب له	٦١٥	حكم ضرب الدخان والاتجار
٦٧٩	أبيات في ركوبه السميارة		به وبينان مضاره الدينية
	أول مرة للحج		والدنيوية والبدنية
٦٨٠	أبيات موجهة إلى صاحب له	٦٢١	باب الذكاة
	بعث بها إليه حين خرج	٦٢٥	كتاب الأيمان
	لحج	٦٢٨	باب الفدر
٦٨٢	أبياته في رثاء بعض أصحابه	٦٢٩	كتاب القضاء
٦٨٤	أبياته في تذكير مواطن من	٦٣٠	طريق الحكم وصفته
	مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم	٦٣١	آداب القاضي
		٦٣١	باب القسمة

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمدُ لله الذي خلق خلقه أطوارًا ، وصرفهم في أطوارِ  
التَّخْلِيْقِ كيف شاءَ عِزَّةً وَاقْتِدَارًا ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ إِلَى  
المُكَلَّفِينَ إِعْذَارًا مِنْهُ وَإِنْذَارًا .

والحمدُ لله ربِّ العالمين . نحمده ونستعينه ، ونستغفره  
ونُتُوبُ إِلَيْهِ ، ونَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ  
أَعْمَالِنَا . مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَامُضِلٌّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِللِ فَلَاهَادِيٌّ لَهُ .  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ ، لَا شَرِيكَ لَهُ .  
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ  
وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أما بعد : فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ رُسُلَهُ مُبَشِّرِينَ  
وَمُنذِرِينَ ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ، لِيَقُومَ  
النَّاسُ بِالْقِسْطِ ، فَيُؤَدُّوا مَا أَوْجِبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقُوقِهِ ،  
وَحَقُوقِ دِينِهِ وَعِبَادَتِهِ ؛ فَبَلَّغُوا عَلَيْهِمُ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ رِسَالَةَ  
رَبِّهِمْ ، وَأَدُّوا أَمَانَتَهُ ، وَنَصَحُوا أُمَّمَهُمْ ، حَتَّى لَمْ يُبَيِّقُوا شِكَاً  
وَلَا زَيْبًا لِذِي شَكٍّ أَوْ زَيْبٍ .

وقد كان أبلغهم بيانًا وأعظمهم معجزة ، وأعظمهم رسالة ،  
خاتمهم محمدًا صلى الله عليه وسلم ؛ فقد ترك أمته على المحجّة  
البيضاء ، والطريقة المثلى ، ليلىها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا  
هالك . وأخذتها أمته منه خالصة نقية واضحة ، ميراثًا  
مستمرًا إلى أن يأتي أمر الله ، ويأذن الله بخراب هذا العالم .  
فإن الرسل عليهم الصلاة والسلام لم يُورثوا درهما ولا دينارًا ،  
وإنما ورثوا العلم ؛ فمن أخذه أخذ بحظ وافٍ ، فكانت  
أمته صلى الله عليه وسلم تتوارث علمه ، عالمًا بعد عالم ،  
حتى انتهت إلى عصرنا هذا .

\* \* \*

وكان من بين العلماء الذين حظوا بهذا التراث وبذله  
ونشره ، على الوجه المشروع ، من غير ملل ولا اكتراث ،  
شيخنا الشيخ : ( عبد الرحمن بن ناصر السعدي ) ..

فقد نال - والله الحمد - من هذا العلم أوفر حظ ،  
وما زال دائبًا على نشره تلميحًا سرًا وجهريًا ، بين الطلبة  
وعامة الناس ، وتصنيفًا للكتب الصغيرة والكبيرة .

وقد بذل مجهوده لإرشاد الخلق ، حتى نفع الله به الخلق  
الكثير من المواطنين وغيرهم من سائر البلدان .

ثم مضى لسبيله ، بعد أن قضى حياته على الوصف الذى ذكرنا . فرحمه الله رحمة واسمة ، ونعمنا بملومه . وجزاه الله عنا جزاء الموقنين الأبرار ، وجمله من جزبه الفائزين .

\*\*\*

وبعد وفاته اطلعنا على فتاوى وكتابات وأسئلة وأجوبة كتبها بيده ، ونعتقد أنها نافعة فى بابها ، وملائمة لوقتنا الحاضر .  
ولكثرة المتشوقين - من إخواننا - إلى مراجعتها ، والانتفاع بها ، قیدناها مرتبة على حسب عادة مُصنّفى قُفائنا الحنابلة ، رحمهم الله .

ولم نتمد فى كتاباتنا هذه من فتاواه ، إلا على ما رأيناه بخط يده ، ليكون ذلك أوثق ، وأبلغ طمأنينة .

والله نسأل أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم ،  
وسمينا مشكوراً لديه ، وناقماً لعباده ،  
فإنه سميع قريب .

# القسم الأول

فيما يتعاق بأصول الدين والحديث

## المسألة الاولى في التوحيد الخالص

قوله صلى الله عليه وسلم في حديث «مُعَاذ» المتفق عليه :  
« ... حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْْبُدُوهُ ،  
وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا »

أى : يخضعوا له بحبة بطاعته وطاعة رسوله .  
فيشمل ذلك : اعتقادات القلوب التي ترجع إلى الإيمان بالله ،  
وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، والقدَر ،  
خيره وشره . وأعمال القلوب التي مَرَجِحُهَا إلى الإنابة بالقلب  
إلى الله ، في الحب والخوف والرجاء ، والرغبة والرغبة ، وتوابع  
ذلك من أعمال الجوارح التي بعضها أعمال بدنية قلبية :  
كالصلاة ، والصيام ؛ وبعضها مالية قلبية : كالزكاة ، والصدقة ،  
والكفارات ، والنفقات الواجبة والمستحبة ؛ وبعضها مالية بدنية  
قلبية : كالحج ، والعمرة ، والجهاد .

وبعض العبادات متعلق بحقوق الله خاصة .

وبعضها متعلق بحقوق الخلق : كـ « بِرُّ الوالدين » ،  
و « صِلَةِ الأرحام » ، و « القيام بحقوق الجيران والأصحاب  
والماملين ونحوهم » .



وإلى أقوال لسانية : كقراءة القرآن ، وذكر الله ،  
والثناء عليه ، والتحدث بِنِعْمِهِ ، والاشتغال بالعلوم النافعة ،  
والنصيحة لعباد الله ، ونحو ذلك مما يُقَرَّب إلى الله .

وتحقيق جميع ذلك وتكميله ، وحصول تمام مقصوده  
وروحه ، هو الإخلاص التام لله في جميع هذه العبادات ،  
بأن يكون الداعي لها ، والحامل للمبد على فعلها : امتثال  
طاعة الله ، وطاعة رسوله ، وغايتها ومقصود صاحبها :  
ابتغاء فضل الله ورضوانه ، وبذلك يتحقق التوحيد الخالص  
الكامل ، وينتفى الشرك كله .

وبذلك تترتب جميع الثمرات التي رتبها الشارع على  
العبادات ، من منافع الدين والقلب والبدن والدنيا والآخرة .  
والله المستعان .

### المسألة الثانية

#### في أصول الدين الكبار

سُئِلَ عن أصول الدين الكبار على وجه الإيجاز والاختصار .

فأجاب : هذا أعظم سؤال .

وجوابه أجلُّ الأجوبة ، لاستدعائه الإتيان بجميع الأصول  
التي تُبنى عليها القواعد الإسلامية ، والحقائق الإيمانية .

وقبل الشروع في جوابها ، لِيَتَعَلَّمَ السَّائِلُ : أُنِّي لَا يَمْلِكُنِي  
أَنْ أَسْتَوْفِيَ مَا تَسْتَحِقُّ ، وَلَا بَعْضُ مَا تَسْتَحِقُّ ، مِنْ الْبَسْطِ  
وَبَيَانِ الْأَدَلَّةِ ، وَلَكِنْ مَا لَا يُدْرِكُ كُفْلَهُ لَا يُتْرَكُ كُلُّهُ .  
فَأَقُولُ ، عَلَى وَجْهِ الْإِشَارَةِ وَالْإِيحَازِ :

لهذا الدين العظيم أصولٌ كثيرةٌ ؛ ولكن أكبرها  
وأعظمها : هذه الأصول التي سنُنَبِّه عليها :

## الأصل الأول

### التوحيد

حدُّ التوحيد الجامع لأنواعه ، هو : اعتقاد المبدع وإيمانه  
بتفرد الربِّ بصفات الكمال ، وإفراده بأنواع العبادة .  
فدخل في هذا التعريف :

توحيد الربوبية الذي هو اعتقاد انفراد الرب بالخلق ،  
والرزق ، وأنواع التدبير . .

وتوحيد الأسماء والصفات ، وهو : إثبات جميع ما أثبتته  
لنفسه ، أو أثبتته له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من  
الأسماء الحسنى ، والصفات السكاملة العليا ، من غير تشبيه  
ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل .

وتوحيد الإلهية والعبادة ، وهو : إفراده وحده بأجناس  
العبادة وأنواعها ، وإفرادها من غير إشراك به في شيء منها ،  
مع الاعتراف بكمال ألوهيته .

فدخل في توحيد الربوبية : إثبات القضاء والقدر ،  
وأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه على كل شيء  
قدير ، وأنه الغنى الحميد ، وما سواه فقير إليه من كل وجه .  
ودخل في توحيد الأسماء والصفات : إثبات جميع  
معاني الأسماء الحسنى لله ، الواردة في الكتاب والسنة .

والإيمان بها ثلاث درجات : إيمان بالأسماء ، وإيمان  
بالصفات ، وإيمان بأحكام صفاته : كالعلم بأنه عليم ذو علم ،  
ويعلم كل شيء ، قدير ذو قدرة ، ويقدر على كل شيء ،  
إلى آخر ما له من الأسماء المقدسة .

ودخل في ذلك إثبات علوه على خلقه ، واستوائه على  
عرشه ، ونزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا على الوجه اللائق  
بعظمته وجلاله . ودخل في ذلك : إثبات الصفات الذاتية ،  
التي لا ينفك عنها ، كالسمع ، والبصر ، والعلو ، ونحوها .  
والصفات الفعلية وهي : كل صفة تعلقت بمشيئته وقدرته :  
كالكلام ، والخلق ، والرزق ، والرحمة ، والاستواء على  
العرش ، والنزول إلى السماء الدنيا كما يشاء . وأن جميعها  
ثابتة لله من غير تمثيل ، ولا تعطيل ، ولا تحريف . وأنها كلها  
قاعة بذاته ، وهو موصوف بها . وأنه تعالى لم يزل ولا يزال  
يفعل ويتكلم ، وأنه فعال لما يريد ، يتكلم بما شاء إذا شاء ،  
كيف يشاء ، لم يزل بالكلام موصوفاً ، وبالرحمة معروفاً .

ودخل في ذلك : الإيمان بأن القرآن كلام الله ، مُنَزَّلٌ  
غير مَخْلُوق ، منه بدأ وإليه يعود . وأنه المتكلم به حقاً :  
لفظه ومعانيه ، وأن كلامه لا يَنْفَد ولا يَبِيد .

ودخل في ذلك : الإيمان بأنه قريب مجيب ، وأنه مع  
ذلك على أعلى ، وأنه لا مُنَافَاة بين كمال قُربِه وكمال عُلوِّه ،  
لأنه ليس كمثل شيء في جميع نُعوتِه .

ولا يتمُّ توحيد الأسماء والصفات ، حتى يعترف ويؤمن  
بكل ما جاء به الكتاب والسنة ، من الأسماء والصفات  
والأفعال وأحكامها ، وعلى وجه يليق بمظمة الباري . ويعلم  
أنه : كما لا يماثله أحد في ذاته ، فلا يماثله أحد في صفاته .

ومن ظن أن في بعض النُقلِيَّات ما يُوجب تأويل بعض  
الصفات على غير معناها المعروف ، فقد ضلّ ضلالاً مبيناً .

ولا يتمُّ توحيد الربوبية حتى يعتقد العبد أن جميع أفعال  
العباد مخلوقة لله تعالى ، وأن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله ،  
وأن لهم قُدرة وإرادة تقع بها أفعالهم ، وهي مُتعلِّق المدح  
والدم ، والأمر والنهي ، والثواب والعقاب . وأنه لا يتنافى  
الأمران : إثبات مشيئة الله العامة الشاملة للذوات والأفعال  
والصفات ، وإثبات قُدرة العبد على أفعاله وأقواله .

ولا يتم توحيد العبادة ، حتى يخضع المبدئ لله في جميع إرادته وأقواله وأفعاله ، وحتى يدع الشرك الأكبر المنافي للتوحيد كُلاً المنافاة ، وهو أن يصرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى .

وتحقيق هذا التوحيد وتعممه أن يدع الشرك الأصغر وهو : كل وسيلة يتوسل بها إلى الشرك الأكبر ، كالحلف بغير الله ، ويسير الرِّياء ، ونحو ذلك .

والناس في التوحيد درجات متفاوتة ، بحسب ما قاموا به من معرفة الله ، والقيام بعبوديته ، الظاهرة والباطنة .

فأكملهم : من عرف تفاصيل أسماء الله ، وصفاته ، وأفعاله ، وآياته ، وما أخبر به عن مخلوقاته ، وعن اليوم الآخر ، والجزاء ، الثابتة في الكتاب والسنة ، وفهم معانيها فهماً صحيحاً ؛ فامتلاً قلبه من معرفة الله وتعظيمه وإجلاله ومحبته والإنابة إليه ، وانجذب جميع دواعي قلبه إلى الله ، متوجهاً إليه وحده ، لا شريك له ، ووقعت جميع حركاته وسكناته خالصة لله تعالى ، لا يشوبها شيء من الأغراض الأخرى ، فاطمأن إلى الله : معرفةً وإنابةً ، وفعلًا وتركًا ، وكملاً نفسه بالإخلاص والمتابعة ، وكملاً غيره بالدعوة إلى هذا الأصل .

ولا يتم له هذا التوحيد ، حتى يُؤَالِي أهل الإيمان  
والتوحيد ، وَيَتَّبِعَ مَنْ الشُّرْكَ والمُشْرِكِينَ ، وَيُؤَالِي اللَّهَ ،  
وَيُعَادِيَ اللَّهَ ، وَتَصِيرُ مَحَبَّتُهُ تَابِعَةً لِمَحَبَّةِ اللَّهِ .

فنسأل الله أن يفضّل علينا بذلك ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

## الأصل الثاني

الإيمان بنبوة جميع الأنبياء عموماً

وبنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خصوصاً

وهذا الأصل مَبْنَاهُ عَلَى أَنْ يَعْتَرَفَ وَيَعْتَقِدَ بِأَنَّ  
جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ اخْتَصَّصَهُمُ اللَّهُ بِوَحْيِهِ وَإِرْسَالِهِ ، وَجَعَلَهُمْ  
وَسَائِلَ بَيْنِهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي تَبْلِيغِ شَرْعِهِ وَدِينِهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ  
أَيَّدَهُمُ بِالْبُرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِمْ ، وَصِحَّةِ مَا جَاءُوا  
بِهِ . وَأَنَّهُمْ أَكْمَلُوا الْخَلْقَ عِلْمًا وَعَمَلًا ، وَأَصْدَقَهُمْ  
وَأَبْرَهُمْ ، وَأَكْمَلَهُمْ أَخْلَاقًا وَأَعْمَالًا . وَأَنَّ اللَّهَ خَصَّهُمْ  
بِخَصَائِصٍ ، وَفَضَّلَهُمْ بِفَضَائِلٍ ، لَا يَلْحَقُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ .  
وَأَنَّ اللَّهَ بَرَّاهُمْ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ دَنِيٍّ وَرَذِيلٍ . وَأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ  
فِي كُلِّ مَا يُبَلِّغُونَهُ عَنِ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَقِرُّ فِي خَبَرِهِمْ  
وَتَبْلِيغِهِمْ إِلَّا الْحَقُّ وَالصَّوَابُ . وَأَنَّهُ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِمْ ،  
وَبِكُلِّ مَا أُوتُوا مِنَ اللَّهِ ، وَمَحَبَّتِهِمْ وَتَعْظِيمِهِمْ .

وأن هذه الأمور ثابتة لنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم على أ كمل الوجوه . وأنه يجب معرفة جميع ما جاء به من الشرع جملة وتفصيلا ، بحسب الاستطاعة ، والإيمان بذلك ، والتزامه والتزام طاعته في كل شيء ، بتصديق خبره ، وامتنال أمره ، واجتناب نهييه .

ومن ذلك أنه خاتم النبيين ، قد نَسَخَتْ شريعته جميع الشرائع ، وأن نُبُوَّتَهُ وشريعته باقية إلى قيام الساعة ؛ فلا نبي بعده ، ولا شريعة غير شريعته ، في أصول الدين وفروعه . ويدخل في الإيمان بالرسول ، الإيمان بالكتب . فالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم يقتضى الإيمان بكل ما جاء به من الكتاب والسنة : ألفاظها ومعانيها .

فلا يتمُّ الإيمان إلا بذلك ، وكلُّ من كان أعظم علماً بذلك وتصديقاً ، واعترافاً وعملاً ، كان أكمل إيماناً .

والإيمان بالملائكة مع القدر داخل في هذا الأصل العظيم . ومن تمام الإيمان به : أن يُعْلَمَ أن ما جاء به حق ، لا يُمكن أن يقوم دليلٌ عقليٌّ أو حسيٌّ على خلافه ، كما لا يقوم دليلٌ نقليٌّ على خلافه .

فالأمر العقلي ، أو الحسي النافعة ، تجدد دلالة الكتاب والسنة مُثَبِّتَةً لها ، حائِثَةً على فعاها وعمليها .

وغير النافع من المذكورات ، ليس فيها ما ينفي وجودها ،  
وإن كان الدليل الشرعي ينهى ويذمّ الأمور الضارة منها ،  
ويدخل في الإيمان بالرسول ، الإيمان باليوم الآخر ، وهو :

### الأصل الثالث

#### الإيمان باليوم الآخر

فكلُّ ما جاء به الكتاب والسنة ، مما يكون بعد الموت ،  
فإنه من الإيمان باليوم الآخر ، كأحوال البرزخ ، وأحوال  
يوم القيامة ، وما فيها من الحساب ، والثواب ، والعقاب ،  
والشفاعة ، والميزان ، والصُّحُف المأخوذة باليمين والشمال ،  
وأحوال الجنة والنار ، وصفات أهلها ، وأنواع ما أعدّه الله  
فيها لأهلها ، إجمالاً وتفصيلاً .

وكلّ ذلك داخل في الإيمان باليوم الآخر .

### الأصل الرابع

#### مسألة الإيمان

وذلك أن أهل السنة والجماعة ، يعتقدون ما جاء به  
الكتاب والسنة ، من أن الإيمان : تصديق القلب المتضمن  
لأعمال الجوارح ، فيقولون :



الإيمان اعتقادات القلوب وأعمالها ، وأعمال الجوارح ،  
وأقوال اللسان ، وأنها كلها من الإيمان ..

وأن مَنْ أكملها ظاهراً وباطناً ، فقد أكمل الإيمان ،  
ومن انتقص شيئاً منها ، فقد نقص إيمانه .

وهذه الأمور يَضَعُ وسبعون شعبة ، أعلاها قول :  
« لا إله إلا الله » ، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق ،  
والحياء شعبة من الإيمان<sup>(١)</sup> .

ويُرتَّبون على هذا الأصل أن الناس في الإيمان درجات :  
مُقَرَّبون ، وأصحاب يمين ، وظالمون لأنفسهم ، لأنهم بحسب  
مقاماتهم في الدين والإيمان ، وأنه يزيد وينقص .  
فمن فعل محرماً ، أو ترك واجباً ، نقص إيمانه الواجب ،  
ما لم يَنْبُ إلى الله .

ويرتَّبون على هذا الأصل ، أن الناس ثلاثة أقسام :  
منهم من قام بهذه وبحقوق الإيمان كلها ، فهو المؤمن حقا .  
ومنهم من تركها كلها ، فهذا كافر بالله .  
ومنهم من فيه إيمان وكفر ، وإيمان ونفاق ، وخير وشر ،  
ففيه من ولاية الله ، واستحقاقه لكرامته ، وبحسب ما معه  
من الإيمان ؛ وفيه من عداوة الله واستحقاقه لعقوبة الله ،  
بحسب ما ضيَّعه من الإيمان .

---

(١) هذا بعض لفظ حديث متفق عليه ، من حديث أبي هريرة  
رضي الله عنه .

ويرتَّبون على هذا الأصل أنَّ كِبائر الذُّنوب وصغارها ،  
لا تصل بصاحبها إلى الكفر ؛ ولكنها تنقص الإيمان ،  
من غير أن تخرجه من دائرة الإسلام ، ولا يخلد صاحبها  
في النار ، ولا يطلقون عليه اسم الكفر ، كما تقوله الخوارج ،  
أو ينفون عنه الإيمان ، كما تقوله المعتزلة ؛ بل يقولون :  
هو مؤمن بإيمانه ، فاسق بكبيرته . فعمه مُطلق الإيمان .  
أما الإيمان المطلق فينفي عنه .

وهذه الأصول إذا عرفت وجهها ، يحصل بها الإيمان بجميع  
نصوص الكتاب والسنة ، ويترتب على هذا الأصل أن  
الإسلام يَجِبُ ما قبله <sup>(١)</sup> ، وأن التوبة تَجِبُ ما قبلها ،  
وأن من ارتدَّ ومات على ذلك حَبِطَ عمله ، ومن تاب ،  
تاب الله عليه . ويرتَّبون أيضاً على هذا الأصل صحَّة  
الاستثناء في الإيمان ، فيصحُّ أن يقول :

---

(١) أخرج مسلم في « صحيحه » من حديث عمرو  
ابن العاص مرفوعاً :

« يا عمرو ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ،  
وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا ،  
وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ . »

أنا مؤمنٌ إن شاء الله . لأنه يرجو من الله تكميل إيمانه ،  
فيستثنى لذلك ، ويرجو الثبات على ذلك إلى الممات ،  
فيستثنى من غير شك منه بحصول أصل الإيمان .

ويرثبون أيضاً على هذا الأصل أن الحب والبغض ، أصله  
ومقداره تابع للإيمان وجوداً وعدمًا ، وتكميلاً أو نقصاً .  
ثم يتبع ذلك : الولاية والعداوة . ولهذا كان من الإيمان :  
الحب في الله ، والبغض في الله<sup>(١)</sup> ، والولاية لله ، والعداوة لله .  
ولا يتم الإيمان إلا بأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه<sup>(٢)</sup> .  
ويترتب على ذلك - أيضاً - محبة اجتماع المؤمنين ،  
والحسنى على التآلف والتحابب ، وعدم التقاطع . ويرأ أهل  
السنة والجماعة من التعصبات والتفرق والتباغض . ويرون هذه  
القاعدة ، من أهم قواعد الإيمان ، ولا يرون الاختلاف  
في المسائل التي لا توصل إلى بدعة أو كفر ، موجبة للتفرق .

(١) روى أبو داود في « سننه » عن أبي أمامة رضى الله  
عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ ، وَأَعْطَى لِلَّهِ ، وَمَنَعَ لِلَّهِ  
فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ » . وهو حديث حسن بشواهده .

(٢) متفق عليه من حديث أنس رضى الله عنه ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » .

ويترب على الإيمان محبة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، بحسب مراتبهم ، وأن لهم من السوابق والفضل والمناقب ، ما فضلوا به على سائر الأمة ، ويدينون بحبهم ونشر فضائلهم ، ويمسكون عما شجر بينهم ، ويعتقدون أنهم أولى الأمة بكل خصلة حميدة ، وأسبقهم إلى كل خير ، وأبعدهم من كل شر .

ويعتقدون أن الأمة لا تستغنى عن إمام يُقيم لها دينها ودنياها ، ويدفع عنها طادية المعتدين .

ولا تتم إمامته ، إلا بطاعته ، في غير ممصية الله .

ويرون أنه لا يتم الإيمان إلا بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، باليد واللسان والقلب ، على حسب القدرة والاستطاعة .

وبالجملة ، فيرَوْنَ القيام بكل أصول الشريعة ، على الوجه الشرعى .

## الأصل الخامس

طريق أهل السنة والجماعة في العظم والعمل

وذلك أن أهل السنة والجماعة يمتدنون ويعلمون أنه لا طريق إلى الله وإلى كرامته ، إلا بالعلم النافع والعمل الصالح .  
والعلم النافع : هو ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة .

فيجتهدون في معرفة معانيها ، والتفقه فيها أصولاً وفروعاً ،  
ويسلكون جميع الطرق المعتبرة على ذلك ، دلالة المطابقة ،  
ودلالة التضمن ، ودلالة الالتزام ، ويبدلون قوالم في إدراك ذلك  
بحسب ما آتاهم الله . ويعتقدون أن هذه هي المارم النافعة ،  
هي وما تفرع عليها من أقبيسة صحيحة ، ومناسبات حكيمية .  
وكل علم أعان على ذلك وآزره ، فهو علم شرعي ، كما أن كل  
علم ضاؤه أو ناقضه ، فهو باطل . فهذا طريقهم في العلم .

وأما طريقهم في العمل ، فإنهم يتقربون إلى الله تعالى  
بالتصديق ، والاعتراف التام ، والإيمان الذي لا ريب فيه  
بعقائد الدين ، التي هي أصل العبادات وأساسها .

ثم يتقربون إليه بعد ذلك بأداء فرائضه المتعلقة بحق الله  
وإحسان خلقه ، مع الإكثار من التواقل ، والسعي بالإحسان  
إلى الخلق بكل طريق ، وبترك المحرمات والمنهيات ،  
تعبداً لله تعالى .

ويعلمون أن الله لا يقبل إلا كل عمل خالص لوجهه  
الكريم ، مسلوک فيه طريق النبي الكريم .

ويستعينون بالله في هذه الطرق النافعة ، التي هي العلم  
النافع والعمل الصالح الموصول إلى كل خير وفلاح وسعادة  
عاجلة وآجلة .

فهذه الأصول العظيمة هي أصل الأصول ، احتوى عليها هذا الجواب على وجه الإيجاز ، والإتيان بالشكك الحسان منها ؛ ولو فصلت وبسطت وذكرت أدلتها ، لاحتاجت إلى شرح كثير ، وكتاب كبير . والله أعلم .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

سؤال مهم :

إذا كانت حقيقة العبادة وثبها مبنية على غاية الحب مع غاية الدلّ ، وقد يوجد من المخلوق للمخلوق حب وذل ، أو يوجد أحدهما . فما الفرق بين ما تعلق بالمخلوق ولم يبلغ رتبة العبادة ، وبين حقيقة العبادة المبنية على الأصلين المذكورين ؟

الجواب - وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب - : أعلم أن هذا سؤال عظيم ، له شأن عظيم ، ولا يُعرف سرُّ العبودية وحقيقتها ، بل لا يُعرف التوحيد كله ، إلا بمعرفة الفرق بين الحب والذل الذى هو عبادة ، وبين الحب والذل الذى ليس بعبادة . ومعرفة الفرق بين الأمرين : هو أعظم فَرْقَانِ يُفَرِّقُ به بين الأمور المتباينة ، والألفاظ المتشابهة . والمعانى التى بينها من الفرق أعظم مما بين السماء والأرض . ويبان ذلك أن الحب والذل لله تعالى هو عبادته .

وكلُّ قول وفعل واعتقاد اشتمل عليه الدين ، فالتعبد به لله تعالى ، مَقْرُونٌ بحب الله تعالى والذُّلُّ له ، الذى حقيقته : الاتقياد لشرعه ، تصديقاً لأخباره ، وتقرباً إلى الله بذلك التصديق المشتمل على العلم والمعرفة ، النافع للقلوب ، المَوْصَلُ لها إلى أجلِّ غاية ، وأعظم مطلوب ، وامتنالاً لأمره ، واجتناباً لنهيه ، تقرباً إلى الله ، وطلباً لمرضاته وتَّيْلِ ثوابه العاجل والآجل ، بفعل المأمور ، واجتناب المحذور .

فطلبُ التقرب إلى الله فى ذلك ، هو حقيقة الحب ، بل هو ثمرة الحب ، لأن العابد لله ، لما أحب ربه ، طلب السعى بكل ما يقربه إليه ، ويُدْنِيهِ منه . وذلك السعى والعمل ، هو الاتقياد الذى هو ثمرة الذل والتعظيم للرب ، بل هو القوة المعنوية التى عزم عليها المؤمن ، وهى التزامه العام لطاعة الله ورسوله ، بتصديق الخبر .

وطاعة الأمر ، هى : حقيقة الحب والذُّلُّ ، حيث قال المؤمنون : ( سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ) .

فكلُّ ما قاموا به من الدين ، وما عزموا عليه ، والتزموه منه ، فإنه من آثار الحب والذل . فهذه آثار العبودية .

وثمرتها : القيام بالدين كله ، علماً وعزماً وعملاً ونية .

ولا بد أن يكون هذا الحب والذل ناشئين عن معرفة  
بأسماء الله وصفاته ، وأن له كمال الأسماء ، وعظيم الصفات التي  
هي جميع صفات الكمال ، ونهاية الجلال والجمال ، وهي صفات  
الإلهية ونُموتها .

فالله هو المألوه ذُلًّا ، وَحُبًّا ، وتوابع ذلك لما له من هذا  
الكمال الذي يختص به ، فلا يُشاركه في ذلك مُشارك ..  
فجميع محامديه التي ذكرها في كتبه ، ونطقت بها رُسُلُه ،  
هي صفات ألوهيته ، التي ألهمه المُحبُّون المتذللون لأجلها ، وعبدوه  
بسببها . فعرفوا ما له من العظمة والكبرياء ، والمجد والجلال ،  
فخضعوا وذلُّوا . وما له من الجمال والكرم والرحمة ، والجود  
والإحسان ؛ فامتلات قلوبهم من محبته ، وفاضت ألسنتهم  
بالثناء عليه ، وانقادت جوارحهم ، طلبًا لقربه ورضاه وثوابه .  
وعرفوا ما له من العدل والحكم ، ووضع الأشياء في مواضعها ،  
وإيقاع العقوبات المتنوعة بأنواع المخالفين ؛ فخافوا ورهبوا ،  
وحذروا من معاصيه . وحيث وقعت منهم على وجه الغلبة ،  
بادروا بالتوبة ، والخروج من تَبَمَّتِها . وعرفوا ما له من الفضل  
المعظم ، والرحمة السابغة ، وأنواع الألطاف . فاشتاقوا إلى كرمه ،  
وسعوا لتحصيل ثوابه وجوده .. وهانت عليهم المشقات ، لَمَّا  
عرفوا أنها تُفضي بهم إلى أجَلِّ الكرامات ، وأفضل الثواب .



وعرفوا - مع ذلك - أنه لا يأتي بالحسنات إلا هو ،  
ولا يدفع السيئات إلا هو ، وأن جميع النعم الظاهرة  
والباطنة ، كلها منه ، وأن كل شر وعقوبة اندفعت عنهم ،  
فبِذْفَعِهِ وحِفْظِهِ ، وأنه الرب على الحقيقة ، كما أنهم هم العبيد  
المماليك على الحقيقة ، ليس لهم من أنفسهم إيجاد ، ولا إمداد ،  
ولا إعداد . [ فَمَهُم ] الفقراء إليه في جميع أمورهم ، في خَلْقِهِم  
وخلق جوارحهم الظاهرة والباطنة ، وفي رزقهم وتديبرهم ،  
وأنهم مماليك محض ، ليس لهم شيء ، ولا منهم شيء ،  
بل كل ما حصل لهم من منافع أو دفع مَضَارٍّ ، فمن الله .  
فلما عرفوا ربهم ، وعرفوا أنفسهم ، ذَلُّوا وخضعوا لله ،  
واشتاقوا إلى كلِّ ما يقربهم منه ، وما يسترحمون به إليهم  
ومعبودهم ، في حوائجهم المضطرين إليها في جميع اللحظات .  
فتبين وظهر أن الحبَّ والذلَّ الذي هو عبودية لله ،  
[ وتأليه ] له ، لا يُشابهه غيره ، ولا يلتبس بسواه ، [ في ] أسبابه  
وموجباته . فإنه حب وذل ، اقترن بالقيام بالدين ، بحسب  
حال صاحبه ، واقترن بعرفة الله وما له من النعمت العظيمة ،  
التي اختصَّ بها ، وتوحدَّ بها ، واقترن بعرفة العبد بنفسه ، وأنه  
عبد مملوك مضطر غاية الاضطرار إلى عبودية ربه ، وإلى [ تأليه ]  
لشدة ضرورته ، وتوقف سعادته على ذلك ، ولكونه مستحقاً  
عليه ، لازماً له ، من حيث إنه عبد مملوك ، مأمور منهي .

فكما أن العبود المسألوه ، ليس كمثل شىء فى جميع أوصافه ،  
وكماله ، فالعبادة المتعلقة به لا يُشبهها شىء .

ولهذا كلما قَوِيَتْ هذه الأمور فى العبد ، كان أكمل  
لتوحيده ، وأبلغ فى عبوديته لله .

فقيامُ التوحيد بتمام الإخلاص لله فى الاعتقاد والقول  
والعمل ، وتمام معرفته لله تعالى إجمالاً وتفصيلاً ، وتأصيلاً  
وتقريباً .. وكلما ضعفت منه هذه الأمور ، ضعف توحيده .

ولهذا كان الشُّرك فى الرُّبوبيّة ، والشُّرك فى الإلهيّة ، والشُّرك  
فى العبوديّة ، والشُّرك فى أسماء الله وصفاته وأفعاله ، مُنافياً  
كُلَّ المُنافاة للعبودية التى هى غاية الحب ، مع غاية الذل ؛  
لأن من زعم أن الله شريكاً فى ربوبيّته وتدبيره ، أو [ أنه ]  
له سَمِيٌّ أو مثيل فى صفات كماله ، فقد أشرك بربوبيّة الله ،  
وساوى غير الله بالله ؛ بل ساوى المخلوق بالمخلوق ، والمُعَبَّد  
المُدَبَّر ، بالرَّبِّ المُدَبِّر . ونفى خصائص الوهية الله تعالى التى  
حقيقتها تَفَرَّدُه بجميع الكمال .

ومن أشرك فى عبوديته وإخلاصه ، بأن صرف نوعاً من  
عبوديته لغير الله تعالى ، فقد نقص توحيده ، وأغسَد دينه  
الذى هو الإخلاص المحض ، ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ﴾ (١).

فأى حبٍّ وأى ذُلٍّ يشبّه بهذا أو يُقاربه ، إلا حب  
وذل هو عبودية لغير الله ، وشرك به ؟  
وهى المحبّة الشّرّكيّة الصادرة من المشركين التى مضمونها  
تسويةُ آلهتهم برب العالمين ، فى الذل والتعظيم والحب .  
ولهذا يقولون فى وسط جهنم ، معترفين بشركهم ، نادمين  
أشد الندم ، شاهدين بغاية ضلالهم :

﴿ تَاللّٰهِ اِنْ كُنَّا لِنِىْ ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ \*

اِذْ نُسُوْٓىْكُمْ بِرَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴾ (١)

ومع أن هذا شرك فى توحيدهم ، فإنهم لا يُساوون المؤمنين  
فى حبهم وتعظيمهم ؛ قال الله تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ اٰنْدَادًا ،

يُحِبُّوْنَهُمْ كَحُبِّ اللّٰهِ ، وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اَشَدُّ حُبًّا لِّلّٰهِ ﴾ (٢)

فظهر ببيان حقيقة العبودية ، الفرق العظيم بين حب العبادة  
وتعظيمها ، وبين الحب الطبيعى وتواضعه .

والحب الطبيعى ، تابع لبعض مُراد النفس والشهوات المُتباينة ،  
التي تبقى ببقاء ذلك المُراد ، وتزول بزواله .

وأما الذُّكُّ الطبيعى ، فهو ناشئ عن خوف من عُقوبة  
مخلوق ، لا يملك لنفسه ولا لغيره مِثقال ذرّة . وقد يجتمع  
الأمران ، فى تعلُّقهما بالمخلوق ، فيحبُّ غيره ويُعظمه ويذلُّ له ،  
لما يرى له عليه من حق أبوة أو إحسان أو نحوهما .

(٢) البقرة : ١٦٥

(١) الشعراء : ٩٧ و ٩٨

وذلك الحب والذل تابع لذلك الحق الذي فعلهما لأجله ،  
مع علمه أن الممّظّم المحبوب له ، مخلوقٌ مثله ، ناقصٌ مثله ،  
فقيرٌ مثله ، في جميع أحواله ، وأنه لا يملك له نفعاً ولا ضرراً ،  
ولا موتاً ولا حياة ولا نُشوراً . وأما حبّه لأولياء الله  
وأصفيائه ، فهو حب تابع لحبه لله ، لأنه لما رأى محبة  
محبوبه لهم ، لِمَا قاموا به من مرضيه - أحبهم لله ، ولهذا  
تَقَوَى هذه المحبة بسبب قوة العبودية والتوحيد .

فنسألك - اللهم - حبّك ، وحبّ من يعحبك ،  
وحب العمل الذي يُبَلِّغنا إلى حبك .

ونعوذ بوجهك الكريم أن نشرك مخلوقاً في الحب معك ،  
وأن نُساوِيَهُ فيك في شيء من الأمور ،  
التي اختلفت بها ، وانفردت باستحقاقها .

ونسألك - اللهم - أن تجعل جميع ما أحببناه ، من قوة ،  
وصحة ، وطافية ، وأهل ومال وولد ، وأصحاب وغيرهم ،  
مُعِينًا لنا على مَحَابَّتِكَ ، ومُقَوِّيًا لنا على طاعتك ، وأن ترزقنا  
من الإخلاص الكامل ما يأتي على ذلك أجمع ، بأن تجعل  
نِيَاتَنَا وسعينا في عبادتنا وعاداتنا ، طريقاً لنا إلى الوصول  
إليك ، وأن تُعيننا من شرور أنفسنا ، وسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا .

إنك جواد كريم

### المسألة الثالثة

في بيان كون الله لا أصبر منه

قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح :  
« لا أَحَدَ أَصْبَرُ مِنَ اللَّهِ : يَجْمَلُونَ لَهُ الْوَلَدَ ،  
وَهُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ . » (١)

الكَمالُ المُطلق التام من جميع الوجوه ، ثابت لله تعالى نقلاً  
وعقلاً في جميع الأسماء والصفات والنعوت ؛ ومن أنواع  
الكَمال : الصبر . وهذا الصبر الذي ذكره الرسول عن الله ،  
لا مثيل له من الصبر ، فهو صبرٌ من كامل القوة ، عظيم  
القدرة والبطش ، في مُقابلة غاية الإساءة والأذية من الخلق  
الذين نواصبيهم بيد الله ، وليس لهم خروج عن قدرته .  
وأقواتهم وأرزاقهم وجميع ضروراتهم وحاجاتهم ، متعلقة بالله ،  
ليس لشيء منها حصول إلا من جوده وخزائنه ؛ ومع ذلك  
فهو يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ ، ولا يقطع عنهم برّةً في جميع اللحظات .  
ومع ذلك يفتح لهم أبواب التوبة ، وَيُسَهِّلُ لَهُمْ طُرُقَهَا ،  
ويدهوهم إليها .. وَيُنْخِرُهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ تَابُوا ، مَحَا عَنْهُمْ الْخَطَايَا  
المُظْلِمَةَ ، وَأَدْرَكَ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ الْجَسِيمَةَ ؛ فسبحان الحليم الصبور ا

---

(١) رواه بنحوه « مسلم » في صحيحه من حديث أبي موسى

الأشعري ، رضی الله عنه .

### المسألة الرابعة

في وجه كون الحب في الله والبغض في الله مستكملاً للإيمان

قوله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ ، وَأَعْطَى  
فِي اللَّهِ ، وَمَنَعَ فِي اللَّهِ ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ . »<sup>(١)</sup>

وجه ذلك - والله أعلم - أن الإيمان الشرعى تدخل فيه  
أعمال القلوب التي أصلها حبُّ الله ، والإنابة إليه .  
وتكميل ذلك ، أنه يحب من يحبه الله ، وما يحبه الله ،  
من الأشخاص والأعمال والأزمنة والأمكنة والأحوال ،  
ويدخل فيه أعمال الجوارح التي هي فعلٌ وتركٌ .

وتحقيق ذلك أن يكون كذلك إعطاءه المال الذي جرت  
عادة أكثر الناس أن يكون مبدولاً في مُرادات النفوس  
وأهويتها وشهواتها .

فهذا المستكمل للإيمان ، قد جعل عطاءه ومنعه ، تبعاً لمُراد  
الله ومحبهته .. وإذا كان هذا حاله ، في البذل والمنع المالى ،  
فالبذل من باب أولى وأخرى .

وحالة هذا ، هي حالة المخلص لله من كل وجه .

---

(١) رواه أبو داود في « سننه » من حديث أبي أمامة ،

رضى الله عنه ، وهو حديث حسن بشواهده .

## المسألة الخامسة

### في حكم التوسل

التوسل : يُطلق على التوسل إلى الله بما جعله وسيلة إليه في مثل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ،  
وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ (١) .

وذلك يشمل التقرب إلى الله ، بالواجبات والمستحبات ، وكذلك التقرب إليه بترك المحرمات والمكروهات . فهذا توسل إليه بعبادته التي خلق الخلق لأجلها . ومن هذا : التوسل إليه في دعاء المسألة بأسمائه وصفاته ، والتوسل إليه بيمينه ونعمه ، كالتوسل إليه بالإيمان به وبرسوله وكتبه ، وبعمته عليه في توفيقه لعمل صالح ، أو حصول نعمة ، أو دفع نقمة ، وبالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ومحبته ، واتباعه ، وبالصلاة والسلام عليه .

فهذه الوسيلة لا يتم الإيمان إلا بها .

النوع الثاني : التوسل إلى الله بذوات المخلوقين وجاههم ، فهذا : الصواب أنه لا يحصل ، لأنه لا يتقرب إلى الله إلا بما شرع ، وهذا ليس بمشروع . وأيضاً فذوات المخلوقين ، وإن كان لهم عند الله مقام وقدرٌ وجاه ، فهذا ليس لغيرهم ،

وليس التوسل بهم سبباً لشفاعتهم للمتوسل عند الله . ولم يجعله الله من الأمور المُقَرَّبَة إليه ، وليس ذلك إلا توسلاً بما من الله به على [ المتوسل ] ، فتمتّن أنه لا يجوز .

النوع الثالث : ما يسميه المشركون توسلاً ، وهو التقرب إلى الخلقين بالدعاء ، والخوف ، والرجاء والطمع ، ونحو ذلك . فهذا وإن سموه تَوَسُّلاً ، فهو توسل إلى الشيطان ، لا إلى الرحمن ، وهو الشرك الأكبر الذي لا يُغفر لصاحبه إن لم يتب . والله أعلم .

#### المسألة السادسة

الإيمان بالقدر : يتفق مع الأسباب . مباشرة الأسباب ، والاجتهاد في الأعمال النافعة ، تحقق للمبدأ تمام الإيمان ، بالقضاء والقدر . فإن الله قَدَّرَ المقادير بأسبابها وطُرُقها ، وتلك الأسباب والطُرُق هي محلُّ حكمة الله ، فإن الحكمة : وضع الأشياء مواضعها ، وتنزيل الأمور منازلها اللائقة بها . . فقضاء الله وقدره وحكمته ، مُتَّفِقَات ، كُل واحد منها يُمِدُّ الآخر ولا يُناقِضه .

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم حين سُئِلَ وقيل له : يا رسول الله ، أرأيت رُفَى نسترقبها ، وأدوية نتداوى بها ، وُتَقَاة نتقيها ، هل تردُّ من قضاء الله وقدره ؟



فقال : « هِيَ مِنْ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ » <sup>(١)</sup> ، فهذه الأسباب  
حسية ومعنوية روحانية ، وخصيصة عما يضرّ ، وهى فى مقدمة  
الأسباب ، وأخبر صلى الله عليه وسلم أنها من قضاء الله  
وقدره . فمن زعم أنه مؤمن بالقدر ، وقد ترك الأسباب  
النافعة الدينية والديوية التى عليها نظام القدر ، فهو غلط .  
فإن المؤمن بالقدر ، يجرى على أحكامه ، ويعمل على سنته  
ونظامه ، ويتبع النافع فى إحصائه وإبرامه ، والله المعين الموفق .  
وتوضيح ذلك أن أقدار الله كلها تابعة [ لحكمه ] وحكمته ،  
فكما أن أفعاله تعالى كلها محكمة فى غاية الإحكام والانتظام ،  
ما ترى فى خلق الرحمن من خلل ولا نقص ولا فطور ولا  
اختلال ، ولا فى شرعه [ من ] عبث وسفه ومنافة للحكمة  
والمصاحبة والإحسان ، فكذلك أفعال المكلفين دينيها وديويها ،  
ظاهرها وباطنها ، كلها تجرى على وفق الحكمة والغايات  
الحميدة ، وأنه كلما عظم المقصود ، وكثرت منافعه ومصالحه  
لم يمكن إدراكه إلا بسلوك الطرق المفضية إليه .  
فأعظم المقاصد على الإطلاق تيسر رضا الله ، والفوز  
بشوابه ، والسلامة من عقابه .

(١) رواه الترمذى فى « سننه » ، من حديث أبى خزيمة ، وقال :

هذا حديث حسن .

وقد جعل الله له الإيمان وشعبه الظاهرة والباطنة ، والقيام  
بعبودية الله ، وإخلاص الدين له ، ولزوم الاستقامة والتقوى -  
جعلها الله طرقاً وأسباباً توصل إليه .

فما لم يسلك العبد هذا السبيل ، فَمَحَالٌ أَنْ يَصِلَ إِلَى  
رضوان ربه وثوابه ، فَاتِّكَالُ الْأَحْمَقِ عَلَى الْقَدَرِ بَدُونِ جِدِّ  
وَاجْتِهَادٍ ، قَدْخٌ فِي الْقَدَرِ وَالشَّرْعِ جَمِيعًا . وكذلك المطالب  
الأخر ، كَنَيْلِ الْعِلْمِ ، وإدراكه : هل يمكن بغير جد واجتهاد  
ومواصلة الأوقات في طلبه ، وسلوك الطرق المسهلة له ؟  
فن قال : إِنْ قُدِّرَ لِي ، أدركت العلم ، اجتهدت أم لا ،  
فهو أحمق . كما قال بعضهم :

تَمَنَيْتَ أَنْ تُمَسِيَ قَاقِيَهَا مُنَاطِرًا  
بِغَيْرِ عَنَاءٍ ، وَالْجُنُودُ فُنُونُ  
وَلَيْسَ اكْتِسَابُ الْعَمَالِ دُونَ مَشَقَّةٍ  
تَلْقَيْتَهَا . فَالْعِلْمُ كَيْفَ يَكُونُ

وهكذا من ترك الزواج ، وقال : إِنْ قُدِّرَ لِي أَوْلَادٌ  
حَصَلُوا ، تزوجت أو تركت .

وَمَنْ رَجَا حَصُولَ ثَمَرٍ أَوْ زَرْعٍ ، بَغَيْرِ حَرْثٍ وَسَقْيٍ وَحَمَلٍ ،  
مَتَّكِلًا عَلَى الْقَدَرِ ، فَهُوَ أَحْمَقُ مَجْنُونٍ .  
وهكذا سائر الأشياء دقيقة وجليها .

فَعَلِمَ أَنَّ الْقِيَامَ بِالْأَسْبَابِ النَّافِعَةَ ، وَاعْتِمَادَ نَفْعِهَا ، دَاخِلٌ  
بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ ، دُونَ الْإِخْلَادِ إِلَى السَّكَلِ . وَالسَّكُونُ  
مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْحَرَكَةِ ، هُوَ الْجُنُونُ . وَإِنْ قَوْلٌ مِنْ قَالَ :  
جَرَى قَلَمُ الْقَضَاءِ بِمَا يَكُونُ فَسَيَّانِ التَّحَرُّكُ وَالسُّكُونُ  
جُنُونٌ مِنْكَ أَنْ تَسْمَعَ لِرِزْقٍ وَيُرْزَقُ فِي غِشَاوَتِهِ الْجَبِينُ  
هُوَ الْفَلَطُ الْفَاحِشُ . وَإِنْ هَذَا الْقِيَاسُ الَّذِي قَاسَهُ - قَاسَ  
الْقَادِرَ عَلَى الْحَرَكَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا ، عَلَى الْعَاجِزِ إِذَا خَلَا عَنْ الْحَرَكَةِ -  
قِيَاسٌ عَجِيبٌ غَرِيبٌ .

وَلَوْ أَنَّ هَذَا الشَّاعِرَ قَاسَ مِنْ تَعَذَّرَتْ عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ  
وَالْأَسْبَابَ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، عَلَى هَذَا ، لَكَانَ حَسَنًا مُطَابِقًا .  
فَإِنْ قِيلَ : قَدْ تَوَضَّحَ لَنَا أَنَّ السَّمْعَ فِي الْأَسْبَابِ الْمَوْصَلَةَ  
إِلَى مَسَبِّبَاتِهَا ، مُطَابِقٌ لِلْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ ، مُؤَيِّدٌ لَهُ ، وَأَنَّهُ يَتَعَذَّرُ  
الْإِيمَانَ الصَّحِيحَ بِالْقَدْرِ بَدُونَ فِعْلِ الْأَسْبَابِ - فَمَا أَحْسَنُ طَرِيقَ  
يَسْأَلُكَ الْعَبْدُ ؟

فَالْجَوَابُ : أَحْسَنُ طَرِيقَ يَسْأَلُكَ الْعَبْدُ فِي أُمُورِهِ الدِّينِيَّةِ ،  
الْاجْتِهَادَ فِي تَفْهَمِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، وَتَحْقِيقَ الْإِخْلَاصِ  
لِلْمَعْبُودِ ، فِي كُلِّ عَمَلٍ ، وَقَوْلٍ ، وَعَقِيدَةٍ ، وَطَرِيقَةٍ ؛ وَتَحْقِيقَ  
مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ ، وَاجْتِنَابِ الْبِدْعِ الْإِعْتِقَادِيَّةِ ، وَالْبِدْعِ الْعَمَالِيَّةِ .  
فَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ الدِّينِيَّةُ فِيهَا الْخَيْرُ وَالْبَرَكَةُ ، وَالْقَلِيلُ مِنْهَا أَعْظَمُ  
ثَوَابًا ، وَأَبْلَغُ نَجَاحًا ، مِنْ السَّكَثِيرِ مِنْ غَيْرِهَا .

وأما الأمور الدنيوية ، فالعبد مفتقر إلى الكسب لنفسه ،  
ولن عليه مؤونته . فعليه بسبب يناسب حاله ، ويتفق مع  
وقته من المكاسب المباحة ، وخصوصاً : المكاسب التي  
لا تشغل العبد عن أمور دينه ، ولا تدخله في محذور .  
وليتأخر على ذلك السبب ، ويكون اعتماده على مُسَبَّب  
الأسباب . وليكثر من سؤال ربه ، لِيَيْسَّرَ أمره ، وأن  
يختار له أحسن الأحوال . وليكن قنوهاً برزق الله ،  
راضياً بما قسم الله ، لا يحزن على مفقود ، ولا يتشوش من  
مناقضة الأسباب لمراده ؛ فبذلك يحصل رضا ربه ، وراحة  
قلبه . . وبيارك له في القليل .

وما توفيقى إلا بالله العلي العظيم .

#### المسألة السابعة

في قوله صلى الله عليه وسلم  
احرص على ما ينفعك واستعن بالله

قوله صلى الله عليه وسلم :

« إِحْرَصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَلَا تَعْجِزْ ،  
وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا ،  
لَكَانَ كَذَا .. فَإِنَّ « لَوْ » تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ . » (١)

---

(١) رواه « مسلم » في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ما أجلّ هذا الحديث وأغزر فوائده ، وأجمله لِخَيْرِي  
الدنيا والآخرة ؛ فإن مجموع سعادة الدنيا والآخرة : في حرص  
العبد على كل عمل ينفعه في دينه ودنياه ، مع استماتته بالله .  
فتى حرص العبد على الأمور النافعة ، واجتهد فيها ،  
وسلك أسبابها وطُرُقها ، واستعان بربه في حصولها وتكميلها ،  
كان ذلك كماله وعنوان توفيقه .

ومتى فاته واحد من هذه الأمور الثلاثة ، فاتته من الخير  
بحسبها . فمن لم يكن حريصاً على الأمور النافعة ؛ بل كان  
كسلاناً عن النافع له في أمور دينه ودنياه ، لم يدرك شيئاً ،  
فالكسل أصل الخيبة والفشل .

فالكسلان لا يدرك خيراً ، ولا ينال مَكْرُمَةً ، ولا يحظى  
بدين ولا دنيا . وإن كان حريصاً ، لكن على غير الأمور  
النافعة ، إما على أمور ضارة ، أو أمور مُفَوِّتَةٍ للمنافع  
والكمال - كان ثمرة حرصه الخيبة وفوات الخيرات ، وحصول  
الشُرور والنصربات . فكم من حريص على سلوك طرق  
وأحوال غير نافعة لم يستفد من حرصه إلا التعب والعناء  
والشقاء . ثم إذا سلك العبد الطرق النافعة ، وحرص عليها  
واجتهد ، لم تتم إلا بصدق اللجأ والاستماتة بالله على إدراكها  
وتكميلها ، وأن لا يتكبل على حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، بل يكون  
اعتماده التام - بقلبه وباطنه - على ربه .

فبذلك تهون عليه المصاعب ، وتيسر له الأمور ،  
وتحصل له الثمرات الطيبة في أمر الدين ، وأمر الدنيا .  
لكنه في هذه الأحوال مُحتاج ، بل مُضطر ، إلى معرفة  
الأُمور النافعة التي ينبغي الحرص عليها ، والجد في طلبها .  
إذا تقرر ذلك ، فالأُمور النافعة في الدين ترجع إلى  
أمرين : علم نافع ، وعمل صالح .

أما العلم النافع ، فهو العلم المُزَكِّي للقلوب والأرواح ،  
المُشر لسعادة الدارين . وهو ما جاء به الرسول صلى الله عليه  
وسلم من حديث وتفسير وفقه ، وما يُعين على ذلك من علوم  
العربية ، بحسب حالة الوقت والموضع الذي فيه الإنسان .  
وتميين ما يشتغل به من الكتب يختلف باختلاف  
الأحوال والبلدان . والحالة التقريضية في نظرنا هذا : أن يجتهد  
طالب العلم في حفظ مختصرات الفن الذي يشتغل به ، فإن  
تمدَّر أو قصر عليه حفظه لفظاً ، فليكرره كثيراً حتى  
ترسخ معانيه في قلبه .

ثم تكون باقى كتب الفن كالتوضيح والتفسير لذلك  
الأصل الذى أدركه وعرفه . فلو حفظ طالب العلم : « العقيدة  
الواسطية » لشيخ الإسلام ابن تيمية ، و « الثلاثة  
الأصول » و « كتاب التوحيد » للشيخ محمد<sup>(١)</sup> ،

---

(١) شيخ الإسلام : محمد بن عبد الوهاب .

وفى الفقه : « مختصر الدليل » و « مختصر المنع » ، وفى الحديث : « بلوغ المرام » ، وفى النحو : « الأجرُوميَّة » ، واجتهد فى فهم هذه المُتُون ، وراجع عليها ما تيسر من شروحها ، أو كُتِبَ فَنِّها ، فإنها كالشروح لها ، لأن طالب العلم إذا حفظ الأصول ، وصار له مَلَكَتةُ تامة فى معرفتها - هانت عليه كتب الفن كلها ، الصغار والكبار . ومن ضيع الأصول حُرِم الوصول . فمن حرص على هذه العلوم النافعة ، واستعان بالله ، أعانه وبارك له فى علمه وطريقه الذى سلكه . ومن سلك فى طلبه للعلم غير الطريقة النافعة ، فانت عليه الأوقات ، ولم يدرك إلا العناء كما هو معروف بالمشاهدة والتجربة .

أما الأمر الثانى [فهو] العمل الصالح ؛ فالعمل الصالح هو الذى جمع الإخلاص لله ، والمتابعة للرسول ، وهو التقرب إلى الله بما يحبُّ ، باعتقاد ما يجب لله من صفات الكمال ، وما يستحقه على عباده من العبودية ، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله ، وتصديقه ، وتصديق رسوله فى كل خبر أخبر به .

ثم يسمى فى أداء ما فرض الله على العباد من حقوقه وحقوق عباده ، [ويكْمَل] ذلك بالنوافل والتطوُّعات ، وخصوصاً المؤكدة فى أوقاتها ، مستعينا بالله على فعلها وتكملها ظاهراً وباطناً . ثم [يتقَرَّب] إلى الله بترك المحرمات ، وخصوصاً التى

تدعو إليها النفوس الأمارة بالسوء . فيتقرب العبد إلى الله بتركها ، كما يتقرب إليه بفعل المأمورات .

فتى وفق العبد لسلك هذا الطريق في العمل ، واستئمان الله على ذلك ، أفصح وأنجح ، وكان كماله بحسب ما قام به من هذه الأمور ، ونقصه بحسب ما فاتته منها .

وأما الأمور النافعة في الدنيا ، فالعبد لا بد له من طلب الرزق ، فينبغي أن ينظر أنفع الأسباب الدنيوية اللاتئة بحاله ، فيسلكها ، ويعمل عليها ، وذلك يختلف باختلاف الناس .

ويقصد بطلبه وسميه القيام بواجب نفسه ، وواجب عائلته ، ومن يقوم بمؤوته ، وينوي الكفاف والاستغناء بسببه عن الخلق . وكذلك ينوي القيام بالمبوديات اللاتئة بالمال من زكاة وكفارة ، ونذر ونفقات ، ونحوها من كل ما يتوقف على المال . فتى كان طلب العبد وسميه في الدنيا لهذه المقاصد الجليلة ، وسلك أنفع طريق يراه مناسباً لحاله ، وسلم من المعاملات الرديئة والنفس وتوابعها ، كانت حركاته قربة يتقرب بها إلى الله عز وجل . ولا يتم ذلك إلا بالتوكل على الله وحده ، راجياً منه أن ييسره لأيسر الأمور وأنجحها ، وأقربها تحصيلاً لمراده ، ويسأل الله أن يبارك له في رزقه ، فأول بركة الرزق : أن يكون مؤسسا على التقوى ، والنية الصالحة .



ومن بركة الرزق : أن يُوَفَّقَ العبدُ لوضعه في مواضعه  
الواجبة والمستحبة . ومن بركة الرزق والمعاملة : أن لا ينسى  
العبدُ الفضل . قال تعالى :

﴿ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وذلك بالتيسير على الموسرين ، وإنظار المُمسرين ، والمحابة  
عند البيع والشراء بما تيسر من قليل وكثير ، وإقالة المستقيل ،  
والسماحة في البيع والشراء . فمن وَفَّقَ لهذا أدرك خيراً كثيراً .  
فإن قيل : أيُّ المكاسب أولى وأفضل ؟

قيل : قد اختلف العلماء ، فمنهم من فضّل الزراعة  
والعِرائة ، لما فيها من قوة التوكل ، وتعلُّق الرجاء بالله  
في إنزال الغيث ، ولما فيها من النفع المتعدّي .

ومنهم من فضّلَ البيع والشراء ، لما فيه من الشرف ،  
وحُسن الاعتبار ، وتوسُّع المعرفة والبركة . ومنهم من فضّلَ  
الصناعة ، لما فيها من القيام بالمنافع الكلية .

ولكن هذا الحديث هو الفاصل للنزاع في هذه المسألة ،

إذ قال [ صلى الله عليه وسلم ] :

« إِخْرَصَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ » <sup>(٢)</sup> .

---

(١) البقرة : ٢٣٧

(٢) رواه مسلم في « صحيحه » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

والنافع من ذلك ، معلوم أنه يختلف باختلاف الناس :  
فقد يكون بعض المذكورات أفضل في حق شخص ،  
ويكون الآخر أفضل في حق الآخر .

ولكن السبب الذي يأتيك براحة وطمأنينة ، ويكون فيه  
معوثة على أمور دينك : لا ريب أنه أفضل الأسباب على  
الإطلاق . ثم إنه صلى الله عليه وسلم ، في آخر الحديث ، حضّ  
على الرضا بقضاء الله وقدره بعد بذل الجهد ، واستفراغ الوسع  
في الحرص على النافع . فإذا أصاب العبد ما يكره ، فلا ينسبه  
إلى ترك بعض الأسباب التي يظن نفعها لو فعلها ، بل يُنْخَلدُ إلى  
قضاء الله وقدره ، ليزداد إيمانه ، ويسكن قلبه ، فإن « لو » في  
هذه الحال تفتح عمل الشيطان ، وهو نقص الإيمان ، وعدم  
الرضا بقدر الله وقضائه . وتفتح « لو » باب القلق والحزن  
من تشوش الأسباب . وهذه الحال التي أرشد إليها صلى الله  
عليه وسلم هي الطريق الوحيد لراحة العبد في دنياه ، كما أنها  
خير له في دينه وأخراه ؛ فإن مدار سعادة الدنيا على راحة  
القلب وسكونه ، وقناعته بما قسم الله ، وذلك بما دلّ عليه  
هذا الحديث من الحرص على كل أمر نافع ، وسيلة ومقصدًا ،  
مع الاستمانة بالله وقت حصوله ، والرضا بالله وبقدره بعد  
حصوله . والله أعلم .

## المسألة الثامنة

في طرق العلم وأقواها

ما هي الطرق التي تُدرك بها العلوم؟ وما أقواها؟ وما أصحها؟  
الجواب وبالله التوفيق: هذا سؤال عظيم جدًا يستدعي  
الإجابة عن جميع الطرق التي يتوصل بها إلى أنواع العلوم، وإلى  
بيان درجاتها ومراتبها في القوة والضعف، والوضوح وضده.  
إعلم أن الطرق والمسالك التي يتوصل بها إلى العلوم،  
كثيرة الأجناس والأنواع والأفراد؛ لكن يجمع مُتفرقاتها،  
ويُلَمُّ أشتماتها، ثلاث طرق، إحداها: طريق الإخبارات  
الصادقة، والثاني: الحس، والثالث: طريق العقل.

ووجه الحصر في ذلك أن المعلومات إما أن تُدرك بالسمع  
أو بالبصر أو اللمس أو الذوق، وإما أن تُدرك بالعقل،  
وإما أن تُنال بالإخبار. وكل واحد من هذه الثلاثة قد  
يُجتمع مع الآخرین، أو مع أحدهما، وقد يكون ضروريًا  
يضطر الإنسان إلى عليه، والتصديق به. وقد يكون نظريًا  
يحتاج إلى زيادة فِكر وتأمّل وتفكر.

ثم هذه الأجناس قد توصل إلى العلم الراسخ اليقيني،  
وقد توصل إلى الترجيح فقط، وبين المرتبتين درجات متفاوتة.  
أما أقواها، فما اتفقت عليه الطرق الثلاثة، واتفق على  
اتفاقها عليه أهل العلم المعتبرون، وأولو الألباب العارفون.

ومن نفى واحداً من هذه الأمور الثلاثة ، أو نفى بعضه ،  
فذاك لفساد تصوّره ، أو لقصور علمه وانحرافه وسوء قصده .  
وكما كان المخبرون أعظم صدقاً وأعلى معرفة ، والمعارف  
أجلّ وأعظم وأنفع ، كان العلم الحاصل بذلك أقوى من غيره .  
ولهذا كان أعلى درجات العلم وأصحّها وأنفعها ، وأكثرها  
أدلة وبراهين ، وأجلاها للحقائق : خبر الله وخبر رُسله .  
فإنه ليس أصدق من الله قيلاً ، ولا أصدق منه حديثاً ،  
والله يقول الحق وهو يهdy السبيل .

فكلّ ما قال الله ورسله ، فهو الحق . وماذا بعد الحق إلا  
الضلال ؟ وهو يهdy إلى كل دليل على الحق ، نَقَلِيّ أو عَقَلِيّ .  
وإذا أردت أن تعرف الحق الصحيح ، فهو ما قاله الله  
أو قاله رسوله ، وأن ما ناقضه ونافاه ، فهو باطل مضمحل  
مبنيّ على جهالات وموادّ فاسدة ، ومقدمات ناقصة .

فانظر إلى أصول الدين وقواعده وأساسه ، كيف اتفقت  
عليها الأدلة العقلية والحسية ؟

انظر إلى توحيد الله وتقرّده بالوحدانية ، وتوحيده بصفات  
الكمال ، كيف كانت السكتب السماوية مشحونة بها ، بل هي  
المقصد الأعظم ، وخصوصاً القرآن الذي هو ، من أوله إلى آخره ،  
يقرر هذا الأصل الذي هو أكبر الأصول ، وأعظمها ..

وانظر كيف اتفقت جميع الرسل والأنبياء - وخصوصاً خاتمهم وإمامهم محمداً صلى الله عليه وسلم - على تقرير توحيد الله ، وأنه متفرد بالوحدانية ، وعظمة الصفات : من سمة العلم ، وشمول القدرة والإرادة ، وعموم الحجة والحكمة ، والملك والمجد والسلطان ، والجلال والجمال ، والحسن والإحسان ، في أسمائه وصفاته وأفعاله .

ثم انظر إلى هذا الأصل العظيم في قلوب سادات الخلق ، وأولى الأبواب السكاملة ، والمقول الثابتة ، كيف تجسده أعظم من كل شيء ، وأكبر من كل شيء ، وأوضح من كل شيء . وأنه مقدم على الحقائق كلها ، وأنهم يعلمونه علماء ضرورياً بديهياً قبل الأدلة النظرية ، ويعلمون أن كل ما عارضه ، فهو أبطل الباطل .

ثم انظر إلى كثرة البراهين المنقولة والمقولة ، بل والمحسوسة الشاهدة لله بالوحدانية .

فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ [الوَاحِدُ]

فوجود الأشياء في العالم العلوي والسفلي ، وبقاؤها وما هي عليه من الأوصاف المتنوعة ، كل ذلك من الأدلة والبراهين على وجود مُبْدِعِهَا وَمُؤَمِّدِهَا بكل ما تحتاج إليه .

ومن أنكر هذا ، فقد باهت وكابر ، وأنكر أجلى الأمور ، وأعظم الحقائق .

ومن ها هنا تعرف أن الماديين الملحدّين من أصل الخلق وأجهلهم ، وأعظمهم غرورا ، حيث اغترّوا لَمَّا عرفوا بمض العلوم الطبيعية ، ووقفت عقولهم القاصِرة عندها ، وقالوا : نُثبت ما وصلت معارفنا إليه ، وننفي ما سواه .

فتعرف بهذا أن نفهم جهل وباطل ، باتفاق العقلاء ، فإن من نفي ما لا يعرفه ، فقد برهن على كذبته وافترائه ؛ فكما أن من أثبت شيئا بلا علم ، فهو ضال غاوٍ ، فكذلك من نفي شيئا بغير علم .

وتعرف أيضا أن إنباتهم لعلوم الطبيعة التي عرفوها وتوصلت إليها معارفهم ، إنبات قاصر لم يصلوا إلى غاياته وحقيقته ، فلم يصلوا بذلك إلى خالق الطبيعة ومبدها ، ولم يعرفوا المقصود من نظامها وسببيتها ، فأثبتوا بعض السبب ، [وعَمُوا] عن المقصود ، وهم في علمهم هذا حائرون مترددون ، لا تثبت لهم قدم على أمر من الأمور ، ولا تثبت لهم نظرية صحيحة مستقيمة ، فهم دائما في خَبَطٍ وِخَلَطٍ وتناقض ، وكلما جاءهم من البراهين الثابتة ما لا قبيل لهم به ، قالوا : هذا من فلتات الطبيعة . وكلما برز أحد من فحولهم وأذكيائهم ، ابتكر لهم طريقة غير طريقة إخوانه ، فصدق عليهم قوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ، فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ (١) .

وصدق عليهم أيضاً قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ  
مِّنَ الْعِلْمِ ، وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (١)

والمقصود أن هذا الأصل العظيم قد دلت عليه جميع الأدلة  
بأجناسها وأنواعها ، ودلَّ عليه الشرع المحكم ، والقدر  
المتعظم المتقن .

وانظر إلى الأصل الثاني وهو إثبات الرسالة ، وأن الله قد  
أقام على صدق رسوله من الآيات البيِّنات ، والأدلة الواضحات ،  
ما على مثله يؤمن البشر ، وخصوصاً إمامهم وسيِّدهم ، محمداً  
صلى الله عليه وسلم ، فإن آيات نبوته وبراهين رسالته متنوعة :  
سيرته وأخلاقه وهديّه ، وما جاء به من الدين القويم . وحجّته  
على كل خلقٍ جميل ، وعمل صالح ، ونفع وإحسان إلى الخلق ،  
ونهيّه عن ضد ذلك - كلها آيات وبراهين على رسالته . وما جاء  
به من الوحي من الكتاب والسنة ، كله ، جملة وتفصيلاً ، أدلة  
وبراهين على رسالته ، مع ما أكرمه الله به من النصر العظيم ،  
وإظهار دينه على الأديان كلها ، وإجابة الدعوات ، وحلول  
أنواع البركات التي لا تُعدُّ أنواعها ، فضلاً عن أفرادها .

هذا بقطع النظر عن شهادة الكُتُب السابقة له ، وعن  
معارضة المكذِّبين له ، وتحديده إياهم بكل طريق ، حتى عجزوا

غاية العجز من نصرِ باطلهم ، ولا يزال الباطل بين يَدَيِّ ما جاء به الرسولُ مخذولاً ، بحيث إن القاعين بما جاء به الرسول والقاعين بمعرفة دينه ، يتحدّون جميع أهل الأرض أن يأتوا بصلاح أو فلاح أو رُقِّي حقيقى أو سعادة حقيقية بجميع وجوهها ؛ فيتبين أنه محال أن يتوصّل إلى شيء من ذلك ، بغير ما جاء به الرسول ، وأرشد إليه ، ودلّ الخلقَ عليه .

ولولا الجهل بما جاء به الرسول ، والتعصبات الشديدة ، وإقامة الحواجز المتعددة ، والمقاومات العنيفة ، لمنع الجماهير والدهاء من رؤية الحقّ الصريح ، والدين الصحيح ، لم يبق دين على وجه الأرض سوى دين محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لدعوته وإرشاده إلى كل صلاح وإصلاح ، وخير ورشد وسعادة . ولكن مقاومات الأعداء ، ونصر القوة للباطل بالتمويهات والتزويرات ، وتقاعد أهل الدين الحقّ عن نصرته ، هى الأسباب الوحيدة التى منعت أكثر الخلق من الوقوف على حقيقةته . ثم انظر إلى الأصل الثالث : وهو إثبات المعاد والجزاء ، كيف اتفقت السكتب السماوية ، والرُّسل العظام ، وأتباعهم ، على اختلاف طبقاتهم ، وتباينِ أقطارهم وأزمانهم وأحوالهم ، على الإيمان به ، والاعتراف التام به .

وكم أقام الله عليه من الأدلة الحسية المشاهدة ما يدل أكبر الدلالة عليه ، وكم أشهد عباده فى هذه الدار نماذج من



الثواب والعقاب ، وأراهم حُلُولَ المَثَلاتِ بالمسكذِّين ، وأنواع  
العقوبات الدنيوية بالمجرمين ، كما أراهم نجاة الرسل وأتباعهم  
المؤمنين ، وإكرامهم في الدنيا قبل الآخرة . .

وكم أبطل الله كل شبهة يقترح بها في التعماد ، كما أقام  
الأدلة على إبطال الشبهة الموجهة إلى توحيده ، وصِدق رسله ،  
وبَيّنَ فساد عقولهم وسفاههم ، وأنه ليس لهم من المستندات  
على إنكار ذلك إلا استبمادات مجرّدة ، وقياس قدرة رب  
العالمين على قُدْرِ المخلوقين . والمقصود أن هذه الأصول العظيمة  
قد قامت البراهين والقواطع عليها ، من كل وجه ، وبكل  
اعتبار ، وأن جميع الحقائق الثابتة المعلومة لم يقم على ثبوتها  
وعلمها عشر معشارٍ ما قام على هذه الأصول من البراهين  
المتنوعة ، فيدلُّ ذلك أن كل من أثبت معلوماً ، أو حقيقة من  
الحقائق ، بطريق عقلي أو خبري أو حسي ، ثم نفى مع ذلك  
واحدًا من هذه الأصول الثلاثة التي هي أساس الدين ، فقد كابر  
عقله وحسَّه وعلمه ، ونادى على نفسه بالتناقض العظيم ، لأن  
الطرق التي دلَّتْه على إثبات معلوماته ، هي وأضعافها وأضعاف  
أضعافها ، وما هو أقوى منها وأوضح ، قد دلت على التوحيد  
والرسالة والتعماد .

واعلم أن المعلومات بخبر الله ، وخبر رسله عامة يدخل  
فيها الإخبار عن الله ، وعن ملائكته ، وعن الغيوب كلها ،  
( ٤ م - فتاوى )

وعن الشهادة ، وعن أمور الشرع ، وأمور القدر . وهي  
الأخبار المعصومة الصادقة التي يُعلم كذب ما خالفها وبطلانه .  
وبعد هذه ، أخبار الصادقين عن الحوادث والوقائع التي  
شاهدوها ، والأماكن والأعيان التي رأوها . وهذا النوع  
— بحسب صدق المخبرين وتواتر خبرهم — يحصل العلم القطعي  
بذلك . وكذلك أخبار الصادقين عن العلوم التي سمعوها ،  
والألفاظ التي نقلوها . وأصدق الناقلين هنا حملة الشريعة ،  
لكمال صدقهم ، وشدة عنايتهم ، وقوة دينهم ، وأنهم  
محفوظون عن الاتفاق على غير الصواب .

ومن الأمور التي تُعلم بالعقل : أن العقول الصحيحة التي  
لم تغَيَّر فطرتها ، ولم تفسد بالعقائد الفاسدة ، تعلم حسن  
التوحيد والإخلاص لله ، كما تعلم قبح الشرك . وتعلم حسن  
الصدق والعدل والإحسان إلى المخلوقين ، كما تعلم قبح ضده .  
وتعلم وجوب شكر المُنعم ، ووجوب حقّ الوالدين ، وصِلَة  
الرَّحِم ، والقيام بحقوق من له حق عليك ، وتنهي عن ضده .  
وتستحسن كلّ صلاح ، وتستقبح كلّ فساد وضرر .

ومن أشرف ما يُعلم بالعقل : أنه مركز في العقول  
أن الكمال المُطلق لله وحده ، وأن له الحكمة التامة  
في خلقه وشريعته ، وأنه لا يليق به أن يترك خلقه سُدىً ،  
لا يُؤمرون ولا يُنهون ، ولا يُثابون ولا يُعاقبون .

ومركوز في العقول وجوب القيام بحق من كان له حق عليك . وكل ما دعت إليه الشريعة فمركز في العقل حسنه ، كما أنه كل ما نهت عنه ، فإنه معلوم في العقل قبحه . ومن المعلوم بالحس ما يدرك بالحس ، كسمع الأصوات وإبصار الأعيان ، وهو من أتم المعارف ، فإنه : « ليس الخبر كالمعاينة »<sup>(١)</sup> .  
فلهذا كان عين اليقين ، وهو المشاهد بالبصر ، أعظم من علم اليقين ، وهو العلم الثابت بالخبر ، وأعلى منهما حق اليقين ، وهو المدرك بالدوق . فلهذا ينبغي للبعد أن يسمى في تحصيل العلم النافع ، ولا يكتفى بعلم اليقين مع تمكنه من عين اليقين ، كما طلب الخليل صلى الله عليه وسلم من الله أن يرّيه كيف يحيى الموتى ، ليرتقى من علم إلى أعلى منه .  
ومن حق اليقين : علم ما في معرفة الله ، وعبوديته ، والإنابة إليه ، واللّهج بذكره ، من مواجيد الإيمان ، وذوق حلاوته القلبية ، والطمأنينة التي تستقرّ في قلوب المتقين الداكرين .  
ومن المدرك بالحواس ، ما يدرك بالشم ، كشمّ الروائح الطيبة والخبيثة ، وما يدرك باللمس كالحرارة والبرودة ، وما يدرك بتحليل الأشياء ، والوقوف على موادّها وجواهرها وصفاتها . كل هذا من مدركات الحسّ .

(١) رواه أحمد في (المسند) وغيره من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وهو حديث صحيح .  
وانظر الكلام عليه في ( المقاصد الحسنة )

فَطُرُقُ الْعِلْمِ إِلَى الْمَعْلُومَاتِ كَثِيرَةٌ جَدًّا . وَكُلَّمَا كَانَ الشَّيْءُ  
أَعْظَمَ ، وَمَعْرِفَتُهُ أَهَمَّ ، كَانَتْ الطَّرِيقُ الْمَوْصَلَةَ إِلَيْهِ أَكْثَرَ  
وَأَوْضَحَ ، وَأَصَحَّ وَأَقْوَى ، كَمَا تَقَدَّمَتْ الْإِشَارَةُ إِلَى التَّوْحِيدِ  
وَالنَّبُوءَةِ وَالْمَعَادِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

### المسألة التاسعة

في الأسباب والأعمال التي يضاعف بها الثواب

ما هي الأسباب والأعمال التي يُضاعف ثوابها ؟

الجواب ، وبالله التوفيق :

أما مضاعفة العمل بالحسنة إلى عشر أمثالها ، فهذا لا بد  
منه في كل عمل صالح ، كما قال تعالى :

﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ (١) .

وأما المضاعفة بزيادة عن ذلك ، وهي مُرَادُ السَّائِلِ ، فَلَهَا  
أسباب : إما مُتَعَلِّقَةٌ بِالْعَامِلِ ، أَوْ بِالْعَمَلِ نَفْسِهِ ، أَوْ بِزَمَانِهِ ،  
أَوْ بِمَكَانِهِ ، وَآثَارِهِ .

فمن أهم أسباب المضاعفة ، إذا حقق العبد في عمله الإخلاص  
للمعبود والمتابعة للرسول . فالعمل إذا كان من الأعمال المشروعة ،  
وقصد العبد به رضا ربه وثوابه ، وحقق هذا القصد بأن يجعله  
هو الداعي له إلى العمل ، وهو الغاية لعمله ، بأن يكون عمله  
صادرًا عن إيمان بالله ورسوله . وأن يكون الداعي له لِأَجْلِ

(١) الأنعام : ١٦٠ .

أمر الشارِع ، وأن يكون القصدُ منه وجهَ الله ورضاه ،  
كما ورد في عدة آيات وأحاديث هذا المعنى ، كقوله تعالى :  
﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١) .

أى : الْمُتَّقِينَ لله في عملهم بتحقيق الإخلاص والمتابعة ،  
وكما في قوله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ صَامَ رَمَضَانَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ،  
وَمَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ،  
غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ . » (٢)

وغيرها من النصوص . والقليلُ من العمل مع الإخلاص  
الكامل يَرْجِعُ بالكثير الذى لم يصل إلى مرتبته في قوة  
الإخلاص ، ولهذا كانت الأعمال الظاهرة تتفاضلُ عند الله  
بتفاضل ما يقوم بالقلوب من الإيمان والإخلاص .  
ويدخل في الأعمال الصالحة التى تتفاضل بتفاضل الإخلاص ،  
ترك ما تشبهه النفوس من الشهوات المحرمة ، إذا تركها خالصاً  
من قلبه ، ولم يكن لتركها من الدواعى غيرُ الإخلاص .  
وقصة أصحاب النار (٣) شهادة بذلك .

---

(١) المائدة : ٢٧ .

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ، رضى الله عنه .

(٣) حديث أصحاب النار متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر

ابن الخطاب ، رضى الله عنهما .

ومن أسباب المُضاعفة ، وهو أصل وأساس لما تقدم ،  
صِحَّةُ العقيدة ، وقوة الإيمان بالله وصفاته ، وقوة إرادة العبد ،  
ورغبته في الخير . فإن أهل السنَّة والجماعة المحضَّة ، وأهل  
العلم الكامل المفصل بأسماء الله وصفاته ، وقوة لقاء الله ،  
تضاعف أعمالهم مُضاعفة كبيرة لا يحصل مثلها ، ولا قريب  
منها ، لمن لم يُشاركهم في هذا الإيمان والعقيدة . ولهذا كان  
السلف يقولون : أهل السنَّة إن قدمت بهم أعمالهم قامت بهم  
عقائدهم ، وأهل البدع إن كثرت أعمالهم قدمت بهم عقائدهم .  
ووجه الاعتبار أن أهل السنة مُهتدون ، وأهل البدع  
ضالون . ومعلوم الفرق بين من يعيش على الصراط المستقيم ،  
وبين من هو مُنحرف عنه إلى طُرُق الجحيم ، وغايته أن  
يكون ضالًّا مُتأوِّلاً .

ومن أسباب مُضاعفة العمل : أن يكون من الأعمال التي  
نفعها للإسلام والمسلمين له وَقَعٌ وَأَثَرٌ وَعَنَاءٌ ، ونفع كبير ،  
وذلك كالجهاد في سبيل الله : الجهاد البدني ، والمالي ،  
والقولي ، ومُجادلة المنحرفين ، كما ذكر الله نفقة المجاهدين  
ومُضاعفتها بِسَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ .

ومن أعظم الجهاد :

سُلوْكُ طُرُقِ التعلُّمِ والتعلُّيمِ ؛ فإن الاشتغال بذلك لمن  
صحَّت نيَّته : لا يُوازنه عمل من الأعمال ، لِمَا فِيهِ مِنْ إِحْيَاءِ

العِلْمَ والِدِّينَ ، وإرشادَ الجاهِلينَ ، والدَّعوةَ إلى الخَيْرِ ، والنَّهْيَ  
عَنِ الشَّرِّ ، والخَيْرَ الكَثِيرَ الَّذِي لَا يَسْتَفْنِي الْعِبَادَ عَنْهُ .  
فَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا  
إِلَى الْجَنَّةِ . . وَمِنْ ذَلِكَ ، الْمَشَارِيعُ الْخَيْرِيَّةُ الَّتِي فِيهَا إِعَانَةٌ  
لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ الَّتِي يَسْتَمِرُّ نَفْعُهَا ، وَيَتَسَلَّلُ  
إِحْسَانُهَا ، كَمَا وَرَدَ فِي « الصَّحِيحِ » :  
« إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ ، إِلَّا مِنْ ثَلَاثَ :  
صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ ،  
أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ » (١) .

وَمِنَ الْأَعْمَالِ الْمُضَاعَفَةِ : الْعَمَلُ الَّذِي إِذَا قَامَ بِهِ الْعَبْدُ  
شَارَكَ فِيهِ غَيْرُهُ ؛ فَهَذَا أَيْضًا يُضَاعَفُ بِحَسَبِ مَنْ شَارَكَ  
وَمَنْ كَانَ هُوَ سَبَبَ قِيَامِ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ بِذَلِكَ الْعَمَلِ ؛  
فَهَذَا بَلَا رَيْبٍ يَزِيدُ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً عَلَى عَمَلِ إِذَا عَمِلَهُ الْعَبْدُ  
لَمْ يُشَارَكَ فِيهِ أَحَدٌ ، بَلْ هُوَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْقَاصِرَةِ عَلَى عَامِلِهَا ؛  
وَلِهَذَا فَضَّلَ الْفُقَهَاءُ الْأَعْمَالَ الْمُتَعَدِّيَّةَ لِلغَيْرِ عَلَى الْأَعْمَالِ الْقَاصِرَةِ .  
وَمِنَ الْأَعْمَالِ الْمُضَاعَفَةِ : إِذَا كَانَ الْعَمَلُ لَهُ وَقَعٌ عَظِيمٌ ،  
وَنَفْعٌ كَبِيرٌ ، كَمَا إِذَا كَانَ فِيهِ إِنْجَاءٌ مِنْ مَهْلِكَةٍ ، وَإِزَالَةٌ  
ضَرَرٍ الْمُتَضَرِّينَ ، وَكَشْفٌ الْكُرْبِ عَنِ الْمَسْكُورِينَ .

---

(١) رواه مسلم في (صحيحه) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فكم من عمل من هذا النوع يكون أكبر سبب لإنجاة العبد من العقاب ، وقوزه بجزيل الثواب . حتى البهائم ، إذا أزيل ما يضرها ، كان الأجر عظيما . .

وقصة المرأة البني التي سقت الكلب الذي كاد يموت من العطش ، فمفر لها بغيها ، شاهدة بذلك (١) .

ومن أسباب المضاعفة : أن يكون العبد حسن الإسلام ، حسن الطريقة ، تاركا للذنوب ، غير مُصرِّ على شيء منها ، فإن أعمال هذا مضاعفة ، كما ورد بذلك الحديث الصحيح :

« إذا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ :

فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا ، تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ،

إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ . . . » الحديث (٢)

ومن أسبابها : رفعة العامل عند الله ، ومقامه العالى فى الإسلام ، فإن الله تعالى شكور حلیم .. لهذا كان نساء النبي صلى الله عليه وسلم أجْرهنَّ مُضاعَفٌ . قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَنْقُتْ مِنْ كَنْزِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَتَعَمَلْ صَالِحًا ،

نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ (٣)

وكذلك العالم الربانى ، وهو العالم العامل الملم ، تكون مضاعفة أعماله بحسب مقامه عند الله .

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه . (٢) متفق عليه

من حديث أبي هريرة رضى الله عنه . (٣) الأحزاب : ٣١



كما أن أمثال هؤلاء إذا وقع منهم الذنب ، كان أعظم من غيرهم ، لما يجب عليهم من زيادة التَّحَرُّزِ ، ولما يجب [من] زيادة الشُّكْرِ لله على ما خَصَّهم به من النِّعَمِ .

ومن الأسباب :

العِدْقَةُ من السُّكْنِبِ الطَّيِّبِ ، كما وردت بذلك النُّصوص .  
ومنها : شَرَفُ المَكَانِ ، كالعِبَادَةِ في المساجد الثلاثة .

ومنها : شرف الزمان ، كـ « صيام رمضان » و « عَشْر ذِي الحِجَّةِ » ونحوها ، والعبادة في الأوقات التي حَثَّ الشارع على قصدها ، كالصلاة في آخر الليل ، وصيام الأيام الفاضلة ، ونحوها .  
وهذا كله راجع إلى تحقيق المُتَابَعَةِ للرَّسُولِ ، المكْمَلِ - مع الإخلاص - للأعمال ، المُنْعَى لثوابها عند الله .

ومن أسباب المُضَاعَفَةِ : القيامُ بالأعمال الصَّالِحَةِ عند المُعَارَضَاتِ النَّفْسِيَّةِ ، والمُعَارَضَاتِ الخَارِجِيَّةِ ، فكلما كانت المُعَارَضَاتُ أقوى والدَّوَاهِي لِلتَّرْكِ أكثر ، كان العملُ أكْمَلُ وأكثر مُضَاعَفَةً .

وأمثلة هذا كثيرة جدًا ، ولكن هذا ضابطها .

ومن أهم ما يُضَاعَفُ فيه العملُ :

الاجتهاد في تحقيق مقام الإحسان والمراقبة ، وحضور القلب في العمل ؛ فكلما كانت هذه الأمور أقوى ، كان الثواب أكثر ، ولهذا ورد في الحديث :

« لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ ، إِلَّا مَا عَقَلْتَ مِنْهَا » .

فَالصَّلَاةُ وَنَحْوَهَا وَإِنْ كَانَتْ تُجْزَى ، إِذَا آتَى بِصورتها  
الظَّاهِرَةِ وَوَجِبَاتِهَا الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ ؛ إِلَّا أَنْ كَمَالَ الْقَبُولِ ،  
وَكَمَالَ الثَّوَابِ وَزِيَادَةِ الْحَسَنَاتِ ، وَرِفْعَةِ الدَّرَجَاتِ ، وَتَسْكَفِيرِ  
السَّيِّئَاتِ ، وَزِيَادَةِ نُورِ الْإِيمَانِ - بِحَسَبِ حُضُورِ الْقَلْبِ فِي  
الْعِبَادَةِ<sup>(١)</sup> . وَلِهَذَا كَانَ مِنْ أَسْبَابِ مُضَاهَفَةِ الْعَمَلِ ، حُصُولُ أَثَرِهِ  
الْحَسَنِ فِي نَفْعِ الْعَبْدِ ، وَزِيَادَةِ إِيْمَانِهِ ، وَرِقَّةِ قَلْبِهِ وَطَمَأْنِينَتِهِ ،  
وَحُصُولِ الْمَنَافِي الْمَحْمُودَةِ لِلْقَلْبِ مِنْ آثَارِ الْعَمَلِ ، فَإِنَّ الْأَعْمَالَ  
كَلِمًا كَمَلَتْ ، كَانَتْ آثَارُهَا فِي الْقُلُوبِ أَحْسَنَ الْآثَارِ .  
وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

وَمِنْ لَطَائِفِ الْمُضَاهَفَةِ : أَنَّ إِسْرَارَ الْعَمَلِ قَدْ يَكُونُ سَبَبًا  
لِلْمُضَاهَفَةِ الثَّوَابِ ، فَإِنَّ مِنَ السَّبَبَةِ الَّذِينَ يُظَلِّمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ :  
« رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ، فَأَخْفَاهَا :  
حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ، مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ »  
وَمِنْهُمْ : « رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ »<sup>(٢)</sup> .  
كَمَا أَنَّ إِعْلَانَهَا قَدْ يَكُونُ سَبَبًا لِلْمُضَاهَفَةِ ، كَالْأَعْمَالِ الَّتِي  
تَحْصُلُ فِيهَا الْأَسْوَةُ وَالْإِقْتِدَاءُ ، وَهَذَا مِمَّا يَدْخُلُ فِي الْقَاعِدَةِ  
الْمَشْهُورَةِ : ( قَدْ يَعْزِضُ لِلْعَمَلِ الْمَفْضُولِ مِنَ الْمَصَالِحِ ،  
مَا يُصَيِّرُهُ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ ) .

---

(١) أَمَى يَكْتُبُ لِلإِنْسَانِ مِنْ صَلَاتِهِ ، عَلَى حَسَبِ نَحْوِهِ فِيهَا .

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

ومما هو كالمتفق عليه بين العلماء الربّانيّين : أن الاتّصاف في كلّ الأوقات بقوّة الإخلاص لله ، ومحبة الخير للمسلمين ، مع التّوجّه بذكر الله ، لا يلحقها شيء من الأفعال ، وأهلها سابقون لكلّ فضيلة وأجر وثواب ؛ وغيرها من الأفعال تبع لها . فأهل الإخلاص والإحسان والذكور ، هم السابقون السابقون ، المقربون في جنّات النعيم .

### المسألة العاشرة

في تفاوت أهل اليقظة في حفظ الوقت

سُبْحان من فاوت بين أهل اليقظة في قوة السّير وشدّته ، وفي استغراق جميع الأوقات في العبادة وعدمه . منهم من يكون سيره مستقيماً في ليله ونهاره ، ومع ذلك يتغيّر من الأعمال أفضلها وأكملها ، ولا ينزل من فاضلها إلى مفضولها إلا لمصلحة تقتّر بالمفضول ، تُوجب أن يُساوى العمل الفاضل ، ويزيد عليه . وقد يكون المُباح في حقّ هذا عبادة ، لكمال إخلاصه ، ونيتته بذلك المُباح أن يُجِمَّ به نفسه ، ويتقوى به على الخير ، فتراه يتنقل في مقامات العبودية في كلّ وقت بما يُناسبه ويليق به ، لا فرق عنده بين العبادة المتعلّقة بحقوق الله المحضّة ، وبين العبادة المتعلّقة بحقوق الخلق ، على اختلاف مراتبهم وأحوالهم .

ولقد ذكرتُ في هذا المقام كلاماً لبعض الشيوخ ،  
لما رأى كثرة المجتمعين ببعض أصحابه ، قال مؤدّباً له  
وَمُقَوِّمًا : ( يا مُنَاخَ البَطَّالينِ ) .

يريد أنهم يقطعون عليه وقته عن الخير .. وكلاماً أيضاً  
للشيخ أبي الفرج ابن الجوزي في سياق الخبر عن نفسه بحفظه  
الوقت ، وأنه رأى ممّا لا بُدّ منه أن ينتابه أناسٌ للزيارة ؛  
وأنه لما رأى أن هذه الحال تقطع عليه وقته ، أعدّ للوقت  
الذي يجتمعون فيه إليه ، أشياء من أمور الخير لا تمنع من  
زيارتهم ، ولا تقطع عليه وقته ، مثل تقطيع الأوراق ، وتصليح  
المِداد ، وبزّي الأقلام التي لا بدّ له منها لتصنيف المعلوم  
النافعة ، وهي لا تمنع الحديث مع الناس ، والاستئناس بهم .  
فقلت : سبحان مَنْ مَنَّْ عَلَى هؤُلاءِ السَّادَةِ بِحِفْظِ  
أوقاتهم ، وبقوة المزيمة والنشاط على الخير ؛ واسكن كلَّ  
كمالٍ يقبل التكميل والرقيّ إلى حالة أرفع منه .

فلو أن هؤُلاءِ الأَجِلَاءِ الفُضَلَاءِ جعلوا اجتماعهم مع الناس ،  
للزيارة والدعوات وغيرها من المجالس العادية ، فُرْصَةً يَنْتَمِنُونَ  
فيها إرشاد من اجتمع بهم إلى الخير ، والبحث في العلوم النافعة ؛  
والأخلاق الجميلة ، والتذكّر لآلاءِ الله وِنِعَمِهِ ، ونحو ذلك  
من المواضيع المناسبة لذلك الوقت ولذلك الاجتماع ، بحسب  
أحوال الناس وطبقاتهم ، وأنهم وطنوا أنفسهم لهذا الأمر ،

وتوسلوا بالمعادات إلى العبادات ، وبرغبتهم [في] الاجتماع بهم إلى انتهاز القُرصة في إرشادهم - لَحَصُّوا بذلك خيراً كثيراً . وربما زادتهم هذه الاجتماعات مقامات عالية ، وأحوالاً سامية : مع ما في ذلك من النفع العظيم للعباد ؛ لأنه ليس من شروط نفع العالم أن يُرشد فقط للمستعدين لطلب العلم من التاملين ، بل يكون مستعداً لإرشاد الخلق أجمعين ، بحسب أحوالهم واستعدادهم ، وعلمهم وجهلهم ، وإقبالهم وإعراضهم ؛ وأن يُعامل كل حالة بما يليق بها من الدعوة إلى الخير ، والتسبب لفعله ، وتعطيل الشر وتقليله ، وأن يستعين بالله على ذلك . فمن كانت هذه حاله ، لم يتبرم باجتماعه بالخلق ، مهما كان حريصاً على حفظ وقته ، لأن التبرم والتشاغل إنما هو للحالة التي يراها العبد ضرراً عليه ، ومُفَوِّتة لمصلحه . والله الموفق وحده ، لا شريك له .

ويُنَبِّه لمن دعا ربّه في حُصول مطلوب ، أو دفع مرهوب ، أن لا يقتصر في قصده وِيتته في حُصول مطلوبه الذي دعا لأجله ؛ بل يقصد بدُعائه التقرب إلى الله بالدعاء ، وعبادته التي هي أعلى الغايات ، فيكون على يقين من نفع دعائه . وإن الدعاء مُخُّ العبادة وخلاصتها ، فإنه يجذب القلب إلى الله ، وتلجته حاجته للخضوع والتضرع لله الذي هو المقصود الأهم في العبادة . ومن كان قصده في دُعائه التقرب إلى الله بالدعاء ، وحصول مطلوبه ، فهو أكلى بكثير ممن لا يقصد إلا حُصول

مطلوبه فقط ، كحال أكثر الناس . فإن هذا نقص وحرمان لهذا الفضل العظيم ؛ [ وفي مثل ] هذا فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ . وهذا من ثمرات العلم النافع ، فإن الجهل منع الخلق الكثير من مقاصد جليلة ، ووسائل جميلة ، لو عرفوها لقصدوها ، ولو شعروا بها ، لَتَوَسَّلُوا إِلَيْهَا . والله الموفق .

### المسألة الحادية عشرة

في تفسير من لم يحترز من عقله بعقله هلك بعقله

\* ما معنى قول الحكماء :

( مَنْ لَمْ يَحْتَرِزْ مِنْ عَقْلِهِ بِعَقْلِهِ ، هَلَكَ بِعَقْلِهِ ) ؟

الجواب ، وبالله التوفيق : إعلم أن من أجلّ نعم الله على الآدمي ؛ أن أعطاه هذا العقل الذي يعقل به الأشياء ؛ ويوازن به بين المصالح والمضار ، ويرجع الرجوع من المصلحتين ؛ ويرتكب الأخف من المفسدتين ، عند الاضطرار إلى ذلك . وينظر به عواقب الأمور ، وما تشره الأعمال الدنيوية والدنيوية من الثمرات النافعة أو ضدها . ويلزم الإرادة بالعمل الصالح ، وباجتناب المضار .

وأجلّ فوائد العقل وأحلى ثمراته : التعلُّق عن الله وعن رسوله الأخبار ، والتصديق بها ، والتعبُّد لله تعالى بالاعتراف بها ، والأحكام الباطنة والظاهرة ، والتخلُّق بها ، والعمل بالصالح ، واجتناب المحرّم .

فهذه أجل ثمرات العقل ؛ فيه عُرِفَ الله ، وعُرِفَتْ أحكامه  
ودينُه ، وبه عُبِدَ الله وأطِيع . وهذا وجهٌ توجِيهٍ الله خِطابَه  
في كتابه لأولى الألباب ، لأولى النهى ، لقوم يعقلون ، لقوم  
يعلمون . فالعقل هو الدليل للعبد ، وهو المرشد له في جميع  
المطالب . فما دام العقل عقلاً حقيقياً ، فلا يترتب عليه  
إلا كلٌّ خير ونفع عاجل وآجل .

وإنما يُخشى الشرُّ والضررُ من أحد أمرين : إما قُصوره  
وتقصيره ، وإما تَمَدُّيه ومُجاوِزته الحدَّ الذي حُدَّ له ، إذا كان  
صاحبه في الحالين يعتقد استقامته وكماله ؛ فحينئذ عليه أن  
يحتز من كل حالة منهما بما يليق بها ويُناسبها . أما إذا كان  
الخلل من قُصور العقل في معرفة العبد للحقائق ، بأن يظنُّ  
معرفة بها وهو غالط في ذلك ، فمن ها هنا يقع الخطل  
والخلل ؛ فدَوَاهُ في هذه الحال بتثقيح العقل وتصحيحه ، بأن  
يسلك الطريق الموصِّل لمعرفة تلك الحقيقة التي وقع الغلط فيها ؛  
فإن من سلك الطرق المَوجَّة لم يهتدِ إلى الصواب ، وكذلك  
من ضعف سلوكه للطرق النافمة ، لم يصل إلى الحقيقة . .  
ذاك يضلُّ عنها ، وهذا يقصر عنها . ولا فرق في هذا بين  
الأمر الديني والدينيوية ، فإن الأمور لا تتم إلا بسلوك  
طرقها وأبوابها ، مع الجِدِّ التام في تحصيلها .  
فهذا من الأمور التي يَتَحَرَّزُ منها بالمعرفة والاستقامة .

وأما الأمر الثاني ، وهو مُجاوِزته للحدِّ الذي حُدَّ له ،  
فهذا خطره كبير ، وذلك أن العقل من أكبر نِعَمِ الله وأجلِّها  
على العبد . فعلى العبد أن يشكر الله على هذه النِّعمة السَّكبري ،  
ويعترف لله بها ، ويستعين بها على ما خلق له ، وعلى ما ينفع .  
فإذا نسى نِعمة الله عليه ، وطغى بنفسه ، وأعجب بها ، وتاه  
بعقله ، سلبَ هذه النعمة في أمور كثيرة ، أعظمها أن يُسَلِّبَ  
إيمانه ؛ فإن كثيراً من المُلجدين وأهل الحَيْرَة والارتباب  
تاهوا بما أُوتوا من ذكاء وفطنة ، حتى تسكَّبوا على ما جاءت  
به الرُّسُل ، واحتقروا الرِّسْل ، وما جاؤوا به ، وفرحوا  
بعلومهم ، وصارت عقولهم الذكيَّة ، غير الزَّكيَّة ، سبباً لهذا  
الانحراف العظيم ، والإلحاد المفسد للدنيا والآخرة . فمُقولهم  
التي طغَوْا بها أوضلَّتهم إلى هذه الهاوية السحيقة . وقد يرى  
كثير من أهل المهارة بالأعمال الدنيوية ، والاختراعات الحديثة ،  
قدرته على ما يعجز عنه غيره ، قبيته بعقله الفاسد ، ويتوهم  
أن معرفته بهذه الامور المادية دليل على تفوقه في العلوم النافعة ،  
والأعمال النافعة ، ولا يخضع عقله لعلوم الرُّسُل والدين الحق .  
فهذه مهالكُ هلك بها المُعجبون بأنفسهم . . وعلى العبد أن  
يحتز من القَدْح في حكم الله وشرعه ، أو في قَدَرِهِ ، بأن  
يقبس حِكْمَةَ الحكيم الحميد ، بأفعال القاصرين من العبيد ،  
فيضلل ويُسِيء ظنَّه بالله . ودواء هذا : أن يعلم أن الله حكيم  
في كلِّ ما خلقه من المخلوقات ، وفي كلِّ ما شرعه من الشرائع .



وإن تتبع ما أوجده الله من الموجودات ، يجدها في غاية الحكمة ،  
ويجد آثار الإتيان وحُسن الخلق والانتظام التام عليها ظاهرة ،  
لا تخفى إلا على من عمى قلبه ، وانقلبت عليه الحقائق .  
وما خفيَ عليه من بعض الجزئيات التي لا يهتدى إلى معرفة  
الحكمة فيها ، فليعلم العالم الكلي أن الله لا يخاق شيئاً عبثاً ،  
وأنه أحسن كل شيء خلقه ، وأتقن جميع ما صنعه .

وكذلك من نظر ما احتوى عليه شرعه العظيم من المحاسن  
والمصالح والمنافع التي لا يُمكن إحصاء أجناسها - فضلاً عن  
أنواعها وأفرادها - عرف بذلك أن الله كامل الحكمة .

وأضرَّ الجهل على الإطلاق ، الجهلُ بحكمة الله .

وأشدُّ أنواع الغرور ، القَدْحُ فيها ؛ وما جاء هذا الغرور  
إلا من إعجاب العبدِ الجاهلِ بعقله الفاسد .

فنسألُ الله أن لا يُزيغَ قلوبنا عن الهدى والرشاد .  
إنه جواد كريم .

#### المسألة الثانية عشرة

#### في لخطاب الحازم مع نفسه

الحازم : هو الذي يُنازع ويُدافع الأقدار المؤلمة بما يدفعها  
قبل نُزولها ، أو يرفعها بعد نزولها ، أو يُخففها بالطرق  
المُباحة ، أو المأمور بها . فإن أضيأ ذلك ، استسلم للقدر ،  
ورضى بقضاء الله ، وسأمَ لأمره .

ولهذا قال عمرُ رضى الله عنه :

« نَفَرْتُ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ ، إِلَى قَدَرِ اللَّهِ » .

كذلك يَفِرُّ العبدُ مما يكرهه الله باطنًا وظاهرًا ،  
إلى ما يُحِبُّه الله ظاهرًا وباطنًا :

﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ، إِنِّي لَكُم مِّنْهُ تَدِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١)

ويَفِرُّ من أسباب الهلاك والمَطَبِ والضرر ، إلى أسباب  
النجاة والسَّلَامَةِ ، وحُصُولِ النفع . واسكن الشَّانَ في معرفة  
الأسباب النافعة والضارة ، ثم في سلوك خير الأُمُرِينَ ،  
ومُدافعة أشدِّ الضَّرَرَيْنِ . والله الموفق وحده .

والتَّثَبُّتُ في سماع الأخبار ، وتمحيصها ونقلها وإذاعتها ،  
والبِنَاءُ عليها ؛ أصل كبير نافع ، أمر الله به ورسوله ، قال تعالى :  
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا : إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ، فَتَبَيَّنُوا  
أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ، فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (٢) .  
فأمر بالتَّثَبُّتِ ، وأخبر بالأضرار المترتبة على عدم التَّثَبُّتِ ،  
وأن من تثبَّت لم يندم .

وأشار إلى الميزان في ذلك قوله تعالى : ﴿ أَنْ تُصِيبُوا  
قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ﴾ وأنه العلم والتَّحَقُّقُ في الإصَابَةِ وَعَدَمِهِ .  
فَمَنْ تَحَقَّقَ ، وَعَلِمَ كَيْفَ يَسْمَعُ ، وَكَيْفَ يَنْقُلُ ،  
وَكَيفَ يَعْمَلُ ، فَهُوَ الْحَازِمُ الْمُصِيبُ .

ومن كان غير ذلك ، فهو الأحمق الطائش الذي مآله الندامة .  
وأخوج الناس إلى هذا الأمر الوُلاة على اختلاف مراتبهم  
وطبقاتهم ، وأهل العلم على تفاوتِ درجاتهم ، وذلك يحتاج  
إلى اجتهاد وتمارين للنفس ، وتوطين لها على مُلازمة التثبيت  
مع الاستمانة بالله ، والله الموفق المعين .

ولا يزال المؤمن بإيمانه يُقاوم جميع الواردات ، يستدفع  
بإيمانه المكاره والشدائد ، ويستديم به المحاب . . إن وردت  
عليه الشدائد والمُصِيبات ، تَلَقَّاهَا بِقُوَّةِ إِيمَانٍ وَصَبْرٍ وَيَقِينٍ ،  
وهو في ذلك ، بِشِقْتِهِ بِرَبِّهِ ، وَقُوَّةِ ظَنِّهِ وَرَجَائِهِ ، فِي حِصْنِ  
حَصِينٍ ، فَرِحَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ ، مُبْتَهَجٍ بِذَلِكَ إِذَا اشْتَدَّ الْيَأْسُ .  
وإن وردت عليه المحبوبات تَلَقَّاهَا بِطَمَآنِينَةٍ وَسُكُونٍ ،  
وَحَمَلَهُ الْإِيمَانُ عَلَى الْقِيَامِ بِوُضُوفِ الشَّاكِرِينَ ، يَفْرَحُ بِهَا لَا فَرَحَ  
أَشْرٍ وَبَطَرٍ ، بَلْ لِأَنَّهَا مِنْ فَضْلِ رَبِّهِ أَوْصَلَهَا بِجُودِهِ إِلَيْهِ ،  
ويُضْرِفُهَا فِيمَا يَعُودُ عَلَيْهِ بِالنَّفْعِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وإن وردت عليه الأوامر الشرعية ، تَلَقَّاهَا بِالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ ،  
وهُوَ بِإِيمَانِهِ عَلَيْهِ الْقِيَامُ بِهَا ، طَاعَةً لِرَبِّهِ ، وَتَكْمِيلًا لِإِيمَانِهِ ،  
وَتَقْوِيَةً لِإِيْقَانِهِ ، وَرَجَاءً لِمَوْعُودِهَا ، وَخُرُوجًا مِنْ تَبِعَةِ التَّوَكُّلِ .  
وإن دعت النفس الأمَّارةُ بِالسُّوءِ إِلَى بَعْضِ الْمَعَاصِي ،  
قَالَ لَهَا الْإِيمَانُ : يَا نَفْسُ ، كَيْفَ يَلِيقُ بِكَ أَنْ تَأْمُرِي  
بِمَا يُضْعِفُ إِيمَانِي ، وَيَعُودُ عَلَيْكَ بِالْخَسَارِ ؟

كيف تأمريني بلذة ساعة ، تُفوّتُ لذاتٍ كثيرة ،  
مِنَ أبلغها حلاوةً لذّة الإيمان ؟

أما تعلمين أنّ للإيمان حلاوةً تُزريّ بلذاتِ الدنيا كلّها ؟  
فاللهُ اللهُ - يا نفسى - أن تفجّمينى بهذه الحلاوة . . .  
ويحك ، يا نفس : أما لكِ نظرٌ في عواقبِ الأمور ؟  
فإن خاصيّة العقلِ النَّظرِ في عواقبِ الأمور ، كما ينظر في  
مباديها ، وأنه لا يدخلُ في أمرٍ من الأمور حتى يعرف المخرج  
منه بما فيه وسلامة ؟ أما علمت أن من وقع في المعاصى  
ارتكس ، وكلما كررها استحكّم قيده وحبسه وانسكس ١٢  
ويحك ، يا نفسُ : إذا أردت أن تعصى الله ، فلا تستميينى  
بِنعمه على معاصيه ، فإنّ المعصية لا تتأتى إلا من القوّة  
والمعافية ، ومن الذى أعطاهما ١٢

ولا تتحركِ إلا من توالى الشَّيخ ، ومن الذى يستر  
الأفوات وآتاهما ١٢ ولا تكون في المادة إلا بخلوّة من الخلق .  
ومن الذى أسبل عليكِ حلمه وستره ؟ ولا تقعُ إلا  
بِنظره إليك ، فإياك أن تستنخفي بإطلاعه وعلمه .

أما تعلمين - يا نفسُ - أنّ من جاهد نفسه عن المعاصى ،  
وأزماها الخير ، فقد سعى في سمادتها وقد أفلح من زكّاها ؟  
وأنّ من أطاع نفسه على ما تُريد من الشرّ ، فقد تسبّب  
لهلاكها ودساها ١٢

ويحك - يا نَفْسُ - كم بَيْنِي وبينكَ في المُعاملة :  
أنت تريدن هلاكى ، وأنا أَسعى لكِ بالنجاة ..  
وأنت تَحِيلين علىَّ بِكُلِّ طريقٍ يُوقِعُ في المَضارِّ والشُّرورِ ،  
وأنا أجتهدُ لكِ في كُلِّ أمرٍ مآلُه الخَيْرُ والراحةُ والشُّرورُ !  
فَهَلُمِّي - يا نَفْسُ - إلى صلحِ شريفٍ ، يحتفظُ كلٌّ مِنَّا  
على ما لَهُ من المُراداتِ والمقاصدِ ، وتتفقُ على أمرٍ يَحْصُلُ به  
للطَّرَفَيْنِ أصنافُ المصالحِ والفوائدِ ..

دَعِينِي - يا نَفْسُ - أمضى بإيماني مُتقدِّماً إلى الخيراتِ ،  
مُتَّجِراً فيه ، لِتَحْصِيلِ المَكاسِبِ والأبركاتِ ..

دَعِينِي أتوسَّلُ بإيماني إلى مَنْ أعطاه ، أن يُتِمَّهُ بِتمامِ  
الهِدَايةِ ، وكَمالِ الرَّحمةِ ، وأكْمَلِ ما نَقَصَ منه ، لعلَّ اللهُ أن  
يُتِمَّ علىَّ وعليكِ النِّعمَةَ ، ولئن تركتني وشأني ولم تعترضني  
علىَّ بِوَجْهِهِ من الوُجوهِ ، لأُعْطِيَنَّكَ كُلَّ ما تَطْلُبِينَهُ من  
المُباحاتِ ، وكلِّ ما تُؤَمِّلُهُ النُّفوسُ وترجوه . ولئن تركتني  
وشأني ، لأُوصِلَنَّكَ إلى خيراتِ وِلداتِ طالما تمناها المُتَمَنُّونُ ،  
وطالما مات بِحسرتها - قبل إدراكها - البَطَّالونُ ..

يا نَفْسُ : أما تُحِبِّينَ أن تُنْقَلِي من هذا الوصفِ الدُّنْيِ  
إلى أوصافِ النُّفوسِ المَطْمِئِنَّةِ التي اطمأنتِ إلى رَبِّها ، وإلى  
ذِكْرِهِ ، واطمأنتِ إلى عِطائِهِ ومَنعِهِ ، واطمأنتِ إليه في جميعِ  
تدبيرِهِ ، واطمأنتِ إلى توحيدِهِ والإيمانِ به ، حتى سَلَّاهَا عن

كلّ المحبوبات ، واطمأنت إلى وعده حتى كانت هي الحاملة  
للعبء على الطاعات ، المزعجة له عن المعاصي والمخالفات .  
فلا يزال المؤمن مع نفسه في مُحاسبة ومُنَاطرة ، حتى تنقأ  
لِداعى الإيمان ، وتكون ممن يُقال لها عند الانتقال من  
هذه الدار :

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ • إِرْجِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً  
مَّرْضِيَةً • فَأَدْخِلِي فِي عِبَادِي • وَادْخُلِي جَنَّتِي . ﴾ (١)

### المسألة الثالثة عشرة

#### الدين النصيحة

النصيحة لله : هي القيام بعبوديته الظاهرة والباطنة ،  
بإخلاص كامل ، وتكميل تام لأجزاء العبودية ظاهراً وباطناً ،  
وفِعْلٌ لما يُقدِرُ عليه منها ، وعَزْمٌ جازِمٌ على فِعْلِ ما  
لأُقدرة له عليه لو قدر .

والنصيحة لكتاب الله : هي الجِدُّ في تَعَرُّفِ أَلْفَاظِهِ  
وَمَعَانِيهِ بِحَسَبِ ما تُصِلُ إِلَيْهِ القُدرة ، والابْتِهَادُ في العَمَلِ بِهِ ،  
والدعوة إلى ذلك .

والنصيحة للرسول : هي كِبَالُ الإِيْمَانِ بِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَطَاعَتِهِ ،  
وَاتِّبَاعِهِ ، وَتَقْدِيمُ قَوْلِهِ وَهَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ عَلَى كُلِّ قَوْلٍ وَهَدْيٍ  
وَسِيرَةٍ ، وَنَصْرُهُ ما جَاءَ بِهِ .

ونصيحة أئمة المسلمين - وهم سلاطينهم وحُكّامهم وولاتهم - :  
بالاعتراف بإمامتهم ، والتدين بالسمع والطاعة لهم ، ونصيحتهم  
وإعانتهم على الخير الذي قاموا به ، قولاً وعملاً .

ونصيحة عُموم المسلمين : أن يحبّ لهم من الخير ما يحبُّ  
لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه ، ويُعَمِّم جاهلهم ،  
وينصح من يراه مُخْلِلاً بواجب ، أو مُتَجَرِّثًا على محرم .  
وإرشاد الناس على اختلاف طبقاتهم إلى ما فيه صلاح لهم  
في أمر دينهم وأمر دنياهم ، والدعوة إلى ذلك كله ، ومُجَانِبَةٌ  
غَشِيهِم في الأقوال والأفعال ، والمعاملات ، وأداء الحقوق  
لمن له حقّ على الإنسان .

#### المسألة الرابعة عشرة

##### في حسن المعاتبَة

يُحِبُّنِي مَا وَقَعَ لِبَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَهُوَ أَنَّهُ كَتَبَ لَهُ  
إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ ، يَنْتَقِدُهُ انْتِقَادًا حَارًّا فِي بَعْضِ  
الْمَسَائِلِ ، وَيَزْعَمُ أَنَّهُ مُخْطِئٌ فِيهَا ، حَتَّى إِنَّهُ قَدَحَ فِي قَصْدِهِ  
وَرِيئَتِهِ ، وَادَّعَى أَنَّهُ يَدِينُ اللَّهَ بِبُغْضِهِ ، بِنَاءً عَلَى مَا تَوَهَّمُ مِنْ  
خَطِيئَتِهِ ، فَأَجَابَ الْمَكْتُوبُ لَهُ :

( يَا أَخِي ، إِنَّكَ [ إِذْ ] تَرَكْتَ مَا يَجِبُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَدَّةِ  
الدِّينِيَّةِ ، وَسَلَكْتَ مَا يَحْرَمُ عَلَيْكَ مِنْ الْإِثْمِ أَخِيكَ بِالْقَصْدِ  
السَّيِّئِ ، عَلَى فَرَضٍ أَنَّهُ أَخْطَأَ ، وَتَجَنَّبْتَ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ

بالحكمة في مثل هذه الأمور ؛ فإنِّي أَخْبِرُكَ - قَبْلَ الشَّرْعِ  
في جوابي لك - عما اتَّقَدْتُني عليه :

بأنِّي لا أَتْرُكُ ما يَجِبُ عَلَيَّ من الإِقامة على مودَّتِكَ ،  
والاستمرار على محبَّتِكَ المَبْنِيَّةِ على ما أَعْرِفُه من دينك ،  
انتصاراً لِنَفْسِي .

بل أزيدُ على ذلك بإقامة المُذْرِكِ لك في قَدْحِكَ في أَخِيكَ ،  
بأن الدَّافِعَ لك على ذلك قَصْدٌ حَسَنٌ ، لسكن لم يَصْحَبْهُ  
عِلْمٌ يُسَخِّحُه ، ولا مَعْرِفَةٌ تُبَيِّنُ مَرْتَبَتَه ، ولا وَرَعٌ صَحِيحٌ  
يُوقِفُ العَبْدَ عِنْدَ حدِّه الذي أَوْجِبُه الشَّارِعَ عليه .

فَلِيَحْسُنِ قَصْدِكَ عَفْوَتُكَ لِمَا كَانَ مِنْكَ لِي من الاتِّهَامِ  
بِالقَصْدِ السَّيِّئِ . فَهَبْ أَنَّ الصَّوَابَ مَعَكَ يَقِينًا ، فَهَلْ خَطَأُ  
الإنسانِ عُنْوانٌ على سُوءِ قَصْدِهِ ؟

فلو كان الأمرُ كذلك ، لَوَجِبَ رَمِيُّ جَمِيعِ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ  
بِالقَصْدِ السَّيِّئِ . فَهَلْ سَلِمَ أَحَدٌ من الخَطَأِ ؟

وهل هذا الذي تَجَرَّأتُ عليه ، إلا مُتَخَالِفٌ لما أَجْمَعَ عليه  
المسلمون ، مِن أَنَّهُ لا يَجِلُّ رَمِيُّ المُسْلِمِ بِالقَصْدِ السَّيِّئِ إِذَا  
أَخْطَأَ ، وَاللَّهُ تَمَالَى قَدَ عَمَّا عَنِ خَطَأِ المُؤْمِنِينَ في الأَقْوَالِ  
وَالأَفْعَالِ ، وَجَمِيعِ الأَحْوَالِ .

ثمَّ نَقُولُ : هَبْ أَنَّهُ جازَ لِلإنسانِ القَدْحُ في إِرَادَةِ من  
دَلَّتِ القَرائِنُ وَالعَلَاماتُ على قَصْدِهِ السَّيِّئِ ؛ أَفَيَجِلُّ القَدْحُ



فَيَمَنُ عِنْدَكَ مِنَ الْأَدِلَّةِ الْكَثِيرَةِ عَلَى حُسْنِ قَصْدِهِ ، وَبُعْدِهِ  
عَنْ إِرَادَةِ الشُّوءِ ، مَا لَا يُسَوِّغُ لَكَ أَنْ تَتَوَهَّمُ فِيهِ شَيْئًا [مِمَّا]  
رَمَيْتَهُ بِهِ ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَظُنُّوا بِإِخْوَانِهِمْ خَيْرًا ،  
إِذَا قِيلَ فِيهِمْ خِلَافٌ مَا يَقْتَضِيهِ الْإِيمَانُ ، فَقَالَ تَعَالَى :

﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ، ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ  
وَالْمُؤْمِنَاتُ بِنَفْسِهِمْ خَيْرًا ﴾ . (١)

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْمَقْدِمَةَ لَيْسَ الْغَرَضُ مِنْهَا مُقَابَلَتَكَ بِمَا قُلْتَ ،  
فَإِنِّي كَمَا أَشَرْتُ لَكَ : قَدْ عَفَوْتُ عَنْ حَقِّي إِنْ كَانَ لِي حَقٌّ ؛  
وَلَكِنِ الْغَرَضُ النَّصِيحَةُ ، وَبَيَانُ مَوْقِعِ هَذَا الْإِتِهَامِ مِنَ الْعَقْلِ  
وَالدِّينِ وَالْمَرْوَةِ وَالْإِنْسَانِيَةِ .

ثُمَّ إِنَّهُ - بَعْدَ هَذَا - أَخَذَ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْجَوَابِ مِنْ  
انْتِقَادِهِ ، بِمَا لَا مَحَلَّ لِذِكْرِهِ هُنَا .

#### المسألة الخامسة عشرة

#### في القول الجامع في البدعة

الْبِدْعَةُ : هِيَ الْإِبْتِدَاعُ فِي الدِّينِ ؛ فَإِنَّ الدِّينَ : هُوَ  
مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .  
وَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ أُدِلَّةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ : فَهُوَ مِنَ الدِّينِ .  
وَمَا خَالَفَ ذَلِكَ : فَهُوَ الْبِدْعَةُ . هَذَا هُوَ الضَّابِطُ الْجَامِعُ .  
وَتَنْقَسِمُ الْبِدْعَةُ بِحَسَبِ حَالِهَا إِلَى قِسْمَيْنِ :

بِدْعِ اعْتِقَادٍ ، وَيُقَالُ لَهَا : الْبِدْعُ الْقَوْلِيَّةُ ، وَمِيزَانُهَا ،  
قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي فِي السُّنَنِ :  
« وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَيَّ [ثَلَاثَ] وَسَبْعِينَ فِرْقَةً :  
كُلُّهَا فِي النَّارِ ، إِلَّا وَاحِدَةً » .

قالوا : من هي يا رسول الله ؟ .

قال : « مَنْ كَانَ عَلَيَّ مِثْلَ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأُضْحَابِي » <sup>(١)</sup>  
فَأَهْلُ السُّنَّةِ الْمَحْفُضَةِ : السَّالِمُونَ مِنَ الْبِدْعِ ، الَّذِينَ تَمَسَّكُوا  
بِمَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ ، فِي الْأَصُولِ  
كُلِّهَا ، أُصُولَ التَّوْحِيدِ وَالرَّسَالَةِ وَالْقَدَرِ ، وَمَسَائِلَ الْإِيمَانِ  
وغيرها .

وغيرهم من خوارج ومعتزلة وجهمية وقدريّة ورافضة  
ومرجئة ، ومن تفرّع عنهم : كلهم من أهل البدع الاعتقادية ،  
وأحكامهم متفاوتة بحسب بُعْدِهِمْ عن أصول الدين وقُرْبِهِمْ ،  
وبحسب عقائدهم أو تأويلهم ، وبحسب سلامة أهل السنة  
من شرهم في الأقوال والأفعال وعدمه .  
وتفصيل هذه الجملة يطول جدًا .

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو ، وفي سنده  
ضعف ، ولكن يشهد له حديث معاوية عند أحمد وأبي داود بلنظ  
« ثنّان وسبعمون في النار ، وواحدة [في] الجنة ، وهي الجماعة »  
وسندها صحيح .

والتنوع الثاني : بدع عمليّة ، وهو أن يُشرّع في الدّين عِبادة لم يُشرّعها اللهُ ولا رسوله .

وكلّ عِبادة لم يأمر بها الشّارع أمرٌ إيجابٍ ، أو استِحبابٍ ، فإنها من البدع العمليّة ، وهي داخلة في قوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا ، فَهُوَ رَدٌّ <sup>(١)</sup> » .

ولهذا كان من أصول الأئمّة ، الإمام أحمد وغيره :

أنّ الأصل في العبادات : الحظر والمنع ؛

فلا يُشرّع منها إلّا ما شرّعه اللهُ ورسوله .

والأصل في المعاملات والمادات : الإباحة ،

فلا يُحرّم منها إلّا ما حرّمه اللهُ ورسوله .

ولهذا نقول :

من قُصور العلم : جعل بعض المادات التي ليست عبادات بدعًا ، لا تجوز . مع أنّ الأمر بالعكس ؛ فإن الذي يحكم بالمنع منها وتحريمها هو المُبتدع . فلا يُحرّم من المادات إلّا ما حرّمه اللهُ ورسوله .

بل المادات تنقسم إلى أقسام :

ما أعان منها على الخير والطّاعة ، فهو من القُرب .

وما أعان على الإثم والمُعدوان ، فهو من المُحرّمات .

وما ليس فيه هذا ولا هذا ، فهو من المُباحات .

والله أعلم .

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة ، رضى الله عنها .

## المسألة السادسة عشرة

### أركان الشكر

لَمَّا ذَكَرَ الْبَارِي نِعْمَتَهُ عَلَى الْعِبَادِ ، بِتَسْيِيرِ الرُّكُوبِ  
لِلْأَنْعَامِ وَالْفُلْكِ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿ لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ، ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ ،  
إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ، وَتَقُولُوا : سُبْحٰنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا ،  
وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ، وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ (١)

ذَكَرَ أَرْكَانَ الشُّكْرِ الثَّلَاثَةَ ، وَهِيَ الْإِعْتِرَافُ ، وَالتَّذَكُّرُ  
لِنِعْمَةِ اللَّهِ ، وَالتَّحَدُّثُ بِهَا ، وَالثَّنَاءُ عَلَى اللَّهِ بِهَا ، وَالخُضُوعُ  
لِلَّهِ ، وَالِاسْتِعَانَةَ بِهَا عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ قَوْلِهِ :  
﴿ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ الْإِعْتِرَافَ بِالْجَزَاءِ ، وَالِاسْتِعْمَادَ  
لَهُ ، وَأَنَّ هَذِهِ النِّعَمَ ، الْفَرَضُ مِنْهَا أَنْ تَسْكُونَ عَوْنًا لِلْعَبْدِ  
عَلَى مَا خَلَقَ لَهُ مِنْ طَائِعَةِ اللَّهِ .

وَفِي قَوْلِهِ :

﴿ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ ، إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ .  
تَفْيِيدُهَا - فِي هَذِهِ الْحَالَةِ - [بِوَقْتِ] تَبَوُّئِ النِّعْمَةِ ، لِأَنَّ كَثِيرًا  
مِنَ الْخَلْقِ يُسْكِرُهُمُ النِّعَمُ ، وَتُعْفِلُهُمْ عَنِ اللَّهِ ، وَتُوجِبُ  
لَهُمُ الْأَثَرَ وَالْبَطَرَ . فَهَذِهِ الْحَالَةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا هِيَ دَوَاءُ  
هَذَا الدَّاءِ الْمُهْلِكِ ، فَإِنَّهُ مَتَى ذَكَرَ الْعَبْدُ أَنَّهُ مَغْمُورٌ بِنِعْمَةٍ

(١) الزخرف : ١٣ و ١٤ .

الله ، ليس من نفسه شيء ، وإنما أصول النعم ، وتيسير أسبابها ، وتسهيل تخصيلها ، ثم بقاؤها واستمرارها ، ودفع ما يضادها أو ينقصها ، من الله تعالى .

ومتى استخضر العبد ذلك ، خضع لله وذلك ، وشكره وأثنى عليه ، وبهذا تدوم النعم ، ويبارك الله فيها ، وتكون نعمًا حقيقية .

### المسألة السابعة عشرة

في قوله تعالى : ( وما كان الله ليضيع إيمانكم )

قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ . (١)  
فسرها كثير من السلف بمن ماتوا - قبل أن تحول القبلة إلى الكعبة - من المسلمين ، وأنه أشكل أمرهم على المسلمين ، فأخبرهم الله تعالى أنهم في ذلك الوقت قد عملوا بعملة تقضى الإيمان ، وهو طاعة الله في كل وقت وحال بما يتعلق بذلك الوقت والحال .

فيؤخذ من هذا أن من كان على قول ، أو رأى ضعيف ، وقد عمل به مجتهدًا متأولًا ، أو فعله مدة طويلة أو قصيرة ، ثم تبين له صحة القول الذي يُنافيه ، وانتقل إلى الثاني - أن عمله الأول مُثاب عليه ، وهو مُطيع لله فيه ، لكون ذلك القول هو الذي وصل إليه اجتهاده ، أو تقليده لغيره ، وهو لم يزل حريصًا على الصواب ، راغبًا فيما يُحببه الله وزسوله .

فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالَهُ ، فَاللَّهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُضِيعَ إِيمَانَهُ ،  
وَمَا عَمِلَ بِذَلِكَ الْإِيمَانَ مِنْ خَيْرٍ — أَصَابَ فِيهِ أَوْ أَخْطَأَ —  
فَإِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ .

### المسألة الثامنة عشرة

في كمال تعاليم الدين

عن « سلمان » رضي الله عنه ، قال :

« قال بعض المشركين وهو يستهزئ :

إِنِّي لِأَرَى صَاحِبَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ ، حَتَّى الْخِرَاءَةَ .

قلت : أَجَلٌ ، لَقَدْ نَهَاْنَا أَنْ لَا نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ

أَوْ بَوْلٍ ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقْلٍ مِنْ

ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيمٍ أَوْ بِعَظْمٍ . رواه مسلم .

ما أحسن ما أجاب به « سلمان » هذا المدؤ المستهزئ

بما جاء به الرسول ، بهذا التعبير الذي يُظنُّ أنه يتطرق به إلى

القدح ؛ فَبَيَّنَ « سلمان » ، رضي الله عنه أن هذه التعاليم

الشرعية ، حتى في هذه الحال ، تعاليم عالية ، ترجع إلى تعظيم

الله وتوقيره وإجلاله ، باحترام بيته عن الاستقبال له ، في

هذه الحال ؛ كما كان وجوب استقبال البيت في الصلاة

مقصوده : تعظيم الله بتعظيم بيته وحرُماته .

وكذلك نهيته عن الاستنجار باليمين ، يعود إلى نظافة البدن ،

والاعتناء بكمال النظافة البدنية ، وإيراد اليمين عن مباشرة

الأوساخ والنَّجاسات . ففي نَفْسِ الاستِجار ، والآداب التي علمهم الشَّارع إياها في هذا الموضع ، تكميل عبودية الله ، والنَّوْقَى التَّامُّ عن النَّجاسات والأوساخ ، والاعتناء بالنَّظافة . فهل أَعْلَى من هذا الإرشاد شيء ؟

فتضمَّن جوابُ « سَلْمَان » - رضى الله عنه - بيان الأحكام الشرعية ، مع قمع الممارِضين والمُسْتَهْزِئِينَ ، وإلْقائهم الحَجَرِ . فنَفَسُ ما استَهْزَؤُوا بِهِ مِنْ أَعْظَمِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ . وهكذا جميع الشَّرِيعَةِ - في مصادِرِها وموارِدِها - على هذا النمط .

#### المسألة التاسعة عشرة

في تقديم الاعلى من المصالح

عن « قبيصة بن أبي وقاص » قال :

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« يَكُونُ عَلَيْكُمْ أَمْرًا مِنْ بَعْدِي ، يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ ؛

فِيهِ لَكُمْ ، وَهِيَ عَلَيْهِمْ . فَصَلُّوا مَعَهُمْ مَا صَلُّوا إِلَى الْقِبْلَةِ <sup>(١)</sup> »

يؤخذ من هذا الحديث فائدتان عظيمتان :

إحداها : أنه إذا تزاخمت المصالح ، قُدِّمَ الأَعْلَى منها ، لأنَّ العملَ المفضول ، قد يَقْتَرِنُ بِهِ ما يُصَيِّرُهُ أَفْضَلَ مِنْ نَظِيرِهِ . فإنَّه أَمَرَ بِالصَّلَاةِ مَعَ هَؤُلَاءِ الأَمْرَاءِ ، مُرَاعَاةً لِمَصْلَحَةِ

(١) رواه أبو داود ، وهو حديث حسن بشواهده .

الاتفاق والائتلاف ، وعدم الاختلاف ، وأن تؤخر الصلاة معهم ، مع أن الأفضل عدم تأخيرها .

الفائدة الثانية : أن من كان حريصاً على تكميل العبادات بأوقاتها وحدودها وتكميلاتها ، ولكنه تابع لغيره في عبادته ، وذلك الغير يأتي بها على وجه ناقص - أن الحريص على التكميل الذي لا يتمكن منه لهذا السبب - أنه يكمل له الأجر بنيتة ، ولا ملام عليه بسبب اتباعه لغيره ، وعدم استقلاله .

ويدخل في هذا ، التابع لغيره في صلاة الجماعة ، وفي أمور السفر ، وفي المناسك والجهاد وغيرها .

وكثيراً ما يُبتلى العبد بتقيده عن الكمال بعمل غيره . ولكن ليكن منك على بال :

« إنما الأعمال بالنيات » . الحديث (١) .

### المسألة العشرون

في تكرار الأجر بذكر المصيبة

روى الإمام أحمد عن الحسين بن علي مرفوعاً :

« ما من مسلم ولا مسلمة يُصاب بمصيبة ، فيذكرها وإن طال عهده ، فيحدث عند ذلك استرجاعاً ، إلا جدد الله له عند ذلك ، فأعطاه مثل أجرها يوم أُصيب بها » .

(١) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب ، روى الله عنه .



هذا من مَنِّ الله على المؤمنين ، وفوائد المصائب ..  
والحِكْمَةُ في هذا واضحة ؛ فإنه إذا ذكرها ، جدد صبراً  
لله ، وثناءً عليه ، ورضاً بقدره ، وتسليماً بأمر الله ، وتلك  
عُبوديات قلبية وقولية مُتجدِّدة . كما أن العبد إذا ذكر الله ،  
أو قرأ ، أو صلى ، أو صام ، أو عامل الله مُعاملة ظاهرة  
أو باطنة ، جدد الله له ثواباً مهما تكررت ، إذا اقترن بها  
شروطها ، وهو الإخلاص لله .

وكذلك التَّعَمُّمُ ؛ إذا أنعم الله بها على العبد ، فشكر الله  
عليها ، أثناه على ذلك . ثم كلما ذكرها ، وتحدث بها ،  
واعترف لله بها ، ضاعفَ الله له الثَّواب .  
فالمؤمن لا يزال يُنعمَ من ربه ، ويكسب خيراً كثيراً .

### المسألة الحادية والعشرون

#### في الحياة الطيبة

قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى ،  
وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ  
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

وعَدَّ اللهُ - وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً - مَنْ جَمَعَ بَيْنَ  
الإيمان الصحيح والعمل الصالح أن يُحْيِيَهُ في هذه الدنيا حياة  
طَيِّبَةً ، وَأَنْ يَجْزِيَهُ في الآخِرَةِ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ وَخَيْرَهُ .

(١) النحل : ٩٧

فالحياة الطيبة ، اسم جامع لما يخصل به سرور القلب وراحته وطمأنينته ، وعدم قلقه واضطرابه في جميع مقامات الحياة . والبدن بالطبع تابع للقلب في راحته وضدها ، فمن آمن إيماناً صحيحاً ، بأن آمن بوحداية الله ، وتوحيده في الربوبية والألوهية ، وانقراده بالخلق والرزق والتدبير والنعم الظاهرة والباطنة ، واطمأن بخبر الله وخبر رسوله ، اعترافاً وتصديقاً ، ولأمره ونهييه ، إذعاناً وانقياداً وعملاً ، وذلك يتضمن تصديق الخبر ، وامتنال الأمر ، واجتناب النهي . .

من قام بذلك حق القيام ، فلا بد أن يتحقق له هذا الوعد ومن فاته ذلك أو بعضه ، فآتته من هذه الحياة الطيبة بحسب ما ضيعه ونقصه . واعتبر ذلك بجميع مقامات هذه الحياة ، وتنقلات العبد فيها من غنى وفقير ، وسراء وضراء ، ومرض وصحة ، وحصول محبوبات ، ووقوع مكاره ومصيبات ، وقيام بمبوديات وحقوق ومعاملات ، وجميع ما يعرض للعبد من التصرفات .

فإن [ المرء ] إذا استصحب الإيمان الكامل ، تنقل في هذه المقامات بسكون وطمأنينة وقناعة ، واحتساب للشواب ، وخوف من العقاب . وكان عند النعماء والمحبوبات : من الشاكرين ، وعند المكاره والمصائب : من الصابرين المحتسبين ، المرقيين من الله أعظم الثواب ، وكان ساعياً في المنعم في سرائه وضرائه .

وإن قام بالعبادة التي بينه وبين الله ، كان داخلًا في سرور قلبه ، ونعيم زوجته ، ورأى أن قطع أوقاته وتفاد ساعاته في كل ما يُقربُه إلى ربِّ العالمين خير ما تنافس فيه المتنافسون . وأن هذا هو حقيقة الحياة التي من حُرْمِها فهو مغبونٌ غَبْنًا لا رِبْحَ بعده ، وإن قام بحقوق من له حقُّ عليه من والدين وأولاد ، وأهل وماليك وأقارب ، وجيران وأصحاب ونحوهم ، كان الداعي له إلى ذلك طلبَ القرب من ربه ، واحتسابَ الأجرِ عنده ، واحتسابَ الفضائل ، والسلامة من الرذائل . فكان في قيامه بها سرور القلب ، مطمئن النفس ، لا يُبالى بتعب بدنه ، ولا بنفقة ماله ؛ لأنه يعتقد بذلك أنه تاجر مع الله ، والله لا يُضيع أجر من أحسن عملاً . وإن تناول لذائمه وشهواته المباحة ، وقام بالكسب المباح مما يسره الله له ، نوى بذلك الاستعانة على طاعة المولى المنعم ، والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة ، فهو يتنقل في هذه الأمور ، وروحُ التقرب ورجاء الثواب والأجر وارتقاب الخير العاجل والآجل : ملء قلبه ، وحشواً فؤاده . ومع ذلك ، فهو يطمع في آخرته بكل خير عظيم ، وثوابٍ جسيم .

فهذه الحياة لا يُمكن التعبير عن كنهها ولذاتها وطيبها . نقس بها حياة فاسد الإيمان والعمل الصالح الذي لا همَّ له

إلا ما أكل وشرب وكسب ، لا غايَةَ له يَرْجوها ،  
ولا أصلَ له يَبْنِي عليه . فهذا مِنْ آيِن له الرَّاحَة والطَّمَأْنِينَة ،  
والفرح والشُّرور ، وعيشَتُهُ أَذْنَى من عيشة البهائم السَّالِمَة  
من الهوموم القلبيَّة ، والآلام الروحية .. فهذا قد خسر الدُّنيا  
والآخِرَة ، وحصلت له الصِّمَّة الخاسِرَة .

### المسألة الثانية والعشرون

في اشكال وجوابه في أصحاب الفان

وقع إشكالٌ في قصة أَحَدِ الثَّلاثَةِ أصحابِ النارِ :  
كَمَا عَفَّ عن بِنْتِ عَمِّه لِه لِه تَمَالَى ، في تلك الحَالَة الَّتِي منعه  
خوفُ اللهِ تَمَالَى مِنْ وَقُوعِ المَحْظُورِ ، كيف لم يَتَزَوَّجْهَا ،  
مع أن الظاهرَ أَنها لَيْسَتْ بذاتِ زَوْجٍ ؟

وأشْكَلُ منه في الآخِرِ الَّذِي لما وَجَدَ والدِيه نَأْمِينِ  
- وقد حَلَبَ لهما غبوقهما - كَرِهَ أن يُوقِظَهما ، وكَرِهَ  
أن يعطى أَحَدًا من أهله وأولاده ، والصَّبِيَّة يتضاغون  
من الجوع ، كيف لم يَدْفَعْ حاجَةَ هؤلاء المُضْطَرِّين ،  
مع وَجُوبِ ذلك ، وأنه لا يُنْفَى البرُّ للوالِدَيْنِ ؟

فجاء الجوابُ لذلك بأن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،  
إنما ذَكَرَ في قِصَّةِ كُلِّ واحِدٍ من الثَّلاثَةِ أَعْلَى حَالَةٍ في نَيْلِ  
ذلك الخُلُقِ الفاضِلِ ، فذَكَرَ أَعْظَمَ عِفَّةٍ مُتَقَدِّرٍ ، وأَعْظَمَ بِرٍّ ؛

وأعظم وفاء، بقطع النظر عما يقترن بتلك القضايا من الأمور  
الأخرى، إذ ليست مقصودة ولا مرادة. وقد يكون ثم  
موانع وأعدار تعلم، أو لا تعلم. والله أعلم.

### المسألة الثالثة والعشرون

في منزلة الحياء من الدين وفوائده أخرى

روى أبو داود عن عائشة رضى الله عنها :

قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« إِذَا أَحَدُكُمْ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ ،

فَلْيَأْخُذْ بِأَنْفِهِ ، ثُمَّ لِيُصْرِفْ » (١) .

فيه مع ما يدلُّ عليه صريحه فوائده ، منها :

أنه ينبغي للمبدي أن يجتنب كل ما يُستقبِح ويُستحى

منه عند الناس من الأقوال والأفعال ..

ومنها أنه إذا احتاج إلى بيانه بقوله أو فعله ، فليستعمل

من المعارض القولية والفعلية ما يضيح به أفهام الناس إلى

خلاف الواقع ؛ فإنَّ حَدَثَ الإنسانِ الخارجِ منه ثوبان :

نوع يُستحى منه ، كالريح .

ونوع لا حياء فيه عادة ، كالرطاف ونحوه .

---

(١) رواه أيضاً الحاكم في (المستدرک) ١ / ١٨٤ وقال :

صحيح على شرطهما ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قالوا .

فَأَمَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ وُجُودِ الْحَدَثِ الَّذِي يُسْتَحَى مِنْهُ ، أَنْ يُنْمَسَكَ الْخَارِجُ مِنَ الصَّلَاةِ أَنْفَهُ ؛ لِيُظَنَّ النَّاسُ فِيهِ الرِّعَافَ دُونَ الرِّيحِ .

وما أَلْطَفَ هَذِهِ الْحِيلَةَ ... وَلِهَذَا نَقُولُ :

إِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ اسْتِعْمَالِ الْمَعَارِضِ وَالْحِيلِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا مَحْذُورَ فِيهَا ، بَلْ فِيهَا مَصْلَحَةٌ ، أَوْ دَفْعُ مَفْسَدَةٍ .  
وَمِنْهَا أَنَّهُ يَتَمَيَّنُ عَلَى مَنْ انْتَقَضَتْ طَهَارَتُهُ ، أَنْ لَا يَعْنَى فِي صَلَاتِهِ ، وَلَوْ عَزَمَ عَلَى قَضَائِهَا حَيَاءٌ مِنَ النَّاسِ . فَإِنَّ الْمُضِيَّ فِيهَا - وَلَوْ صُورَةً - مُحَرَّمٌ . وَالْمُحَرَّمُ لَا يَحِلُّ لِلْعَبْدِ أَنْ يَفْعَلَهُ ، مُرَاعَاةً لِلخَلْقِ .

وَمِنْهَا أَنَّ الْمَعَارِضَ الْفِعْلِيَّةَ كَهَذِهِ الْقَضِيَّةَ تُشْبِهُ الْمَعَارِضَ الْقَوْلِيَّةَ ، وَفِيهَا لِلْيَبِّ مَبْدُوحَةٌ عَنِ السَّكِّدِ ، وَسَلَامَةٌ مِنَ الذَّمِّ .

#### المسألة الرابعة والعشرون

في جواب عن كلام في « صيد الخاطر »

كلام « ابن الجوزي » في أول الفصول من « صيد الخاطر »  
في النفس منه شيء - أفتونا مأجورين .  
الجواب ، وبالله التوفيق : ابن الجوزي ، رحمه الله وغفر له ،  
إمام في الوعظ والتفسير والتاريخ .

وكذلك هو أحد الأصحاب المصنفين في فقه الحنابلة ،  
ولكنه - رحمه الله - خلط تخليطاً عظيماً في باب الصفات ،

وتَبِعَ فِي ذَلِكَ الْجَهْمِيَّةَ وَالْمُعْتَرِلَةَ ؛ فَسَلَّكَ سَبِيلَهُمْ فِي  
تَحْرِيفِ كَثِيرٍ مِنْهَا ، وَخَالَفَ السَّلَفَ فِي حَمَلِهَا عَلَى ظَاهِرِهَا ،  
وَقَدَحَ فِي الْمُثَبِّتِينَ ، وَنَسَبَهُمْ إِلَى الْبَلَاهَةِ .

وهذا الموضوع من أكبر أغلاطه ، ولذلك أنكر عليه  
أهل العلم ، وتبرأ منه الحنابلة في هذا الباب ، ونزهوا  
مذهب الإمام « أحمد » عن قوله وتخبيطه فيه . ومع ذلك فإن له  
في المذهب كتاب « المذهب » وغيره ، وله تصانيف كثيرة  
جدا حسنة ، فيها علم عظيم ، وخير كثير ، وهو محدود  
من الأكاير الأفاضل ؛ ولكن كل واحد مأخوذ من قوله  
ومثروك ، سوى النبي صلى الله عليه وسلم .

فكلامه في كتاب « التأويل » ، وكلامه في الفصول التي  
في أول « صييد الخاطر » ، كما أشرتُم إليها ، يجب الحذر منها  
والتحذير . ولولا أن هذه الكتب موجودة بين الناس ،  
لكان للإنسان مندوحة عن الكلام فيه ، لأنه من أكابر أهل  
العلم وأفاضلهم ، وهو معروف بالدين والورع والنفق ، ولكن  
لكل جواد كسوة . نرجو الله أن يعفو عنا وعنه .

وفي « صييد الخاطر » أيضا أشياء مُنتَقَدُ عليه ، ولكنها  
دون كلامه في الصفات ، مثل كلامه عن أهل النار .  
وفي الخوض في بعض مسائل القدر أشياء يعرفها المؤمن الذكي ،  
وإننا نأسف على صدورها من قبل هذا الرجل الكبير القدر .

### المسألة الخامسة والعشرون

لا اشكال في نص رتب فيه دخول الجنة

أو النجاة من النار ونحوهما على الشهادتين

الأحاديثُ الكثيرة جدًا التي فيها ترتيبُ دخول الجنة ،  
أو النجاة من النار ، أو كليهما ، أو الإسلام والإيمان ،  
على الشهادتين ، ليست مُشكلة ، بل هي - والله الحمد - واضحة .  
فكما أن الإيمان عند الإطلاق يدخل فيه جميع الشرائع  
الظاهرة والباطنة ، فكذلك الشهادتان ، فإن الشاهد لله  
بالوحدانية وعدم الشريك يقتضى كمالَ اعتقاده ذلك ، وكمالَ  
الإخلاص لله ، والقيامَ بحقوق العبودية كلها ، فإنها من  
التأله لله تعالى . فإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والصيام ،  
والحج ، ونحوها ، داخلة في ألوهية الله تعالى .  
كما تدخل أعمال القلوب فيها ، من الإنابة لله خوفًا  
ورجاءً ، ومحبةً وتعظيمًا ، ورجبة ورهبة .

وكذلك متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم داخلة  
في الشهادتين بأنه رسول الله .

فكمال القيام بالتوحيد والمتابعة يُوجب كمال الإيمان ،  
ويترتب عليه من الفضائل والثواب ، ما رتبّه الشارع على  
جميع الأقوال والأعمال الدينية ، ظاهرًا وباطنًا فإنها كلها ،  
تفصيل وقيام بذلك . . والله أعلم .



## المسألة السادسة والعشرون

في حديث «الوسوسة صريح الإيمان»

قوله في حديث الوسوسة :

« ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ » (١) .

و « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ » (٢) .

وذلك أن ما يقع في القلب من وساوس الشيطان ، أو إلقائه - إذا كان مُنافياً لما أخبر الله به ورسوله - فإن المؤمن لا يستريب في خبر الله ورسوله ، وما دلَّ عليه من المعاني والمقائد . والشيطان لا بُدَّ أن يُلقَى من الشُّبُهَاتِ والشُّكُوكِ ما يتوصَّل به إلى حُصولِ مُرادِهِ . ولكن ما مع المؤمن من الإيمان واليقين ينفي ذلك ، وَيَكْرَهُهُ أَشَدَّ الكَرَاهَةِ فلا يزال يكرهه ويدفعه حتى يستقرَّ الإيمانُ في القلبِ مُصَافِيًا من الأكدار ، سَالِمًا من الشُّبُهَاتِ .

فهذا صريحُ الإيمان الذي نفي الشُّبُهَاتِ والشُّكُوكِ ، والحمدُ لله الذي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ ، فلم يُدرِك من الإنسان إلا مُجَرَّدَ وَساوس ، لا قرارَ لها ولا ثُبُوت ، بل نفيها وكرهاتها يزدادُ به المؤمنُ إيمانًا ، والمؤمنُ إيقانًا . فالاستمادة منه من باب دفع الشرِّ والمُكْرِهِ والصَّائِلِ .

(١) رواه مسلم في (صحيحه) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه أبو داود ، من حديث ابن عباس ، رضي الله عنهما .

والرجوع إلى الإيمان بالله ورسوله ، والاعتراف  
بوحدانيته وصفاته من باب الرجوع إلى الأصل الثابت ،  
الذي يدفع بذاته وقوته كل شك .

وشبهة الاستمادة فيها الاستمانة بالله على دفعه ، والرجوع  
إلى الإيمان فيه الرجوع إلى فضله ورحمته . وهذا من أعظم  
الأسباب على الإطلاق في دفع هذه الشبهة التي هي من أعظم  
الشبهات ، بل هذا يدفع كل شبهة على الحق .

فتتحقق العبد الحق ، وعلمه علماً لا يستريب فيه ،  
علم أن كل ما ناقضه فهو باطل ، ولا يتم ذلك إلا  
بالاستمانة بالله وتوقيفه .

والله المستعان على حصول الخير ودفع الشر .

#### المسألة السابعة والعشرون

« اعملوا فكل ميسر لما خلق له »

لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن قضاء الله وقدره  
سابق للأعمال والحوادث ، وقال بمحض الصحابة : ففيم  
المعمل يا رسول الله ؟ أجابه بكلمة جامعة مزيله للإشكال ،  
موضحة لحكمة الله في قضائه وقدره ، فقال :

« اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له » .

وذلك شامل لأعمال الخير والشر ، وللآجال والأعمار  
والأرزاق وغيرها .

فإن الله بحكمته قد جعل مطالب ومقاصد ، وجعل لها  
طُرُقًا وأسبابًا ، فمن سلك طُرُقَهَا وأسبابها التَّامَّة يُسَّرَ لها ،  
ومن ترك السَّبَب ، أو فعَّله على وجه ناقص لا يُوَصِّل إلى  
مُسَبِّبه ، لم يُحْصِلْ له ، وَيُسَّرَ لِفِيْدِهِ .

فكما أن الأرزاق ونحوها منوطة بقضاء الله وقدره ،  
ومع ذلك إذا ترك العبدُ السَّبَبَ المُوَصِّلَ إلى الرِّزْقِ ،  
أو فعَّله على وجه ناقص ؛ لم يتم له ما أراد ، وإذا يسَّر له  
سببُ الرِّزْقِ من أي نوع كان ، يتيسَّر له بِحَسَبِهِ .

كذلك الأعمال المُوَصِّلة إلى الجنَّة : من يسَّرَ إلى سُلوكها  
تامة لا تنقص في شيء من مُكَمِّلاتها ، ولا وُجود لما يع  
من موانعها ، فقد علم أنه مخلوق للسعادة ؛ وضد ذلك بضده .  
فالقضاء والقدر موافق للأسباب ، لا مُنَافٍ لها ، شرعاً  
وعقلاً وحِسّاً ، فإنه قدَّرَ الأمورَ بأسبابها وطُرُقها ، وهو  
أهلمُّ بها ومن يسلسكها ، ومن لا يسلسكها . فسَبَقُ علمه  
وتقديره لها ؛ لا يُوجب ترك العمل ، وإنما يُوجب السَّعْيَ  
التَّامَّ لمن أحاط علمه بذلك ، وعرفه حقَّ المعرفة .

فكما أن من ترك النِّكاح ، وقال : إن قُدِّرَ لي ولد ؛  
جاءني ولو لم أنزج . . . ومن ترك النِّرس والحَرْث ،  
وقال : إن قُدِّرَ لي زرع وثمره ، حصلاً ولو لم أزرع . .  
ومن ترك الحركة في طلب الرِّزْقِ ، وقال : إن قُدِّرَ لي  
رِزْقٌ ، أتاني من دون سَعْيٍ وحركة . .

مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ، عُدَّ أَحَقَّ جَاهِلًا ضَالًّا . [فكذلك] من  
قال : سأترك الإيمان ، والعمل الصالح ، والله إن كان قدَر  
سمادتي حصلت ، فهو أعظم جهلا و ضلّالاً و حُمقاً من ذلك .  
وهذا واضح ، والله الحمد .

### المسألة الثامنة والعشرون

#### الاحتجاج بالقدر

الاحتجاج بالقدر على الشرك والكفر وأنواع المعاصي  
احتجاج باطل ؛ لأنه يدفع أمر الله ورسوله ، ويمتدّر به عن  
معاصيه لله ، وذلك من أكبر الظلم والجهل والضلال .  
وكذلك احتجاج العبد بعد وقوع ما يكره بأن يقول :  
لو أنني فعلت كذا ، كان كذا وكذا ، فإنه تقول على الله ،  
وتكذيب لقدره الواقع لا محالة . وأما الاحتجاج بالقدر  
على وجه الإيمان به ، والتوحيد لله ، والتوكل عليه ، والنظر  
إلى سبق قضائه وقدره ، فهو محمودٌ مأمورٌ به ؛ وكذلك  
الاحتجاج به على نعم الله الدنيوية والدنيوية ، فإنه يُوجب  
للعبد شهوداً منّة الله عليه ، يسبق قدره وإحسانه .

وكذلك إذا فعل العبد ما يقدر عليه من الأسباب النافعة  
في دينه ودنياه ، ثم لم يحصل له مراده بعد اجتهاده ؛ فإنه  
إذا اطمأن في هذه الحال إلى قضاء الله وقدره ، كان محموداً  
نافعاً للعبد ، مريحاً لقلبه ، كما قال صلى الله عليه وسلم :  
« وَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ : قَدَرَ اللَّهُ ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ » .

وكذلك إذا احتجَّ به ، بعد التَّوبة من الذَّنْب ، ومغفرةِ  
اللهِ له ، على وجهِ الإيمانِ به ، كان حسناً ، كما حجَّ آدمُ  
موسى عليهما الصَّلَاة والسَّلَام .

وكذلك ينفعُ النَّظْرُ إلى القضاء والقدر ، ليعتد العبد  
على الجِدِّ والاجتهاد في الأعمالِ النَّافِعةِ الدِّينِيَّةِ والدُّنْيَوِيَّةِ . فإنه  
إذا عَلِمَ أَنَّ اللهَ قدَّرَ الوُصُولَ إلى المطلبِ والمقاصدِ بالأسبابِ  
المأمورِ بها ، جَدَّ واجتهد ، عكس ما يظنُّه كثير من  
النَّالِطِينَ أَنَّ إثباتَ القَدَرِ يُبَيِّطُ ، بل يُنَشِّطُ العاملينَ أبلغ  
مما لو كان الأمرُ لم يُقدَّرْ له غاية . وكذلك ينفعُ النَّظْرُ إلى  
القَدَرِ عند وجودِ المخاوفِ المزعجة ؛ فإنه من علم أن ما أصابه  
لم يكن ليُخطئَه ، وما أخطأه لم يكن ليُصيبَه ؛ اطمأن قلبه ،  
وسكنت نفسه ، ولم ينزعج للأسبابِ المَخَوْفَةِ ، بل يتلقاها  
بسكينةٍ وطُمَأْنِينَةٍ ، ويقوم بما أمرَ بالقيامِ به عندها .

وكذلك نفعه في المصائبِ وحُلُولِ المِحَنِ عَظِيمٍ . فإنه من  
يؤمن بالله يَهْدِي قلبه . فإذا أُصيبَ بمصيبة يعلم أنها من عند الله ،  
رضِيَ وسلَّم لأمرِ الله وحُكْمِهِ ، واحتسب أجرَهُ لله وثوابه .  
فهذا التَّفْصِيلُ في مسألةِ النَّظْرِ إلى القضاء والقدر ،  
والاحتجاجِ به ، يأتي على جميعِ الأحوالِ ، ويتبيَّن أن منه  
ما هو مخمود ، ومنه ما هو مذموم . والله أعلم .

المسألة التاسعة والعشرون

في الكهرباء ونتائجها

قال الله تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ،  
حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَا لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٢) .

لم تزل حقيقة الكهرباء ونتائجها الباهرة ، وأعمالها  
المعجبية ، في طيِّ الخفاء والسكران ، ولم يصل إليها في غابر  
الأزمان عِلْمٌ أَيْ إنسان ، حتى تَرَقَّتْ مَعَارِفُ النَّاسِ ، وعلومهم  
الطبيعية ، فوصلوا إلى هذا الأمر العظيم ، والكنز الثمين ،  
وهو استخراج الكهرباء من المواد الأرضية والمائية والنارية  
وغيرها من المواد المتنوعة ، فحَقَّقُوا عِلْمَهَا ، وَقَرَعُوا نَتَائِجَهَا ،  
واخترَعُوا فُرُوعَهَا ، بعد ما اتَّقَنُوا أُسُولَهَا ، فأوجدوا بها  
المُخْتَرَعَاتِ الباهرة ، والصَّنَائِعَ الفَائِئِقَةَ ، وَأَوْصَلُوا بِهَا الْأَنْوَارَ  
وَالْأضْوَاتَ مِنَ الْمَحَالِّ الْمُتَبَاعِدَةِ ، وَالْأَقْفَارِ الشَّاسِعَةِ ،  
في أسرع من لمح البصر .

وكم ولدوا بها من أمور تبهرُ عقول المالمين ، وما زالوا  
ولا يزالون في ترقية مُخْتَرَعَاتِهَا وتفريعها .

(٢) اقرأ : ٥

(١) فصلت : ٥٣

أَفَلَيْسَ الَّذِي عَلَّمَ الْإِنْسَانَ الَّذِي كَانَ نَاقِصًا فِي عِلْمِهِ ، نَاقِصًا  
فِي إِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَعَمَلِهِ ، أَلَيْسَ الَّذِي عَلَّمَهُ هَذِهِ الْأُمُورَ الَّتِي  
لَمْ تَخْطُرْ بِبَالٍ أَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ ، بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّبَ الْمَوْتَى ،  
وَأَنْ يَجْمَعَ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ بِنَفْحَةٍ وَاحِدَةٍ ۱٩  
﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بِمُشْكُمُ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ (١) .

لَمْ تَزَلْ كَتَبَ اللَّهُ الْمُنْزِلَةَ عَلَى رُسُلِهِ ، وَلَمْ تَزَلِ الرُّسُلُ  
الْكِرَامُ ، تُقَرِّرُ أُمُورَ الْغَيْبِ وَالْمَعَادِ بِأَنْوَاعِ الْبِرَاهِمِينَ وَالْأَدَلَّةِ  
الَّتِي تَجْعَلُهَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَقْبَلُ الشَّكَّ . وَأَعْدَاؤُهُمُ الْمُكَذِّبُونَ  
بِرِسَالَتِهِمْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ مَا يَرُدُّ هَذِهِ الْأُمُورَ الْعَظِيمَةَ إِلَّا مُجَرَّدَ  
اسْتِعْمَادَاتِ اسْتِعْبُدُوهَا بِعُقُولِهِمُ الْقَاصِرَةَ ، وَآرَائِهِمُ الْكَاسِدَةَ .  
يَقُولُونَ : كَمَا أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ مُتَعَدِّرَةٌ عَلَى قُدْرَةِ الْمَخْلُوقِينَ ،  
فَكَذَلِكَ هِيَ مُتَعَدِّرَةٌ عَلَى الْخَالِقِ .

هَذَا حَاصِلُ مَا رَدُّوا بِهِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ ، وَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ  
الطَّائِفَةُ الْخَبِيثَةُ فِي نُمُوٍّ وَازْدِيَادٍ ، حَتَّى طَمَّ بِحُرْمٍ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ  
الْآخِرَةِ ، وَانْسَلَخُوا عَنْ أَدْيَانِ الرُّسُلِ مِنْ جَمِيعِ أُمُورِ الْغَيْبِ بِهَذِهِ  
الشُّبُهَةِ الْبَاطِلَةِ . وَنَشَأَ الْإِلْحَادُ ، وَطَفَى الْمَادِّثُونَ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ  
مَا لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِ عُقُولُهُمْ ، فَأَظْهَرَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ الْكُبْرَى وَالْحُجَّةَ  
الْمُعْظَمَى الدَّالَّةَ دَلَالَةً يَقِينَةً عَيْنِيَّةً عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَتْ بِهِ  
وَأَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ وَالْمَعَادِ ، فَرَأَى كُلُّ مَنْ

عنده أذنى عقل وإنصاف أن ما جاء به الرسول ، ونزل به القرآن ، هو الحق الصريح الذى صدقت له الآيات الآفاقية .  
فكل شبهة يُدلى بها أحد من المنكرين لما جاءت به الرُّسُل يستند فيها إلى الأمور الحسبية والمشاهدات المادية ، وأن الذى جاءت به الرُّسُل ، يُخالف ما زعموا من المحسوسات : فهذه الآية من أكبر ما يُزَلزل شُبُهَتهم ، ويذحض باطلهم ، ويرُدُّهم على أعقابهم مغلوبين مقهورين بالحق المؤيد بالمنقول والمنقول والمحسوس ..

فهذه المخترعات الناشئة عن الكهرباء قد كان الرُّسُل صلواتُ الله وسلامه عليهم يُخبرون بما هو دونها ، وما هو أهون منها ، فيظلُّ هؤلاء الضلال منها يسخرون ، وبمخبرها يُكذِّبون ؛ فلقد أراهم الله ما لم يكن لهم فى بال ولا حساب .  
( وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا )<sup>(١)</sup> .  
والمقصود أن وجود هذه الأمور الهائلة الحاصلة من نتائج نعم الله للآدمي بواسطة القوة التى وضعها الله فى الكهرباء ، يزداد بها المؤمن إيمانًا وبصيرة بما جاءت به الرُّسُل ، فيُضاف شاهد الإيمان إلى شاهد العيان ، ولا يبقى فى قلبه أذنى شك بصحة ما أخبرت به الرُّسُل ، فيكون بذلك من المؤمنين ، وتقوى الحجة التى لا يستطيع أحدٌ إنكارها على الجاحدين ، ويعلم بذلك أن تكذيبهم للرُّسُل وإنكارهم ما جاؤوا به



مُكَابَرَةٌ مَحْضَةٌ ، وَامْتِكَابَارٌ صِرْفٌ ، وَأَنَّهُ لَا شُبُهَةَ لَهُمْ فَضْلًا  
عَنْ أَنْ تَكُونَ حُجَّةً .

أَلَيْسَ الَّذِي أَقْدَرَ الْأَدَى عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ الْبَاهِرَةِ - مَعَ  
أَنْ قُدْرَتِهِمْ وَقُدْرَةُ سَائِرِ الْخَلْقِ لَيْسَ لَهَا نِسْبَةٌ أَصْلًا إِلَى  
قُدْرَةِ الْخَلْقِ الْعَالِمِ - بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْوَتِي ، وَيَجْمَعُ  
قَلَصِيهِمْ وَدَائِيهِمْ ، وَيَلْمُ مَا تَفَرَّقَ مِنْ أَجْزَائِهِمْ ، وَمَا تَلَاشَى  
مِنْ أَوْصَالِهِمْ ، فِي أَسْرَعٍ مِنْ لَمَحِ الْبَصْرِ ، وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ  
اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

أَلَيْسَ التَّنَادِي الَّذِي ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ  
النَّارِ ، مَعَ الْجَعْدِ الْعَظِيمِ ، كَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَرَاهُ الْمُنْكَرُونَ  
مَحَالًّا مَمْتَنَعًا ، فَجَاءَهُمْ مَا لَا قَبْلَ لَهُمْ بِدَفْعِهِ ؟

أَلَيْسَ إِخْبَارُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْرَائِهِ إِلَى بَيْتِ  
الْمَقْدِسِ ، وَمِعْرَاجِهِ إِلَى مَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ ، صَارَ مَحَلَّ فِتْنَةٍ  
وَاسْتِعْمَادٍ لِلْمُنْكَرِينَ ، مَعَ أَنَّ آيَاتِ الرَّسْلِ قَدْ تَقَرَّرَ عِنْدَ الْخَلْقِ  
خَرْقُهَا لِلْعَوَائِدِ ، فَهَوَّلَاءُ وَرَمَّةٌ أَوْلَيْكَ ، فَلْيُنْكَرُوا نَقْلَ  
الْأَصْوَاتِ وَالْأَنْوَارِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَنْطَارِ الشَّاسِعَةِ .

فَلَوْ أَخْبَرَهُمُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ،  
أَنَّ النَّاسَ سَيَطِيرُونَ فِي الْهَوَاءِ ، وَيَتَخَاطَبُونَ فِي مَشَارِقِ  
الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ، وَغَيْرِهَا مِمَّا ظَهَرَ وَسَيُظْهِرُ ، فَهَلْ تَظُنُّهُمْ  
إِلَّا يَزْدَادُونَ لَهُ تَسْكَدِيْبًا ، وَبِهِ سُخْرِيَّةٌ ؟

ولهذا من حكمة الله أن الله لم يُصَرِّح بِذِكْرِ هَذِهِ الْأُمُورِ ،  
لأن الناس مُؤَلَّمُونَ بِمَدَمِ التَّصَدِيقِ بِمَا لَمْ يَرَوْهُ أَوْ يَرَوْا نَظِيرَهُ ،  
فَلَمْ يُصَرِّحْ بِذِكْرِهِ ، رَحْمَةً بِالْعِبَادِ ؛ وَلَسَكُنَّ ذِكْرُ فِي غَيْرِ  
آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ ، بِحَيْثُ إِذَا وَقَعَتْ هَذِهِ  
الْأُمُورُ ، فَهَمَّ النَّاسُ دَلَالَتَهُ عَلَيْهَا .

فَالْمُؤْمِنُ يَسْتَفِيدُ غَايَةَ الْفَائِدَةِ إِذَا نَظَرَ لِلْمُخْتَرَعَاتِ الْحَاضِرَةِ  
بِنُورِ إِيمَانِهِ ، وَدَلَالَتِهَا عَلَى الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ .

وَلَا شَكَّ أَنَّ فَائِدَةَ الْمُؤْمِنِ مِنْ مَعْرِفَتِهَا ، أَعْظَمُ مِنْ فَائِدَةِ  
مَنْ اخْتَرَعَهَا ، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا فِي أَمْرِ دِينِهِمْ ، وَلَا فِي أَمْرِ  
دُنْيَاهُمْ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ وَبِالْآ عَلَيْهِمْ !  
فَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ لَا يُزَيِّغَ قُلُوبَنَا ، وَأَنْ يَهْدِينَا إِلَى الصِّرَاطِ  
الْمُسْتَقِيمِ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ .

### المسألة الثلاثون

الوقت لك أو عليك

الوقت : إما لك رِبْحٌ وَمَنْعَمٌ ، [وإما] عليك وَزْرٌ وَمَأْتَمٌ ،  
وإما خَسَارَةٌ وَتَفْوِيتٌ لِلْمَنَافِعِ .. وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَقْسَامُ لَا بَدَّ  
لِلْإِنْسَانِ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهَا ، فَمَنْ كَانَ وَقْتُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ مِنْ  
صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَقِرَاءَةٍ وَذِكْرِ وَجِهَادٍ وَحُجٍّ وَعِلْمٍ وَقِيَامٍ بِحَقِّ اللَّهِ  
أَوْ بِحَقِّ الْخَلْقِ ، فَهُوَ لَهُ مَنْعَمٌ وَرِبْحٌ ، وَسَيُحْمَدُ غَيْبَةً بَعْدَ  
حِينَ ، وَسَيُنْتَبِطُ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ . وَلَا بَدَّ لِمَنْ كَانَ عَلَى هَذَا

الوصف من الرّاحات ، واستعمال ما يُعين على العبادة من استعمال الطّيّبات . وهذه الوسائل ينسحب عليها حكم الوقت ، وتكون عبادات مع النيّة الصّالحة . ومن كان وقته في الشرّ وعمل المعاصي ، والإضرار على ما يُسخطُ الله تعالى من جميع أجناس المعاصي المتعلّقة بحقّ الله ، أو حقّ خلقه ، فهو يسمّى إلى دار الشّقاء ، وعاقبته أوخم العواقب ، وسيجد غيباً أعماله إذا انقطعت الأسباب . فإن تمتع في الدنيا قليلاً أعقبه ذلك حزناً طويلاً . ومن كان وقته في الغفلات والاشتغال بما لا يُعين من اللذات والمباحات ، فقد خسر وقته الذي هو أنفوس من كل نفيس ، وخسر خسرانا مبيّنا ، وفاتته المتاجر والأرباح . فسبحان من فاوت بين عباده هذا التفاوت :

﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ،  
وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ (١)

#### المسألة الحادية والثلاثون

في مقاومة الفقر والجهل والمرض

كثير بحث الناس على اختلاف طبقاتهم ، وتباين أقدارهم ، في السعى في مقاومة الجهل والفقر والمرض ، والسعى إلى ذلك بكل الوسائل . وزعموا ، أو أكثرهم ، أنهم ظفروا في هذه المهمة الكبيرة ظفراً لم يصل إلى قريب منه الأولون

والآخرون ، وصاروا يتَّبِعُونَ ويفتخرون بذلك ، وأن هذا العصر هو عصر النور والرقي والتقدم الباهر . وأن هذه المقاومة لهذه الأعداء الثلاثة ، التي يروون الأعداء والعداوة مُنحصرة فيها : قد نجحت نجاحًا تامًا ، وصاروا يصفون ما وصلوا إليه بأوصاف كثيرة ، وخذعوا وانخدع بهم غيرهم في هذه الدعاوى التي إذا حُققَت ، وُبُحث فيها عن الغايات والمقاصد ، وعن الوسائل وما توصل إليه ، وُجد الأمر على خلاف ما يقولون ، والواقع يُعاكس ويُناقض ما كانوا يظنون .

وذلك أن الوسائل المطلوبة يُقصد بها غاياتها الشريفة ، ومقاصدها العالية ، ومنافعها السامية . فتى أوصلت الوسائل إلى الخيرات ، والأمور العالية ، وقمعت الشرور والأضرار والمفاسد ، فهي التي يفتخر بها المفتخرون ، ويتنافس فيها المتنافسون ، ولِمثالها فليعمل العاملون .

ومتى لم تُحصَل غاياتها النافعة الشريفة ، بل تُوسل بها إلى الأمور الضارة الخسيسة ، صار ضررها كبيرًا ، وشرها مستطيرًا ، وعادت نعمة على أهلها .

فالعلوم والمعارف يُقصد بها هداية القلوب ، وترقية الأخلاق ، ومعرفة الطرق إلى الاستفادة الدنيوية والدينية من الصنائع والأعمال ، وكيفية الوصول إلى نافعها ، وتوفّي ضررها .

والمقصود من مقاومة الفقر والأمراض على اختلاف أنواعها بجميع طرقها ، التوسُّل بالأبدانِ الصحيحة القويَّة إلى كلِّ عملٍ نافعٍ دينيٍّ ودُنْيويٍّ ، والتوسُّل بالغنى إلى التحرُّر من رِقِّ المخلوقين ، وقيام المعاشِ الضرورية والكفالية ، وقيام المشاريع الدينية والدنيوية ، والتوسُّل بذلك كله إلى القيام بما خُلِقَ له العبادُ من معرفة الله وعبادته : وحده لا شريك له ، وقيام الدين الحقِّ ، والذبُّ عنه ، ومقاومة أهل الباطل ، وقيام جميع المصالح الكلية الدنيوية والدنيوية .

فتى كان سَعَى الناسِ في تحصيل العلوم والمعارف ، وفي الغنى وقوة الأبدانِ وصحتها ، لتلك المقاصد الجليلة ، عاشوا عيشة طيبة وحياة طيبة ، وتمَّ لهم الرثيُّ الروحيُّ والجسديُّ ، وهو إصلاح الدين وإصلاح الدنيا ، وحصلت لهم الراحة التامة ، والسلم الدائم ، والحضارة الصحيحة .

ومتى كانوا يَمَكُسُ ذلك ، وكان سَعِيهِمْ مقصورًا على الأمور الماديَّة ، والأغراض الجسدية ، والأهواء النفسية ، ولم يكنْ لهم التفتُّ إلى ما خُلِقُوا له من صلاح القلوب ، وصلاح الأخلاق ، والإخلاص للخالق ، والإحسان إلى المخلوق - صارت هذه الأمور وبالأعلى عليهم ، وصار شرُّها غالبًا لخيرها ، وضرُّها مُزِييًا على نفعها ..

والتاريخ والواقع يشهدان بذلك ، فاعتبرْ بهذا الأصلِ أحوالَ الخلقِ ، تجد الأمرَ مُطابِقًا لما ذكرنا مُطابِقةً صحيحةً .

### المسألة الثانية والثلاثون

في الميزان بين ما يخرج من الدين من الكفر والنفاق وما لا يخرج الحمد لله . يتضح هذا بذكر أصل كبير ، دلّ عليه الكتاب والسنة ، واتفق عليه سلف الأمة .. وهو أن الناس ينقسمون إلى ثلاثة أقسام :

قسمٌ خيرٌ لا شرّ فيه ، وقسمٌ بالمعكس ، والقسم الثالث : ما يجتمع فيه خيرٌ وشرٌ ، وإيمانٌ ونفاقٌ ، وإيمانٌ وكفرٌ . وهذه الأقسام إنما تتم [معرفتها] بمعرفة حقيقة الإيمان ، ومعرفة ما يضادّه من كفرٍ ونفاقٍ ومنصية ، وبحسب اتصاف العبد بذلك .

أما حقيقة الإيمان الصحيح التام ، فهو الإيمان بجميع ما أمر الله به ورسوله من أصوله الكليّة والجزئية ، والاعتراف بذلك ، والانقياد ظاهرًا وباطنًا لطاعة الله ورسوله . فمَن كان العبد مُتَحَقِّقًا بأصول الإيمان ، مُنقادًا بقلبه وبدنه لطاعة الله ورسوله ، قد قام بجميع ذلك اعتقادًا وانقيادًا وطاعةً ؛ فهو المؤمن حقًا الذي اجتمع فيه الخيرُ كلّه ، وتتمت له السعادة والفلاح .

ومتى فقد الأمرين ، أو كليهما ، فهو كافرٌ خارج من الدين : إمّا مُنَافِقٌ يُظهر الإيمان ، ويُبطن الكفر ، وإمّا كافرٌ مُعلنٌ بكفره .

ومتى كان معه أصل الدين ، واعتقاداته المُجمِلة ، ولكنه  
يُخِلُّ بكثيرٍ من واجباته ، ويتجرأ على المحرّمات ، فهذا  
قد اجتمع فيه خيرٌ وشرٌّ ، وأسبابٌ مُوجِبةٌ للثواب ، وأسبابٌ  
مُوجِبةٌ للعقاب بحسب ذلك . فمن تلك الخِصال خِصال نصّ  
الشّارع على أنها من النّفاق ، أو صاحبها مُشبهٌ للمُنَافقين ،  
كالكسَل عن الصّلاة ، والرّياء ، وإخلاف الوعد ، والكذب  
والفدر ، وعدم الوفاء بالمهد ، وغير ذلك . فهذا من النّفاق  
الأصغر الذي يُوجب العقوبة ، ويمنع من المثوبة ، ويُخرج  
العبدَ من الإيمانِ الكاملِ ، ويدخله في أوصاف المُنافقين ،  
بحسب ما فيه منها ، ولكنه لا يُخرجُ العبدَ من الإيمان .  
وكذلك الكُفر والشُّرك : منه أكبرٌ ، مُخرِجٌ من الدين ،  
كالتكذيب لله ورسوله ، والشُّرك في عبادة الله : بأن يصرف  
من العبادات شيئاً لغير الله من المخلوقات .  
ومنه كُفر وشرك أصغرٌ ، كالاقتتال بين المسلمين ، والنّياحة ،  
والتبرُّؤ من النسب ، والرّياء ، ونحو ذلك ، مما أطلق الشّارع  
عليه الكُفر أو الشُّرك ، وهو لا يُخرِجُ من الدين ، فإنه من  
شَمبِ الكُفر والشُّرك ، ولهذا يجتمع في العبدِ خِصالُ إيمان ،  
وخِصالُ كُفر ونفاق ، وهذا هو الذي دلّ عليه الكتاب  
والسُّنة ، وهو الواقع ، وشواهد هذا الأصل الكبيرِ من  
القرآن والسُّنة ، كثيرةٌ جداً . والله أعلم .

### المسألة الثالثة والثلاثون

\* سُئِلَ عن بِلَادِ الشُّرْكَ : مَا تَصِيرُ بِهِ بِلَادَ إِسْلَامٍ ؟  
وعَمَّا قَارَبَ لَنَا مِنْ بِلَادِ الْعِرَاقِ وَالْبَحْرَيْنِ وَغَيْرِهَا :  
هَلْ هِيَ بِلَادُ إِسْلَامٍ ؟ وَمَا يُطْلَقُ عَلَيْهَا ؟  
وعن السَّفَرِ لِبِلَادِ الشُّرْكَ لِأَجْلِ التِّجَارَةِ ، وَعَمَّنْ يُقِيمُ فِيهَا  
تَمَّ يَرْغَبُ فِيهَا ، وَيَتَأَهَّلُ وَيَسْكُنُ ؟  
وعن إِظْهَارِ الدِّينِ فِي بِلَدِ الْمُشْرِكِينَ ، وَمَا يَلْزَمُ الرَّجُلَ  
مِنَ الْوَلَاءِ ، وَالْتِبَاءِ ، وَالنُّطْقِ بِتَسْكَفِيرِ الْكَافِرِ ؟

الجواب : هذه المسائل ، ولله الحمد ، معروفة ، وكلامُ أهلِ  
العِلْمِ فِيهَا معروف ، نُورِدُ مَا تيسَّرَ لَنَا مِنْهُ ، وَنَرْجُو اللهُ أَنْ  
يُرِينَا الْحَقَّ حَقًّا ، وَيَرْزُقَنَا اتِّبَاعَهُ ، وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا ، وَيَرْزُقَنَا  
اجْتِنَابَهُ ، وَيَجْعَلَ عَمَلَ الْجَمِيعِ خَالصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ .  
فَنَقُولُ : قَدْ ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ ، رَحِمَهُمُ اللهُ ، الْفَرْقَ بَيْنَ  
بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَبِلَادِ الْكُفَّارِ .

فبِلَادِ الْإِسْلَامِ : الَّتِي يَحْكُمُهَا الْمُسْلِمُونَ ، وَتَجْرِي فِيهَا  
الْأَحْكَامُ الْإِسْلَامِيَّةُ ، وَيَكُونُ النُّفُوذُ فِيهَا لِلْمُسْلِمِينَ ،  
وَلَوْ كَانَ جُمُهورُ أَهْلِهَا كُفَّارًا .

وبِلَادِ الْكُفْرِ ضِدُّهَا ، فَهِيَ الَّتِي يَحْكُمُهَا الْكُفَّارُ ،  
وَتَجْرِي فِيهَا أَحْكَامُ الْكُفْرِ ، وَيَكُونُ النُّفُوذُ فِيهَا لِلْكَفَّارِ .  
وهي على نوعين : بِلَادُ كُفَّارِ حَرْبِيِّينَ ، وَبِلَادُ كُفَّارِ



مهادين ، بينهم وبين المسلمين صلح وهدنة ، فتصير إذا كانت الأحكام للكفار والنفوذ لهم ، دار كُفَّار ، ولو كان بها كثير من المسلمين . وكلُّ أحد يعرف ولا يشكُّ أن العراق والبيحَرين وغيرهما من البلاد المُجاورة ونحوها : من المستعمرات الإنجليزية ، وأنهم هم الذين لهم النفوذ والحُكم بها ، ولكنهم يدخلون في الكفار المهادين ، لما بينهم وبين المسلمين من الأمان في عدم تمدد أيٍّ أحدهما على الآخر ، وارتباط التجارة ، كما هو معروف لكلِّ أحد .

وأما الهجرة من دار الكفار ، سواء كانت دار حرب أو دار صلح وهدنة ، فنسوق فيها كلام أهل العلم وأدلتهم فيها بلفظها . فقال في « المعنى » :

#### فصل في الهجرة

وهي الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ . ﴾ (١) الآيات ، وأورد الأدلة إلى آخره ، وأطال الكلام رحمه الله ، فمن أراد المراجعة ، فمليه به .

وقال أيضاً في « الإفتاح » وشرحه :

(وحكم الهجرة ..) إلى آخره . فمن أراد المراجعة فليراجعه ..

وكذلك ذكر في « المنتهى » وشرحه ..

وكذلك ابن مفلح في « الفروع » . وكلام أهل العلم في هذه المسألة كثير ، [ وم ] متفقون على الوجوب إذا عجز عن إظهار دينه ، واستجاباه إذا كان قادراً على ذلك ، وليس لأحد خروج عما قلوا ، واستدلوا عليه وعلّوه .

يبقى علينا : ما هو إظهار الدين ؟ وما هو الدين ؟  
فالإظهار ضد الإخفاء ، فالظاهر لدينه هو الذي يتمكن من إعلانه ، ولا يضطهد دلي ذلك ، ولا يخفيه . والعاجز عن الإظهار هو الذي لا يقدر على إظهار إيمانه وتوحيده ، وعقائده وشرائعه . والدين لا يحده ولا يفتر بتفسير أحسن ولا أوضح من تفسير النبي صلى الله عليه وسلم ولا أجمع ، فإنه فسره بجموع عقائد الدين وشرائعه وحقائقه ، حيث بين أن الإيمان هو : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر : خيريه وشره . .

والإسلام هو : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام .

والإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك . وقال في آخره :

« هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم » ، أو « دينكم »  
رواه البخاري وغيره .

فجعل ذلك كله هو الدين ؛ فتي قدر الإنسان على إظهار  
هذه الأمور ، وعدم إخفاء شيء منها ، فهو المظهر لدينه .  
ومتى عجز عن إظهارها أو إظهار شيء منها ، فهو عاجز  
عن إظهار دينه . وهذا بحمد الله واضح لا إشكال فيه .  
فلو كان يقدر أن يُصَلِّي ويصوم ، لكن لا يقدر أن  
يُظهر توحيدَه وإيمانه وعقيدته ، كان عاجزاً عن إظهار دينه .  
وقد تقدم أن بلاد الكفر نومان :

بلاد حزب واضطهاد ، وبلاد عهد وهُدنة وأمن .

ويدل على هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لأصحابه  
أن يُهاجروا من «مكة» ، حيث كانت بلاد كفر واضطهاد  
وأذية وفتنة للمؤمنين ، إلى بلاد الحبشة ، وهي بلاد  
كفر ، ولكنها بلاد أمن واطمئنان ، وهي أخف بكثير  
من بلاد الفتنة ، والشتر القليل أهون من الشر الكثير .

ولهذا تمكَّن الصحابة رضي الله عنهم من إظهار دينهم  
فيها . حتى إن الوَفْد الذي أرسلته قُرَيْش إلى التجاشي بهدايا  
كثيرة ، عاجلوا التجاشي في تسليم المؤمنين إليهم ، فلم يفعله ،  
حتى قالوا له : إنهم آيَقُولُونَ في عيسى قولاً عظيماً -  
لتُهيِّبَه على الفُضْب عليهم ، لعله يسلمهم إليهم -  
إنهم يقولون : إن عيسى عبد الله ورسوله .

فلما دعا النجاشي جعفرًا وأصحابه ليسألهم عما قالوه عنهم ، فلم يَسْتَمِعْهُمْ رضى الله عنهم حتى صرَّحوا بمقالاتهم بين يَدَيِ النجاشي ، وأنه عبد الله ورسوله ، فاعترف النجاشي بالحق ، وطرَدَ الوَفْدَ ، وأرجمهم خائبين ، ولم يكن عند النجاشي قبل هذا المجلس علم بما كانوا يقولونه في عيسى .

والمقصود أنه لا بد من إظهار أصول الدين وشرائعه . فإذا نظرنا إلى ما حولنا من الممالك المذكورة في هذه الأوقات ، وجدنا أنه يتمكن كلُّ أحدٍ من إظهار دينه ومُعتقده ، لانتشار الحرِّيَّةِ ، فصار المؤمن والكافر والبرُّ والفاجر كلُّ يُعلِنُ بما اعتقده ، وإن حصل تقصير أو أفتتان فهو من كثرة الشرِّ ، ولا يُؤْتَى العبدُ إلا من قِبَلِ نفسه ، ولهذا كان الدعاة لمذهب السلف ، كالشيخ محمد رشيد ، والالوسيين ، والشيخ قاسم بن مهزح وغيرهم ، يُظهرون من مذهب السلف والدعوة إلى الدين الإسلامى أصوله وشرائعه ، ما هو معروف معلوم من غير مُعارضٍ ولا مُمانع . وكذلك من عنده دين من أهل نجد إذا ذهبوا لتلك الأقطار المذكورة ، فإنهم يتمكنون من إظهار ما هم عليه ، وهذا أمر لا يُشَكُّ فيه . ولكن من أعظم الأخطار الإقامة مع العائلة هناك ، وإدخالهم في المدارس التي لا يخرج منها أحد ، إلا وهو مُختَلِّ العقيدة ، لا ما شاء الله .

وبهذا الذي ذكرناه يعلم أن من كان عاجزًا عن إظهار دينه لا يَجِلُّ له المُقام بلا شك ، لكن بشرط قُدْرته على الهجرة .  
وأما السُّفر إلى هذه الأقطار للتَّجَارِ ، مع حِفْظ العبد لِدِينِهِ ، وقُدْرته على إظهارِهِ ، فما المانع من ذلك ؟

والمسلمون ما زالوا يُسافرون للتَّجَارَةِ لبلاد الكُفْر في عهدِ الصَّحابة ، رضى الله عنهم ، وقد ذكر ذلك أهلُ العلمِ رَحِمَهُمُ اللهُ تعالى ، وذكروا ما يدلُّ عليه .

فقال في « المُنْعَى » : مسألة : وإذا دخل إلينا منهم تاجرٌ حَزَبِيٌّ بأمانٍ ، أُخِذَ منه العُشْرُ .

وقال أبو حنيفة : لا يُؤْخَذُ منهم إلا أن يكونوا يأخُذونَ مِنَّا شيئًا ، فنأخذُ منهم مثله ، لما رَوَى عن أبي مجليز ، لاحق ابن حميد ، قال :

قالوا لِعُمَرَ : كيف نأخذُ من أهل الحرب إذا قدموا علينا ؟

قال : كيف يأخُذونَ منكم إذا دخلتم إليهم ؟

قالوا : العُشْرُ . قال : فكذلك خُذوا منهم .

وعن زياد بن حدير قال : كنا لا نُعَشِّرُ مسلمًا ولا معاهدًا .

قال : من كنتم تُعَشِّرونَ ؟

قال : كُفَّار أهل الحرب ، فنأخذُ منهم كما يأخُذونَ منا .

وكذلك ذكر صاحب « الشرح الكبير » : وهذا صريح في

اتِّجار الصَّحابة ومن بعدهم من المسلمين [ ودخولهم ] إلى دارِ

الحرب بالتَّجَارَةِ ، فكيف دار الذين لهم عهد وأمان وهُدنة ؟

وقال ابن مفلح في « الفروع » : وأهل أُنْحَرِب إذا دخلوا  
إلينا تجارًا بأمان ، أُخِذ منهم العُشْر دفعة واحدة ، سواء عَشَرُوا  
أموال المسلمين إذا دخلوا إليها أم لا .

وعنه : إن فعلوا ذلك بنا ، فعلناه بهم . وإلا فلا ،  
وقد ذكر هذه المسألة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في  
« الجَمْع بين الشرح والإنصاف » فقال : ومن دخل دار  
الحرب رسولاً أو تاجرًا بأمانهم ، فنجياتهم مُحَرَّمَةٌ عليه .  
إنما أعطوا الأمان مشروطًا بترك خيانتهم .

وكذلك ذَكَر ذلك في « الإقناع » و « المنتهى » وغيرها  
من كتب أهل العلم .

وكلُّ هذا دليل على جَوَاز الاتِّجار [ في ] بُلدانهم ، بشرط  
أن يتمكن الإنسان من إقامة دينه وحفظه .

ومن فضل الله أنَّ أهل « نجد » أعزَّاء في كلِّ مكان  
يأتون إليه من هذه الأقطار ، وذلك بفضلِ الله ، ثم بفضل  
سَمِي حكومتهم ، يتمكنون من إظهار دينهم ومعتقداتهم .  
ومن قصَّر في شيء من ذلك ، فذلك من قِبَلِ نفسه .

ومن تأمَّل الأمور ، وعرف الواقع ، لم يبقِ عنده ريب  
في هذا ولا شك . والله الموفق .

وأما قولك : وما يلزم الإنسان في : الولاء ، والبراء ،  
والنطق بتكفير الكافر ؟

فهذه مسألة مبنيّة على أصل كبير ، وهو أن الله تعالى عقد الأخوة والمُؤالاة والمحبّة بين المؤمنين كلهم ، ونهى عن مؤالاة الكافرين كلهم من يهود ونصارى ومجوس ومُشركين ومُلاحدين ومارقين وغيرهم ، ممّن ثبتت في الكتاب والسنة الحكم بكفرهم . وهذا الأصل مُتفق عليه بين المسلمين ، ودلائل هذا من الكتاب والسنة كثيرة معروفة . فكل مؤمن موحّد تارك لجميع المكفّرات الشرعية ، فإنه يجب محبّته ومُؤالاته ونُصرتَه ، وكلُّ من كان بخلاف ذلك ، فإنه يجب التقرب إلى الله ببُغضه ومُعاداته ، وجِهاده باللسان واليد بحسب القدرة .

فالولاء والبراء تابع للحبّ والبُغض ، والحُبُّ والبُغض هو الأصل ، وأصل الإيمان أن تُحبّ في الله أنبياءه وأتباعهم ، وأن تُبغض في الله أعداءه وأعداء رُسله . وكلُّ من حكم الشرع بتكفيره فإنه يجب تكفيره . ومن لم يكفّر من كفره الله ورسوله ، فهو كافر مُكذّب لله ورسوله ، وذلك إذا ثبت عنده كفره بدليل شرعي . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وإن حصل لكم إشكال في هذا الكلام ، أو زيادة في البحث ، فالأحسن أن يكون شفهيًا .

والله تعالى يتولانا وإياكم برحمته ، ونسأله أن لا يَكِلَنَا إلى أنفسنا طرفة عين . وصلى الله على نبيّنا وآله وصحبه ومسلم .

المسألة الرابعة والثلاثون  
في اختلاط المسلمين بالكفار

الاختلاط بين المسلمين والكفار الذي لا يحصل منه إلا شرٌّ وضرر وتهاون بالدين ، ورغبة في أمور الكفار وأحوالهم ؛ فهذا من أعظم المنكرات وأشدّها ضرراً .

وعلى ولاة الأمور - وفقهم الله لإقامة الدين - إذا ابتلوا بمثل هذا الاختلاط ، أن يراقبوا المسلمين ، ويُنزِئُوهم بإقامة دينهم ، ويمنعوهم أشدّ المنع من مجارة الكفار على التهاون بأمر الدين ، ويفقدوهم تفقدًا دقيقًا ، فإن خلطتهم لهم فيها خطر كبير .

فيجب أن يتلافى هذا الخطر من لهم الأمر ، وهم المسؤولون عن ذلك ، المتميّنين عليهم .  
نرجو الله تعالى أن يأخذ بنواصيرهم إلى الخير ، إنّه جواد كريم .

المسألة الخامسة والثلاثون  
في آداب العظم والانتعام

\* ما الآداب التي ينبغي للعالم والمتعلّم التخلّق بها ؟

الجواب : أصلُ الأدب لسكّن منهما ، الإخلاص لله ، وطلب مرضاته ، وقصد إحياء الدين ، والافتداء بسيد المرسلين .  
فيقصد وجه الله تعالى من تعلّمه وتعليمه ، وتفهمه وتفهمه ،



وفي مُطالعتِه ومُدارستِه ومُراجعتِه ، وأن يُزِيل عن نَفْسِه  
وغيره مَوْتَ الجُهْل وظُلْمَتِه ، وَيُنِيرَ قلبه وَيُحْيِيه بِالْعِلْمِ النّافِعِ ؛  
فإن العِلْمَ نورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ في الظُّلُمَاتِ وَحِنْدِسِ الجِهَالَاتِ .  
فكلّما ازداد عِلْمًا ازداد نورًا بِمَعْرِفَةِ الحَقِّ مِنَ الباطل ، والهدى  
من الضلال ، والحلال من الحرام ، والصّحيح من الفاسد .  
وعرف مَرَاتِبِ الأشياء ، وطُرُقِ الخَيْرِ مِنَ الشَّرِّ .

فالْعِلْمُ عِبَادَةٌ تَجْمَعُ عِدَّةَ قُرْبَاتٍ : التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِالِاشْتِغَالِ  
بِهِ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْأَنْمَةِ نَصَّوْا عَلَى تَفْضِيلِهِ عَلَى أُمَّهَاتِ الْعِبَادَاتِ ،  
وذلك في أَوْقَاتِهِم الزَّاهِرَةَ بِالْعِلْمِ ، فَكَيْفَ بِهَذِهِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي  
تَلَاثَى فِيهَا [أَوْ] كَادَ أَنْ يَضْمَحِلَّ - وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْ مِيرَاثِ النَّبِيِّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَأَنْ مِنْ سَلَكِ طَرِيقًا يَلْتَمَسُ فِيهِ عِلْمًا ،  
سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَنَفَعَهُ وَاصِلِ لِمُصَاحِبِهِ وَمُتَمَدِّدِ  
إِلَى غَيْرِهِ ، وَنَافِعِ لِمُصَاحِبِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا . وَإِذَا انْقَطَعَتِ الْأَعْمَالُ  
بِالموت ، وَطُوبِيَتْ صَحِيفَةُ الْعَبْدِ ، فَأَهْلُ الْعِلْمِ حَسَنَاتُهُمْ تَزِيدُ  
كَمَا انْتَفَعَ بِإِرْشَادِهِمْ ، وَاهْتَدَى بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ .

فحَقِيقٌ بِالْمَاقِلِ المَوْفِقُ أَنْ يُنْفِقَ فِيهِ نَفَائِسَ أَوْقَاتِهِ ،  
وَجَوَاهِرَ عَمْرِهِ ، وَأَنْ يَعِدَّهُ لِيَوْمِ فَقْرِهِ ، وَفَاقَتِهِ . وَيُنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ  
أَنْ يَصْبِرَ عَلَى التَّعْلِيمِ ، وَيَبْذُلَ جِهْدَهُ فِي تَفْهِيمِ كُلِّ طَالِبٍ  
مَا يَتَحَمَلُهُ ذَهَنُهُ ، وَلَا يَشْغَلُهُ بِكَثْرَةِ الْقِرَاءَاتِ ، أَوْ بِمَا لَا يَتَحَمَلُهُ  
ذَهَنُهُ ، وَأَنْ يُنَشِطَهُ عَلَى الدَّوَامِ ، وَيُكْثِرَ مِنْ سِوَالِهِ وَامْتِحَانِهِ ،  
( ٨٢ - فتاوى )

وَيَمُرُّنَهُ عَلَى الْمُبَاحَثَةِ وَتَصْوِيرِ الْمَسَائِلِ ، وَبَيَانِ حِكْمَتِهَا  
وَمَاخِذِهَا ، وَمِنْ أَيْ الْأُصُولِ الشَّرْعِيَّةِ أَخَذَتْ ، فَإِنَّ مَعْرِفَةَ  
الْأُصُولِ وَالضُّوَابِطِ ، وَاعْتِبَارِهَا بِالْمَسَائِلِ وَالصُّورِ ، مِنْ أَنْفَعِ  
طُرُقِ التَّعْلِيمِ وَكَلِمَا ذَاقَ طَالِبُ الْعِلْمِ لَذَّةَ فَهْمِهِ ، وَحَسَنَ مَاخِذِهِ ،  
ازْدَادَتْ رَغْبَتُهُ ، وَقَوِيَ فَهْمُهُ .

وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَقِّظَ فَهْمَهُ بِكَثْرَةِ الْبَحْثِ ، وَالسُّؤَالِ  
وَالْجَوَابِ ، وَيُرِيَهُ السَّرُورَ إِذَا أوردَ عَلَيْهِ سَوْأَلًا أَوْ إِشْكَالًا ،  
أَوْ عَارِضَهُ بِمَا قَالَهُ ، فَإِنَّ الْقَصْدَ النِّفْعَ ، وَالْوَصُولَ لِلْحَقِّ ،  
لَا الْإِتِّصَارَ لِلْقَوْلِ الَّذِي يَقُولُهُ ، وَالْمَذْهَبَ الَّذِي يَصِيرُ إِلَيْهِ ؛  
بَلْ إِذَا أُرْشِدَهُ مَنْ دُونَهُ إِلَى خَلَلٍ بِمَا قَالَهُ ، شَكَرَهُ  
عَلَيْهِ ، وَبَحَثَ مَعَهُ بَحْثًا يَقْصِدُ مِنْهُ الْوَصُولَ إِلَى الْحَقِيقَةِ ،  
لَا نَصْرَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الطَّرِيقَةِ .

وَرَجُوعَ الْمُتَعَلِّمِ إِلَى فَهْمِ الْمُتَعَلِّمِ ، حَيْثُ يَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى  
الصُّوَابِ ، أَدَلَّ شَيْءٍ عَلَى فَضِيلَتِهِ ، وَعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ ، وَحَسَنِ خَلْقِهِ ،  
وَإِخْلَاصِهِ لِلَّهِ تَعَالَى . وَإِذَا لَمْ يَصِلْ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ ، فَلْيُمَوِّذْ  
نَفْسَهُ ذَلِكَ ، وَلْيَتَمَرَّنْ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّ الْمُرَاوَلَاتِ تُعْطَى الْمَلْسَكَاتِ ،  
وَالْتَمَرِينَاتِ تُرْقَى صَاحِبَهَا لِدَرَجِ الْكَمَالَاتِ .

وَيَنْبَغِي لِلْمُتَعَلِّمِ أَنْ يَحْسِنَ الْأَدَبَ مَعَ مَعَلِّمِهِ ، وَيُحْمَدَ اللَّهَ  
إِذَا يَسَّرَ لَهُ مِنْ يَعْلَمُهُ مِنْ جِهَلِهِ ، وَيُجِيبُهُ مِنْ مَوَاتِهِ ، وَيُوَقِّظُهُ  
مِنْ سِنَتِهِ ، وَيَنْتَهِزَ الْفُرْصَةَ كُلَّ وَقْتٍ فِي الْأَخْذِ عَنْهُ ،

وَيُكْتَبُ مِنَ الدَّعَاءِ لَهُ حَاضِرًا وَغَائِبًا ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

« مَنْ صَنَعَ لِنَفْسِهِ مَعْرُوفًا فَكَافَتْهُ ،  
فَإِنْ لَمْ تَعْبُدُوا مَا تُكافِتُونَهُ بِهِ ، فَادْعُوا لَهُ ،  
حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ » (١) .

وأى معروف أعظم من معروف المسلم ؟ وكل معروف ينقطع إلا معروف العلم والنصح والإرشاد . فكل مسألة استفيدت عن الإنسان فما فوقها ، حصل بها نفع لمتعلمها وغيره ، فإنه معروف ، وحسنات تجرى لصاحبها . وقد أخبرني صاحب لي كان قد أفقت في مسألة في الفرائض ، وكان شيخه قد تُوفى ، أنه رآه في المنام يقرأ في قبره ، فقال : المسألة الفلانية التي أفقت فيها ، وصلاني أجرها . وهذا أمر معروف في الشرع :

« مَنْ مَنَّ سِنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا

وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » (٢) .

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم من حديث ابن عمر ابن الخطاب رضى الله عنهما ، وهو حديث صحيح . وأوله :

« مَنْ اسْتَعَاذَ كُمْ بِاللَّهِ فَأَعْيَدُوهُ .. » الحديث .

(٢) هو جزء من حديث طويل ، رواه مسلم في ( صحيحه ) من

حديث جرير بن عبد الله البجلي ، رضى الله عنه .

وينبغي أيضاً للمتعلم أن يُلطف بالسؤال ، ويرْفُق بعلمه ،  
ولا يسأله في حالة ضَجَرٍ أو مللٍ أو غضبٍ ، لِئلا يتصوّر  
خِلاف الحقِّ مع تشوُّش الذِّهن .

وأقلُّ الحالات أن يقع الجواب ناقصاً .

وإذا رآه نخطئاً في شيء ، فلا يصرِّح بالخطأ ، بل ينتبهه  
بصورة متعلم وسائلٍ ، فإنه لا يزال كذلك حتى يتضح له  
الصواب ، لأن كثيراً من الناس إذا صرّحت له بخطئه ،  
بمَدِّ رجوعه ، وصعب عليه الأمر ، إلا من ملك نفسه ،  
وخلَّقها بالأخلاق الجميلة ، فإنه لا يُبالي إذا ردَّ عليه قوله ،  
وصرِّح له بالخطأ . وهذه الحال من أندر الأحوال ، وليس  
بين العبد وبينها إلا توفيق الله ، والاجتهاد في رياضة النفس .

وكذلك ينبغي للمتعلم إذا دخل في فن من فنون العلم ،  
أن ينظر إلى كل باب من أبواب العلم ، فيحفظ منه الأشياء  
المهمة ، وبعوثه النافعة ، فيحققها ويتصورها كما ينبغي ، ويحرص  
على مآخذها وما هي مبنية عليه ، فإنه لا يزال على هذه  
الحال حتى يحصل له خير كثير ، وعلم غزير .

﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

ونسأل الله التوفيق والهداية دائماً ، فإنه قريب مُجيب .

وصلّى الله على محمد وسلم .

المسألة السادسة والثلاثون  
في فائدة السؤال لمن يوجه إليه

س - ما فائدة السؤال لمن يُوجَّه إليه ؟

ج - يقول الشيخ في جملة جواب له :

( ونحن ممنونون في كل ما يقع لكم من الإشكالات ؛  
لأنها قد تصير سبباً لبحث أمور لم تخطر على البال ،  
ومراجعة محالها ، وهذا من طرق العلم ؛ فلا تحرمونا  
ذلك . أرجو الله أن يجعل عملنا وإياكم خالصاً لوجهه .

وينبغي للتفتي والمامل في مسائل الخلاف أن يتحرز  
فاية التحرز في الخروج من الخلاف ، [ و ] أن يسلك  
طريق الاحتياط في فتواه وعمله ، إلا إذا كان الخلاف  
ضعيفاً جداً لا ينظر إليه ، وليس له حظ من النظر .

هذا في ابتداء الأمر ، وفي الأمر الذي يمكن تلافيه .  
فأما إذا مضى الأمر ، وحصل العمل بقول مُفتٍ ، والمسألة  
خلافية ، والخلاف فيها قوليٌّ له حظ من النظر والدليل ؛  
فينبغي عدم الحكم بنقضه وإبطاله ، لأن الأمور لها أحوالٌ  
وقت الابتداء وإمكان التدارك ، وأحوال إذا تمذر ذلك ) .

## المسألة السابعة والثلاثون

### في أقسام العلوم

س - ما هي أقسام العلوم ؟

ج - العلوم قسمان : علوم نافعة تُزَكِّي النفوس ، وتهذب الأخلاق ، وتُصلح العقائد ، وتكون بها الأعمال صالحة مُثمرة للخيرات ، وهي العلوم الشرعية وما يتبعها مما يُعين عليها من علوم العربية .

والنوع الثاني : علوم لا يقصد بها تهذيب الأخلاق ، وإصلاح العقائد والأعمال ، وإنما يقصد بها المنافع الدنيوية فقط . فهذه صناعة من الصناعات ، وتتفاوت بتفاوت منافعها الدنيوية ؛ فإن قصد بها الخير ، وُبُنِيَتْ على الإيمان والدين ، صارت علومًا دنيوية دينية . وإن لم يُقصد بها الدين ، صارت علومًا دنيوية محضة ، لا غاية شريفة لها ، بل غاياتها دنيئة نافعة جدًا ، وربما ضرت أهلها من وجهين :

أحدهما : قد تكون سببًا لشقائهم الدنيوي وهلاكهم وحلول المُثَلَّاتِ بهم ، كما هو مُشَاهَد في هذه الأوقات ، حيث صار ضرر المعلوم التي أحدثت المخترعات والأسلحة الفتاكة ، شرًا عظيمًا على أهلها وعلى غيرهم .

والثاني : أن أهلها يحدث لهم الزهو والكبر والإعجاب بها ، وجعلها هي الغاية المقصودة من كل شيء ، فيحترقون غيرهم ،

ويُناوِثون علوم الرُّسُلِ التي هي العلوم النافعة ، فيدفعونها  
ويتسكَّبون عنها ، فرحين بملومهم التي تميزوا بها عن كثير  
من الناس ، فهؤلاء ينطبق عليهم أتم الانطباق قوله تعالى :  
﴿ فَأَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ  
مِنَ الْعِلْمِ ، وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (١) .  
فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ .

### التفسير

س - أي القولين أصح في قوله تعالى :

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ،

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ (٢)

ج - التأويل يُطلق بمعنى التفسير والعلم به ، ويطلق

بمعنى بيان الحقيقة التي يؤول إليها الأمر . فإن كان الأول ،

فيكون قوله : ﴿ والراسخون ﴾ معطوفاً على قوله : ﴿ إلا الله ﴾ .

وعلى هذا فإن معناه أن المتشابه هو ضد المُحكّم ، وهو الذي

فيه احتمالات ، فالراسخون في العلم يفهمونه ويرجمونه إلى المُحكّم ،

فالنص الصريح يقضى على النص الذي فيه عدة احتمالات .

وإن كان الثاني ، فالتأويل الذي هو بمعنى نفس حقيقة

المُخبَّر عنه من صفات الله وصفات اليوم الآخر ، لا يعلم

كُنْهَ ذلك وكيفية إله الله تعالى ، فيكون الوقوف على

(١) غافر : ٨٣ . (٢) آل عمران : ٧ .

﴿إلا الله﴾ ويكون معنى قوله ﴿والراسخون في العلم﴾ بمعنى أنهم يفوضون معرفة الكُنْهِ والكيفية إلى الله ، ويقولون : ﴿آمنا به كل من عند ربنا﴾ أي : وما كان من عند ربنا ، فهو حق ، سواء عرفنا كُنْهه أم لا . وكلا القولين صحيح ، وقد قال بكل منهما طائفة من السلف ، والجمع بينهما على ما ذكرنا من اختلاف معنى التأويل ، أولى وأحسن .

### أصول الفقه

س - لماذا انفردت بعض مسائل الفقه بحكم خاص ؟  
ج - اعلم على وجه الإجمال أنه لا يوجد في الشرع مسألة واحدة ، انفردت عن نظائرها بحكم خاص ، إلا لسبب ووصف امتازت به ، وأوجب لها الخروج عن نظائرها . لأن من أصول الشرع المطردة أن الشارح لا يفرق بين التماثلات من كل وجه .

وإذا تَبَّعتَ هذا النوع ، وجدت الأمر كما ذكرنا . من ذلك : « باب العاقلة » ، فإن الأصل أن على المُتلف ضمان ما أتلفه ، ولكن لما كان [القتل] الخطأ وشبهه يكثر ، والقاتل لم يتمم تعمدًا محضًا ، وحمله جميع الدية شاقًا متعذرًا أو متمسّرًا جدًّا ، والمُضْية كانوا يتعاونون ويتناصرون في كثير من الأمور ؛ فكان من الحكمة الشرعية حملهم عن القاتل الدية في هذه الحال ، تحقيقًا للمناصرة ، وحثًا على المماونة .



وتسهيل الأمر عليهم من وجوه ، من جهة تعميمهم فيها وتحميلهم بحسب حالهم ، وتأجيلها عليهم ثلاث سنين ، كل عام ثلثها ، فحينئذ تخفّ عليهم ، ولا تهدر الدماء المعصومة . وأيضاً متى علمت العاقلة أنهم هم الحاملون لذلك ، منعوا مجانينهم وصغارهم وسفهاءهم من الأسباب التي يحصل بها القتل خوفاً من التحميل ، وشفقة عليهم ، فكان [ حَمَل ] العاقلة من المعاونات المرفية ، ومن المحاسن الشرعية .

ومن ذلك : « القسامة » ؛ فإن الأصل : المدعى عليه البيئنة واليمين على المدعى عليه . وأما القسامة ، فلما تعذرت البيئنة على المدعى ، وحصل اللوث الذي هو القرائن الظاهرة القوية ، أقوى حينئذ جانب المدعين ، فصار القول قولهم ، لكن على وجه لا يكاد يُقدّم عليه أحد إلا بعد التروي والتحقق واليقين أو شبهه أن المدعى عليه هو القاتل ، بأن يُقسم جميع رجال الأولياء خمسين يميناً على القاتل . فمع وجود القرائن الظاهرة ، ومع إقدام جميع الأولياء ، ومع هذه الأيمان المكررة المغلظة ، يتضح حينئذ أن قبول قول المدعين أقوى من كثير من البيئنات ، كما هو ظاهر لكل أحد .

ومن ذلك : « باب النذر » ؛ مُخالف للأصل الذي هو أن الوسائل لها أحكام المقاصد ، والنذر عقده مكروه ، وهو الوسيلة ، والوفاء به واجب ، وهو المقصود . فالشارع نهى عن النذر ،

وقال : « إنه لا يأتي بخير » وأمر بالوفاء به ، ومدح الموفين ، والسبب ظاهر . فإن إيجاب الإنسان على نفسه شيئاً من العبادات التي عافاه الله من وجوبها ، تعرض للبلاء ، وتعرض للمصيبة . والإنسان ينبغي له أن يسعى في أسباب العافية الدينية والدنيوية من كل وجه . فإذا نذر ، فقد حمل نفسه أمراً لا يدري هل يطيقه أم لا . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن العبادة لله لا تتم ولا تكتمل إلا بالإخلاص التام لله ، والنذر فيه إخلال من الإخلاص وتقص ، فإنه إذا قال العبد : لله علىّ نذر إن شفاني أو شفي مريضى ، أو أعطاني الشيء الفلاني ، لأفعلن كذا أو كذا من العبادات ، ثم حصل له ، كان ذلك يشبه المعاوضة والمقابلة ، وأنه لم يفعل العبادة التي عيّنها إلا بالشرط الذي علقها عليه . والإخلاص المتخض أن يكون الداعي والحامل للعمل ، وجهه الله خالصاً ، لا الجزاء العاجل . ومن جهة أخرى أن الناذر جزم على الفعل ، ولم يعلقه بالمشيئة ، وهو من هذا الوجه كالتعمالي على الله . ومن جهة أخرى ، كثير من الناس يظن أن النذر سبب لحصول الأمر المنذور ، وهذا كذب بنصّ الشارع ، حيث قال : « إنه لا يأتي بخير ، وإنما يُستخرجُ به من البخيل » فهو ليس من الأسباب التي نصبها الشارع لحصول مُسبباتها .

وفي قوله : « وإنما يُستخرجُ به من البخيل » إشارة إلى

ضمف إخلاص الإنسان ، فإن البخيل الذى لا داعي قوئى  
عنده من الإيمان ، يقضى على بخله ، وإنما يستخرج منه مثل  
النذر ونحوه ، فسكان خيره الذى فيه ، ناقص ردى .

فبهذه الأسباب كان عقد النذر مكروهاً ، والوفاء به واجباً .

ومنها : « باب الشفعة » ؛ فإن الأصل أن مال الغير لا  
يتملكه الإنسان إلا باختياره ورضاه ، فالمشترى للشخص الذى  
تملكه بالشراء جعل الشارع للشريك أن يملكه منه قهراً عليه ،  
لسبب ظاهر ، وهو إزالة ضرر الشركة من غير ضرر يكون  
على المشتري ، فالمشترى يعود إليه الثمن الذى بذله ، ولم يكن  
قبل هذا مالسكاً مُتصرفاً . فأباح الشارع للمالك الأصل الذى  
له من التصرفات السابقة والحاضرة والمستقبلية ، والعمارات  
وتوابعها ، أن يملكه من هذا المشتري الحادث ، إزالة لضرره ،  
وتتميماً لمقاصده . وحقق ذلك أن كانت الشفعة فى العقارات  
التي لم تقسم ، بخلاف المنقولات ونحوها ، لأن ضرر العقارات  
أكثر وأدوم من غيره .

ومنها : « باب الوقف » ؛ فإن الأصل فى الأموال جواز  
التصرفات المطلقة فيها من جميع الوجوه ، والوقف قد علمت  
أحكامه الكثيرة الخاصة المترتبة على أنه تسبيل الأصل ،  
وتوقيف المنافع ، وذلك لما يترتب عليه من المصالح التسلسلة  
النافعة للحاضرين والمستقبليين ، وللأحياء والأموات ، والمصالح

الخاصة والمصالح العامة .  
ومنها : « أحكام أمهات الأولاد » ؛ فإن الأصل أن الإمام  
يتصرف فيها سيدها في منافعها ورقبتها ، وأم الولد تختص  
بأحكام تميزها عن سائر الإمام ، لأنه لما تولد الولد الحر  
فيها من سيدها ، سرى منه شيء اقتضى ثبوت هذه الأحكام  
المتبعضة في حال حياة سيدها ، وأنه يتصرف في منافعها دون  
رقبتها ، وبعد موته يثبت لها الخروج التام عن ملكه .  
فهذه الخواص ، لهذا السبب ، أوجب اختصاصها  
بأحكامها المعروفة .

ومنها في العبادات : ( الحج والعمرة ) ، فإن فيها خواص  
اختصت بها من بين سائر العبادات ، فالعبادات لا يجب  
إتمام نوافلها ، والحج والعمرة إذا شرع فيهما يجب إتمامهما ،  
لأن الشروع في عقديهما بمنزلة إيجاب العبد على نفسه شيئاً  
من العبادات ، ولذا قال تعالى :

﴿ فَمَنْ قَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ ، فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ

وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ <sup>(١)</sup> . أي أوجبه على نفسه .

﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ، وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

فسمى متعبداً لنفسك نذورا ، إلا أنه أوجبها على

نفسه بمقد الإحرام .

ومنها: أن من عليه حجة الإسلام ، لا يصحح أن يصرفها عن غيرها ، ولا أن يحج عن غيره ، فإن فعل ذلك انقلبت إلى نفسه عن حجة الإسلام ، لأن أول نسك بعد وجوبه على المكلف غير قابل لغير الفريضة الإسلامية التي هي فريضة العمر ، فحما نوى العبد فيها من النيات المنافية لهذا القصد ، بطلت تلك النيات المعارضة ، وبقي الأصل سالماً .

ومنها: أن المفرد والقارن إذا طاف للقدم ، وسمى بعمده سعى الحج ، ثم قلب ذلك ونسخه إلى العمرة ، كان هذا هو المشروع ، والأفضل أن ذلك الطواف الذي كان للقدم ، وذلك السعى الذي كان للحج ، ينقلبان للعمرة ركنين من أركانها ، مع أنه أدى الطواف بنية النفل ، وهو طواف القدم ، وأدى السعى بنية سعى الحج ، ثم انقلبا كما ترى . وهذا يمتد من الترائب ، والسبب في ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« دَخَلْتَ الْعُمْرَةَ فِي الْحَجِّ ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

والعمرة أيضاً هي الحج الأصغر ، وأيضاً إذا فسح القرآن والإفراد ناوياً التمتع ، فهو في الحقيقة لم ينقص ما سبق له من الأعمال والنيات ، وإنما أتى بها على وجه أكمل ، فهو لم يصرفها إلى شيء آخر ، وإنما أدارها من صفة إلى صفة أحسن منها وأتم ، كما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم .

أصحابه بعد ما طافوا وسَعَوْا أن يجعلوها عُمرة ، واكتفوا بذلك الطَّواف والسَّعى عنها، مع أن أكثرهم لم ينسخ إلا بعد ما كان السعى . فللحج والعمرة من الارتباط الوثيق ما ليس [لغيرهما] من العبادات ، فهذا الذي أوجب استغراب هذه المسائل التي لا نظير لها ، بل تُخالف نظائرها .

ومنها : لو أراد المُحْرِم الخروج من إحرامه قبل الفراغ من نُسُكِهِ ، بدون عذر حَصْرٍ أو نحوه ، لم يتمكن من ذلك ، وفسخه غير مُعتبر وغير مُبطل للنُسك ، لما ذكرنا من لزوم إتمام فرضها ونفلها ، وعدم قبول النُسك لشيء آخر .  
والله أعلم .

ومن المسائل الغريبة - على ما فيها من الخلاف - : مسألة منع الرجل من الماء الذي خلت به المرأة لطهارة الحدّث دون الخبث ، فهي غريبة من عدة وجوه ، والقائلون بها لا يملكون ذلك ، بل يقولون : إن هذا تعبدىٌّ ، لأنهم لا يشاهدون لها تمليساً وجيهاً . وأما الذين يروّون ضعفها ، فتخرج المسألة عندهم من هذا الباب ، وهو الصواب لأدلة كثيرة مذكورة في غير هذا الموضع .

ومن المسائل الغريبة : أن المسبوق في الصلاة إذا زاد إمامه ركعة سهواً لا يعتدُّ بها المسبوق ، بل يأتي بركعة غيرها ، ويقولون : إذا كُفّت في حقّ الإمام لغت في حقّه .

وهذا تمليل فيه ضعف كثير ؛ فإن الإمام إنما لفت في حقه ،  
لكونها وقعت موصوفة بصفتي السهو والزيادة على ما يجب  
عليه . أما المأموم ، فلا وجه لإلغائها إذا كان مسبوقاً بركعة  
فأكثر ، لأنها أصلية في حقه لا زائدة . وأيضاً فإنه وقع  
الإجماع على أنه من زاد في فريضة ركعة واحدة متممداً ؛  
فصلاته باطلة ، ولم يستثن من هذا العموم صورة واحدة ،  
فلم يخرج هذه الصورة عن هذا العموم ؟ ! وعدم اعتبارها  
في حق الإمام لا يوجب خروجها . والله أعلم .

ومن الغرائب أيضاً بعض عيوب الأضاحي عند القائلين  
بها ، مثل العضباء التي ذهب أكثر أذننها أو قرننها ، والعمماء  
التي انكسر غلاف قرننها دون أن يحدث مرضاً أو جرحاً  
ونحوها ، فإن هذا مخالف للمعمود والمعقول من العيوب الضارة ،  
وهي المريضة البئین مرضها ، والمرجاء البئین مرجها ، والعمراء  
البئین عورها ، والمزيلة التي لا تُنخَّ فيها ، وما كان مثلها وأولى  
منها . وكذلك العيوب في البيع والمعاوضات وهو ما نقص ،  
قيمة العوض أو المعوض ، وهذا معقول . وكذلك عيوب  
الرقبة في الكفارة ، وهو عيب واحد ، وهو كل عيب  
يضرّ بالعمل ضرراً بيناً . فكل هذا مما يُنافي المقصود .

وأما بعض عيوب الأضاحي المذكورة ، فمند القائلين به  
يقولون : تَعَبْدِي ، لأن فقدتها لا يضرّ باللحم ولا بالقيمة لغير

هذا الغرض ، وأما من يقول : تُجزئ ، وليست من العيوب المانعة ، وإنما هي من الكماليات ، كما هو القول القوي ، فيزول [ به ] هذا الاستغراب .

ونظير ذلك العيوب في النكاح : عَيَّنوا منها عدة أشياء ، ونفوا منها عيوباً - في الحقيقة - هي مثلها ، أو ربما كانت أعظم منها ، فَيَمُدُّ هذا النفي من غرائب العلم عند القائلين به ، مثل العمى والصمم ، وقطع اليدين والرجلين ، والخرس . وحيث إن القول ضعيف ، لا يُجيب القائلون به إلا بجواب ضعيف . وأما على القول الصحيح وهو أن هذه الأمور من العيوب للفَسْخِ والخيار ، فيزول [ به ] هذا الاستغراب ، لأن العيب الحقيقي ما نقص المقود عليه ، وما منع حصول المقصود كله أو بمضه . فإذا طردنا هذا ، ولم نستثن شيئاً ، كنا أخذنا بما هو معقول مستحسن عرفاً وشرعاً . والله أعلم .

ومن غرائب العلم الصحيحة : أمور اختلفت بها النكاح لأسباب قد ذكرناها في السؤال والجواب ، وهي أحكام متعددة . ومن غرائب العلم عند القائلين به : أن صلاة المأموم تبطل ببطلان صلاة إمامه ، مع أنه إذا لم يعلم بالبطلان إلا بعد الصلاة أعاد الإمام ، ولم يُعيد المأموم .

ووجه الاستغراب : أن الأصل الشرعي الفقهي ، أن كل مُصَلٍّ لا تبطل صلاته إلا إذا ترك بعض الشروط أو الأركان أو الواجبات لغير عُذر ، أو فعل بعض المبتلات .



وهذه المسألة عند القائلين بها ، أبطأت صلاة المأموم بأمر خارج عن فعله وصدده ، بل يبطلان صلاة إمامه .  
ويُعلّلون هذا بأن صلاة المأموم مرتبطة بصلاة إمامه ، فإذا بطلت صلاة الإمام ، بطلت صلاة المأموم .  
والصواب القول الآخر : أنها لا تبطل ، فعلى هذا القول الصحيح لا تصير من الغرائب ، بل هي جارية على الأصل ، والعبادة لا تبطل إلا بالأشياء التي أبطأها [بها] الشارع ، وهذه ليست منها ، ولهذا من لم يعلم إلا بعد الصلاة ، فصلاة المأموم صحيحة ، والارتباط الذي علّوا به إنما هو : وجوب المتابعة لا غير . وأما بقية الأحكام ، فكل مُصَلِّ له ما كسب ، وعليه ما اكتسب .

ومنها : بعض مسائل الاستبراء . فإن الاستبراء الفرض منه معرفة براءة الرحم من ولد الغير ، لئلا تختلط المياه ، وتشبهه الأنساب . وذلك عند الشك في اشتغال الرحم : معقول .  
وأما عند اليقين ببرادة الرحم ، كيذا ملك الأمة من امرأة أو صبيٍّ أو ممن يعلم أنه استبرأها ، فيجوز الاستبراء غريباً ، ولكن يُعلّلون ذلك بالتمبّد تارة ، وبالاحتياط وسدّ الدرّيمة تارة أخرى ، وطريق الاحتياط مطلوب شرعاً وعرفاً .

ومن العلماء من قال : إنه في هذه المسائل التي يعلم يقيناً براءة الرّحم بها ، لا يجب استبراء ، كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية . فعلى قولهم ، لا غرابة في هذه المسائل .

وأما مسائل العِدِّدِ ، فليس فيها شيءٌ غريب ، لأنه ليس فيها عِلَّةٌ واحدة ، وهي طلب براءة الرحم ، بل لها عدة عِلَلٌ ، إذا فقد بعضها ، فالبقية موجودة ، فإنه يقصد منها براءة الرحم ، وأداء حق الزوج أو الزوجة ، وتطويل العدة للتمكّن من الرّجعة ، وإجْريان النفقة ، والاحتياط للولد ، ولنغير ذلك من الحجْمِ الظاهرة المتأمل .

والله أعلم .

ومن ذلك : انتِقاض وضوء الماسح على الخفين بتمام المدة ، وبحل المسوح عند القائلين به ، فإنها من النواقض القريبة ، لأنه لم يحصل شيء من نواقض الوضوء ، لا حدث ولا ما هو مَظَنَّةُ الحدث . لكنهم يملأون بأن المسح ضرورة ولا يجتمع مع الغسل ، وهي علة ضعيفة ، ومن قال : لا ينقض الوضوء بالخلع ، ولا بتمام المدة ، فقوله أصحُّ ، ولم يأت دليل شرعى يدل على النقض بهما ، والأصل عدم النقض . وهذا القول هو الصواب ، وبه تخرج المسألة عن الاستغراب .

ولتقتصر من هذه الفائدة على هذه الأمثلة التي يحصل بها التوضيح ، وفتح هذا الباب .

والله الموفق .

## القسم الثاني

فيما يتعلق بفروع الدين

## كتاب : الطهارة

س ١ - ما مُرادهم بكراهة الماء المستعمل ؟  
ج - مُرادهم : أن الماء المستعمل في طهارة مُسْتَحَبَّة ،  
مَكْرُوه كراهة تَنْزِيهِه .

س ٢ - ما حُكْم الماء المستعمل في طهارة مُسْتَحَبَّة ؟  
وما حُكْم الوضوء والتيمُّم قبل الاستجمار والاستنجاء ،  
إذا كان جاهلاً ؟

ج - حُكْمه عند الفقهاء ، مَكْرُوه كراهة تَنْزِيهِه .  
وكلُّ ما ذكروا أنه مَكْرُوه ، فهو كراهة تَنْزِيهِه ،  
وكل مَكْرُوه مع الحاجة إليه ، تزول منه الكراهة .  
وأما قولهم : « ولا يصحُّ قبل الاستنجاء والاستجمار  
وضوءٌ ولا تيمُّم » ، فلا فرق في ذلك بين المتعمد والجاهل  
والناسي ؛ لأن ذلك من شروط الوضوء ، والشروط كلها  
لا تسقط بتركها عمداً ولا سهواً ولا جهلاً .

س ٣ - يقول الشيخ عبد الله أبو بطاين : « إذا لم ينو  
بغمس يده ارتفاع الحدث ، ولا مجرد الاعتراف ، فالإمام باق  
على طهوريته في الطهارة الصغرى دون الكبرى » .  
ما وجه التفريق ؟ وهل هو موافق لكلام الأصحاب ؟ .

ج - كلام الشيخ عبد الله أبي بطين - في هذا المقام -  
من أحسن كلام يوجد ، لأنه فصل فيه حاصل ما ذكره  
الأصحاب ، من التفريعات في اغتراف المتوضئ والمغتسل من  
الحدّث الأكبر من الماء القليل ، فإنه ذكر ثلاث صورٍ  
محيطة بكل ما ذكره الأصحاب .

إحداها : إذا نوى مجرد الاغتراف في غمس يده ، فإنه  
لا يضرّ الماء شيئاً في الطهارة الكبرى والصغرى .

الثانية : إذا نوى بغمس يده رفع الحدّث عنها ،  
فإنه يضرّ في الطهارة الكبرى والصغرى .

الثالثة : لم ينو هذا ولا هذا ، أى : لا نوى رفع  
الحدّث عن اليدين ، ولا نوى أنه لمجرد الاغتراف ، فهذا  
يضرّ في الطهارة الكبرى ، ويجعل الماء مستعملًا في رفع  
الحدّث ، ولا يضرّ في الصغرى .

وهذا التفصيل مفهوم من كلام الأصحاب ، لكن له  
- رحمه الله - فضيلة جَمَعِهَا وتفصيلها ، وصنيمه هذا من  
جنس صنيع الشيخ « عثمان » في حاشيته على « المنتهى »  
في حضر كثير من المسائل ، وجمعها في موضع واحد .

س ٤ - ما الصحيح في طهارة الرجل بفضل المرأة ؟

ج - الخلاف في هذه المسألة مشهور ، ومذهب جمهور  
العلماء - وهو إحدى الروايتين عن أحمد - أنه غير ممنوع

للرجل الطهارة بفضل طهور المرأة ، سواء خأت به أم لا ،  
وسواء كان لطهارة الحدث أو الخبث ، وهو الصحيح ،  
بل الصواب ، لحديث اغتساله صلى الله عليه وسلم بفضل  
« ميمونة » <sup>(١)</sup> ، وهو أصح من حديث النهى عن اغتسال  
الرجل بفضل طهور المرأة <sup>(٢)</sup> بلا شك . وكثير من أهل العلم  
لا يرى صحته ، فلا تقوم بمثله حجة . ويؤيد هذا القول  
العمومات في الأمر بالطهارة بالماء من غير قيد ، فكل ماء  
لم تغيّره النجاسة ، فإنه داخل في العموم ، وأيضا فالله تعالى  
يقول : ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً ، فَتَيَمَّمُوا ﴾ <sup>(٣)</sup> ..

فلم يُبيح التيمم حتى يعدم الماء ، وهذا يسمى ماء بلا شك .  
والشارع لا يمنع من شيء لغير موجب ، وهذا الماء كما وصفه  
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « إِنَّ الْمَاءَ لَا يَجْنِبُ » <sup>(٤)</sup> .  
ولو كان الرجل ممنوعاً من الطهارة بفضل طهور المرأة ،  
مع كثرة ذلك ومشقته وعموم البلوى به ، لورد فيه من

---

(١) رواه أحمد ومسلم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

(٢) رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، من حديث الحكم

ابن عمرو الغفارى رضى الله عنه .

(٣) النساء : ٤٣ والمائدة : ٦

(٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث ابن عباس

رضى الله عنهما ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

النصوص الصحيحة ما يبيّن هذا الأمر ، فتبيّن أن هذا القول هو الصواب . أما الرواية الأخرى عن أحمد ، وهي المشهورة عند المتأخرين ، [ فنع ] الرجل من تطهره بما خلت به المرأة لطهارة الحدث ، والحديث الذي استدّلوا به لا يصلح أن يكون دليلاً على هذه المسألة ، لضعفه ومُخالفته للأدلة ؛ ثم التقييد بطهارة الحدث وحدها ، لا دليل عليه .

س ٥ - إذا وجد في الماء وزغ ميّت ، وقد توضّؤوا منه قبل أن يجذوه ، والماء دون الفلتين ، ولم يتغير إلا الوزغ وحده ، فهل يُعيدون الصلاة التي صلّوها بذلك الوضوء أم لا ؟  
ج - الصواب الرواية الأخرى عن الإمام أحمد ، رحمه الله ، التي اختارها جُملة من الأصحاب ، وهو مذهب مالك . ومقتضى الأدلة الشرعية أن الماء لا ينجس إلا بالتغيّر بالتجاسة ، وما لم يتغير ، فهو طاهرٌ ، قليلاً كان أو كثيراً . ثم إذا قلنا على المذهب بتنجس القليل بمجرد الملاقاة ، فهذا الماء لم نتيقن أن الوزغ وقع فيه قبل وضوئهم ، فلا يجب عليهم شيء .

### باب : الاستنجاء

س ١ - ما يفعله بعض الناس إذا أراد أن يستنجى من ساقية أو بزكاة أو غيرها ، استطلع منهما ، فهل هو صواب ؟  
ج - ليس بصواب . وهذا الفعل المذكور : مبنى على أن

إزالة النجاسة يُشترط لها سبع غسلات ، ولا تحسب عندهم  
غسلة حتى يبين المغسول من الماء ثم يُعيده إليه . وهذا وإن  
كان هو المشهور في المذهب عند المتأخرين ، فإنه في غاية  
الضعف . فالصواب الذي لا شك فيه أنه متى زالت عين النجاسة  
بغسلة ، أو ثلاث ، أو سبع ، أو أقل أو أكثر ، طهر  
المحل . وهو ظاهر الأحاديث الآمرة بغسل النجاسة من غير  
اشتراط عدد ، ولم يصرح عدد الغسلات إلا في نجاسة الكلب .  
وأما الحديث الذي ذكره الفقهاء رحمهم الله ، عن ابن عمر :  
« أَمْرُنَا بِغَسْلِ الْأَنْجَاسِ سَبْعًا » فهو موضوع لا يثبت به  
حُكْم . فعلى هذا إذا استنجى الإنسان من بركة أو غيرها ،  
ونقّى المحلّ ، كفاه ذلك ، ولو لم يرفع نفسه من الماء . وأما  
النهي عن الغسل في الماء الرّاكد ، فلا يدخل فيه الساقية  
والبركة التي يخرج منها الماء أو يأتي إليها ، فإنه جارٍ لا يدخل  
في النهي ، وإنما النهي عنه أن يأتي الإنسان إلى ماء راكدٍ  
لا يستمد من غيره ، فيغتسل فيه من الجنابة ، أو يغسل فيه  
نجاسته ، فهذا الذي ينهى عنه ، لأنه يقذره على غيره . والله أعلم .

س ٢ - هل يُكره الكلام وقت الاستنجاء ؟

ج - لا يُكره ذلك . وإنما يكره وقت قضاء الحاجة ،  
والأولى للإنسان ترك الكلام الذي لا يحتاج إليه وقت  
انكشاف عورته في كل موضع .



س ٣ - ما حُكِمَ الوضوء والتيمم قبل الاستنجاء  
أو الاستنجار؟

ج - الصحيح ما قاله : أنه لا يصحّ قبل الاستنجاء  
أو الاستنجار وضوء ولا تيمم للعالم والجاهل والتأسي ،  
لأن تقدّم الاستنجاء شرط لصحة الوضوء .

باب : السواك وسنن الفطرة

س ١ - ما حُكِمَ حلق اللحية؟

ج - قال رحمه الله من خطبة له<sup>(١)</sup> :

(أمر صلى الله عليه وسلم بِحَلْقِ الشَّوَارِبِ ، وَإِعْفَاءِ اللَّحَى ،  
وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ حَلْقَ اللَّحَى وَقَصَّهَا مِنْ هَدَى  
الْمَجُوسِ وَالْمَشْرِكِينَ ، وَحَذْرُ أُمَّتِهِ مِنْ ذَلِكَ . فَيَا عَجِبًا مَنْ يُؤْمِنُ  
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ : كَيْفَ يَزْهَدُ فِي هَدَى نَبِيِّهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ  
بِإِحْسَانٍ ، وَيُقَدِّمُ عَلَى ذَلِكَ هَدَى الْكُفَّارِ فِي حَلْقِ اللَّحَى ؟  
لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ الرِّجَالَ بِاللَّحَى ، وَجَعَلَهَا لَهُمْ جَمَالًا وَوَقَارًا ،  
فَيَا وَيْحَ مَنْ حَلَقَهَا وَأَهَانَهَا ، لَقَدْ عَصَى رَبَّهُ جَهَارًا .

أَيُّظُنُّ هَؤُلَاءِ أَنَّ حَلْقَهَا يُكْسِبُ الرَّجُلَ بَهَاءً وَجَمَالًا ؟  
كَلَّا وَاللَّهِ ، إِنَّهُ لَيَسِينُ الْوُجُوهَ ، وَيُذْهِبُ نَوْرَهَا ، وَيَزِيدُ  
كُلَّ وَقْتٍ إِنَّمَا وَوَبَالًا ، وَلَسَكُنَ الْاِقْتِدَاءُ الضَّارَّ يُحَسِّنُ  
كُلَّ قَبِيحٍ ، وَيُهَيِّجُنْ عِنْدَ أَهْلِهِ كُلَّ مَلِيحٍ ا

(١) هو الشيخ عبد الرحمن السعدي ، المؤلف ، رحمه الله تعالى .

أما قال أهل العلم ، رحمهم الله : من جنى على لِحية غيره فأزالها ، أو أزال جمالها على وجه لا تُمود ، فعمله الدية كاملة ؟  
أليس ذلك لأنها منفعة كبرى ، ومِنَّةٌ من الله شاملة ؟  
ثم مع ذلك يجنى الحالق لها على نفسه . أما تروُن وُجوه الحالقين لها : كيف يذهب بهاؤها ووقارها ، لا سيما عند المشيب ، وتكون وجوههم كوجوه المجائز قد ذهبت محاسنهم . وهذا من أعجب العجائب ! .

باب : فروض الوضوء وصفته

س - ما دواء الوسواس ؟

ج - ليس له دواء إلا سؤال الله العافية ، والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، والاجتهاد في دفع الوسوس ، وأن يتلها عنها ولا يجعلها تشغل فكره . فإنه إذا تبادت فيه الوسوس ، اشتدت واستحكمت ؛ وإذا حرص على دفعها ، والتلها من الذى يقع في القلب ، اضمحلَّت شيئاً فشيئاً . والله أعلم .

باب : المسح على الخنفين

س ١ - ما حكم المسح على الخف المخرق والمفتوق ؟

ج - إذا كان في الخف خرق أو فتق يصف البشرة ، فالصحيح جواز المسح عليه ، لأنه خفٌ ، فيدخل في صوم النصوص ، ولأن خفاف الصحابة الظاهر منها أنها لا تخلو من فتق أو شق .

س ٢ - إذا قلنا : التيمم يرفع الحدث ، وأراد الإنسان أن يلبس خُفَّيه وهو عادم الماء ، فهل يلزمه التيمم عند لبسها ؟  
ج - إذا عدم الماء ، وأراد التيمم وهو قاصد لبس خفيه ، فإنه يجوز أن يتيمم قبل لبس الخفين أو بعدهما ، وسواء قلنا : إنه مبيح لرافع ، أو رافع للحدث عند جوازه ، فلا تملق للتيمم بلبس الخُفَّين والحالة هذه ، لأن التيمم إنما هو في الوجه واليدين ، وإذا تيمم فيهما ارتفع الحدث عن البدن كله ، ومن جملته عن الرجلين ، سواء كانتا في الخفين أم لا .

وأما إذا خلعهما وهو متيمم ، فلا يبطل تيممه ، كما لا يبطل وضوؤه ، على القول الصحيح إن خلع الخفين غير مبطل للوضوء كإزالة شعر الرأس ، وهو رواية عن أحمد .  
وأما على المذهب بأن الوضوء ينتقض بخلع الخُفَّين ، ولو لم يوجد ناقض للوضوء ، فلا ينبى عليه القول برفع الحدث بالتيمم ، فلا تتصور المسألة على المذهب . والمقصود أنه على القول بأن التيمم رافع للحدث ، لا يلزم لبسهما عند إرادة التيمم ، ولا ينتقض الوضوء عند خلعهما . والله أعلم .

س ٣ - إذا كان على الرجلين جوربان وثمانان ، فأيهما يمسح ؟

ج - إذا كان على الرجلين جوربان وثمانان<sup>(١)</sup> :

(١) في الأصل : إذا كان على الإنسان شراب وكنادر .

فإن كان لا يخلع الخفين - لا عند النوم ولا عند الصلاة  
ولا عند غيرها - فيمسح على الخفين ، وإذا كان يخلع الخفين ،  
فلا يمسح إلا على الجؤربين<sup>(١)</sup> ، والحكم يتملق بها : للمقيم يوم  
وليلة ، عبارة عن أربع وعشرين ساعة ، وللمسافر ثلاثة أيام  
بلياليهن ، عبارة عن اثنتين وسبعين ساعة .

### باب : نواقض الوضوء

س ١ - هل مسّ الفرج سهواً ينقض الوضوء ؟  
ج - مسّ الفرج سهواً ينقض الوضوء ، ولا ينقضه على  
القول الآخر . والله أعلم .

س ٢ - هل ينقض الوضوء مسّ المرأة لشهوة ؟  
ج - الصحيح [ في ] المذهب [ أن ] مسّ المرأة بشهوة  
ناقض للوضوء ، لأن ذلك مظنة الحدث ، فهو أولى من النوم  
والحدث المظنون ، هو التمدى .

س ٣ - هل ينقض الوضوء شحم الجزور ؟  
ج - أما شحم الجزور ، فلا ينقض الوضوء ،  
لأنه ليس بلحم<sup>(٢)</sup> .

(١) في الأصل : الشراب .

(٢) قال شيخنا في كتابه « المختارات الجليلة » . والصحيح أن جميع  
أجزاء الإبل كالسكرش والقلب والمصران ونحوها ناقض ، لأنه داخل في  
حكمها ولفظها ومعناها ، والتفريق بين أجزائها ليس له دليل ولا تعليل .  
وعلى هذا فيكون له في هذه المسألة قولان .

س ٤ - ما مراد الفقهاء بقولهم :  
إِنَّ الشُّكُوكَ إِذَا كَثُرَتْ تُرِكَتْ ؟

ج - إنَّ مرادهم بالكثرة كثرة ذلك عُزْفًا ، فلا اعتبار بالتوالي أو التفريق . فإذا كان الإنسان كثير الشكوك ، بحيث إنه قَلَّ أن يتوضأ إلا ويحصل معه شك ، وَقَلَّ أن يُصَلِّيَ إلا حصل معه شك ، فهذا لا يلتفت إليه ، ولو لم يحصل في الوضوء والصلاة إلا مرة واحدة ، فإنه يصدق عليه أنه شك كثير . وإنما الشك الذي يعتبر ، هو النادر القليل الذي يقع أحيانًا . ولا فرق فيما ذكر من الأمرين ، بين من هو مُشْتَغَلٌ بِالْخَاطِرِ وبين من ليس كذلك ، لأن الفقهاء لم يُفَرِّقُوا بين ذلك ، وإنما اعتبروا الكثرة أو القلة ، والأمر لها أسباب .  
س ٥ - هل يجوز تحريق أوراق المصحف المتقطعة ؟

ج - أوراق المصحف المتقطعة ، والمصحف المتقطع ، لا بأس بتحريقها ، لأن في تحريقها صيانة له ، لئلا يُمْتَهَنَ وَيُلْقَى فِي الْأَرْضِ . والأحسن أن يُدْفَنَ رِمَادُهُ فِي مَحَلٍّ طَاهِرٍ ، زيادة في تعظيم كلام الله .

### باب : الغسل

س ١ - ذكروا أن وطء البهيمة يوجب الغسل ، ويفسد الحج والصوم ، فهل هو وجيه ، أم لا ؟  
ج - في النَّفْسِ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَقِيَّاسُهُ عَلَى وَطْءِ الْآدَمِيِّ قِيَاسٌ

لم تتم أركانه ، ولهذا قال ابن شهاب من الأصحاب : إنه لا غسل به ، ولا فطر ، ولا إفساد حج . وهذا القول هو الذى تطمئن له النفس ، لأن الأصل عدم الإيجاب والإفساد حتى يأتي من الشرع ما يدل على الوجوب والإفساد . والله أعلم .

س ٢ - هل يجوز للجنب أن يؤذن ويستطرق المسجد ؟

ج - يجوز له أن يؤذن ، ولكن الأولى أن لا يؤذن إلا على طهارة من [ الحدث ] الأكبر والأصغر .

وللجنب أن يستطرق المسجد استطراقاً ، ولا يجوز أن ينام فيه ، ولا يقعد فيه ، وكذلك لا يجوز له تلاوة القرآن .

### باب : التيمم

س ١ - هل يجب على البدوي الطهارة بالماء إذا وصل البلد ؟

ج - إذا وصل البدوي البلد ، فيجب عليه الطهارة بالماء ، وليس له عذر بقوله : إني مسافر .

نعم ، هو مسافر واجد للماء ، فعمله تحصيله ولو بالشراء ، فإن لم يفعل ، فطهارته بالتيمم غير صحيحة .

س ٢ - إذا كان به جرح لا يصيبه الماء ، فاذا يعمل ؟

ج - يتيمم له ، ويجوز له مس المصحف ، كما تجوز له الصلاة .

س ٣ - المجرّح إذا توضأ ، هل يجمع بين التيمم والمسح ، أم يكفيه أحدهما ، أم يُفرّق ؟

ج - مراتب حكم العضو المنسول ثلاث :  
مرتبة وُجوب غسله ، مع القدرة وعدم الضرر .  
فإن تعذر مسحه بالماء وكفاه عن الغسل ، ولم يجب عليه تيمم .  
فإن تعذر الأمران ، فأخِر المراتب التيمم .  
فعلى هذا : متى قدر على مسحه بالماء ، وجب المسح ،  
ولم يشرع له مع ذلك تيمم ، كما قال صلى الله عليه وسلم :  
« إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ ، فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » (١) .  
وقد نصّ أهل العلم من الأصحاب وغيرهم على ذلك .  
والله أعلم .

س ٤ - هل هو وجيه أن نقول بترك التيمم على أرض  
لا غبار عليها ، إلى التيمم على لبد أو حصير ونحوه ، مما فيه غبار ؟  
ج - ليس بوجيه ، لأن الله أمرنا أن نتيمم صعيداً  
طَيِّباً ، وهذا عام سواء كان فيه غبار ، أم لا ، فكيف نعدل  
عما أمرنا الله تعالى به ، إلى ما لم يأمرنا به ؟

وأيضاً فالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، لم يُنقل عنهم  
أنهم تركوا التيمم على الأرض ، وقصدوا التيمم على الثياب  
والأمتعة ونحوها . وأيضاً فالتمبّد لله تعالى هو أن تقصد  
ما أمرنا الله بقصده من الصّعيد الطيّب ، تقرّباً إليه ،  
وامتثالاً لأمره .

---

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وأما كونه فيه غبار ، أم لا ، فلم يذكر في النص .  
غاية ما فيه قوله :

﴿ فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ (١) .

وذلك يصدّق على ما فيه غبار ، وما لا غبار فيه . وهذا هو الصواب وهو قول قويّ في المذهب . والله تعالى أعلم .  
س ٥ — حصّر الأصحاب جواز التيمم مع وجود الماء في ثلاث صور : إذا وصل الماء وقد ضاق الوقت ، أو علم أن النوبة لا تصل إليه إلا بعد خروج الوقت ، أو علمه قريباً وخاف فوت الوقت ، فهل ذلك وجيه أم لا ؟

ج - اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية : جواز التيمم إذا خاف فوت الجماعة ، أو العيد ، أو الجنائز ، ومأخذه أن في هذه الصور شبهة بالصور السابقة ، لأن الصور السابقة في فوات الوقت الذي لا ينوب غيره منابه ، وهذه في فوات هذه الصلوات التي متى فاتت لا يمكن استدراكها ، وهو قوي جداً ، وإن كان قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً ﴾ (٢) ، يظهر فيه أنه يعمّ هذه الصور ، فإنه أيضاً يعمّ الصور السابقة ، لكنها تستثنى من هذا العموم ، لوجوب إدراك الوقت أو الصلاة ، فقدم هذا على هذا ، وأيضاً فالطهارة بالماء لها بدل ، وهو التيمم ، بخلاف تفويت الوقت في الصلاة .

(١) المائة : ٦ (٢) النساء : ٤٣ والمائدة : ٦



س ٦ - قولهم : فاقد الماء والتراب ، أو العاجز عنهما ، يُصَلِّي على حسب حاله ولا يزيد على الواجب في الصلاة ، هل هو صحيح ؟  
ج - أما قولهم : إنَّ فاقد الماء والتراب ، أو العاجز عنهما : يصلي ولا يزيد على الواجبات في الصلاة ، فهو قول ضئيف ، والصحيح أنه كثيره ؛ لأنه في هذه الحال كصاحب الطهارة الكاملة ، لقوله تعالى :

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (١) .

### باب : إزالة النجاسة

س ١ - هل رَوْث « الخُفَّاش » وهو « السحابة نجس » ، أم لا ؟  
ج - المذهب أنه نجس ، وعند شيخ الإسلام وابن القيم : أنه مرفوض عنه ، لكثرة البأوى فيه ، وعُسْر التحرُّز عنه .

س ٢ - هل دم القلب المُحتقِن فيه نجس ؟

ج - النجس إنما هو الدم المسفوح الخارج من محلّ مذبح اللبيحة . فأما الذي يبقى في العروق ، أو اللحم ، أو القلب ، ولو كثر وتكاثف ، فهو طاهر غير نجس ، ولا فرق في بقاء الدم في مقرّه ، أو أخذه وانفصاله ؛ فالحكم واحد .

س ٣ - إذا شُقَّ قلب البعير ، وسقط الدم منه على شيء ، فهل هو نجس يفتل ، أم طاهر يُباح ؟

(١) التباين : ١٥

ج - بل هو طاهرٌ مُباحٌ أكله ، وهو داخلٌ في قول الأصحاب : إن الدم الذى يبقى فى اللحم والمروق من الذبيحة بعد الدم المسفوح طاهر . فيدخل فى ذلك : دم القلب ، ولو تكاثر ؛ فُباحٌ أكله ، وهو طاهر ، قولاً واحداً فى المذهب .

س ٤ - إذا وقعت العصافير فى ماء الاستنجاء ، ثم خرجت فانتفضت ، فأصاب رشاشها شيئاً ، فهل يجب غسله ؟

ج - هذا متوقف على الحكم بنجاسة ما وقعت فيه ، وماء الاستنجاء بمجردده : لا يُحكم بنجاسته ، فإن ( الجِسْم ) مثلاً الذى يستنجى به الناس ، أو يبولون وينسلون فيه ، ويجمع ماؤه إما فى حفرة أو حوض نخلة أو نحوها ، فإنه محكوم بطهارته ولو كان متغيراً ريحاً ، فإنه من رائحة الطين المتغير الذى يسمونه ( العربة ) . لأن النجاسة إذا كانت على الأرض ، فالفسلة الواحدة تكفى فيها ، وتُطهرها . فإذا استنجى منه ، أو بال فيه ، ثم جاءه الماء ، طهره وصار طاهراً ، فإذا صار طاهراً ، عرف أن ما أصابه لا ينجسه ، بل لو مسحه الإنسان فلا ينجسه ، وإنما هو مُستقدر عند الناس ، وليس ينجس . نعم ، لو كان يجمع فى حفرة فيها « عذرات » أو غيرها ، ويتغير الماء بتلك النجاسة ، فإنه يكون نجساً ، فما أصابه وجب غسله . والله أعلم .

## باب : الحيض

س ١ - إذا بلغت المرأة سبعين سنة ، ودمها على حالتها ،  
فهل تجلس ؟

ج - المرأة التي قد بلغت السبعين من عمرها ، ودمها  
على حالته ما تُنكِرُه ، فإنها تجلس فيه ، لأن الصواب أن  
الحيض لا حَدَّ. لأقل سنِّه ولا لأكثره ، وحُكْم هذا الدم  
حُكْم الحَيْض من كلِّ وجه .

س ٢ - إذا تبَيَّن حمل المرأة ، ثم رأت الدَّم على العادة ،  
فهل يحكم بأنه حَيْض ؟

ج - المرأة التي تبَيَّن لها أنها حامل ، ثم رأت الدم على العادة ،  
فالخلاف فيه مشهور ، هل تحيض الحامل ، أم لا ؟ فالمنهج  
أنها لا تحيض ، فيكون ما رآته دم فساد ، لا تُتْرَك له العبادة .  
والرواية الثانية عن الإمام أحمد : أنها قد تحيض ، وهي الصحيحة ،  
وقد وُجِد ذلك كثيراً ، فيكون على هذا : دم حَيْض ، يثبت  
له جميع أحكام الحيض ؛ وهو الذي نختاره . والله أعلم .

س ٣ - ما الواجب بوطء الحائض ؟

ج - يجب على من وطئ الحائض ديناراً أو نصفه  
كفارة ، وهو مروى عن ابن عباس ، وهو وجيه ، لأن  
الكفارات كما تكون في الأيمان ، تكون في فعل المعاصي  
رجاء تخفيفها ، وهي من تمام التوبة منها .

س ٤ - إذا اضطربت عادة المرأة في الحيض ، بتقدم أو تأخر ، أو زيادة أو نقص ، فماذا تفعل ؟

ج - أمّا ما ذكره الحنابلة ، أنها لا تنتقل إليه حتى يتكرّر ذلك ، فهو قول ليس العمل عليه . ولم يزل عمل الناس جارياً على القول الصحيح الذى قاله فى « الإنصاف » : ولا يسعُ النساء إلا العمل به ؛ وهو أن المرأة إذا رأت الدم جلست فلا تصلى ولا تصوم ؛ وإذا رأت الطهر البين ؛ تطهرت واغتسلت وصلّت ؛ سواء تقدّمت عادتها أو تأخّرت ؛ وسواء زادت ، مثل أن تكون عادتها خمسة أيام وترى الدم سبعة ؛ فإنها تنتقل إليها من غير تكرار . وهذا هو الذى عليه عمل نساء الصحابة رضى الله عنهن والتابعين من بعدهم ، حتى الذين أدركنا من مشايخنا لا يفتنون إلا به ، لأن القول الذى ذكروا أنها لا تنتقل إلى ذلك إلا بتكراره ثلاثاً : قول لا دليل عليه ، وهو مخالف للدليل .

وكذلك على الصحيح أنه لا حدّ للسّنّ الذى تحيض فيه المرأة ، ولو دون التسع ، ولو جاوزت الخمسين سنة ، ما دام الدم يأتيها فإنها تجلسه ، لأنه الأصل ، والاستحاضة عارضة .

س ٥ - إذا أخذ المرأة الطلق ، فذهلت عن الصلاة يومين أو ثلاثة ، ولم تُصلّ تلك الأيام ، ولم يخرج منها دم ، فهل تقضى الصلاة ، أم لا ؟

ج - نعم تقضى ، لأن الذُّهول من مرض أو ألم أو نحوهما لا يُسقط وجوب الصلاة ، ولم يخرج منها دم ليكون نفاسًا .  
س ٦ - إذا اغتسلت من نفاسها ، ثم رجع الدم عليها بعد الأربعين ، وهي تعرف أنه دم نفاس ، فماذا تفعل ؟

ج - الذى نرى أنها تجلس فيه ، ولا تصوم ولا تصلى ، لأن الصحيح أن النفاس لا حد له ، والمذكورة ليست مستحاضة ، فإذا كان دمًا واضحًا ليس فيه كُدْرَة ولا صُفْرَة فهي تجلس فيه ، وحكمه حكم النفاس .

س ٧ - قول الأصحاب فى النفساء : ( فإن عاودها الدّم فشكوك فيه ) .. هل هو وجيه أم لا ؟

ج - ليس بوجيه ؛ فالصواب أنه إذا عاودها فيه ، فهو نفاس لا شك فيه ، يثبت له أحكام النفاس كلها . وما الفرق بين [ هذا و ] قولهم فى الحيض : من لها مثلاً عادة حيض عشرة أيام ، ثم حاضت خمسة أيام ، وانقطع عنها ثلاثة أيام ، وعاد عليها فى بقية العشرة : أنه حيض لا شك فيه ؟ فهذه نظيرها من كل وجه ، مع أن إثبات الحكم الذى ذكروا أنها تصوم وتصلى وتقضى الواجب ، مخالف لما هو المعروف من الشرع . وإن الشارع لم يُوجب على أحد العبادة مرتين ، إلا لتقصيره وتفريطه فيما وجب فيها من الشروط والواجبات . وهذه وشبهها لا تقصير فيها ، فلا يُمكن أن تُضاف إلى الشرع .

وهذا القول الذي صحّحناه هو أحد القولين للأصحاب ،  
رحمهم الله ، وجزاهم عنا وعن المسلمين أفضل الجزاء .

س ٨ - إذا تموّرت الحامل ، ولم يُعلم هل سقط الولد  
وهي تحيض ، وقد شربت دواء أزال عنها العوار ، فما الحكم ؟  
ج - إذا علم حملها ، فلا بد من اليقين أنه ليس في  
بطنها شيء ، إما بسقوط الولد ، وإما بِمُضَيِّ مدة طويلة  
يُتَيَقَّنُ أنه ليس فيها حَمَلٌ . ومن العلماء من قال : أربع  
سنين ، وهو المذهب ، ومنهم من قال : لا بد من اليقين  
أربع سنين أو أقل أو أكثر ، وهو الصحيح . والله أعلم .

س ٩ - إذا تموّرت الحامل ، وخرج منها دم كثير ،  
ولم يسقط الولد ؛ فما حكم هذا الدم ؟  
ج - هذا الدم دم فساد ، لا تترك الصلاة لأجله ،  
بل تصلى ولو كان الدم يجري ، ولا إعادة عليها ،  
ولكنها تتوضأ لكل وقت صلاة .  
والله أعلم .

س ١٠ - إذا طهرت النفساء ، وصامت قبل الأربعين ،  
فهل يصحّ صيامها ؟

ج - صيامها تامٌّ ؛ لأنه إذا حصل الطهر ولو قبل  
الأربعين ، صارت في حكم الطاهرات ، من كل وجه .

س ١١ - إذا رأت النفساء الدم قبل الولادة بأكثر من ثلاثة أيام، فما حكمه؟

ج - صريح كلام الفقهاء رحمهم الله : أن ما رآته النفساء قبل الولادة بأكثر من ثلاثة أيام ، فهو دم فساد لا يثبت له حكم النفاس ، ولو مع وجود الأمازق .

وفي هذا نظر ، فإن مبنى كلامهم يرجع إلى ما عُرف واعتيد ، وليس تحديد الثلاثة منصوصاً عليه ، لا شرعاً ولا عرفاً ؛ بل إذا نظرت إلى حدّ النفاس ، وأنه الدم الخارج بسبب الولادة ، المُحتبس في مدّة الحمل ، عرفت أن مقدمات الولادة قد تزيد على ثلاثة أيام ، كما هو الواقع . فالرجوع إلى الحدّ الذي ذكره للنفاس ، وإلى العرف ، أولى من التقييد بما لا دليل عليه .

والله أعلم .

## كتاب : الصلاة

س ١ - هل تسقط الصلاة عن المريم إذا خرف ؟

ج - نعم تسقط عنه ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « زُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ ، عَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيقَ . . » إلخ .

والمجنون حيث أُطلق في عرف الفقهاء : من عَدِمَ عقله بجنون أو بَلَاهُ أو خرف أو نحوها ، فلو ترك المُخْرَفُ الصلاة فلا حرج عليه ، ولا على من يتولاه ، ولا تُقضى عنه الصلاة إذا مات .

وأما من اشتد به المرض ، فتجب عليه الصلاة على حسب حاله ، ولو يَطْرَفُهُ ، ولو بقلبه ، ولا يَحِلُّ له أَنْ يترك الصلاة وعقله ثابت . فإن مات في هذه الحال ، وعليه عدة أوقات فلا تُقضى عنه ، وكذلك إذا استبدَّ به المرض ، وزال شعوره ، من شدة المرض ومات ، فلا يقضى عنه . والله أعلم .

س ٢ - عن تفاضل بعض الأعمال على بعض ؟

ج - الأفضل الجمع بين الصلاة وقراءة القرآن لمن يقوم الليل ؛ إلا إن كان إذا صَلَّى غلب عليه النعاس ، وإذا قرأ كان أنشط له . فالعملُ المفضول قد يعرض له ما يصيرُه أفضل من الفاضل ، بحسب مصلحته .

وأما صلاة التراويح ، فإن صَلَّى عشر ركعات ، فهين طمأنينة وسكون ، فهي أكمل .



وإن كان يخاف فيها من العجلة المفرطة ، فالخمس التي فيها طمأنينة وسكون أولى .

وتأخير الوتر آخر الليل أفضل ، لمعوم الحديث الصحيح ، حتى لو صلى التراويح مع الجماعة فالأفضل أن يجعل وتره آخر صلاته ، إلا الإمام الذي يصلى بالناس ، فيوتر بهم ، وتحصل له نيته .

س ٣ - ما الذي تكفّره الصلاة من الذنوب ؟

ج - قوله صلى الله عليه وسلم ، في حديث عثمان الذي في « صحيح مسلم » :

« مَا مِنْ أَمْرٍ يُسَلِّمُ تَخَضُّرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ ،  
فِيخْشِينُ وَضُوءُهَا وَخُشُوعُهَا وَرُكُوعُهَا ،  
إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ ،  
مَا لَمْ [ يَأْتِ ] كَبِيرَةٌ ، وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ . »

فيه أن كمال العبادة ، بتكميل وسائلها وأفعالها الظاهرة ، والخشوع الباطن الذي هو مقام الإحسان ، وأن النقص يحصل بالإخلال بواحدة من هذه الثلاث ، أو اثنتين ، أو كلها . وعلى الصلاة قس جميع العبادات ، واجتهد في إتقان طرقيها ووسائلها ، وفي تحقيق الخشوع والمرافقة فيها ، مع الاجتهاد والإتيان بكل قول أو فعل ، واجب أو مستحب . والله المعين والموفق .

## باب : الأذان

س ١ - ما حكم الرواتب التي تجعل للإمام والمؤذن ، وهل تحمل للنفي ؟

ج - أما الرواتب التي تجعل على المساجد لإمامها أو مؤذنها أو نحوها ، فهي من باب الجمالة ، إذا قام الإنسان بوظيفته ، حلت له ، غنيًا كان أو فقيرًا .

س ٢ - إذا ترك المؤذن شيئًا من جمل الأذان ، فما الحكم ؟  
ج - إذا ترك المؤذن من جمل الأذان شيئًا ، أعاده وما بعده مع قصر الفصل ، ومع طول الفصل لا يعيده . والله أعلم .

س ٣ - هل يُجيب المؤذن ، وهو في الصلاة ؟  
ج - قال الشيخ تقي الدين : يُجيب المؤذن وهو في الصلاة ، ووجه ذلك أن العمومات تؤيده . وهذا الذي نختاره .

## باب : شروط الصلاة

س ١ - إذا أدرك من وقت العصر أو العشاء ركعة ، فهل تلزمه أيضًا صلاة الظهر والمغرب ؟

ج - الصحيح أنه إذا أدرك من العصر ركعة ، أو من وقت العشاء ركعة ، فإنه تلزمه : الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، كما ورد به الأثر .

س ٢ - هل يجوز تأخير الصلاة عن وقتها ، لاشتغاله في مهمة الحكومة ؟

ج - في أي مهمة كان الإنسان ، لا يحلُّ له أن يؤخّر صلاة الفريضة عن وقتها ، بأيّ حالة تكون . إلا إذا كان مريضاً أو مسافراً يجمع الوقت إلى الوقت الذي بعده .

س ٣ - قولهم : يحرم استعمال منسوج أو مموّه بذهب أو فضة على الرجال ، فهل الأمران على السواء ؟

ج - فيه قول آخر في المذهب ، وهو التفريق بين الذهب والفضة ، وأن المنسوج والمموّه بالفضة جائز للرجال ، وقد اختاره شيخ الإسلام رحمه الله . وأنا لم يتّضح لي أيّ القولين أرجح ، وإذا لم يتّضح للإنسان رُجحان أحد القولين ، بدليل بيّن ، فسلوك طريق الاحتياط أولى . مع أن المموّه أخفّ حالاً من المنسوج ، مثل المشالغ المستعملة الآن بمموّه بالفضة ؛ فالظاهر إن شاء الله أنه لا بأس بها ، لأن التحريم يحتاج إلى دليل ظاهر بيّن . والله أعلم .

س ٤ - أباح الأصحاب ما استوى فيه الحرير وغيره ظاهراً ، فهل هو وجيه ، أم لا ؟

ج - ليس بوجيه ، بل الصحيح الرواية الأخرى عن الإمام أحمد : أن ما استوى فيه الحرير وغيره محرم ، وهو الثياب القسية التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم : انتهى عنها ، وهي ثياب فيها خطوط حرير وخطوط قطن ونحوه .  
فالصواب : تحريم ذلك .

س ٥ - قول الأصحاب : ويُباح العَلَم من الحرير إذا كان أربع أصابع فما دون ، هل مرادم طولاً وعرضاً ، أم عرضاً فقط ؟  
ج - مرادم بذلك هو المرض فقط ، وأنه لو كان علماً من أعلى الثوب ، كالقباء ونحوه إلى أسفله ، وهو من الأربع الأصابع فما دون ، أنه يجوز . وإلا فلو كان الطول مرادم لسكان الشيء البسير الذي أقلّ من إصبع عرضه ، وطوله أطول من أربع ، لا يجوز على هذا الاحتمال . ولسكنه ليس مرادم ، بدليل أنهم أجازوا الثوب الذي فيه خط حرير ، وخط قطن ، والقطن لا يزيد على نصف ظاهر الثوب . وكما أنه مراد الأصحاب ، فهو ظاهر النص ، فإنه أباح ما هو [ إصبعان ] أو [ ثلاث ] أو [ أربع ] ، وذلك راجع إلى العُزف . والعرف أن هذا التقدير لمرضه ، لا لطوله . والله أعلم .

س ٦ - إذا صلى في ثوب منصوب جاهلاً ، فهل يُعيد ؟  
ج - لا يُعيد من صلى في الثوب المنصوب ، ناسياً أو جاهلاً كما نصوا عليه ، وهو المذهب . وإنما يُعيد ويأثم إذا صلى به عالماً ذاكراً . والله أعلم .

س ٧ - إذا صلى وهو جُنُب ناسياً ، فهل يُعيد الصلاة ؟  
ج - نعم ، عليه الإعادة بالاتفاق ، بخلاف من صلى وعليه نجاسة ، فإن فيها خلافاً ، والمشهور الإعادة .  
والصحيح عدم الإعادة ، إذا لم يكن عالماً متممداً .

س ٨ - إذا صلى ناسيا أو جاهلا ، وعلى بدنه أو ثوبه نجاسة ، فهل يُميد ؟

ج - إذا جهل النجاسة على ثوبه وبدنه ، أو نسيها ، فالصحيح : لا إعادة عليه ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم خلع ثوبه ، لما أخبره جبريل في الصلاة أن بهما قذى ، وبني ولم يُميد .

س ٩ - ما حكم الصلاة في المواضع المنهي عنها ، كالمقبرة ونحوها ، مع الجهل ؟

ج - الصلاة في المواضع المنهي عنها كالمقبرة ونحوها إذا صلى فيها جاهلا ، فالمشهور من المذهب معروف ، وأن عليه الإعادة . وعنه : لا إعادة على الجاهل لها ، أو الجاهل بحكمها ، وهو قول جمهور العلماء ، وهو الصحيح ، وهو قياس المذهب في الصلاة في الثوب المنصوب .

### باب : صفة الصلاة

س ١ - هل يجوز تنويع الاستفتاح ؟

ج - الاستفتاح يجوز بكل ما صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم في الفرض والنفل ، وإذا كان الإنسان يحفظ عدة استفتاحات ، فالأولى أنه يُنوع فيها ، تارة يستفتح بنوع منها ، وتارة بالنوع الآخر .

س ٢ - هل تُشرع الاستعاذة في كل ركعة ؟

ج - الاستماعة لا تشرع إلا في أول ركعة ، لأن القراءة في جميع الركعات كأنها قراءة واحدة ، فإذا استماد في أولها اكتفى عن إعادتها . ومع ذلك لو أعاد الاستماعة ، فلا بأس . ولكن إذا أعادها ، فحلها قبل قراءة الفاتحة ، لا بعدها .  
س ٣ - قولهم : من ترك من الفاتحة حرفاً أو تشديدة أو ترتيباً ، لزم غير مأموم إعادتها ، إن تعمد ؟

ج - هذه العبارة من كلامهم فيها إشكال ، مقتضاها أنه إذا لم يتعمد ، لا يعيدها ، وهو غير صحيح ، فإن [الترك] لذلك مرتب على ترك الفاتحة ، ومن تركها لم يُؤدَّ رُكن القراءة ، وهي ظاهرة في عَوْدِهَا إلى الصُّورِ الثلاث ، لأن كل شرط عطف عليه شيء أو أشياء ، ثم صار الجواب واحداً ، عاد إلى الجميع . لكن الأولى حَمَلُ هذه العبارة على من ترك شيئاً من ذلك ففانت الموالاة بين قراءة أجزاء الفاتحة ، فإنه يعيدها استدراكاً للواجب ؛ فإن لم تَفْتِ الموالاة ، أعاد المتروك وما بعده فقط . هذا الذي يظهر لي من عبارتهم هذه تنزيلاً لها على ما هو معروف من المذهب ، مع أن حمل لفظها على ما ذكرت ، فيه قلق . والله أعلم .

س ٤ - ما المشروع في تكبيرات الانتقال ابتداء وانتهاء ؟

ج - المشروع في التكبير للانتقالات ، ما بين الابتداء والانتهاء . فلو خالف ذلك ، لم يُجْزِهِ التكبير ، على المذهب .

وعلى ما رجّحه «المجد» وغيره : أن ذلك مَعْفُوٌّ عنه ، وهو الذى لا يَسَعُ الناس غيره .

س ٥ - قوله فى «شرح الزاد» فى تكبيرات الانتقال : ومحلّها بين ابتداء وانتهاء ، فلو شرع قبل ، أو كمله بعد ، لم يجزئه ، ما مأخذه ؟ وهل هو صواب ، أم لا ؟

ج - أما مأخذه ، فإن هذا الذّكر مشروع فى الأصل ، بين الأركان ، ونفس الأركان مختصة بأذكارها المشروعة فيها ، وهذه التكبيرات شعار وعلامة للانتقال من ركن إلى ركن ، فهذا مأخذهم رحمهم الله ، ولكن الصواب ما ذكره «المجد» وغيره : أن هذا هو الأوّل ، وأنه لا يجب لعسر التحرز من ذلك ، وأنه لو ابتداء فيه قبل ، أو كمله بعد ، أنه يُقْتَدَى له به . ومأخذ هذا القول الصحيح ، المشقة والعسر ، وأيضاً المقصود حصل ، والشمار وقع ، ولو كان ما ذكره شرطاً ، لَبَيَّنَهُ الشارح ، مع شدة الحاجة إليه . والله أعلم .

س ٦ - ما حكم جلسة الاستراحة ؟

ج - فيها ثلاثة أقوال فى المذهب : الكراهة ، والاستحباب للحاجة ، واستحباب تركها إذا لم يكن حاجة ، وهو أصح الأقوال ، ولكن على الأقوال الثلاثة ، لا تحرم ولا تبطل الصلاة .

والمراد بجلطة الاستراحة : جلطة خفيفة جداً بعد القيام من السجود للقيام ، لتراكب الأعضاء ، ويحصل نوع استراحة

يُسْتَمَدُّ بِهَا لِلْقِيَامِ . هَذِهِ هِيَ جَلِيسَةُ الْاِسْتِرَاحَةِ .  
وَأَمَّا الَّذِي يُطِيلُ الْجُلُوسَ بَعْدَ السُّجُودِ ، وَيَزِيدُ عَلَى جَلِيسَةِ  
الْاِسْتِرَاحَةِ فِي فَرِيضَةٍ ، فَهَذَا لَا يَحِلُّ لَهُ ، لِأَنَّهُ يَتْرِكُ الْقِيَامَ  
الَّذِي هُوَ رَكْنٌ فِي الْفَرِيضَةِ .

س ٧ - إِذَا رَفَعَ بَعْضُ أَعْضَاءِ السُّجُودِ مِنَ الْأَرْضِ ،  
فَهَلْ تَبْطُلُ صَلَاتُهُ ؟

ج - إِنْ كَانَتْ رِجْلُهُ مَرْفُوعَةً مِنْ ابْتِدَاءِ السُّجُودِ إِلَى  
آخِرِهَا ، لَمْ تَصِحَّ صَلَاتُهُ ، لِأَنَّهُ تَرَكَ وَضْعَ بَعْضِ أَعْضَاءِ  
الصَّلَاةِ ، وَلَيْسَ لَهُ عِذْرٌ . وَإِنْ كَانَ قَدْ وَضَعَهَا بِالْأَرْضِ فِي  
نَفْسِ السُّجُودِ ، ثُمَّ رَفَعَهَا وَهُوَ فِي السُّجُودِ ، فَقَدْ أَذَى الرَّكْنَ  
لَسَكْنَهُ لَا يَنْبَغِي لَهُ ذَلِكَ .

س ٨ - قَوْلُهُمْ : وَإِنْ عَجَزَ عَنِ السُّجُودِ بِالْجِهَةِ ،  
لَمْ يَلْزَمُهُ بَغْيُهَا ، هَلْ هُوَ وَجِيهٌ ؟

ج - لَيْسَ بِوَجِيهٍ ، بَلْ يَسْجُدُ عَلَى بَقِيَّةِ الْأَعْضَاءِ الَّتِي يَقْدِرُ  
عَلَيْهَا ، وَهُوَ الْمَوْافِقُ لِلْقَاعِدَةِ الشَّرْعِيَّةِ : أَنْ مَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ عِدَّةُ  
أَشْيَاءَ ، وَعَجَزَ عَنْ بَعْضِهَا ، أَنَّهُ يَسْقُطُ عَنْهُ الْمَعْجُوزُ عَنْهُ ، وَيَأْتِي  
بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ جَمِيعَهَا مَقْصُودَةٌ . وَهُوَ وَجْهُ الْأَصْحَابِ .

س ٩ - مَا حُكِمَ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ ؟

ج - الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فِي الصَّلَاةِ رَكْنٌ ، كَمَا نَصُّوا عَلَيْهِ .



س ١٠ - إذا دعا بشيء من مَلَاذُ الدنيا ، فهل تبطل صلاته ؟  
ج - إذا دعا بشيء من مَلَاذُ الدنيا المحضة في الصلاة ،  
فقال الأصحاب : تبطل صلاته ، والقول الآخر : لا تبطل .  
وهو الذي يدلُّ عليه الدليل ،

س ١١ - ما حكم التسليمتين ؟

ج - للتسليمتان ركن لا تصحَّ الصلاة إلا بهما ،  
فلا تسقطان سهوًا ولا عمدًا ولا جهلًا ، كسائر الأركان .  
س ١٢ - ما حكم الصلاة إلى النار ، والمرأة التي تُصَلِّي ؟  
ج - تُسكِّره صلاته إلى نار كقنديل وشمعة ، للنشبهه  
بُعْبَاد النار ، وكذلك إلى امرأة تصلى بين يديه ، لما يخاف  
من الفتنه واشتغال القلب .

س ١٣ - ما حكم الصلاة ، وأمامك سراج ؟

ج - الأوَّلَى رَفَعُ السَّرَاجِ عَنِ قِبْلَةِ الْمُصَلِّينِ . والله أعلم .

س ١٤ - ما الذي يقطع الصلاة بمروره ؟

ج - على المذهب : لا يقطع الصلاة سِوَى السَّكَبِ  
الأسود البهيم ، وعلى الرواية الثانية الصحيحة : يقطعها السَّكَبُ  
الأسود ، والحمار ، والمرأة .

وحديث أبي ذرٍّ : أصل في هذا ، وهو حديث صحيح<sup>(١)</sup>

(١) وهو أنه يقطع صلاته الحمار ، والمرأة ، والسَّكَبُ الأسود ،  
رواه مسلم وأصحاب السنن .

وأما حديث أبي سعيد<sup>(١)</sup> فهو باقٍ على الأصل منسوخ بحديث أبي ذر ، والمثبتُ مقدم على النافي ، فعلى هذا يجب أن يحتز النساء من مرور بعضهن بقبلة بعض إذا كنَّ منقذات ، فإن كنَّ مع الإمام فقد ذكروا : أن قبلة الإمام قبلة لمن خلفه ، فلا يقطع الصلاة مرور بعضهن على بعض ، ولكنه مُحرَّم مَنهِيٌّ عنه ، ويتدرّجن بذلك إلى المرور حتى ولو كنَّ مع الإمام<sup>(٢)</sup> وإذا صلّين جماعة أو مع الرجال ، فالمشروع أن يصفن كما يصف الرجال ، ولا يصرن زمراً كموائدهن الموجودة . فالوفق يحتسب ويعلمهن السنة والأمر المشروع ، ليكون ذلك في موازينه ، ويعلم بعضهن بعضاً .

س ١٥ - ما حكم السلام على المصلّي ، وكيف يرده ؟

ج - قوله : وله ردّ السلام إشارة ، يعني يجوز فلا يجب ولا يستحب ، مع أن المُسَلِّم لا ينبغي له السلام على المصلّي .

س ١٦ - قوله : وله السؤال عند آية رحمة ، والتموؤذ عند

آية عذاب ، ولو في فرض : ما حجة من منعه في الفرض ؟ وهل للمأموم إذا قرأ إمامه أن يسأل ويتعوذ ؟

ج - ليس لمنايع ذلك في الفرض حجة ، لأنه من القواعد المقررة : ما ثبت في التّفصل ثبت في الفرض ، وبالعكس ،

---

(١) وهو أنه لا يقطع الصلاة شيء ، رواه أبو داود ، وهو حديث حسن .

(٢) لعله : مع غير الإمام .

إلا ما دلّ الدليل على التخصّوصيّة ، وهذا الحكم لم يدل دليل على خصوصيته في النقل ، فالصواب أن الفرض والنقل سواء ، لكن المأموم مأمور بالإنصات لقراءة إمامه ، فإن شغله ذلك عن الإنصات كره له ، وإن لم يشغله ، بل أعانه على تدبّر قراءة إمامه ، ولم يشغل من كان معه : لم يُكره له ، بل يستحب . والله أعلم .

### باب : سجود السهو

س ١ - ما معنى قولهم : ولا من فارقه للعذر<sup>(١)</sup> ؟  
ج - يعنى لأنه معذور ، لأنه إذا قام الإمام لركعة زائدة فالمأموم إذا لم يلحظه ، فهو معذور ، لأنه تخلف عن شيء يُبطل الصلاة فعله ، وهو الواجب عليه .

س ٢ - إذا قام إلى الثالثة في التراويح ، فماذا يفعل ؟  
ج - إذا قام لثالثة سهواً ، فيلزمه العود ، فيرجع ، ويجب عليه سجود السهو ، ولا يكملها أربعاً ، لأن المتنفل ليلاً إذا قام لثالثة يتمين عليه الرجوع ، بخلاف المتنفل نهاراً ، فإنه يُخَيَّر . والله أعلم .

---

(١) هذه المسألة فيمن قام إمامه إلى ركعة زائدة ، ففارقه المأموم العالم زيادتها ، فإن صلاته تصحّ ، وتبطل صلاة الإمام إذا نبهه فمقتان ، فأصر ولم يجزم بصواب نفسه .

س ٣ — إذا سلم من ركعتين ، ثم استقبل المأمومين وسألهم ، وأخبروه أنه ما صلى إلا ركعتين ، ثم أتمّ صلاته وسجد للسهو ، فما الحكم ؟

ج — صلاته وصلاة المأمومين صحيحة ، وهذا هو الواجب عليه ، لأنها وقعت من النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه على هذه الصفة ، وقام وصلى بهم ما بقي من صلاته ، ثم سجد للسهو ، وقد تكلم وتكلم الناس ، ولكنهم في هذه الحالة معذورون . فهذا الذي نرى . وبعض العلماء رحمهم الله يرون أن في مثل هذه الحال تجب إعادة الصلاة من أولها ، ولكنه قول ضعيف . فالقضية التي ذكرت : الصلاة صحيحة في حق الجميع ، الإمام والمأمومين .

س ٤ — قولهم في السهو : إذا لم يذكر حتى قام ، فعليه أن يجلس لينهض إلى الإتيان بما بقي من جلوسه ، فما حجة ذلك ؟ وهل هو صواب أم لا ؟

ج — إن حجة هذا القول أن هذا القيام واجب للصلاة ، وقد أتى به بنية غير الصلاة ، بل نوى الخروج منها بالسلام ثم قام على وجه العادة ، فلما قام ذكر نقص صلاته ، فأوجبوا عليه أن يأتي بكل ما ترك ، ومن جملة ذلك ، القيام من الثانية أو الثالثة مثلاً إلى باقى صلاته . هذه حجبتهم رحمهم الله ، ومع ذلك ففي إيجاب ذلك نظر ، يدل عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ترك الركعتين وقام إلى خشبة معروضة في المسجد ،

وذكره الناس ، أتى بما بقي من صلاته ، ولم يذُكر أحد أنه جلس ثم نهض ، ولو كان واجباً لفعله . ومما يؤيد هذا أن الانتقالات إلى الأركان مُراداً لغيرها إرادة للوسائل ، فإذا حصل المقصود ، ولم تحصل الوسيلة لعذر ، لم يلزم الرجوع إليها . هذا الذي يترجّح عندي . والله أعلم .

س ٥ - قال الأصحاب : إذا ترك ركناً من أركان الصلاة ، فذكره قبل شروعه في قراءة الركعة التي بعدها ، رجع إليه ، وبعده تلغو الأولى ، وتكون الثانية بدلها . فواجه كلامهم ؟  
ج - هذا الذي ذكره ، هو المشهور من المذهب عند المتأخرين ، واستدلوا عليه بأن شروعه في القراءة ، شروع بُرُكن مقصود ، فإذا شرع فيه ، سقط الإتيان بما مضى ، ووقعت الركعة السابقة لاغية ، لوجوب الترتيب بين الأركان . هذا حاصل حجة هذا القول .

والقول الثاني في المذهب : أنه لا فرق بين الصورتين ، وأنه [ إذا ] نسي ركناً من أركان الصلاة فذكره ، لزمه أن يعود فيأتي به وبما بعده ولو شرع في القراءة . أما إتيانه به ، فلأنه تركه فلا يخرج من العهدة إلا بفعله ، وأما ما بعده ، فلوجوب الترتيب ، فيقع ما بعده لاغياً ، لأن من شرطه فعل ما قبله ، وسواء ذكر ذلك بعد الشروع في القراءة أو قبله . وهذا القول أصح ، وهو الموافق للقواعد الشرعية ولقاعدة المذهب .

والتفريق بين الشروع في القراءة أو عدمه ، بأن الشروع في القراءة ركن مقصود ، غير صحيح ، فإن جميع أركان الصلاة كلها مقصودة : قيامها ، وركوعها ، وسجودها ، وجلوسها ، وأقوالها وأفعالها . ثم في كونه بعد الشروع في القراءة تُلغى الركعة السابقة . فيه مفسدتان شرعيتان :

إحداها : إهدار ما وقع صحيحًا مرتبًا ، وهو ما قبل الركن المتروك ؛ فلأى دليل يُندَر ، والشارع قد اعتبره ؟  
والثانية : زيادة أفعال في الصلاة على وجه العمد ، وهو للقيام ، وما بعده إلى الركن المتروك . فثلاً إذا كان قد ترك السجدة الأخيرة في الركعة الأولى ، ولم يذكرها إلا بعد شروعه في قراءة الثانية ؛ فإنه يلزمنا على هذا أن تُلغى قيام الأولى وركعتها ، والقيام بعد الركوع والسجود الأول ، والقيام منه ، والجلوس بين السجدين ، وكله واقع في محله على وجه الصحة ، ثم يعتبر قيام الثانية وما بعده إلى السجدة الثانية منها . وهذا عند التأمل فيه ، يجزِم بغاية ضعفه ، وأن الصواب أن من نسى ركنًا فذكره في الصلاة ، [فإنه] يأتي به وما بعده مطلقًا ، سواء ذكره قبل الشروع في قراءة ما بعدها ، أو بعده . وهذا القول هو ظاهر عموم الأدلة في الصلاة خاصة ، وفي غيرها مما اعتبر له الترتيب عامة ، فإن من ترك ترتيب الوضوء ، أو الطواف ، أو السعى ،

أو رَنَى الجمارَ أو نحوَه ؛ فإنه يأتي بالمتروك وما بعده فقط ،  
ولا يأتي بالفعل الواقع صحيحًا . والله أعلم .

مس ٦ - قولهم : إذا أدرك الإمام في ركعة زائدة ،

لم يُعتمدَ بها ، هل هو صحيح ؟

ج - ليس هو بصحيح ، وإن كان هو المشهور من  
مذهب الإمام أحمد ، عند المتأخرين ، لأنه لا دليل عليه ،  
وهو مُخالف للدليل ، ولهذا قال بعض الأصحاب : إن المسبوق  
يُعتدُّ بإدراكه واقتدائه بإمام زاد ركعة ، وهو فيها معذور .  
وهذا القول هو الصواب ؛ لأن القول بأنه لا يُعتدُّ بها  
يقتضى جواز أن يزيد في الصلاة ركعة متممدا ، وذلك مُبطل  
للصلاة بإجماع العلماء ؛ فيةقتضى أن يصلى الفجر ثلاثًا ،  
والمغرب أربعًا ، والرباعية خمسًا .

والقول الذي يلزم منه خرق الإجماع ومخالفة الأدلة  
الشرعية ، غير صحيح ، وتعليقهم رحمهم الله أنها لاغية في  
حق الإمام فتَلَمَّوْا في حق المسبوق : تعليل غير صحيح ؛  
فإنها لاغية في حق الإمام حيث وقعت زائدة لم يتممدها ؛  
فإنه لو تممدها بطلت صلاته .

وأما المسبوق فإنها أصلية في حقه ؛ فكيف تُلفيها  
ونأمره أن يزيد في صلاته ؟ ! بل نقول : الحكم يدور  
مع علته ، والإمام معذور بفعالها ؛ لأنه لم يتممدها ،  
والمسبوق صحيحة في حقه ؛ لأنها من صلاته الأصلية .

وإذا كان الإمام إذا صَلَّى بالمؤمنين وهو محدث، ناسياً لحديثه؛ فنقول لكل منهما حكم: الإمام يُعيد، والمؤمنون لا يُعيدون، مع فساد صلاة الإمام والغائها جملة؛ فكيف مع إلغاء بعضها وصحة جميعها تُلغى ما اقتدى به المسبوق فيها؟

ثم نقول على أنهي التقادير: إن الركة الزائدة في حق الإمام إذا اقتدى به المؤمن فيها، كأنه صلاها منفرداً، وذلك جائز معتبر. والله أعلم.

س ٧ - إذا تكلم في صُلب الصلاة، أو من يُسَلِّم ناسياً أو جاهلاً؛ فهل تبطل صلاته؟

ج - إذا تكلم في الصلاة ناسياً أو جاهلاً، أو سَلَّمَ قبل تمامها ثم تكلم لمصلحتها أو غيره؛ فالصحيح في هذا كله عدم الإبطال.

س ٨ - هل القهقهة تُبطل الصلاة؟

ج - الصواب كما قالوا: أن القهقهة في الصلاة كالكلامة تبطلها.

س ٩ - ما هو اللحن المُبطل للصلاة وغير المُبطل؟

ج - ليس من اللحن شيء يُبطل الصلاة، إلا إذا تعمد

اللحن المُحيل للمعنى، واللحن المُحيل للمعنى: هو الذي يتغير

فيه المعنى بسبب اللفظ المُتغير كما مثلوا به، كجَرَّ كاف

«إياك» وضم تاء «أنعمت» أو كسرهما.

وأما اللحن الذي لا يغير المعنى، فإنه لا يصير به

للإنسان أمياً، ولا يبطل الصلاة مطلقاً. والله أعلم.



س ١٠ - ما هو سجود السهو الذي أفضليته قبل السلام ،  
والذي أفضليته بعده ؟

ج - أما الشُّجُود الذي محلّ أفضليته بعد السلام ، فهو :  
إذا سلم عن نقص ركعة فأكثر ، أو إذا بنى على غالب ظنه  
حيث قلنا به . وما سوى ذلك من سجود السهو ، فمحلّ  
أفضليته قبل السلام . والله أعلم .

س ١١ - أبطل الأصحاب الصلاة بتمدد ترك سجود السهو  
إن كان محلّه قبل السّلام فقط ، فهل التفريق وجيه ؟

ج - قد ذكر الفرق بين الأمرين ، وأن ما كان قبل  
السلام يلتحق بالواجبات في الصلاة ، فتعمد تركه مُبطل ،  
كتمدد ترك الواجبات فيها . وأما ما كان بعد السلام ، سواء  
كان محلّ أفضليته ، أو كان قد نسيه قبل السّلام ثم ذكره  
بعد ما سلم ، فإنهم ألحقوه بالواجبات للصلاة ، فيحرم تركه ،  
ولا تبطل الصلاة بالترك المذكور ، لكونه خارج الصلاة ،  
كالأذان والإقامة الواجبين لها ، يحرم تركهما عمداً ، مع صحّة  
الصلاة ، لو تركهما . وسرُّ الفرق : أن ما كان داخلًا فيها من  
الواجبات ، تبطل بتركه عمداً ، وما كان خارجًا عنها ، لا تبطل  
بتركه . نَبّهَ على هذا الفرق صاحب « الفروع »<sup>(١)</sup> وأنا ما زال

---

(١) هو الإمام ابن مفلح الفقيه المشهور في المذهب ، وكتابه « الفروع »  
يعتبر من أمهات المصادر في مسائل الخلاف .

في نفسى من مسألة سُجود السهو شيء ، ولم أطمئن لما ذكره ، لأن الشارع أوقف كمال الصلاة على فعله ، فهو مكمل للصلاة ، إن كان شفعا كاتتا ترغيا للشيطان ، وإن كان صلى وترا زائدا ، شفعا له صلاته ، فهذا هو المقصود العظيم الفائدة ، وإن السجدين نابتا مناب ركعة كاملة بسجديتها ، حيث ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنهما يشفعن صلاته ، يفوت إذا تركهما متعمدا . فإن كان في المسألة قول آخر ، فهو الذى تطمئن إليه النفس . وإلى الآن ما أذكر أنى رأيت فيه قولا غير ما ذكره الأصحاب ، رحمهم الله . فإن وجدت فيه قولا لبعض الأصحاب أو غيرهم ، ذكرته لجنابك . والله أعلم (١) .

س ١٢ — هل على المأموم سُجود سهو ؟

ج — إذا أدرك الصلاة كلها ، فلا سجود عليه للسهو ، إلا إذا سها إمامه ، فيسجد تبعا له ، فإن كان مسبوقا ، فإذا سها بما أدرك به إمامه أو بما يقضيه ، فإن عليه السجود للسهو .

(١) أقول : ذكر فى « الفروع » و « الإنصاف » : رواية أخرى عن أحمد بأنها تبطل بترك سجود السهو المشروع بعد السلام ، قال فى « الفروع » : ومن ترك سجود السهو الواجب عمدا ، بطلت بما قبل السلام ، لا بما بعده على الأصح فيهما ، وقال فى « الإنصاف » بعد أن قدم المذهب : وعنه .. تبطل ، وهو وجه ذكره « المجد » وغيره .

س ١٣ - إذا سلم الإمام ، ثم قام المسبوق لقضاء ما فاتته ،  
فذكر الإمام ومن معه : أنهم سلموا عن نقص ، فماذا يصنع  
المسبوق ؟ هل يستمر في القضاء ، أو يرجع لیتابع إمامه ؟  
ج - يُخَيَّرُ هذا المأموم المسبوق : بين أن يرجع فيتابع  
إمامه ، وبين أن يستمر في قضاء ما فاتته .

### باب : صلاة التطوع

س ١ - ما أنواع السنن المتطوع بها ؟  
ج - اعلم أنه قد تقرر في الشريعة ، أن الفرائض أكمل  
من النوافل في ذاتها وفضلها وكثرة ثوابها ، وهذا أمر معلوم  
من الشرع : ولسكن لِتَعَلَّمْ أن السنن التي [ إذا ] تركها العبد  
[ فلا ] إثم عليه ، نوحان : نوع مستقل بنفسه ، كنوافل  
الصلاة ، ونوافل الصيام ، والصدقة ، والحج ، وغيرها .  
ونوع : تابع للفرائض غير مستقل بنفسه ، فهذا النوع  
الأخير ينبغي للعبد أن يعتنى به اعتناء عظيمًا ، كما يعتنى بأصل  
الواجبات ، لأنه يكمل للفريضة ، ويُثاب عليه ثواب الفرض .  
لأن الفرض اسم للفريضة التي فعلها العبد على وجه أتى فيها  
بفعل واجباتها ومُتَنِّهَا ، فسنن صلاة الفريضة مثلًا ، القولية  
والفعلية ، ينسحب عليها حكم الفرائض في أحكامها إذا فعلت ،  
وفي أجرها وثوابها . وكذلك سنن صوم الفرض ، والزكاة ،  
والحج ، وسائر الفرائض .

فلهذا على العبد أن يجتهد غاية الاجتهاد في تكميل ما يتعلق بالفرض ، من مُسكِّماتِه وسُننِه ، لتتم له مقاصد تلك العبادة كلها من زيادة الإيعان ، وتكفير السيئات ، وزيادة الحسنات ، ورفع الدرجات ، وزيادة الخيرات ؛ وذلك داخل في المسابقة إلى الخيرات ، وداخل في الإحسان في عبادة الخالق .

قال تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (١) .

فتخصين الفرائض : هو الإتيان فيها بكل واجب ومسنون ، ظاهري وباطني ، قولي أو فعلي . والله المعين الموفق لذلك .

س ٢ - متى يدخل وقت الوتر ؟

ج - الصحيح ما قاله الأصحاب ، أن وقت الوتر يدخل بصلاة العشاء الآخرة ، ولو جمعت مع المغرب تقديمًا ، لعموم الحديث .

س ٣ - ما محلّ القنوت المشروع ؟

ج - قنوت الوتر بعد الركوع مستحب ، وقبل الركوع جائز .

س ٤ - إذا صلى ركعتي الفجر في بيته ، ثم أتى المسجد قبل الإقامة ، فهل تشرع له التحية ؟

ج - أما على المشهور من المذهب ، فلا يجوز ، لأن النهي يتعلق بطلوع الفجر ، ولا يجوز فيه ذوات الأسباب .

(١) هود : ٧ وتبارك : ٢ .

وأما الصحيح وهو رواية عن أحمد، فإنه يجوز ذلك لأمرين :  
أحدهما : أن الصحيح جواز ذوات الأسباب في أوقات  
النهي المحققة .

ثانيهما : أن الصحيح من أقوال أهل العلم ، أن النهي  
يتعلق بصلاة الفجر ، لأن الأحاديث الصحيحة التي في  
« الصحيحين » صريحة بذلك . من ذلك حديث أبي سعيد :  
« لا صلاة بَعدَ صلاةِ الفَجْرِ » واللفظ الآخر : « لا صلاةَ  
بَعدَ صَلَاتَيْنِ : صلاةِ الفَجْرِ ، وصلاةِ العَصْرِ » .

والأحاديث التي فيها « لا صلاة بعد طلوع الفجر » أحاديث  
ضعيفة ، ومن أهل العلم من قال : إنها موضوعة ، وعلى كلِّ  
حال ، فإنها لا تُقاوم الأحاديث الصحيحة . ولكن كان من  
هَدْيِ النبي صلى الله عليه وسلم أن يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ بَعدَ طُلُوعِ  
الفجر ، فإذا لم يكن سبب ، فينبغي الاقتصار على ركعتي الفجر ،  
فإن كان سبب ، كتحية مسجد ، وصلاة وتر ونحوهما ،  
فالأولى فعل ذلك ولو بعد طلوع الفجر . والله أعلم .

م ٥ - إذا صلى راتبة الفجر ضحى ، فهل تُجزئه  
عن ركعتي الضحى .

ج - صلاة الضحى من السنن المطلقة غير المقيدة ، والسنن  
المطلقة لا تدخل في قولهم : إن من دخل المسجد مثلاً وصلى  
ينوى بها تحية المسجد والراتبة ، أن ذلك يجزئه ، لأنه اجتمع

عبادتان من جنس واحد ، فتداخلت أفعالهما ، ومثله صلاة الطواف ، تُجزئ الراتبة عن سُنّة الوضوء وما أشبهها من المقيّدات التي لها سبب ، ويزول حكمها بزوال سببها ، بخلاف صلاة الضحى فلا تدخل بذلك ، كما لو نوى راتبة العشاء الآخرة ، ونوى بها أيضاً قيام الليل ، فإنها لا تجزئ عن الأمرين . والله أعلم .

س ٦ - ما حكم تحية المسجد لمن تكرر دخوله ؟  
ج - تُسنّ تحية المسجد ، حتى ولو تكرر دخوله .  
س ٧ - هل يجب التكبير لسجود التلاوة ؟  
ج - أما سُجود التلاوة إذا فُعل خارج الصلاة ، فالصحيح أنه لا يجب فيه تكبير ولا تسليم ، خلافاً لما هو المعروف من المذهب<sup>(١)</sup> .

س ٨ - ما حكم إحياء ليلة العيد ؟

(١) ومن جواب آخر له قال : وأما سجود التلاوة ، فإن كان في نفس الصلاة ، فحكمه أنه تجب له الطهارة ، وأن يكبر حين يسجد ، ويكبر حين يقوم ، وإذا كان خارج الصلاة ، فالمذهب فيه معروف : أنه يشترط فيه ما يشترط في صلاة النافلة ، والصحيح فيه : أنه لا يشترط فيه الطهارة ولا استقبال القبلة ، وليس له تكبير ، وانكته بالطهارة أكل ، وللقبلة أتم ، كما قرره البخاري وشيخ الإسلام ابن تيمية .  
وفي جواب آخر له : والذي نختاره . السجود في سجدة (ص) ولو في الصلاة .

ج - أمّا إحيائها بأن يصلى الإنسان وحده ، فهذا قد استحبّه العلماء ، وسواء كان سرّاً أو علناً . وأمّا إحيائها في المساجد جماعة بأن تصلى كما تُصَلَّى التراويح أو قيام رمضان ، فهذا ليس بمشروع ، بل هو بدعة مكروهة ، لأن الاجتماع في ليلة من غير ليالى رمضان - كليلة النصف من شعبان ، وليلة السابع والعشرين من رجب ، وكذلك ليلة العيد - كلّ ذلك من البدع التي يُنّهى عنها .

س ٩ - قولهم : وإن جاوز اثنتين ليلاً ، علم العدد أو نسيه ، كره وصح ، هل هو وجيه أم لا ؟  
ج - إذا جاوز المصلى ليلاً ركعتين ، فهل يكره كراهة ، أو يمنع ، ولا يجوز له الزيادة على ذلك ؟

على قولين في المذهب : جرّوا في موضع من كلامهم على الكراهة فقط ، وفي موضع آخر قالوا : وإن قام إلى ثالثة ليلاً ، فكما لو قام إلى ثالثة في الفجر ، فجرّوا على المنع .  
والحديث الصحيح : « صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنِي مَثْنِي » (١)  
يدلُّ على هذا القول . والله أعلم .

س ١٠ - هل الأفضل القراءة ، أو استماع العلم النافع ؟  
ج - الاستماع للعلم النافع والذكر أفضل من اشتغال الإنسان بقراءة أو صلاة نافلة .

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

## باب : صلاة الجماعة

س ١ - ما حكم صلاة الجماعة ؟

ج - أصبح الأقوال ، وهو المشهور من المذهب : أن الجماعة فرض عين في المكتوبات على المكافئين من الرجال .

س ٢ - هل تجب الجماعة على العبد ؟

ج - المشهور من مذهب الإمام أحمد : أنه ليس عليه جمعة ولا جماعة ، وفيه قول آخر : أن عليه جمعة وجماعة . وهو الذي نعتقده .

س ٣ - إذا حصل بين جماعة المسجد شخناة ، فأراد أحد المتشاحنين أن يترك المسجد ، ويبني مسجدًا خاصًا له في قصره ، فما الحكم ؟

ج - على وليّ الأمر إلزامه بالصلاة في المسجد القديم الممّدّ للصلاة للجميع . وأما المسجد الذي بناه في قصره ، فهو بمنزلة من بنى في داره مسجدًا ، فإنه لا يجزئ له أن يترك المسجد الذي تُقام فيه الجماعة ، ويقول : أصلي في مسجد بيتي . فهذا مُخالف للشرع .

س ٤ - ما معنى الحديث الصحيح :

« إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ ، فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الْمَكْتُوبَةُ » ؟

ج - قد ذكر العلماء أنه مخمول على ابتداء النفل لمن يريد أن يصلي مع الإمام ، [و] أنه ممنوع . وأما إتمامه ،



فلم يجعلوه متناولاً له ، جمعا بينه وبين قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُبْطِلُوا  
أَعْمَالَكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وفرقا بين الابتداء والدوام ، فإن الثاني  
أخف حكما من الأول .

واعلم أنه يتحرر لنا في هذا الموضوع أربع صور ،  
أو خمس :

إحداها : إذا شرع في الإقامة قبل أن يبتدئ النافلة ،  
فهذا لا تمنع نافلة ، وهو أعظم مما دخل في الحديث .

الثانية : إذا شرع فيها ، ولا يمكنه أن يتمها حتى تفوته  
الجماعة المذكورة ، إما بالسّلام ، وإما بركعة على أصح  
القولين . فهذا يجب عليه قطعها ، قولا واحداً ، لأنه لا تعارض  
بين واجب ومستحب ، وعموم إيجاب الجماعة حتى في هذه  
الصورة . والابتداء في النافلة لا يسقط الوجوب .

الثالثة : إذا كان شارعا فيها ، ويمكنه أن يستلم منها ويُدرك  
الركعة الأولى ، فهذا : الأولى له أن يتمها ، وهو أعظم مما دخل في  
كلام الأصحاب ، وقولهم : « إذا شرع فيها ، أتمها خفيفة » .

الرابعة : من شرع فيها ، وقد دار الأمر بين إتمامها ،  
وفوات الركعة الأولى ، وبين قطعها وإدراك الركعة الأولى ،  
فعموم كلام الأصحاب يقتضى أن الأولى له أن يتمها خفيفة  
ولو فاتته الركعة . وفيها قول آخر في المذهب : الأولى له  
قطعها في هذه الحال . وهو الصحيح عندي ، وعموم الحديث

(١) محمد : ٣٣

ولجواز قطع النفل ، ولأن الفرض ومصلحته لا يعادله النفل ،  
فالقيل منه يفضل الكثير من النفل . وإذا كان هذا في ركعة  
ففيها فوقها من باب أولى وأحرى .

س ٥ — رجل صلى في غيبة الإمام الراتب ، فلما صلى  
حضر الإمام الراتب ، وقال : أعيدوا صلاتكم ، فإنني أعلم منه  
ما لا تعلمون . فهل عليهم إعادة ؟ .

ج — ليس عليهم إعادة ، لأنهم معذورون حين غاب  
الإمام الراتب عن عاداته . وقوله : إنني أعلم منه ما لا تعلمون ،  
لا يوجب الإعادة عند أحد . واختلف العلماء إذا صلوا خلفه  
ثم تحققوا فسنته تحققاً لا شك فيه . والصواب في ذلك ،  
ما كان عليه الصحابة والتابعون ، أن الصلاة تصح خلف  
كلِّ برٍّ وفاجر . ولكن مع وجود الإمام المدل لا شك  
أن الصلاة خلفه [هي] الأولى . وأما هذه المسألة التي ذكرت ،  
فلا موجب فيها للإعادة بوجه من الوجوه .

س ٦ — هل يتحمل الإمام القراءة عن المأموم ؟

ج — يتحمل الإمام عن المأموم القراءة إذا سمعه في الصلاة  
الجهريّة دون غيرها ، وهو أعـدل الأقوال ، واختيار  
شيخ الإسلام .

س ٧ — هل قضاء المسبوق أول صلاته ، أو آخرها ؟

ج — الصحيح القول الآخر : أن المسبوق ما يُدرِكه  
أول صلاته ، وما يقضيه آخرها .

س ٨ - ما ذا يعمل المقيم إذا صلى خلف المسافر ؟  
ج - إذا صلى المقيم خلف المسافر ، وقَصَرَ المسافر ، فإن صلاة المقيم خلفه صحيحة ، فإذا سلم الإمام ، قام المأموم ففقد ركعتين .

س ٩ - قولهم : المتوضىء أولى من المتيّم ، هل هو واجب ؟  
ج - هذا أولوية استحباب ، وليس بواجب تقديم المتوضىء على المتيّم .

س ١٠ - ما معنى قولهم : ولا تصح خلف فاسق ككافر ؟  
ج - معنى قولهم : ولا تصح خلف فاسق ككافر ، أنه قد يصلي الكافر ويظن المصلي خلفه أنه مسلم ، ففنى علم بذلك ، أعاد على المذهب ، وقيل : لا يُعيد من لم يعلم بكفره ويتصور أن يصلي وهو كافر نفاقاً أو استهزاء . وهو أولى . والله تعالى أعلم .

س ١١ - ما حكم الصلاة خلف شارب الدخان ؟  
ج - إن كنت تجد إماماً غيره ، فلا تُصلِّ خلفه ، وإن لم تجد إلا إماماً يشرب الدخان ، فينزم أن تصلي خلفه ، ولا تُصلِّ وحدك . والله أعلم .

س ١٢ - ما حكم إمامة الصبيِّ للبالغ ؟  
ج - الصحيح أن إمامة الصبي للبالغ صحيحة في الفرض والنفل ، وهو رواية عن أحمد ، اختارها كثير من الأضحاب .

س ١٣ - إذا وجد رجل أحسن من غيره للإمامة ،  
ولسكنه أخرج لا يستطيع أن يثني رجله ، فهل يقدم على غيره ؟  
ج - الرجل الذي تذكّر أنه أحسن من غيره للإمامة ،  
وإنما هو أخرج لا يستطيع أن يثني رجله بالسجود ولا بالقيود ،  
فلا يضّر ذلك ، بل هو أولى من غيره بالإمامة إذا كان أحسن  
من غيره وأقوى ، لمموم قوله صلى الله عليه وسلم :  
« يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ . » الحديث (١) ،  
والنقص الذي فيه لا يُخِلُّ بإمامته ، لأنه لم يترك واجبا  
عليه في صلاته .

س ١٤ - قولهم : ( لا تصيح الصلاة خلف مُحدث  
ولا نجس يعلم ذلك ) ، إلى قولهم : ( فإن علم واحد ، أعاد  
الكل ) ، هل هو وجيه ؟

ج - ليس بوجيه ، وهذه الصورة من أغرب المسائل  
وأعجبها ، فإننا إذا تنزلنا أن الإمام إذا كان يعلم حدّته  
وتنجاسته ، أنه يجب على المأموم الإعادة ، وهي المشهورة عند  
الأصحاب ، مع أننا لا نختارها ، بل الذي نختار أن المأموم  
المعذور الذي لا يعلم حدّث إمامه ولا نجاسته ، أن صلاته  
صحيحة ، ولو كان الإمام عالما بحدّث نفسه ونجاسته ، لأن لكل  
نفس ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت . والمأموم لم يحصل له  
(١) رواه أحمد ومسلم من حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو ، رضي الله عنه .

من مُبطلات الصلاةِ ومُفسداتها شيءٌ ، فكيف يُحكّم بِبطلانِ  
صلاتِهِ ؟ ١٤ بل الصّواب [ أنه ] لا تبطلُ صلاةُ المأموم بِبطلانِ  
صلاةِ إمامِهِ في كلِّ صورة ، حتى ولو بطلت في أثناء الصلاةِ  
وخرج منها ، فإن المأموم يبنى على صلاتِهِ ، إماماً منفرداً ، أو يصلى  
بهم أحدُهم بقيّة صلاتهم ، وهو رواية قوية عن الإمام أحمد .  
المقصود : لو تنزلنا وقلنا : تبطلُ صلاةُ المأموم إذا صلى  
خلف إمام محدث أو نجس يعلم ذلك الإمام من نفسه ، فإن  
إبطال صلاة بقيّة المأمومين يعلم واحد منهم دون الإمام  
ضعيفة جداً ، ليس عليها دليل شرعي ولا تعليل مُرضٍ . .  
س ١٥ - إذا علم بعض المأمومين بمحدث الإمام ،  
فهل تبطلُ صلاة الباقيين ؟

ج - إذا علم بعض المأمومين بمحدث الإمام ، اختص  
البطلان بصلاة من علم . وأما بقيّة المأمومين الذين لم يعلموا  
فصلاحتهم صحيحة بلا شك .

س ١٦ - قولهم : وإن علم معه واحد ، أعاد السكّ ،  
هل هو صواب ؟ وما وجهه ؟

ج - هذا قول ضعيف لا وجه له ، ولا حُجّة له ، بل  
الصواب القول الآخر في المسألة ، وهو أن الإعادة على العالم ،  
فقط . وأما الذي لم يعلم بِبطلان صلاة إمامِهِ ، وصلى صلاة  
تامة ، فبأى حُجّة تبطلُ صلاتُهُ ؟ ١٤ وهذا لا شك فيه .

س ١٧ - ما حكم إمامة المفترض بالمتنفل وعكسه ؟  
ج - تصح إمامة مفترض بِمُتَنَفِّلٍ ، وكذلك عكسه على الصحيح ، لعدم الدليل على المنع ، ولقصة مُعَاذٍ وصلاته بقومه ، بعد ما كان يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم .

س ١٨ - إذا دخل المصلي المسجد ، والإمام يصلي في قيام رمضان ، فهل يكره أن يصلي ركعتين أو أكثر ؟  
ج - نعم يكره ذلك في النافلة ، وَيُحَرِّمُ فِي الْفَرِيضَةِ .  
فن دخل والإمام الذي يريد الصلاة معه في صلاته : فإن كان فرضاً ، فلا تمنع نافلة ، لأنه إذا تزامن الفرض والنافل ، قام الفرض . وإن كان في نافلة ، كره ذلك كراهة شديدة .  
لِنَهْيِ حَدِيثِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَلِأَنَّ فِيهِ اخْتِلَافاً عَلَى الْإِمَامِ ، وَفِيهِ أَيْضاً أَنَّهُ يَصَلِي وَقَلْبُهُ مُشَوَّشٌ كَمَا هُوَ مُشَاهِدٌ ، وَالْفَضْلُ الَّذِي يَرِيدُ تَحْصِيلَهُ ، يَحْصُلُ وَمَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ .  
إذا دخل مع الإمام . والله أعلم .

س ١٩ - أين يقف الإمام ؟

ج - الأفضل أن يتقدم الإمام على المأمومين في موقفه ، فإن وقفوا عن يمينه أو عن جانيبيه ولو بتغير حاجة ، فلا بأس .  
س ٢٠ - هل تجوز الصلاة قدام الإمام لضيق المسجد ؟  
ج - الصلاة لا تصح قدام الإمام ، ضاق المسجد ، أو لم يضيق ، إلا أن الشيخ تقي الدين أجازها للضرورة .

س ٢١ - ما حكم وقوف الرجل خلف الصف ؟  
ج - هذه المسألة اختلف فيها العلماء على ثلاثة أقوال :  
طرفان ، ووسط ، وخير الامور أوسطها .

فذهب الأئمة الثلاثة أن الرجل الواحد يجوز له أن  
يصف خلف الصف وحده ، لمذر أو لمغير عذر . وهذا مذهب  
الحنفية ، والمالكية ، والشافعية . واحتجوا بوقوف المرأة  
خلف الرجل ، فإنها تقف خلف الرجل وحدها ، وتقف  
خلف الصف وحدها ، كما ثبت في الصحيح .

لكن في هذا الاستدلال نظر ، فإن المرأة نص النبي  
صلى الله عليه وسلم على جواز وقوفها وحدها مع الرجال ،  
وثبت عنه في السنن أنه قال :

« لا صلاة لفردي خلف الصف » .

رواه أحمد وابن ماجه <sup>(١)</sup> ففرق صلى الله عليه وسلم بين  
المرأة والرجل ، وهذا هو المشهور من مذهب أحمد : أن  
المشروع للمرأة أن تصف خلف الرجال وحدها ، وأن الرجل  
لا يكون وحده . فإن فعل ، فلا صلاة له إذا صلى ركعة فأكثر ،  
سواء كان لمذر أو لمغير عذر ، للحديث السابق وعمومه .

والقول الثالث : اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم  
وغيرهما من المحققين ، أن في هذا تفصيلا ، وهو أنه إذا

---

(١) من حديث علي بن شيبان رضى الله عنه ، وهو حديث حسن .

وجد في الصَّفِّ مَحَلًّا يَقِفُ فِيهِ ، لم يَصِحَّ أَنْ يَقِفَ وَحْدَهُ  
خَلْفَ الصَّفِّ ، وإن لم يَجِدْ مَحَلًّا يَقِفُ فِيهِ ، جاز ذلك له ،  
بل وجب عليه أن يَصُفَّ وَحْدَهُ ، ولا يترك الجماعة . وهذا  
هو الصواب . والدليل على هذا أن العلماء رحمهم الله تعالى  
أجمعوا على أن جميع ما يَجِبُ في الصلاة ، يجب مع القُدرة  
عليه ، وأنه إذا عجز عنه الإنسان يَسْقُطُ وجوبه ، فإذا كان  
القيام ، وهو ركن في الفرض ، يسقط إذا عجز عنه ، وكذلك  
الفاتحة وغيرها من أركان الصلاة وواجباتها ؛ فسقوط المصافاة  
المختلفة في وجوبها إذا تمذّر الوقوف بالصَّفِّ من باب أولى  
وأخرى . ويؤيد هذا أن صلاة الجماعة فرض عين على الرجل  
المكلف ، فإذا أدرك الناس يُصَلُّونَ ، ولم يجد في الصف موضعاً  
يقف فيه ، فإن ترك الصلاة فقد ترك ما هو فرض ، وهو  
الجماعة ، وإن صلى معهم ووقف وحده ، فقد أدرك هذا  
الفرض ، وسقط عنه المصافاة التي تمذرت عليه . والله أعلم .  
وهذا القول هو الموافق لأصول الشريعة وقواعدها ،  
فنقف كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا صلاة لفردٍ  
خَلْفَ الصَّفِّ . . » فمتى صلى خلف الصف لغير عذر ، لم تصح  
صلاته إذا كان رجلاً ، ونقول أيضاً : إن هذا الواجب يسقط  
بالمعجز عنه ، لقوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (١) .



وقوله صلى الله عليه وسلم :  
« إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَقْتُمْ » . متفق عليه  
فلم يوجب علينا ما لا نستطيعه .

فلا واجب مع عجز ، كما لا مُحَرَّم مع اضطرار .  
والله أعلم ، وصلى الله على محمد وسلم تسليماً كثيراً .

س ٢٢ - ما حكم مصافاة البالغ للصبي ؟  
ج - المشهور عند الأصحاب المتأخرين ، أنه لا تصيح  
مصافاته ولا إمامته ، والصحيح الرواية الأخرى عن الإمام  
أحمد ، أنه يجوز للبالغ مصافاته في الصف ، ولو لم يكن معه  
غيره ، وكذلك تصيح إمامته على الصحيح .

س ٢٣ - إذا وجدت الصف تاماً ، فهل تصيح الصلاة  
خلف الصف مفرداً ؟

ج - لا بأس أن تصلي خلف الصف مفرداً ، لأنك  
معذور . وهذا هو القول الوسط بين قول من يرى أن  
الصلاة خلف الصف صحيحة ولو لغير عذر ، وقول من قال :  
إنها غير صحيحة ولو لمذر . والصواب هذا التفصيل : إن  
وجدت في الصف محلاً تقوم فيه من غير أن تُزاحم أحداً ،  
فلا يجوز أن تصف وحدك ، وإن وجدت الصف تاماً من  
كل جانب ، فهو عذر ، وُصف ولو وحدك ، وتابع الإمام .  
والله أعلم .

- س ٢٤ - ما حكم صلاة الرجال خلف النساء ؟
- ج - أما صلاة الرجال خلف النساء ، والإمام رجل ، فيُكره ذلك ، ولا تبطل به الصلاة ، وكلُّ مكروه احتيج إليه زالت [عنه] الكراهة ، فالكراهة محلها إذا كان يمكنهم أن يقدموا الرجال على النساء . فأما إذا صادف صلاة فيها ازدحام ، وأتى رجال بعد ما أخذ المأمومون من الرجال والنساء مكانهم من الصفوف ، ولم يبق موضع إلا خلف النساء ، وليس فيه محذورٌ كشف للنساء ، فكلُّ مكروه احتيج إليه ، زالت [عنه] الكراهة ، كما أن كلَّ محرّم اضطر إليه زال [عنه] التحريم .
- س ٢٥ - هل يجوز للمرأة الانفراد عن الصف ومعهن نساء ؟
- ج - إذا كان في المسجد نساء غيرها يصلّين مع الإمام ، فيجب عليهن المصافّة كالرجال ، وإذا كانت وحدها ، فلا بأس .
- س ٢٦ - قول ابن حامد : إذا انقطع الصف عن يسار الإمام مقدار ثلاثة ، بطلت صلاتهم ، فما معناه ؟ وما وجهه ؟
- ج - أما قول ابن حامد : إذا انقطع الصف عن يسار الإمام مقدار ثلاثة ، بطلت صلاتهم ، فهذا معناه ظاهر ، ولا أدري ما توجيهه وتعليقه ؟ والله أعلم .
- س ٢٧ - ما حكم تأخير الصّبيان عن مقدم الصفوف ؟
- ج - الصّبيان إذا كانوا في الصف الفاضل ، فالذي أرى أنهم لا يؤخرون ، لأنهم تقدّموا واستحقّوا المكان ، ويُترَكون لأجل ترغيبهم .

س ٢٨ - ما معنى الحديث :

« لِيُنَوِّا فِي أَيِّدِي إِخْوَانِكُمْ »<sup>(١)</sup> ؟

ج - يعنى إذا كان الصف غير مرسوم ، وأراد الإنسان أن يسد الخلل ، فعلى المصلى أن يلين بيد أخيه ، ولا يماند ويمتنع من التفسح .

س ٢٩ - هل يجوز للمسبوق أن يقوم لقضاء ما فاتته ، قبل أن يكمل الإمام التسليم ؟

ج - لا يحل له ذلك ، وعليه أن يمكث حتى ينتهى الإمام من التسليمة الثانية . فإن قام قبل انتهاء صلاته ، ولم يرجع ، انقلبت صلاته نفلاً ، وعليه إعادتها ، لأن المأموم فرض عليه أن يبقى مع إمامه ، حتى تم صلاة الإمام .

س ٣٠ - ما حكم متابعة المرأة الإمام ، وهى فى بيتها ؟

ج - الصواب جواز ذلك إذا أمكنها المتابعة ، بأن سمعت تكبير الإمام أو من وراءه ، أو شاهدتهم . وبعض الأصحاب يشترط الرؤية ، ولو فى بعض الصلاة . ويشترط أن لا يكون بينهما طريق . وهو قول ضعيف ، لا دليل عليه .

س ٣١ - ما حكم إمامة الأجنبي نساء لا رجل معهن ؟

ج - قال الأصحاب : ويكره أن يؤم نساء أجنبي لا رجل معهن ، فإن كان معهن رجل أو محرم للإمام ، زالت الكراهة .

---

(١) رواه أحمد من حديث أبي أمامة ، رضى الله عنه .

## باب : صلاة أهل الأعذار

س ١ - إذا طرأ بمض الأعذار في أثناء الصلاة ، فماذا يفعل ؟

ج - قولهم : إذا طرأ عليه بمض الأعذار وهو في الصلاة ، أتمها خفيفة ، وإن شاء قطعها ، هو وجيه .

س ٢ - هل تُجزئ القراءة قاعداً للمعدور ؟

ج - إذا كان جالساً لمدر في صلاة الفرض ، قرأ وهو جالس ، ويُجزئه ذلك ، وكذلك لو قرأ بعضها .

س ٣ - هل تجوز الصلاة في السيارة للمدر ؟

ج - إذا كان راكباً في سيارة ، ودخل الوقت ، وعلم أن أهلها يقفون قبل خروج الوقت ، صبر حتى يقفوا فيصلّى صلاة تامة . وإن كان يعلم أنهم لا يقفون ولا يطيمونه إذا أمرم ، صلّى وهو راكب ، بحسب ما يقدر عليه من استقبال القبلة وغيره . فإن كان عنده شك في ذلك ، صبر حتى يخاف فوت الوقت ، مع أنه يلزمه السعي بكل ما يقدر عليه لصلاته وصلاة من معه في الوقت ، مع الطمأنينة فيها . وإن أعلم .  
فإذا صلى في هذه الحال التي يعذر فيها ، ونزلوا قبل خروج الوقت ، لم تلزمه الإعادة .

س ٤ - ما هو السفر الذي تثبت فيه الرخص ؟

ج - رخص السفر كلها من قصرٍ وجمعٍ وفطرٍ وغيرها ، يترخص بها كل من سافر سفرًا يستعد له بالزاد والبراد ،

دون تقديره بيومين ، لأن اليومين ليس عليهما دليل . بل قصرُ  
المسلمين مع النبي صلى الله عليه وسلم ، في حجة الوداع ، وجمعهم  
بمعرفة ومزدلفة ، من غير فرق بين أهل مكة وغيرهم ، يدل  
على أن مثل هذا السفر يترخص فيه برخص السفر . والله أعلم .

س ٥ - ما حكم الجمع في سفر القصر ؟

ج - الجواب على ذلك من جهتين :

إحداها : أنه يجوز الجمع في سفر القصر ، وسواء جدَّ  
السير ، أو كان مقيماً في منزل من منازل سيره ، أو في بلد  
وهو عازم على مواصلة سفره . كل ذلك يجوز فيه الجمع :  
جمع التقديم وجمع التأخير .

الجهة الأخرى : من جهة الأفضلية ، فالأفضل في ذلك  
ترك الجمع إذا لم يكن له عذر ، فإن كان له عذر فالأسهل  
الأزرق هو الأفضل ، فإذا أجدَّ به السير في وقت الأولى ،  
ونزل في وقت الثانية ، فالأفضل التأخير .

وإن كان الأمر بالعكس ، فالأفضل التقديم . وإن كان  
يحصُل بجمع التقديم أو بجمع التأخير مصلحة ، مثل تحصيل  
جماعة ، فالأفضل الأمر الذي تحصُل فيه المصلحة .

س ٦ - إذا جمع جماعة يرون الجمع ، أو قصر من يريد  
القصر ، ومعه من لا يمتد جواز ذلك ، فهل له موافقتهم  
على جنعهم وقصرهم ؟ وهل يكون كما لو ترك الإمام شرطاً  
أو رُكناً عند مأموم وحده ؟

ج - ليست هذه مثل الاقتداء بمن ترك شرطاً أو ركناً  
يعتقد المأموم شرطيته أو ركنيته . لأنه في هذه الحال : الإمام  
هو الذى يترك ما يعتقد المأموم لزومه ، فلا يضرّ اقتداء المأموم  
به ، لأن المأموم لم يترك ذلك الشرط الذى تركه الإمام ،  
ولا ذلك الركن الذى تركه .

وأما موافقة من لا يرى الجمع لمن يجمع ، ومن لا يرى  
القصر لمن يقصر ، فإنه لا يصحّ منه ذلك ، لأنه بنفسه فعل  
ما يعتقد عدم جوازه . والفرق بين المسألتين واضح عند التأمل . .  
س ٧ - إذا نوى الإمام القصر ، ولم يخبر المأموم بذلك ،  
فهل يجوز للمأموم القصر ؟

ج - الصحيح أن القصر لا يشترط له نيّة ، فإذا كان  
مسافراً وقد فارق عامرَ قريته ، فله القصر ، نوى القصر أم  
لم ينوّه . فإذا نوى الإمام ولم ينو المأموم ، وقصر ،  
فلا بأس بذلك .

س ٨ - ما مرادهم بقولهم فى صلاة الخوف :  
( ويجوز حمل سلاح نجس ، ولا إعادة ) ؟

ج - مرادهم : فى هذه الحال . وأما سواها ، فإنه يبيد  
عند الأصحاب ، وتقدم : أن الصحيح أن المذخور بجهد  
أو نسيان أو اضطرار ، إذا صلّى بثوب نجس ، أو على بدنه  
نجاسة ، أنه لا حرج عليه . فلا إعادة عليه .

## باب : صلاة الجمعة

س ١ - من هو المسافر الذي قال الفقهاء :

( لا يؤم في الجمعة ، ولا يتم به العدد ) ؟

ج - مراد الفقهاء ( فقهاء الحنابلة ) أن المسافر سافر قصر ، أو كان مقيماً ببلد وقد عزم على الإقامة دون أربعة أيام لحاجة أو غيرها ؛ وكذلك من لم يكن من أهل البلد ، كأهل القرى الذين لا تُقام فيهم الجمعة ، إذا أتوا للبلد الذي تقام فيه الجمعة - أن الجميع لا يحسبون من الأربعين ، لأنهم إما مسافرون وإما تابعون ، وأنهم لا يؤمّون في الجمعة ، فلا يؤمّون ، ولا يحسبون من العدد . وأما إذا كان الإنسان مقيماً إقامة تمنع القصر<sup>(١)</sup> فإنه يؤمّ فيها ويحسب من الأربعين .

كل هذا تفصيل للمشهور من المذهب .

وأما القول الصحيح الذي نختاره في هذه المسألة ، فهو أنه يجوز لكل المذكورين أن يؤمّوا في الجمعة ،

---

(١) المعروف في المذهب أن المسافر إذا أقام إقامة تمنع القصر . فإن الجمعة تلزمه بنسيره ، فلا يصح أن يؤمّ فيها ولا يحسب من العدد . ولعل الشيخ أراد بقوله : ( إقامة تمنع القصر ) إقامة الاستيطان ، فإن المسافر إذا أقام إقامة استيطان ، فإن هذه الإقامة تمنع القصر ، ويحسب من أهل البلد ، فيحسب من العدد ، ويصح أن يؤمّ فيها حينئذ . والله أعلم .

حتى المسافر سفر قصر، إذا وصل إلى بلد تُقام فيه الجمعة ،  
صحّ أن يؤمّهم ، لقوله صلى الله عليه وسلم :

« يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ ... » الحديث<sup>(١)</sup>

وهو في الصحيح .. وهذا عام في الجمعة والجماعة ،  
وهو يتناول المسافر إذا صار بجملٍ تُقام فيه الجمعة .

وليس عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث واحد يدلّ  
على المنع ، وإنما الشارع لم يجعل على المسافرين جمعة ولا عيداً ،  
رفقاً بهم ، ورحمة ، ولهذا إذا صلوا مع الناس الجمعة فصلاتهم  
صحيحة . وقول الأصحاب في تعليل المنع : لثلا يصير التابع  
متبوعاً ، لا يصلح أن يكون علةً لهذه المسألة ، ولا يمنع عنها  
بمجرد هذا التعليل . وكذلك الذي نختاره في مسألة الأربعين :  
أنه لا يشترط للجمعة ، بل كل قرية استوطنها أهلها أقيمت فيها  
الجمعة ، ولو كانوا أقلّ من أربعين ، لأن الحديث الذي فيه :  
« فِي كُلِّ أَرْبَعِينَ فَصَاعِدًا : جُمُعَةٌ وَأَضْحَى وَفِطْرٌ »

حديث ضعيف لا تقوم به حُجّة . والحديث الذي في مسلم  
حين انفضّ الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يبق معه  
إلا اثنا عشر رجلاً ، دليل على هذا القول .

وجوابهم عنه بأنه يحتمل أنهم عادوا قبل فوات ركن  
منها ، بعيد جداً .

---

(١) رواه أحمد ومسلم من حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه .



س ٢ - هل على أهل الهجرة الجمعة ؟  
ج - أهل الهجرة الذين فوق أربعين ، وهم مستوطنون ،  
تجيب عليهم الجمعة ، ولا يحمل لهم تركها .  
س ٣ - قولهم : وندب تصدق بدرهم ونحوه لثارتها ،  
أى الجمعة ، هل هو وجيه ؟

ج - هذا وجيه ، وهو من مكملات التوبة ، لأن تركها  
معصية كبيرة ، لا بد لها من توبة . والتوبة : ندم وإفلاع  
وعزم على أن لا يعود ، وإصلاح عمل . ومن أبلغ المصلحات  
الصدقة بما تيسر .

س ٤ - ما حكم صلاة الجمعة إذا تمددت لغير حاجة ؟  
ج - إذا صار في البلد جُمُعات متعددة لغير حاجة ،  
ووقعت معًا ، أو جهل السابق منها ، أعادوها ، على المذهب .  
والذى أرى أن التَّبَعَة في التمدد لغير حاجة على من له أمر  
واقترار فيها . وأما صِحَّة الصلاة وعدمها ، فلا دخل له  
في ذلك . والله أعلم .

س ٥ - ما حكم اشتراط الأركان الأربعة في كل من الخطبتين ؟  
ج - اشتراط الفقهاء الأركان الأربعة في كل من الخطبتين ،  
فيه نظر . وإذا أتى في كل خطبة بما يحصل به المقصود من  
الخطبة الواعِظة التلمينة للقلوب ، فقد أتى بالخطبة ، ولكن  
لا شك أن حمد الله والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم ،  
وقراءة شيء من القرآن ، من مُكَمَلات الخطبة ، وهى زينة لها .  
( ١٣٢ - فتاوى )

س ٦ - ما رأيكم في استعمال مُسَكِّبِ الصوت للخطيب ؟  
ج - رأينا أنه لا بأس به ، وهنا فائدة نافعة لهذه المسألة  
وغيرها ، وهى : أن الأمور الحادِثة بعد النبي صلى الله عليه  
وسلم قسمان : عبادات وعادات .

أما العبادات ، فكل من أحدث عبادة لم يشرعها الله  
ورسوله ، فهو مبتدع .

وأما العادات ، فالأصل فيها الإباحة ، فكل من حرّم  
عادة من العوائد الحادثة ، فعليه الدليل ، فإن أتى بدليل يدلّ  
على المنع والتحرّيم ، من كتاب الله ، أو سنة رسول الله ،  
أو قياس على أصل شرعى ، فهو مخذور وممنوع وإلا فالأصل  
الإباحة . وقد ذكر شيخ الإسلام هذين الأصلين فى « اقتضاء  
الصراط المستقيم » وغيره من كتبه . فهذه الآلات الحادثة  
من هذا الباب : الأصل فيها الإباحة .

والمباحات كلها إن أعانت على خير ، فهى حسنة ،  
وإن أعانت على شر ، فهى سيئة . والله أعلم .

س ٧ - إذا اعتاد الرجل مكانا فى الرّوضة ، فهل يجوز  
لمن رأى أحدا يريد الصلاة أن يقول : هذا مكان فلان ؟

ج - أما إقامته فى مكان ، ومنعه من الصلاة فيه ، فهذا  
لا يجوز ، إذا كان صاحب المسكان ليس فى المسجد . وأما إخباره  
- على وجه التنبيه - أنه يجلس فيه الأمير أو نحوه من غير  
أن يقيمه ، فلا بأس .

لأن كثيراً من الذين يجلسون فيها لا يذرون ، وربما مكث فيها ، ثم تمت الصفوف ، ثم جاء الذي من عادته أن يجلس فيه ، وأقيم ذلك الرجل ، فمثل هذا - على هذا الوجه - لا بأس بتنبيه [عليه] . والله أعلم .

س ٨ - هل يجوز لمن له مكان مقدم في المسجد يوم الجمعة ، أن يتأخر عن المجيء إلى المسجد ؟

ج - يجوز له ذلك ، بشرط أن يأتي المكان قبل أن تتصل الصفوف ، ولا يحل له أن يمكث حتى تتصل الصفوف ، ثم يتخطى رقاب الناس ، وليس له عذر يوجب التأخر إلى هذا الحد .

س ٩ - ما حكم التحجير في المسجد ؟

ج - اعلّموا رحمكم الله أن التحجير في المساجد ، ووضع المصا ، والإنسان متأخر في بيته أو سوقه عن الحضور ، لا يحل ولا يجوز ، لأن ذلك مخالف للشرع ، ومخالف لما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان . فإن النبي صلى الله عليه وسلم حثّ الناس على التقدم للمساجد ، والقرب من الإمام بأنفسهم ، وحثّ على الصف الأول ، وقال :

« لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ »

- يعنى : من الأجر العظيم -

« ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ ، لَأَسْتَهْمُوا »<sup>(١)</sup>

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ، رضى الله عنه .

ولا يحصل هذا الامتثال وهذا الأجر العظيم إلا لمن تقدم  
وسبق بنفسه . وأما من وضع عصاه [ونحوها] ، وتأخر  
عن الحضور ، فإنه مخالف لما حثّ عليه الشارع ، غير ممثل  
لأمره . فمن زعم أنه يدرك فضيلة التقدم وفضيلة المكان  
الفاضل بتحجيره مكاناً فيه ، وهو متأخر ، فهو كاذب ،  
بل من فعل هذا فاته الأجر ، وحصل له الإثم والوزر .

ومن مفسد ذلك أنه يمتدّد أنه إذا تحجّر مكاناً فاضلاً في  
أول الصف ، أو في المكان الفاضل ، أنه يحصل له فضيلة  
التقدم . وهذا اعتقاد فاسد ، فإن الفضيلة لا تكون إلا للسابق  
بنفسه . وأما المتحجّر للمكان الفاضل ، المتأخر عن الحضور ،  
فلا يدرك شيئاً من الفضيلة ، فإن الفضل لا يحصل إلا للسابق  
بنفسه ، لا لسبق عصاه . فلو كان في ذلك خير ، لكان أولى  
الناس به الصحابة - رضی الله عنهم - وقد نزههم الله عن  
هذا الفعل القبيح ، كما نزههم عن كل قبيح . فلو علم المتحجّر  
أنه آثم ، وأن صلاته في مؤخر المسجد أفضل له ، وأسلم له  
من الإثم ، لم يتجرأ على هذا ، و [لأبعدة] عنه غاية البعد ،  
وكيف يكون مأجوراً بفعل محرّم لا يجوز ؟

ومن مفسد ذلك أن المساجد لله ، والناس فيها سواء ،  
وليس لأحد فيها حق إلا إذا تقدم بنفسه ، فإذا سبقه غيره  
فهو أحق منه ، فإذا تحجّر شيئاً لغيره فيه حق ، كان آثماً  
عاصياً لله ، وكان ظالماً لصاحب الحق ، وليس الحق فيها

لواحد ، بل جميع من جاء قبله له حق في مكانه ، فيكون قد ظلم خلقاً كثيراً . ولو قدرنا أن إنساناً جاء والصف الأول قد تحجّره المتحجّرون بغير حق ، فصفت في الصفوف المتأخرة ، كان أفضل منهم ، وأعظم أجراً ، وأسلم من الإثم ، والله يعلم من نيته أنه لو وجدها خالية لصلّى فيها ، فهو الذي حصل فضلها ، وهم حصلوا الوزر ، وفاتهم الأجر .

ومن مفسد ذلك أنه يدهوه إلى تخطى رقاب الناس وإيذائهم ، وقد نهى الشارع عن ذلك ، فيجمع بين التحجّير والتأخر والتخطى ، فيكون فاعلاً للنهي من وجوه ممتدة . ومنها أنه إذا وضع عصاه ، أوجب له الكسل والتأخر عن الحضور ، لأنه إذا عرف أنه يجد مكاناً في مقدم المسجد ولو تأخر ، برّد قلبه ، وكسل عن التقدّم ، ففاته خير كثير ، وحصل له إثم كبير .

ومن المفسد أنه يُحدِّث الشّحناء والعداوة والخصومة في بيوت الله ، التي لم تُبَنّ إلا لذكر الله وعبادته .

ومن المفسد أن صلاة التحجّير ناقصة ، لأن المعاصي إذا لم تُبطل الأعمال تُنقصها . ومن العلماء من يرى أن صلاة التحجّير بغير حق غير صحيحة ، كالمصلي في مكان غضب ، لا تصحّ صلاته ، لأنه غضبه وظلم غيره .

ومن مفسد ذلك ، أن الذي يعتاد التحجّير ، مُصِرٌّ على معصية الله ، لأنه فاعل لها ، جازم على معاودتها .

والإصرار على المعاصي ينافي الإيمان ، قال تعالى :  
﴿ وَالَّذِينَ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١)  
والصفات تكون كبائر مع الإصرار عليها .  
ومن العجب أن أكثر من يفعل ذلك أناس لهم رغبة  
في الخير ، ولعله زال عنهم استقباح هذا الأمر لمداومتهم  
عليه ، واقتداء بعضهم بعض .  
والرغبة في الخير لا تكون بالتقرب إلى الله بفعل محرّم ،  
وإنما الراغب في الخير من أبعده نفسه عن معاصي الله . وعن ظلم  
الناس في حقوقهم ، فإنه لا يتقرب إلى الله إلا بطاعته .  
وأعظم من ذلك أن يتحجر لنفسه ولغيره ، فيجمع عدة ماثم .  
وشر الناس من ظلم الناس للناس ، فيشترك الحامى والمحمى له  
في الإثم . فكيف يرضى المؤمن الموفق الذى فى قلبه حياة  
من الله ، أن يفعل أمراً هذه مفسده ومضاره ؟  
فالواجب على كل من يفعل ذلك ، أن يتوب إلى الله ،  
ويعزم على أن لا يعود . فإن من علم أن ذلك لا يجوز ، ثم  
أصرّ على هذا الذنب ، فهو مُتَهَمُونَ بِحُرْمَاتِ اللَّهِ ، متجرّئ  
على معاصي الله ، يُخْشَى أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا  
بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا رِيَاءً وَسَمْعَةً . يَجِبُ أَنْ يُحْمَدَ عَلَى صَلَاتِهِ فِي  
الصف الأول ، والمكان الفاضل ، وهو آثم ظالم لأهل

المسجد ، غير محصّل للفضيلة ، ولسكنه مُصِرّاً على هذه الخصلة  
الذميمة الرذيلة وامتقد أن المؤمن الحريص على دينه إذا علم  
أن هذا محرّم ، وعلم ما فيه من المفسد والمضارّ ، وتنقيص  
صلاته أو فسادها ، فإنه لا يُقدّم عليه ، ولا يفعله ، لأنه  
ليس له في ذلك مصلحة في دينه ولا دُنياه ، بل ذلك مضرّة  
مخضة عليه . فالْمَوْفُوقُ يستعين الله على تركه ، والعزم على  
أن لا يعود إليه ، ويستغفر الله مما صدر منه ، فإن الله غفور  
رحيم . قال تعالى :

﴿ وَإِنِّي لَنَفَّارٌ لَّئِمٌّ تَابَ وَآمَنَ

وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾<sup>(١)</sup>

ونسأل الله تعالى أن يحفظنا وإخواننا المسلمين من معاصيه ،  
وأن يعفو عنا وعنهم [فيما] سلف منها . إنه جواد كريم .  
وأما من يتقدّم إلى المسجد ، وفي نيّته انتظار الصلاة ،  
ثم يمرض له عارض ، مثل حاجته إلى وضوء أو نحوه ، ثم  
يعود : فلا حرج عليه ، وهو أحقّ بمكانه ، ولا يلحقه ذم .  
وكذلك من كان في المسجد ، ووضع عصاه [ونحوها]  
ليصلي أو يقرأ في محل آخر في المسجد ، فلا حرج عليه ،  
بشرط أن لا يتخطّى رقاب الناس ، ولا يؤذيه .  
والله أعلم . وصلى الله على محمد وسلم .

## كتاب : الجنائز

س ١ - هل يجوز استعمال الإبر للدواء ؟

ج - أما استعمال الإبر ، فهو كسائر الأدوية ، لا بأس فيها ، ولا حرج ، ولو لم يعلم الإنسان مفرداتها ، ولو تولّاها كافر ، لأنها من الأدوية المعروفة ، وقد تنجح ، وقد لا تنجح .

س ٢ - امرأة مجنونة رأت رؤيا ، ودعت بدعاء سالم من الشرك ، فعاهاها الله ، فهل في ذلك حرج ؟

ج - لا حرج في ذلك .

س ٣ - هل يجوز تعليق التأمم على المريض ؟

ج - أما تعليق التأمم ، فبعض العلماء يُرخص فيه . وبعضهم لا يرخص ، ونحن من الذين لا يرخصون فيه ، وخصوصاً إذا كان يؤخذ عليه أجرة .

س ٤ - هل يجوز تفسيل الميت في حَوْش ؟

ج - يجوز ، ولكن الأولى والأحسن أن يكون تحت سقف ، والأولى أن لا يحضر إلا من يُفسله ويماونه ، والولي للميت ، ولا يحضره غيرهم . كل ذلك طلباً للسُّرعة على الميت .



س ٥ - هل يجب على الزوج كفن زوجته ؟

ج - الصحيح أنه يجب على الزوج كفن امرأته ،  
موسيرة كانت أو مُعسرة ، وهو من النفقة ، ومن المعاشرة  
بالمعروف . ومما يعمده الناس منكرا أنه إذا ماتت زوجة  
الغنى المعسرة ، أنه لا يجب عليه كفنها ، بل هو وآحاد  
الناس سواء . وهو قول في المذهب .

س ٦ - إذا مات في قصر يبعد عن البلد ربع ساعة ،  
وشق عليهم الصلاة في البلد ، فهل يجوز أن يصلى عليه ،  
ويدفن في قصره ؟

ج - لا حرج عليهم ، لأنهم ذكروا أن فرض الصلاة  
على الجنازة [يسقط] بمكف ، رجلاً كان أو امرأة ، فكيف  
إذا صلى عليه أكثر من ذلك ؟ وكذلك لا يلزم الدفن بموضع  
معين ، فلو دفنوه في أرضهم المملوكة بإذن المالكين أو في  
موات ، جاز ذلك ، ولو كانت المقبرة ليست بعيدة عنهم ،  
إلا أن الأولى أن يُدفنَ في مقبرة المسلمين .

س ٧ - ما معنى الحديث المشهور على السنة العوام ،  
وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا يُؤلفُ تحت الأرض » ؟  
ج - أما سؤالك عن الحديث الذي يجرى على السنة  
العوام ، من أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا يُؤلف تحت  
الأرض » ، [فا] زلتُ مستشكلاً معناه ، وإذا لم يثبت الحديث

فلا يضرّ الجهل بمعناه ، ولم أر له تفسيرًا . ولم أعرف معناه إلا إن كان معناه معنى الحديث الصحيح : إن الأرض محرّم عليها أن تأكل أجساد الأنبياء ، فالله أعلم بذلك (١)

س ٨ - هل يجوز شقّ بطن الميتة لإخراج الحمل الحيّ ؟

ج - يجوز للمصلحة ، وعدم المفسدة ، وذلك لا يمدّ مُثَلَّةً . ولقد سئلت عن امرأة ماتت وفي بطنها ولد حيّ ، هل يُشَقُّ بطنها ويُخَرَّجُ ، أم لا ؟

فأجبت : قد علم ما قاله الأصحاب ، رحمهم الله ، وهو أنهم قالوا : فإن ماتت حامل ، وفي بطنها ولد حيّ ، حرّم شقُّ بطنها ، وأخرجه النِّسَاءُ بالمعالجات ، وإدخال اليد على الجنين ممن تُرْجى حياته ، فإن تمذّر ، لم تُدفن حتى يموت ما في بطنها ، وإن خرج بمضه حيًّا ، شقّ للباقي .

فهذا كلام الفقهاء ، بناءً على أن ذلك مُثَلَّةٌ بالميتة . والأصل تحريم التمثيل بالميت ، إلا إذا عارض ذلك مصلحة قوية متحققة ، يعنى إذا خرج بمضه حيًّا ، فإنه يُشَقُّ للباقي ، لما فيه من مصلحة المولود ، ولما يترتب على عدم الشقّ في هذه الحاملة من مفسدة موته . والحيّ يُراعى أكثر مما يراعى الميت .

---

(١) قلت : ذكره بعض المحدثين ، وقال : لا أصل له عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال : لعل معناه : لا يبلغ الألف . والله أعلم .

لكن في هذه الأوقات الأخيرة، حين ترتقى فنُّ الجراحة، صار شق البطن أو شيء من البدن لا يمدُّ مثلاً، فيعملونه بالأحياء برضاهم ورغبتهم بالمعالجات المتنوعة. فيغلب على الظن أن الفقهاء لو شاهدوا هذه الحال، لحكوا بجواز شق بطن الحامل بمولود حيٍّ وإخراجه، وخصوصاً إذا انتهى الحمل، وعلم أو غلب على الظن سلامة المولود. وتعليقهم بالمشكلة يدلُّ على هذا. ومما يدلُّ على جواز شق البطن وإخراج الجنين الحيِّ، أنه إذا تعارضت المصالح والفساد، قُدِّم أعلى المصلحتين، وارتكب أهون المفسدتين، وذلك أن سلامة البطن من الشقِّ مصلحة، وسلامة الولد ووجوده حياً مصلحة أكبر. وأيضاً فشق البطن مفسدة، وترك المولود الحيِّ يختنق في بطنها حتى يموت مفسدة أكبر، فصار الشقُّ أهون المفسدتين. ثم نعود فنقول: الشق في هذه الأوقات صار لا يعتبره الناس مثلاً ولا مفسدة، فلم يبق شيء يُعارض إخراجه بالسكينة. والله أعلم.

س ٩ - هل يجوز أخذ جزء من جسد الإنسان وتركيبه في إنسان آخر مضطر إليه، برضا من أخذ منه؟

ج - جميع المسائل التي تحدث في كل وقت، سواء حدثت أجناسها أو أفرادها، يجب أن تتصور قبل كل شيء، فإذا عرفت حقيقتها، وشخصت صفاتها، وتصورها

الإنسان تصورًا تامًا بذاتها ومقدماتها ونتائجها ، طُبِّقَتْ على نصوص الشَّرْع وأصوله الكلية ، فإنَّ الشَّرْع يُحَلِّ جميع المشكلات : مشكلات الجماعات والأفراد ، ويحلُّ المسائل الكلية والجزئية ، يحلُّها حلًّا مرضيًّا للعقول الصحيحة ، والفِطْرَ المستقيمة . ويشترط أن ينظر فيه البصير من جميع نواحيه وجوانبه الواقعية والشرعية . فنحن في هذه المسألة قبل كل شيء نقف على الجِداد ، حتى يتَّضِحَ لنا اتِّضاحًا تامًّا للجَزْم بأحد القولين ، فنقول : من الناس من يقول : هذه الأشياء لا تجوز ، لأنَّ الأصل أن الإنسان ليس له التصرف في بدنه بإتلاف أو قطع شيء منه أو التمثيل به ، لأنه أمانة عنده لله ، ولهذا قال تعالى :

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (١)

والمسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه .  
أما المال ؛ فإنه يُباح بإباحة صاحبه ، وبالأَسباب التي جعلها الشارع وسيلة لإباحة التملكات .  
وأما الدَّم ؛ فلا يباح بوجه من الوجوه ، ولو أباحه صاحبه لغيره ، سواء كان نفسًا أو عضوًا أو دمًا أو غيره ، إلا على وجه القصاص بشرطه ، أو في الحالة التي أباحها الشارع ، وهي أمور معروفة ليس منها هذا المستول عنه

ثم إن ما زعموه من المصالح للغير ، مُمارِضٌ بالمَضْرَةِ  
اللاِحِقَةِ لمن قطع منه ذلك الجزء . فكَم من إنسان تلف  
أو مرض بهذا العمل . ويؤيّد هذا قول الفقهاء :

من ماتت وهي حامل بحمل حيّ ، لم يحلّ شق بطنها  
لإخراجه ، ولو غاب على الظن أو لو تيقنّا خروجه حيّاً ؛  
إلا إذا خرج بعضه حيّاً ؛ فيشقّ للباقي .

فإذا كان هذا في الميتة ، فكيف حال الحيّ ؟ !

فالْمُؤْمِن بدنه محترم حيّاً وميتاً .

ويؤخذ من هذا أيضاً أن الدم نجس خبيث ، وكل نجس  
خبيث ، لا يحلّ التداوى به ، مع ما يُخفى عند أخذ  
دم الإنسان من هلاك أو مرض .

فهذا من حُجَج هذا القول .

ومن الناس من يقول : لا بأس بذلك ؛ لأننا إذا طبقنا هذه  
المسألة على الأصل العظيم المحيط الشرعي ، صارت من أوائل  
ما يدخل فيه ، وأن ذلك مُباح ، بل ربما يكون مستحبّاً .  
وذلك أن الأصل : إذا تعارضت المصالح والمفاسد ، والمنافع  
والمضارّ ، فإن رجحت المفاسد وتكافأت ، منسَع منه ،  
وصار دَرء المفاسد في هذه الحال أولى من جَلْبِ المصالح ،  
وإن رجحت المصالح والمنافع على المفاسد والمضارّ ، اتبعت  
المصالح الراجحة . وهذه المذكورات مصالحتها عظيمة

معروفة ، ومضارها إذا قُدِّرت ، فهي جزئية يسيرة منغمرة في المصالح المتنوعة .

ويؤيد هذا أن حجة القول الأول ، وهي أن الأصل أن بدن الإنسان محترم لا يُباح بالإباحة ، متى اعتبرنا فيه هذا الأصل ، فإنه يُباح كثير من ذلك للمصلحة الكثيرة المنغمرة في المفسدة بفقد ذلك العضو أو التمثيل به ، فإنه يُباح لمن وقعت فيه الآكلة التي يخشى أن ترعى بقية بدنه ، يجوز قطع العضو المتآكل لسلامة الباقي .

وكذلك يجوز قطع الضلع التي لا خطر في قطعها . ويجوز التمثيل في البدن لشق البطن أو غيره ، للتمكن من علاج المرض . ويجوز قلع الضرس ونحوه عند التألم الكثير . وأمور كثيرة من هذا النوع أبيضحت لما يترتب عليها من حصول مصلحة ، أو دفع مضرة .

وأيضاً فإن كثيراً من هذه الأمور المسؤول عنها ، يترتب عليها المصالح من دون ضرر يحدث . فما كان كذلك ، فإن الشارع لا يحرمه ، وقد نبه الله تعالى على هذا الأصل في عدة مواضع من كتابه ، ومنه قوله عن الخمر والميسر :

﴿ ... قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ، وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ (١)

ففهوم الآية أن ما كانت منافعـه ومصالحـه أكثر من مفسده وإثمه ، فإن الله لا يحرمه ، ولا يمنعه . وأيضاً فإن مَهْرَةَ الأطباء المعتبرين متى قرروا تقريراً متفقاً عليه ، أنه لا ضرر على المأخوذ من جسده ذلك الجزء ، وعرفنا ما يحصل من ذلك من مصلحة الغير ، كانت مصلحة مخضنة خالية من المفسدة ، وإن كان كثير من أهل العلم يُجَوِّزون ، بل يستحسنون إيثار الإنسان غيره على نفسه بطعام أو شراب هو أحقّ به منه ، ولو تضمن ذلك تلفه أو مرضه ونحو ذلك ، فكيف بالإيثار بجزء من بدنه ، لنفع أخيه النفع العظيم ، من غير خطر تلف ، بل ولا مرض ؟

وربما كان في ذلك نفع له ، إذا كان المؤثر قريباً أو صديقاً خاصاً ، أو صاحب حق كبير ، أو أخذ عليه نفعاً دنيوياً ينفعه ، أو ينفع من بدمه .

ويؤيد هذا أن كثيراً من الفتاوى يتغير بتغيير الأزمان والأحوال والتطورات ، وخصوصاً الأمور التي ترجع إلى المنافع والمضار .

ومن المعلوم أن ترقى الطب الحديث ، له أثره الأكبر في هذه الأمور ، كما هو معلوم مشاهد . والشارع أخبر بأنه ما من داء إلا وله دواء ، وأمر بالتداوى ، خصوصاً وعموماً ، فإذا تعين الدواء وحصول المنفعة بأخذ جزء من هذا ، ووضعه في الآخر ، من غير ضرر يلحق المأخوذ منه ، فهو

داخل فيما أباحه الشارع ، وإن كان قبل ذلك ، وقبل ارتقاء  
الطب ، فيه ضرر أو خطر ، فيُراعى كل وقت بحسبه .

ولهذا نُجيبُ عن كلام أهل العلم القائلين بأن الأصل في  
أجزاء الآدمي تحريم أخذها ، وتحريم التمثيل بها ، فيقال :  
هذا يومَ كان ذلك خطرًا أو ضررًا ، أو ربما أدى إلى  
الهلاك . وذلك أيضا في الحالة التي يُنتهك فيها بدن الآدمي  
وتنتهك حرمة . فأما في هذا الوقت ، فالأمران مفقودان :  
الضرر مفقود ، وانتهاك الحرمة مفقود ، فإن الإنسان قد رضى  
كلّ الرضا بذلك ، واختاره مطمئنا مختارًا ، لا ضرر عليه ،  
ولا يسقط شيء من حرمة ، والشارع إنما أمر باحترام الآدمي  
تشريفًا له وتكريما ، والحالة الحاضرة غير الحالة الغابرة .

ونحن إنما أجزنا ذلك إذا كان المُتَوَلَّى طبيبًا ماهرًا ، وقد  
وجدت تجارب عديدة للنفع وعدم الضرر ، فهذا يزول المحذور .  
ومما يؤيد ذلك ما قاله غير واحد من أهل العلم ،  
منهم شيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن القيم :

إنه إذا أشكل عليك شيء ، هل هو حلال ، أو حرام ،  
أو مأمور به ، أو منهي عنه ؟ فانظر إلى أسبابه الموجبة ،  
وآثاره ونتائجه الحاصلة : فإذا كانت منافع وممّالحة  
وخيرات ، وثمراتها طيبة ، كان من قسم المباح أو المأمور به .  
وإذا كان بالعكس ، كانت بعكس ذلك .



طَبَّقَ هذه المسألة على هذا الأصل ، وانظر أسبابها  
وعمراتها ، تجدّها أسباباً لا محذور فيها ، وعمراتها خير الثمرات .  
وإذا قال الأولون : إن عمرتها ( غير مُتَبَيَّنَةٌ ) فنحن نوافق  
عليها ، ولا يمكننا إلا الاعتراف بها ، ولكن الأسباب محرمة  
كما ذكرنا في أن الأصل في أجزاء الأدمى التحريم ، وأن استعمال  
الدم [استعمال] للدواء الخبيث ، فقد أجبنا عن ذلك بأن العلة  
في تحريم الأجزاء إقامة حرمة الأدمى ، ودفع الانتهاك الفظيع ،  
وهذا مفقود هنا .

وأما الدم ، فليس عنه جواب ، إلا أن نقول : إن مفسدته  
تنغير في مصالحه الكثيرة ، وأيضاً ربما ندعى أن هذا الدم  
الذي يُنقل من بدن إلى آخر ، ليس من جنس الدم الخارج  
الخبيث المطلوب اجتنابه والبُعد عنه .

وإنما هذا الدم هو رُوح الإنسان وقُوته وغِذاؤه ، فهو  
بمنزلة الأجزاء أو دونها ، ولم يُخرجه الإنسان رغبة عنه ،  
وإنما هو إثارة لغيره ، وبذلك من قوته لقوة غيره ،  
وبهذا يخف خبثه في ذاته ، وتلطّفه في آثاره الحميدة .

ولهذا حرم الله الدم المسفوح ، وجعله خبيثاً ، فيسدل  
[هذا] على أن الدماء في اللحم والعروق وفي مدينها قبل  
بُروزها ليست محكوماً عليها بالتحريم والخبث .

فقال الأولون : هذا من الدم المسفوح ، فإنه لا فرق بين  
استخراجه بسكين أو إبرة أو غيرها ، أو يتجرّح الجسد من  
( ١٤٢ - فتاوى )

نفسه ، فيخرج الدم ، فشكل ذلك دم مسفوح محرّم خبيث ، فكيف تجيزونه ؟ ولا فرق بين سفحه لقتل الإنسان أو الحيوان ، أو سفحه لأكل ، أو سفحه للتداوى به .

فن فرق بين هذه الأمور ، فعملية الدليل .

فقال هؤلاء المُجيزون : هبّ أنا عجزنا عن الجواب عن حِلِّ الدم المذكور ، فقد ذكرنا لكم من أصول الشريعة ومصالحها ، ما يدلّ على إباحة أخذ جزء من أجزاء الإنسان لإصلاح غيره ، إذا لم يكن فيه ضرر ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا »

« مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ ،

كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ »

فمعموم هذا يدلّ على هذه المسألة ، وأنّ ذلك جائز .

فإذا قلتم : إن هذا في التّوادد والتراحم والتعاطف ، كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم ، لا في وصل أعضائه بأعضائه .

قلنا : إذا لم يكن ضرر ، ولأخيه فيه نفع ، فما الذي يخرج به من هذا ؟ وهل هذا إلا فرد من أفراده ؟ كما أنه داخل في الإيثار . وإذا كان من أعظم خصال العبد الحميدة مدافعتة عن نفس أخيه وماله ، ولو حصل عليه ضرر في بدنه أو ماله ، فهذه المسألة من باب أولى وأحرى .

وكذلك من فضائله تحصيل مصالح أخيه ، وإن طالت المشقة ، وعظمت الشقة ، فهذه كذلك وأولى .

ونهاية الأمر أن هذا الضرر غير موجود في هذا الزمن ، فحيث انتقلت الحال إلى ضدها ، وزال الضرر والخطر ، فلم لا يجوز ؟ ! ويختلف الحكم فيه لاختلاف العلة .  
ويلاحظ أيضاً في هذه الأوقات التسهيل ، ومُجَارَاةُ الأحوال ، إذا لم تخالف نصّاً شرعياً ، لأن أكثر الناس لا يستفتون ولا يُبألون ، وكثير ممن يستفتي إذا أُفتِيَ بخلاف رغبته وهواه ، تركه ، ولم يلتزمه .

فالتسهيل عند تكافؤ الأقوال ، يُخفّف الشر ، ويُوجب أن يتماسك الناس ببعضكم ، لضعف الإيمان ، وعدم الرغبة في الخير . كما يلاحظ أن العُرف عند الناس أن الدين الإسلامي لا يقف حاجزاً دون المصالح الخاصة أو الراجحة ، بل يُجاري الأحوال والأزمان ، ويتبع المنافع والمصالح الكلية والجزئية ؛ فإن الملحدين يُموّهون على الجهّال ، أن الدين الإسلامي لا يصلح لمُجَارَاةِ الأحوال والتطوّرات الحديثة ، وهم في ذلك مُفترّون ، فإن الدين الإسلامي به الصّلاح المُطلَق من كل وجه ، السكّي والجزئيّ ، وهو حلّال لكل مشكلة خاصة أو عامة ، وغير قاصر من جميع الوجوه .

## كتاب : الزكاة

س ١ - ماهى الواجبات فى مال الإنسان الذى يملكه ؟  
وهل لتلك حدّ فى الشرع ؟ وما مقداره وِصفته ؟

ج - يَبَيّنُ الشارِعَ لِلعِبَادِ كل ما يحتاجونه ، وخصوصًا  
الواجبات التى هى أم المهّمات : الواجبات على القلب ،  
والواجبات على البدن ، والواجبات من الأقوال والأعمال .  
وكذلك وضّح الواجبات المالية توضيحًا تامًا مجملًا ،  
فأمر بأداء الحقوق المالية ، وحثّ عليها ، ومدح القاعين بها ،  
وذمّ المانمين لها أو لبعضها ، وفصّل ذلك بذكر الأموال التى  
تجب فيها الزكاة وشروطها ونُصبها ، ومقدار الواجب فيها .  
وهذا أعظم الواجبات المالية . وفصّل كذلك ما فى المال  
من التّفقات على النفس ، والأهل ، والعيال ، والماليك ، من  
الآدميين ، والبهائم . وبَيّنَ أيضًا وُجوب الوفاء بالمُعقود  
والمعاملات ، على اختلاف أنواعها ، وتبائين أسبابها . وبَيّنَ  
ما يتعلّق بالمال من الحقوق العارضة ، بأسبابها ، كبذل النفوس  
والأموال المُتأنفة بغير حقّ ، وما فيه من الحقوق المارضة لحاجة  
الغنى من ضيف ونحوه ، ولاضطرار الغير ؛ فأوجب مُواساة  
المضطرين ، ودَفْعَ اضطرارهم .

ومن ذلك إزام الناس بالمماوَضات التي تجب عليهم ، فإن إزام الناس بالمماوَضات والتسمير عليهم :

منها : ما هو ظلم محرم ، كما كراههم على البيع بشمن لا يرضونه ، أو منعمهم مما أباحه الله لهم .

ومنها : ما هو عدل ، مثل إكراههم على ما يجب عليهم من الماوَضة بشمن المثل ، ومنعمهم مما يحرم عليهم من أخذ الزيادة على عوض المثل . ومثل التسمير على العيال ، ومن يحتاج للناس إليهم ، ومنعمهم من أخذ الزيادة الفاحشة ، كما يمنع الناس من هضمهم لحقوقهم .

ففي أمثال هذه المسائل ، على الناس مراعاة العدل ، ومنع أسباب الظلم .

وهذه الأمور منها أشياء واضحة لكل أحد ، ومنها أشياء يكون فيها اشتباه والتباس ، يجب أن تُحَقَّق وتُفحص فحماً تاماً ، لِتُعرَفَ مرزبتها .

فأدامت مشبهة ، فالأصل تحريم أموال الغير ، والأصل إبقاء الناس على ماملاتهم واحترام حقوقهم ، حتى يتضح ما يوجب الخروج عن هذا الأصل ، لأصل شرعى أقوى منه وأولى .

وأما ما يهذى به كثير من الناس ، عند ما انتشرت الشيوعية ، وشاعت دعايتها ، وأثرت على كثير من أهل

العلم المصريين ، وأنه يسوغ لأولياء الأمور أن يُلزِمُوا أهل الغنى والثروة أن يُواسوا بذلك أهل الحاجة والفقراء ، وأن يُفَتِّتُوا ثروتهم على أهل الحاجات ، وأن يَسُدُّوا بزائد ثروتهم جميع المصالح المحتاج إليها ، بغير رضاهم ، بل بالقهر والقسر .

فهذا معلوم فساده بالضرورة من دين الإسلام ، وأن الإسلام بريء من هذه الحالة الشيوعية ، ونصوص الكتاب والسنة - على ذلك - في إبطال هذا القول : صريحة جدًا وكثيرة . وإجماع الأئمة يُبطل هذا القول المنافي لنصوص الكتاب والسنة ، والمنافي للفطرة التي فطر الله عليها العباد ، والفتاح للظلمة والطغاة أبواب الظلم والشر والفساد .

فإنه تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ، وَيَقْدِرُهُ على من يشاء ، وقد جعل العباد بعضهم فوق بعض درجات في كل الصفات : في العقل والحُجْم ، وفي العلم والجهل ، وفي حُسن الخلق وسوء الخلق ، وفي الغنى والفقير ، وفي كثرة الأولاد والأموال والأتباع ، وضد ذلك . حكم بذلك قدرًا ، ويسر كلاً لما خلق له ، وأوجب على كل من أعطاه الله شيئاً من هذه النعم وغيرها واجبات حددها وبيَّننا وفصلها ، وجعل لنيل المطالب الدنيوية والمطالب الأخروية أسباباً وطرقاً ، من سلكها أفضت به إلى مسبباتها ، وأوصلته إلى نتائجها .

وهؤلاء المنحرفون يريدون أن يبطلوا قدر الله وشرعه ،  
ويُسَوِّغُوا لآرائهم شُبُهًا لا تُسَمِّنُ ولا تُغْنِي من جوع ،  
ويضمون ذلك الشرع تحريفًا منهم .

وقد اغترَّ بهذه الآراء الشيوعية كثير من المصريين ، وكثُر  
الدَّاعُونَ إلى هذه الطريقة الشنيمة تغريبًا واغترارًا . ولكن  
البصير لا يخفى عليه الأمر ، والمعصوم من عصمه الله . وقد  
يروِّجون هذا الباطل بأن تضخم المال في أيدي قليلة سبب  
لمفسدة الترف المفسد للأخلاق ، وسبب لإثارة الأحمق من  
الفقراء المدمين . وهذا غلط فاحش ؛ فإن الغنى قد يكون  
سببًا للطغيان ، وقد يكون سببًا للتواضع والتزود من طاعة  
الرحمن . وعلى فرض ما فيه من المفسد ، فإن ما حاولوه  
من القضاء على الثروة ، سبب لشورر عظيمة ، لا تنسب  
إليها أى مفسدة ، وسبب لإثارة فتن وشورر كثيرة ،  
عكس ما قالوه .

وما قالوه ، في زيادة ثروة المال ، يُقال في زيادة  
قوة الجسد وصحة البدن ، فإنه قد يبعث على شورر ،  
وقد يتوسَّل به إلى خيرات .

وهكذا كل ما أعطاه الله للعباد من الاميزات والفضائل  
البدنية والمالية ، والرئاسات والأولاد والأتباع ، كل ذلك  
لا بد منه ، ولا يمكن محاولة إبطاله ، وصرف سنن البارئ

التي أجراها على عباده . والله تعالى قد كفى العباد مؤونة  
وأضرار الثروة بما شرعه من الحقوق المالية الواجبة  
والمستحبة التي لو قام بها أرباب الأموال ، لكانوا من خير  
البرية أخلاقاً وأعمالاً ، وأشرفهم وأعظمهم اعتباراً .

ولكن لما منع أكثر الخلق ما أوجبه الله عليهم ،  
سلط عليهم أنواع الظلمة ، من ولاة ظالمين ، ومن فتاوى  
الجاهلین المتجرئين . قال الله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِمَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا  
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١)

واعلم أن الشبهه التي تُثارُ لنصر كل باطل ، إذا فرض  
صحة بعضها ، فإنها نظريات ضئيلة جداً ، ونظر قاصر ، حيث  
نظروا نظراً جزئياً ، وملاحظة جزئية ، وعموا عن الأصول  
التي تُبنى عليها الأحكام ، ويعتبرها الشرع ، وتتولد عن  
المصالح الكافية ، وتنغمر فيها المضار الجزئية ، وتوافق  
الشرع والفطر ، وتدع الخليفة هادئة ، والأسباب قائمة ،  
والارتباط بين الناس قائماً . قال تعالى :

﴿ وَلكلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا  
وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢)



س ٢ — هل في الدين الذي على الفلاحين (المزارعين) زكاة ؟  
ج — الأوفى أنك تزكّيه ولو لم تقبضه ، لأنه وثيق ،  
وفيه رهائن ، والوقت وقت مسنّبة ، والزكاة تصير على رأس  
المال منه وعلى المصلحة إن كان هو حال ، وإلا فبقسطه .  
والزكاة إنما هي على القيمة ، فلو اشترت ثمرة النخل من  
الفلاح ، وخلصت فيها عن الدين ، فالزكاة إنما هي على الدين  
لا على الثمرة بالنسبة لك ، لأن زكّاتك زكاة تُقود وعروض .  
ثم إن صرف الزكاة للأخ والأخت المحتاجين جائز ،  
سواء كانا شقيقين ، أو لأب ، أو لأم .  
س ٣ — إذا كان مال الرجل في أيدي الناس ،  
فهل فيه زكاة ؟

ج — أما الذي له أموال متفرقة بين أيدي الناس ،  
أو في ذممهم ، من جهة زكّاته ، فالذي في ذمم المُفسرين  
الذين ليس لهم وفاء ، لا تجبُ زكّاته ، والذي عند غيرهم  
وفي ذمم الموسرين ، فعليه زكّاته إذا تمَّ حوّلُه .

س ٤ — هل تجبُ الزكاة في المال الموصى به ؟

ج — أما المال الذي هو وصية لميت ، فلا تجبُ فيه  
الزكاة ، إذا كانت فلوساً ، ولو بلغت نصاباً .

س ٥ — رجل عنده دراهم ؛ فلما مضى شهر من الحوّل ،  
صرفها إلى ذهب لا يبلغُ نصاب الذهب ، ويبلغ نصاب  
الفضة ، فهل ينقطع الحوّل ، أو لا ؟

ج - هذه المسألة تحتوي على عدة صور :

إحداها : إذا كان هذا الذي صرف الدراهم التي هي نصاب الفضة بذهب في أثناء الحول ، قاصداً بذلك التحليل على إسقاط الزكاة ، فهذا لا ينفعه ، لأن كل حيلة تُسقط الواجب فهي لاغية .

ثانيها : إذا لم ينو التحليل ، لكن قصد صرفها لأجل الاتجار بها ، وأن يتربص بها فرصة غلاتها ، كما هو الغالب ، فهذا ذهبه لا بد أن يبلغ نصاب عروض ، وهو نصاب الفضة ، فعليه زكاة عروض ، كما ذكره في أموال الصيارفة .

وأما الإنسان الذي عنده ذهب ، فجعله فضة ، أو بالعكس ، لقصد التريث به إلى فرصة غلاته ، فإن زكاته زكاة عروض . فالغالب أن هذا قصد الصيارفة للدراهم بالذهب .

ثالثها : أن يصرف الدراهم بالذهب ، ويقصد أن يبقى الذهب أبداً ، ويتخبرجه شيئاً فشيئاً ، ولا يقصد صرفه بالفضة ، بل يُبقيه لأجل أنه إذا بدت له حاجة اشترى بها ، والمراد بالحاجة : الحاجة التي يستعملها لأكل أو شرب أو لباس أو نحوه ، لا بقصد الاتجار ، فهذا ينقطع الحول في حقه ، لأن ماله صار ذهباً غير قاصد لصرفه بالفضة ، فلا بد أن يبلغ نصاب ذهب . فتبين أن صورتين لا ينقطع الحول فيهما ، وهما : إذا نوى التحليل ، أو قصد صرفه عند سُنوح الفرصة . وفي صورة ينقطع ، وهي إذا نوى فيه القنية .

### باب : زكاة السائمة

س ١ - إذا كان عند الفلاح والجَمَّال إبل غير عاملة ،  
فهل فيها زكاة ؟

ج - الفلاح أو الجَمَّال إذا كان [لهما] إبل غير عاملة ،  
بل هي راعية للمباح في جميع الحَوَل أو أكثره ، فما دامت  
غير عاملة ، فإن فيها زكاة إذا تمَّ نصابها ، فإن كان يُسَنِّبها  
أو يحطب عليها أو يحشّ ، فهي من العوامل التي لا زكاة  
فيها . نعم لو كانت عقايب يسنى بعضهن ، ويريح بعضهن ،  
وهن كلهن مقصود بهن السواني ، ومحتاج لهن فيها - فإنها  
من العوامل . وأما الجَمَّال الذي تصير تجارته بالجَمال ،  
يصير عنده عدّة بمارين ، يروحهن للحجاز ، أو للجبيل  
ونحو ذلك ، بالأجر والسكرام ، فإنها في هذه الحال تكون  
عروض تجارة ، ليست من العوامل .

وإنما العوامل التي أعدها لحطبه أو حشيشه وأشباه ذلك .

### باب : زكاة الحبوب والشمار

س ١ - كم مقدار نصاب التمر والعيش بالصاع  
الموجود الآن ؟

ج - نصاب العيش والتمر بالصاع الموجود الآن مائتا  
صاع وثلاثون صاعاً ، بصاعنا الموجود . وزيادة الصاع النبوي  
يعنى صاعاً إلا خُمساً ، وينقص خمس الخمس .

هكذا [حررناه] تحريرًا لا يزيد ولا ينقص ، فهو مائتان  
وثلاثون ، وزيادة صاع إلا خمسًا ، وينقص من الخمس خُمُسُهُ .  
ويبان ذلك أن صاع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْتُهُ  
ثمانون ريالًا فرنسيًّا لا تزيد ولا تنقص ، وصاعنا زنته  
مائة ريال وأربعة ريالات فرنسية .  
فإذا حررت ذلك ، وجدته كما ذكرنا .

س ٢ - متى تضمّ الحبوب بعضها إلى بعض  
في تكميل النصاب ؟

ج - الحبوب إذا كان الجنس واحدًا ، والنوع مختلفًا  
« كالقمي » و « الحنطة » و « المعية » ، وكالتمر بأنواعه ، فإنه  
يضم بمضه إلى بعض في تكميل النصاب . فإذا اختلف الجنس ،  
كالبرّ ، والشعير ، والذرة ، والشامية ؛ فكل جنس على انفراده ،  
لا بد أن يتم نصابه ، كما نصّ الأصحاب على المسألتين .

س ٣ - ما معنى قولهم : لا زكاة في المعشرات ،  
ولو بلغت أحوالا ؟

ج - مرادهم بذلك إذا كان مُبْقِيًا لها لحاجته إلى أكلها .  
أما إذا أبقاها مرصدًا لها للتجارة ؛ فإنهم نصّوا على أن فيها  
زكاة عروض ، كبقية ما أعد للبيع والشراء .

## باب : زكاة النقدين

س ١ - ما مقدار نصاب الزكاة بالريال العربي ؟

ج - نصاب الزكاة بالريال العربي إذا لم يكن فيه غش :  
ثمان وخمسون ريالاً تقريباً ، وقد يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً .

س ٢ - هل يجوز أن يخرج عن الفضة طعاماً ؟

ج - يجوز إذا كانت القطع مرغوباً [فيها] . لأنها تجرى  
مجرى النقدين في عرف الناس ومما لا يهتم . ولكن على  
المشهور من المذهب لا يُجزئ إخراج القيمة عن الزكاة في  
النقدين [وغيرهما] ؛ فيرون أن القطع إخراجها عن الفضة ،  
بمنزلة إخراج التمر والعيش ونحوها من السلع عن الفضة .  
ولكن الحاجة اليوم داعية إلى إخراج القطع عن الفضة .  
وعن أحمد في هذه ثلاث روايات :

الجواز مطلقاً مع الحاجة وعدمها . والمنع مطلقاً .

والتفصيل أنه مع الحاجة إلى إخراج القيمة يجوز  
ويُجزئ ، ومع عدم الحاجة لا يجوز ، كما اختارها شيخ  
الإسلام ابن تيمية .

وهي كلّ فإخراج القطع ، حتى على أشد الأقوال ، أهون  
من إخراج باقي السلع ، اقرب القطع من مقاصد النقدين .

والله أعلم .

## باب : زكاة العروض

س ١ - إنسان غنيّ فلاح ، ويبقى عنده « عيش » يُنفقه على السنة الثانية ، ويبقى الذي يسُدّ فلاحته إلى الصيف ، وكذا السنة الثانية والثالثة ، فهل عليه زكاة غير المعسر ؟

ج - إذا رصده لحاجته ونفقته ، فلا زكاة عليه ، ولو زاد على نفقة السنة ، لأنه يُعِدّه تجارة .  
وإذا أعدّه للنفقة - وكثير من الناس يُعِدُّ لنفقته من التمر والبُرّ أكثر من حاجة السنة - فالزائد على السنة لا يدخل في العروض ، لأنه قنينة للحاجة .

وأما التاجر الذي له معاملة مع الفلاحين أو غيرهم ، ويبقى عنده ما يُعِدّه ، ليستدين منه بعضهم من تمر أو عيش ، فهو عروض تجارة .

س ٢ - إذا كان عنده دهن عروض تجارة ، فمتى تعتبر قيمته ؟

ج - العبارة في قيمته إذا حال الحول ؛ فلو كان قد اشترى بألفين ، وحال الحول وهو يساوي ثلاثة آلاف ، زكّي عن ثلاثة آلاف ، والعبارة بذلك : عند تمام الحول . أما الزيادة بعد تمام الحول ، فتكون للسنة المقبلة .

س ٣ - هل يجوز إخراج زكاة العروض منها ؟

ج - إخراج الزكاة من العروض ، المذهب لا يجوز ،  
والصحيح أنه إذا كان في ذلك مصلحة : جاز .  
س ٤ - ذكروا أن من عنده عروض تجارة ، فنواه  
للقنية ، ثم للتجارة ، أنه لا يكون للتجارة بمجرد النية ، حتى  
يحصل العمل . فهل هذا وجيه ؟

ج - المذهب معروف ، أنه لا بد من نية التجارة وعملها  
في عروض التجارة ، فإن نواها للتجارة ، ولم يعمل بها ،  
ولا أتجر بها ، بل رصدّها طلباً لفرصة الثمن الذي يرضيه ،  
فإنه لا يحسب الحول إلا من ابتداء عمله بها .

ولكن الصحيح أن النية كافية ، وهو قول في المذهب .  
فتى نوى الإنسان في شيء من العروض أن يتجر به ،  
ويرصده لذلك ، صار حكمه حكم العروض ،

و : « إنما الأعمال بالنيات »

وقد خرج عن القنية بنية ذلك .

وقد جرّت العادة أن الإنسان يتجر تارة بنفس عمله ،  
وتارة بإرصاده واستمداده لذلك .

### باب : زكاة الفطر

س ١ - هل يلزم إخراج الفطرة عن الولد الغائب ؟

ج - أما فطرة الولد الغائب ، فإنها تلزم بشرط أن  
يكون فقيراً ، وأبوه غني . ولا تسقط غيبته الوجوب .

## باب : إخراج الزكاة

- س ١ - هل يلزمك أن تلتزم الرجل بما تظنّه عليه من زكاة ، أم يكفي إجراؤه على ظاهره ؟
- ج - إذا حصل اليقين بأن فلاناً لا يُزكّي ، وعنده مال زكويّ ، وليس عليه دينٌ ، ولا مانع شرعيّ ، فهذا يجب إلزامه بأمر الله ، بحسب القدرة .
- وأما من يغلب على ظنك من غير يقين أنه لا يُزكّي ، فهذا يُنصح ويُبين له ، ويوعظ وعظماً عامّاً وخاصّاً .
- والوصول إلى اليقين في الأمور الباطنة عسيرٌ جداً .
- أمّا الأموال الظاهرة ، فوُلاة الأمور يأخذونها منهم ، من غير حاجة إلى التبريق بهم .
- ثم لك أسنوة بأهل المدن ، مثل : بُريدة وعُنيزة ، لا بد أنك تُلاحظ أعمالهم ، وترى مجرام مع الناس .
- س ٢ - هل يجوز إخراج الزكاة قبل رمضان ، إذا كانت عاداته أن يخرجها فيه ؟
- ج - أما تقديم الزكاة قبل رمضان ، لمن كان من عاداته أن يخرجها في رمضان ، فلا بأس بذلك ، وخصوصاً إذا كان رقت مستغبة وضرورة .
- س ٣ - إذا كان معك مال بضاعة ، فهل يُجزئ إخراج زكاته ، من غير توكيل المسالك ؟



ج - يجب على الذي هي في يده ، إذا علم أن صاحبها لا يُزَكَّى ، أن يُعَلِّمَهُ وَيُخَبِّرَهُ بِوُجُوبِ الزَّكَاةِ فِيهَا .  
والأخسن أن يحمله على توكله على إخراجها .  
وأما إخراجها إياها دون توكل المالك ، فلا يجزئ .

س ٤ - إذا كان بيد إنسان مال لغيره وهو غائب ، وحال عليه الحول ، فهل يُنْجِزُ زَكَاتَهُ ، أم لا ؟

ج - لا يجوز له ذلك إلا بإذنه وتوكيل من صاحب المال ، لأنه لا بد من نية صاحب المال أو توكله ، إلا إن كان الذي بيده المال ولياً للصغير والمجنون : صاحب المال ، فإن الإخراج يتملق بالولي .

وإذا علم أن صاحب المال لا يُنْجِزُ زَكَاتَهُ لِحُفْهٍ أَوْ تَهَاوُنِهِ ، فَيَتَمَتَّنِ عَلَى مَنْ بِيَدِهِ الْمَالُ تَنْبِيْهَهُ عَلَى ذَلِكَ ، لَوْجُوبِ ذَلِكَ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ ، لَأَسِيَا فِي هَذِهِ الْحَالِ .  
س ٥ - ما حُكْمُ شِرَاءِ الرَّجُلِ زَكَاتِهِ ؟

ج - لا يجوز ذلك ، سواء اشتراها بثمن مثلها ، أو أقل أو أكثر . والله أعلم .

س ٦ - من عنده زكاة وحول عليه أهل البرارى بها ، فهل يجزئ لمن عنده الزكاة أن يشتريها قبل قبضها ؟  
ج - لا تجوز من جهة أن هذا إخراج للقيمة .

والزكاة لا يجوز دفع قيمتها عنها إلا عند اضطرار الساعى لصاحب المال ونحوه . والله أعلم .

س ٧ — ما حكم أكل الساعى عند صاحب الثمرة والزرع وترك خرص ما تجب فيه الزكاة ؟

ج — إذا ترك خرص ما تجب فيه الزكاة ، لم تسقط الزكاة عن المالك ، ولا يكون إتمامه للساعى محسوباً من زكاته ، لأن الغالب أنه يقصد بذلك أن يكون كالرشوة لأجل إسقاط زكاته ، فليس من الزكاة فى شيء .

س ٨ — قولهم : ومن علم أهلية آخذ ، كره إعلامه ، ومع عدم عاداته لا يجزئه الدفع ، إلا إن أعلمه .  
ما مأخذ هذا القول ، وهل هو الصواب ؟

ج — إذا علم أهليته واستحقاقه للأخذ ، فمأخذ كراهة إعلامه ما نصّوا عليه : أن فى ذلك تبكيتاً له ، وتخجيلاً له . والمقصود حاصل بالدفع من دون حاجة ، لقوله : إنها زكاة ، لأنه يعلم استحقاقه ، وأنه يعتاد أخذها .

وأما من كانت عاداته أن لا يأخذ الزكاة ، بل يردّها ولو كان محتاجاً إليها ، فمأخذ قولهم : لا يُجزئه الدفع إليه فى هذه الحال ، ظاهر ، وهو أن من عاداته أن لا يقبل الزكاة أصلاً ، فلا يُجبرُ عليها ، ولا يُعزُّ بها .

## باب : أهل الزكاة

س ١ - هل يجوز تخصيص بعض القرابة بالزكاة ، مع مساواة غيره له في الفقر ، من أجل أنه زوج بناته [أبناءه] ؟  
ج - لا بأس بذلك ، لأنه مستحق للزكاة ، ولأنه صدقة وصلة رحيم .

وصلة أخرى ، وهي تزوج أبناء الممطى بنات الممطى .  
ففيه ثلاث صفات : فقره ، وقرابته ، وزيادة الرحيم .

س ٢ - هل يجوز دفع الزكاة للأولاد ؟

ج - لا يجوز ، ولا تجزئ ، سواء كانوا مع الإنسان في بيته أم لا ؛ ولو أنهم فقراء ، لأن الزكاة لا يدفعها المزكي لأصوله ولا لفروعه على أي حال .

س ٣ - هل يجزئ دفع الزكاة للأخ والأخت ؟

ج - الزكاة على أختك أو أخيك إذا كانا محتاجين تجزئ على الصحيح ، ولو أنك وارث لهما .

س ٤ - هل يجوز أن يرصد زكاة ماله ، فإذا جاءت « الفضة » دفعها إلى الأمير باسم الفضة بنية الزكاة ، فهل يجوز ذلك ؟ وهل تسقط عنه الزكاة ؟

ج - لا يجزئ ذلك عن الزكاة ، وليس له وجه .

س ٥ - إذا قام بوظيفة دينية ، كالقضاء ، والتدريس ، فهل يجوز له أخذ الزكاة ، وهو غني ؟

ج - هذا القول ، وإن قاله بعض العلماء ، كما قاله « صديق » في شرح « بلوغ المرام » ، فإن جمهور العلماء على المنع من ذلك ، فإن الله سبحانه جعل الزكاة ثمانية أصناف ، وهؤلاء ليسوا منهم ، فإن الزكاة لا تحل لغنى إلا لعامل عليها ، أو مجاهد في سبيل الله ، أو لغريم لإصلاح ذات البين ، أو مؤلف .

نعم ، هؤلاء المذكورون مستحقون من أموال الفداء وبيت المال أكثر من غيرهم ، لقيامهم بهذه المصالح العامة النفع . وأما الزكاة ، فإن أهلها مخصورون .

س ٦ - هل يجوز صرف الزكاة في بُنيانٍ على مقبرة ؟  
ج - لا يجوز ، لأن الزكاة للأصناف الثمانية ؛ وُبنيان المقبرة أو المسجد أو غيرها لا يصلح أن يكون مصرفاً للزكاة .  
والله أعلم .

س ٧ - إذا مات من عيّنت له الزكاة قبل قبضها ، فلمن تكون ؟

ج - إن كان قد قبضها وكيّله ، فوكيله مثل نفسه ، وإن كان لم يقبضها وكيّله ، روجع صاحب الصدقة ، إن شاء جعلها لورثة الميت إن كانوا محتاجين ، وإن شاء جعلها في غيرهم .

س ٨ - ما حكم الصدقة في رمضان أيام الخميس وليلة الجمعة ؟

ج - الصدقة في رمضان أيام الخميس وليلة الجمعة من الأمور المحبوبة ، ولا [يزال] مشايخنا الذين أدركنا ، وكذلك مشايخ عزيزة وبريدة وتوا بهم متفقون على ذلك ، ومكاتب المشايخ الكبار مثل أبا بطين وغيرهم كثيرة جدًا ، وذلك أن الصدقة في رمضان من أفضل الأعمال بالاتفاق ، واعتاد الناس أن يجعلوا في وصاياهم « عيشًا » يُطبخ ويمينون لهم يومًا فاضلاً ، مثل يوم الخميس وليلة الجمعة ، لأجل أهل العوائد الذين يحضرون ، أو يُرسل لهم منه ، يكون عندهم معلوماً . ولا أحد يشك بهذا ، إلا من مدة سنتين ، بمض الطلبة وقع بخواطرهم من هذا شيء ، وهذا غلط منهم واضح . .

س ٩ - في قوله صلى الله عليه وسلم ، إذا جاء سائل أو طلبت إليه حاجة : « إشفقوا تُؤجروا » . . الحديث ؟

ج - فيه الحث على إعانة ذوى الحاجات ، بالشفاعة والجاه وغيرها ، وفيه كمال شفقتة ورحمته صلى الله عليه وسلم على إيصال الخير لذوى الحاجات والسماع لأستأنتهم ومطالبهم . وفيه أنه كان صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق وأرحمهم ، وفيه من الدواعى لفعل الإحسان ما لا يوجد في غيره ؛ ولكن مع ذلك أمر أصحابه بالشفاعة لأصحاب الحاجات ، وإعاتهم على مطلوبهم ؛ ولولا هذه الشفاعة ، ربما لم يحصل لهم مُرادهم .

وفيه أنه ينبغي لفاعل الخير المُتَعَدِّي نَفْمَهُ ، أن يتسبب لأصحابه وحاضريه بفعل الخير مباشرة ، أو شفاعته ، أو مساعدة ؛ فإن ذلك خير ناجز محقق . فإن حصل مطلوب الطالب ، حصلت المصلحتان ، وإلا فالشافع المُعِين قد حصل خيراً وأجرًا على سميّه وإعانتته .

وفيه أيضًا أن المسؤول إذا شَفِعَ عنده ، فإنه لا يلزمه قبول الشفاعته ، ويبقى الأمر باختياره ، وكما أنه لا يلزمه قبول ذلك ؛ فعليه أن لا يضجر ويملّ من شفاعته الشافعين ، بل محتسب لهم الأجر والخير ، كما أن على الشافع أن لا يفضب ولا يُعادي أحدًا إذا لم تُقبَل شفاعته . . .

فليس أحد أحبّ للنبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه ، وقد كان أحيانًا يقبل شفاعتهم ، وأحيانًا لا يقبلها ، بحسب ما يراه من الأحوال والمصالح ، وقلوبهم لا تزداد إلا حبًا وودادًا .

## كتاب : الصيام

س ١ - قولهم : إذا رأى هلال شوال وحده لا يفطر ، هل هو وجيه ؟

ج - نعم وجيه ، لأن الببرة بما ثبتت واشتهر ، ولهذا قيل للشهر : شهرٌ لاشتهاره وظهوره بين الناس ، فالإنسان وإن كان قد تيقن رؤية هلال شوال وحده ، ولكن الحكم الشرعي لا يعتبر رؤيته وحده ، فيجب عليه اتباع الحكم الشرعي ، وترك ما تيقنه من الرؤية التي لم يُثبتها الشارع ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث :

« الْفِطْرُ يَوْمَ يُفْطِرُ النَّاسُ ، وَالْأَضْحَى يَوْمَ يَضْحَوْنَ » .

وبعض الأصحاب كابن عقيل وغيره أرادوا أن يجمعوا بين الحالتين ، فقالوا يفطر سرًّا ، ولكن الصواب الذي لا شك فيه أنه لا يحلُّ له الفطر ، بل يصوم مع الناس ، ولو كان قد رآه . والله أعلم .

س ٢ - هل يجوز الصيام والفطر بسماع المدفع ، إذا اعتاد الناس التنبيه على دخول الشهر أو خروجه ؟

ج - أما البلد الذي فيه حاكم شرعي لا يصوم الناس إلا عن أمره ، ولا يفطرون إلا عن أمره ، وكانوا قد اعتادوا على تنبيه البعيدين عن محلّ الحكم بالمدفع ونحوه ، وهي عادة

مُطَرِّدَةٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُشْتَبَهَ بِغَيْرِهَا ، فَهِيَ بِمَنْزِلَةِ الْخَبَرِ ، بَلْ هِيَ الْخَبْرُ بَعِيْنُهُ ، لِأَنَّ بِلَادَ الْحَاكِمِ بِنَفْسِهِ يَحْصُلُ فِيهَا الرَّئِيُّ ، أَوْ يَشْتَهَرُ الْخَبْرُ ، وَلَا يَقِفُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ عَلَى صُورَةِ الثَّبُوتِ وَوَجْهِتِهَا ، بَلْ رُبَّمَا كَانَ رَئِيُّ الْمُدْفَعِ حَيْثُ يَعْتَادُونَهُ ، أَوْ بَلَغَ مِنَ الْخَبْرِ الَّذِي يَنْدَاقُلُهُ النَّاسُ ، لِأَنَّ بِلَادَ [ الْحَاكِمِ ] يَتَوَقَّعُونَ ، وَلَا يَجْرُونَ حَالَةَ يَحْصُلُ بِهَا الْاِغْتِرَارُ لِلنَّاسِ . وَالْمَقْصُودُ أَنَّ هَذَا مُسْتَنْدٌ وَجِيْهِ ، لَيْسَ فِي النَّفْسِ مِنْهُ شَيْءٌ .

س ٣ - هل يجوز الفطر بخبر الراديو ؟

ج - أما خبر الراديو في الفطر ، فكثيراً ما يأتي سؤال عنه ، وعندى فيه استشكل .

س ٤ - هل يعتمد في الأخبار الدينية ، كثبوت صوم وفطر ، على الإذاعة السموعية ، وهل حكمه كالبرقية في الاعتماد عليه ؟

ج - المسألة عندى فيها إشكال ، لأننى إذا نظرت إلى مجرد خبر المذيع ، وأنه يُخبر عن ثبوت ذلك الخبر الدينى ، فالمذيع فى الغالب مجهولة حالته من عدالة وغيرها ، وتثبت أو تسرع ، وهذا مما يوقف عن الجزم بالاعتماد عليه . وإن نظرت إلى أن المذيع من محطة جدة أو مكة ، عليه مراقبة شديدة ، ولا يجسر على مثل هذا الخبر إلا بعد ثبوته عند الحكومة ثبوتاً رسمياً ، قرّبت خبره من خبر البرقية . فعلى هذا .



أما القرينة والاحتياط إذا أمكن فهو اللازم . والجزم بأحد الأمرين : أتوقفُ فيه . وربما فيما يُستقبل تعمل الحكومة عملاً المحالّ التي لا برقية فيها ، يتمكنون بها من الجزم بخبره .  
س ٥ - هل يُعمل بالبرقية وأصوات المدافع والبواريد في ثبوت الصوم والفطر ؟

ج - لا ريب أنّ كلّ أمر مهمّ صموي ، يُراد إعلانه وإشاعته والإخبار به على وجه السرعة والتعميم ، يُسلّك فيه طريق يحصل به هذا المقصود ، فتارة يُنادى فيه على وجه التصريح ، أو الإجمال القولي ، وتارة يُعبّر عنه بأصوات عالية كالرّنى ونحوه مما له نفوذ وسريان إلى المحالّ والأماكن البعيدة ، وتارة بالبرقيات المتنوعة . ولم يزل الناس على هذا يُعبّرون ويُخبرون عن مثل هذه الأمور بأسرع وسيلة يتعمّم ويشيع فيها الخبر . على هذا المعنى مجتمعون ، وبالعامل في الأمور الدينية والدينيوية مُتفقون : وكلما تجدّد لهم وسيلة أسرع وأنجح مما قبلها أسرعوا إليها .  
وقد أقرّم الشارع على هذا الجنس والنوع ، ووردت أدلة وأصول في الشريعة تدلّ عليه . فكلّ ما دلّ على الحقّ والصدّق والخبر الصحيح مما فيه نفع للناس في أمور دينهم ودنياهم ، فإنّ الشارع يُقرّهُ ويقبله ، ويأمر به أحياناً ، ويُجيزه أحياناً ، بحسب ما يؤدي إليه من المصلحة .

فالشارع لا يردّ خبراً صحيحاً بأيّ طريق وصل ، ولا ينفي حقاً وصدقاً بأيّ وسيلة ودلالة اتّصل ، وخصوصاً إذا استفاض ذلك واحتفتّ به للقرآن المتنوعة . فاستمسك بهذا الأصل الكبير ، فإنه نافع في مسائل كثيرة ، ويمكنك إذا فهمته أن تطبّق عليه كثيراً من الأفراد والجزئيات الواقعة ، والتي لا تزال تقع ، ولا يقصُر فهمك عنه ، فيفوتك خير كثير . وربما ظننت كثيراً من الأشياء بدعاً محرمة إذا كانت حادثة ولم تجد لها تصريحاً في كلام الشارع ، فتخالف بذلك الشرع والمقل ، وما فطّر عليه الناس .

## فصل

فإذا فهمت هذا الأصل ، فقد علم وتقرّر أن الناس في كل قطر وبلد يجرون في أمورهم على الأحكام الشرعية في صومهم وفطرم وعباداتهم ، وعندم حاكم شرعي ، فإنه متى ثبت عنده بالطريق الشرعي وجوب الصوم والفطر فإنه في الغالب لا يطّلع على مستند هذا الحاكم الشرعي إلا من باشره من قاض ومباشر للقصة ، ومن حضرها ، وأما من سوام من أهل البلد ، فضلاً عن أهل القطر ، فضلاً عن بقية الأقطار ، فإنما يصل إليهم الخبر بما يثبت به ذلك الخبر ويُشاع ، من قائل يتناقلون ، أو نداء في الأمكنة المرتفعة وغيرها ، أو رنّ بمدافع ونحوها ، أو ببرقيات ، ليصل الخبر إلى القريب والبعيد ،

فهذا عمل متمصل جنسه في جميع قرون الامة من غير نكسر ،  
وإن كان بعض أفراده لم تحدث إلا من قريب ، كالبرقيات  
ونحوها ؛ فمعلم أن الأمة مُجْمَعَةٌ على العمل بهذا النوع من  
الأدلة المعتادة .

ومما يدلُّ على ذلك أن الاستفاضة في الأخبار من جملة  
الطرق الشرعية التي تُفيد صدق خبرها ، حتى إن الفقهاء  
رحمهم الله جعلوا شهادة الشهود تارة تستند إلى ما يراه الشاهد  
ويسمعه من المشهود عليه ، وتارة على ما يسمعه من أخبار  
الاستفاضة ، فيشهد بما استفاض مستندًا على الاستفاضة ،  
وقد ذكروا لذلك أمثلة كثيرة .

ومن المعلوم أن الاستفاضة الحاصلة من رنّي المدفع ونحوه  
والبرقيات ونحوها ، أبلغ بكثير من الاستفاضات المفيدة للعلم .  
خصوصًا وقد أيد ذلك شاهد الحال ، واحتفت به القرائن  
الكثيرة التي تدلّ دلالة يقينية على ثبوت ذلك الخبر ، وكذلك  
العادة المُطَرِّدَة ، والعرفُ المستقرّ الذي جرى عليه الناس في بثّ  
هذه الأخبار ، مع قرينة تشوّف الناس والاشتباه في الوقت ،  
مع أن الإخبار بالرّنّي والبرق ونحوها من الأمور الرسمية التي  
لايجرؤ عليها أحد من العامة ، إلا عن طريق أمر الحكام  
وأولياء الأمور وإذنيهم . فنتى عرفت الواقع ، لم يبق عندك في ذلك  
الخبر شكّ ، وعرفت أنه خبر يُفيد العلم . وإذا كانت أخبار

الآحاد إذا اختفت بها القرائن ، أفادت العلم ، فكيف بمثل  
هذه الأخبار المستفيضة المؤيدة من الأحكام الشرعيين ؟  
ومما يدل على ذلك من الأصول الشرعية ، أن النبي صلى  
الله عليه وسلم لما قدم المدينة ، وتشاور المسلمون في تعيين  
أمر يعرفون به الوقت والحضور للصلوات الخمس في أوقاتها ؛  
فمنهم من أشار بالبوق ، ومنهم من أشار بالتاقوس ، ومنهم  
من أشار بإيقاد النار ، ومنهم من أشار بيمت من ينادى  
للصلاة والحضور إليها . فاختار الله هذا الأذان المبارك الذي  
لا تمدُّ خيراته ومصالحه ، والله الحمد والمقصود أنهم اتفقوا  
على أن هذه الأشياء التي ذكروها متى اتفق الناس على واحد  
منها ، أفادتهم العلم بدخول الوقت ، وبمضها أصوات تسمع ،  
وبمضها نار تُشاهد .. فَمَلِمَ أنه قد تقرر عندهم حصول  
المقصود بها ، ولسكنهم يبحثون أيها أنسب ؟  
ومثل هذا لا يخفى على النبي صلى الله عليه وسلم ،  
فلو كانت هذه الأمور ونحوها لا يحصل بها العلم المطلوب  
الإعلام به ، لأخبرهم بذلك ، ولما أقرّم على هذا البحث .  
ونفسُ الأذانِ الذي اختاره الله للمسلمين لمعرفة دخول  
الوقت ، هو من هذا القبيل ، فإن المؤذنين ينادون في أوقات  
الصلاة بألفاظ الأذان ، وهي ثناء على الله ، وشهادة له بالتوحيد ،  
ودعاء مُطلق للصلاة والفلاح ، فيكون هذا كالتصريح بقولهم :

دخل الوقت . ومسألة رَنَى المدافع ، وإرسال البرقيات الممتدة في الخبر عن ثبوت الأشهر ، من هذا الجنس ، وهي بسبب تحريرها والعناية التامة بها أقرب إلى الصواب ، لأنها لا تكون إلا بعد الثبوت والتروى من الخبر الذي لا تردّد فيه ، وبمد أن يعتمد عليها ولاة الأمر وحكام الشرع ، فالتحقيق بها أتمّ ، والغلط فيها أبعد .

يؤيد هذا أن من قواعد الشريعة أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وما يحصل المأمور أو لا يتم إلا به فهو مأمور . وهذه الأمور متى ثبتت عند أولياء الأمر ، تميّن عليهم أن يخبروا بها الناس ويحدثوها بينهم ، بحسب قدرتهم بأسرع وقت يمكن ، ليصوموا ، ويفطروا ، ويصنّوا ، ويقوموا الأمور الشرعية .

ومن المعلوم أن الرّمى ، وإرسال البرقيات ، أبلغ من مجرد نداء المصوّتين بثبوت الشهر ، ويشيع الخبر بها بأسرع وقت . فأقلّ الحالات فيها أنها مستحبة ، والقاعدة الشرعية تقتضى وجوبها مع القدرة عليها ، إذا تباعدت الأقطار ، ولم يحصل المقصود إلا بها .

هذا من جهتها في نفسها ، وأما المبلّغون المخبرون بها ، فإنه يتمين عليهم العمل بضمون ما دلّت عليه ، من الصيام ، والفطر ، ودخول الأوقات وغيرها . ومما يدلّ على ذلك أن

مقصود الإخبار بالرّمى والإبراق ونحوه هو ترجمة وتمبير  
عما تقرر عليه الأمر عند أهل الحُكم الشرعى ، وهى ترجمة  
يفهمها كلّ أحد ، لأنها تمبير عن أمر يتفق عليه أولو الأمر  
والحكام على الناس ، ويعرفه الناس معرفة لا يشكّون فيها ،  
وفى المراد منها . وما كان هكذا فالشريعة لا تردّه ، بل  
تقبله ، وتأمّر به عند تيسّره ، والترجمة التى يحصل بها  
العلم ، لم يزل العمل بها ، على أى طريقة وصيفة كانت . ويدلّ  
على هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أمر بالتبليغ عنه  
وتبليغ شرعيه ، وحثّ على ذلك بكل وسيلة وطريقة .

والتبليغ أنواع متعددة ، فتارة تبليغ ألفاظ الكتاب  
والسنة ، وتارة تبليغ معانيها ، وتارة تبليغ الأحكام الثابتة  
شرعاً ليصل علمها إلى الناس ، فيتمكنون من العمل بما شرعه  
الله . والإخبار بالرّمى والإبراق من هذا النوع ، فإنه إذا  
ثبت بالطرق الشرعية وجوب الصيام والفطر على الناس ، أو  
وجوب شريعة من الشرائع ، تعيّن على ولاة الأمر تبليغ  
للناس بأسرع ما يقدرّون عليه ، ليقوم الناس بما أمر الله به  
ورسوله فى الصيام ، والفطر ، والصلاة ، وغيرها . وكلما كان  
الطريق للتبليغ به أقوى وأسرع أو أشمل ، كان أولى من  
غيره ، وكان داخلاً فى تبليغ الأحكام الشرعية ؛ فدخل  
فى هذا تبليغهم بجميع المقرّبات وبذلك يُعلم حكم إيصال

أصوات المبلّغين عن الشارع من الخطباء والوعّاظ وغيرهم  
بالآلات الموصّلة للأصوات إلى مسامع الخلق .  
وهذه المسألة أوضح من أن يُخْتَجَّ لها ، لكن لما حصل  
الاشتباه فيها على كثير من الناس اختيج إلى بيان الأصول  
الشرعية التي أخذت منها .

ومما يؤيد ذلك ، وبوضّحه ، أن الأمر بالمعروف والنهي  
عن المنكر من أكبر واجبات الدين . ومن أعظم ما يدخل  
في ذلك أنه إذا ثبتت الأحكام الشرعية التي يتوقف عمل  
الناس بها على بلوغ الخبر ، فإنه يتعيّن على القادرين إيصالها  
إلى الناس بأسرع طريق وأحسن وسيلة يتمكّنون بها من أداء  
الواجبات ، وتوقّي المحرّمات . ولا يشكُّ أحد أن إشاعة  
الأحكام وتعميمها إذا ثبتت بالأصوات والرّمي وما هو أبعد  
مدى منه وأبلغ انتشاراً ، مما يدخل في هذا الأصل الكبير .  
ومما يدلّ على ذلك أن صدور هذه الأخبار بالإبراق  
ونحوه ، تقع محرّرة منقّحة يندُر جدّاً وقوع الخطأ والغلط  
فيها ، فضلاً عن التعمّد ومخالفة ما ثبت عند ولاة الأمر .  
والناس قد عرفوا واصطلحوا أنها إذا حصلت ، فإنها  
لا تصدر إلا بعد عرضها على الحُكّام الشرعيين وتنقيحها  
وثبوتها ثبوتاً لا تردّد فيه ، وأنها أبلغ من شهادة الشهود  
التي تحتل السهو والغلط أكثر من هذا . وهذه الأشياء

لا يمكن التَّقَوُّلُ أو الافتتات فيها على ولاية الأمر . وإذا كان الناس يعتمدونها في أمور دينهم ودنياهم ، كالولايات ، والوكالات في النكاح ، والمقود ، والموارث وموت الأزواج ، ويُشَبِّهون مُقتضى ذلك من العِدَّة ، والإحْداد ، والميراث وغير ذلك ، وكإخراج الزكاة ، والكفارات ، وكالحالات ، وتَنْقُلُ من محلّ إلى محلّ ، ونحو ذلك مما لا يحصى ، فما المانع من قبولها في ثبوت الأشهر ، والصيام ، والفطر ، ونحوها ؟ وهي في هذه الحال قد احتَفَّتْ بها من القرائن المحقّقات والضبط والتحرير ما لا يوجد في غيرها ، خصوصاً الصادرة في مقر الحاكم الشرعى ، وهذا واضح ، والله الحمد . فالشارع لا يرُدُّ خبراً صادقاً ولا يَنْفِي طريقاً يحصل به الثبوت ، ولا يُفَرِّقُ بين المتماثلات ، وإنما يتوقف في خبر المجهول ومن لا يوثق بخبره ، أو من محلّ لا حاكم فيه . فهذا النوع يجب التَّشَبُّه في خبره .

والحاصل أن إيصال الأخبار بالرَّيِّمِ والبرقيات ونحوها مما يُوصَلُ الخبر إلى الأماكن البعيدة ، هو عبارة وتعبير عما اتفق عليه ولاية الأمر ، وثبتت عندهم مُقتضاه ، وهو من الطُّرُق التي لا يرتاب الناس فيها ، ولا يحصل لهم أدنى شك في ثبوت خبرها . ومن توقف فيها في بعض الأمور الشرعية ، لم يتوقف لِشَكِّه في أنها أفادت العلم ،



وإنما ذلك لظنه أن هذا الطريق المعين لم يكن من الطرق المعتادة في الزمان الأول ، وهذا لا يوجب التوقف . فكم من أمور حدثت لم يكن لها في الزمان الأول وجود ، وصارت أولى وأحق بالدخول من كثير من الأمور الموجودة قبل ذلك . والله أعلم .

س ٦ - المذهب وجوب صوم الثلاثين من شعبان ، إذا كان غيم أو قتر ، فهل هو صحيح عندكم ؟

ج - المسألة فيها خلاف في المذهب وغيره . والصحيح من الأقوال ، الذي تدلُّ عليه الأدلة الصحيحة ، أنه لا يُصام يوم الثلاثين من شعبان في الغيم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه أنه قال :

« فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا . »  
وهذا صريح ، يرجع إليه الحديث الآخر :  
« فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ ، فَأَقْدُرُوا لَهُ . »

ومع ذلك فالصيام ليس بمحرّم ، بل هو جائز ، ولكن الفطر أرجح وأقرب للأدلة الشرعية ، وهو رواية عن الإمام أحمد ، اختارها شيخ الإسلام ابن تيمية .

س ٧ - إذا ترك التماس هلال شهر رمضان ليلة الثلاثين من شعبان ، لتهاون أو غيره ، ثم قامت البيّنة في أثناء النهار ، فهل يلزمه القضاء ، على اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ؟  
( ١٦٢ - فتاوى )

ج - لا فرق عند الشيخ بين هذا وبين غيره ، فالذي تسبب وحرص على التماس هلاله وغيره ، حكمهم واحد .  
س ٨ - إذا صام أول يوم من رمضان ، ثم جاءه من شكك في أنه لم يثبت ، وإنما هو شك ، فأفطر ، فهل عليه كفارة ؟

ج - نهاية ما عليه : قضاء ذلك اليوم . وأما الكفارة ، فلا كفارة عليه في هذا الإفطار ، إلا أن يكون قد وطئ زوجته ذلك اليوم ، فإنه يكون عليه كفارة ظهار ، على المذهب . وعلى القول الصحيح : لا كفارة على الناسي والجاهل ، خصوصًا هذا المبرور . والله أعلم .

س ٩ - إذا صام يوم الاثنين أو الخميس ، وله عادة بذلك ، وقد وافق يوم الشك ، ونوى إن كان من رمضان فهو فرض ، فهل يُجزئه إن بان منه ؟

ج - قد ذكر أصحابنا ، رحمهم الله ، أن صوم الشك يُجزئ إذا ظهر من رمضان ، إذا كان غنيم ونحوه . وأما من غير مانع فلا يُجوزون هذا التعليق ، سواء قال ذلك من يصوم النفل ، أو من هو مُفطر ، بأن قال : إن كان غذا من رمضان ؛ فأنا صائم ، وإلا ، فأنا مُفطر في أوله .  
ويقولون : إنه لم يُبْنَ على أصل ، بخلاف نيتته في آخر الشهر ، فإنه بيان على أصل .

وعلى أصل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الأحكام لا تُلزم إلا ببلوغها للمكلف . فمثل هذا ، وما هو أشد منه ، لا يلزمه أن يصوم هذا اليوم الذي ثبت بعد ذلك أنه من رمضان . وأنا أختار ما قاله الشيخ رحمه الله ؛ لأنه ثبت في الصحيح ، للنفوس عن الناس إذا فعل المفطرات ؛ فالخطئ شبيه بالناسي ، بل جعل الشارع حكم الناسي والمخطئ واحداً في العفو والسماح . والله أعلم .

س ١٠ - إذا رأت الحامل الدم في رمضان ، وصامت ، فما الحكم ؟

ج - هذا مبنى على أن الدم الذي يأتي المرأة الحامل ، دم فساد ، كما هو المشهور في المذهب . فعليه : لا تُفطر ، بل يجب عليها الصيام والصلاة ، أو هو حيض ، كما هو في الرواية الثانية عن الإمام أحمد ، وهي الصحيحة ، فيكون حيضاً ، تترك له الصلاة والصيام ، فإن صامت قضت . وهذا هو المختار . والله أعلم .

س ١١ - قولهم : ومن نوى الإفطار أفطر ، هل هو وجيه ؟

ج - نعم هو وجيه . وذلك أن الصيام مركب من حقيقتين : النية ، وترك جميع المفطرات ، فإذا نوى الإفطار ، فقد اختلَّت الحقيقة الأولى ، وهي أعظم مقومات العبادة ، للأعمال كلها لا تقوم إلا بها .

و معنى قولهم : أفطر : أنه حُكِمَ له بعدم الصيام ،  
لا بمنزلة الآكل والشارب ، كما فسروا مرادهم .

ولذلك لو نوى الإفطار وهو في نفل ، ثم بعد ذلك أراد  
أن ينوى الصيام قبل أن يُحدِث شيئاً من المفطرات ، جاز له  
ذلك ، ولكن أجره وصيامه المثاب عليه من وقت نيته فقط .  
وإن كان الذى نوى الإفطار فى فرض ، فإن ذلك اليوم  
لا يجزئه ، ولو أعاد النية قبل أن يفعل مفطراً ؛ لأن الفرض  
شرطه أن النية تشمل جميعه من طلوع فجره إلى غروب  
شمسه ، بخلاف النفل .

وهنا فائدة يحسن التنبيه عليها ، وهى أن قطع نية  
العبادة نوان :

نوع لا يضره شيء ، وذلك بعد كمال العبادة . فلو نوى  
قطع الصلاة بعد فراغها ، أو الصيام ، أو الزكاة ، أو الحج ،  
أو غيرها بعد الفراغ ، لم يضر ، لأنها وقعت وحات محلها .  
ومثلها : لو نوى قطع نية طهارة الحدث الأكبر أو الأصغر ،  
بعد فراغه من طهارته ، لم تنتقض طهارته .

والنوع الثانى : قطع نية العبادة فى حال تلبسها بها ، كقطعه  
نية الصلاة وهو فيها ، والصيام وهو فيه ، أو الطهارة  
وهو فيها . فهذا لا تصح عبادته .

ومتى عرفت الفرق بين الأمرين ، زال عنك الإشكال .

س ١٢ - إذا استاك وهو صائم ، فوجد حرارة أو غيرها من طعمه قبله ، فهل يضره ؟ وإذا أخرجه من فمه ، وعليه ريق ، ثم أعاده وبله ، فهل يضره ؟

ج - لا يضره في الصورتين ، كما نصّ عليه الأصحاب في الأخيرة ، وهو ظاهر كلامهم في الأولى ، والأمر بالسواك للصائم وإباحته يشمل ذلك كله ، فلا بأس به . إن شاء الله .  
س ١٣ - إذا تسخّر بليل ، ونوى الصيام ، ثم عرض له أن يأكل ويشرب بعد ذلك ، قبل الفجر ، فهل يجوز ؟

ج - نعم ، له ذلك ، فإن الله تعالى قال :  
{ وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ  
مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ } (١) .

ولم يفرّق بين من توى اللزوم قبل الفجر ، وبين من لم ينو ، ونيتته في أثناء الليل أن يصوم ويترك جميع المفطرات : لا يُحسب له الصوم الشرعى إلا من طلوع الفجر ، فإنهم قالوا في تعريف الصوم : إنه الإمساك عن المفطرات ، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وهذا لا خلاف فيه .

وليس نيتته ترك الطعام ونحوه قبل الفجر بمحرّم عليه ، بل يجوز له الأكل والشرب والجماع في هذه الحال ، حتى يطلع الفجر .

(١) البقرة : ١٨٧ .

## باب : صوم التطوع

س ١ - إذا صام ستة أيام من شوال في ذى القعدة ، فهل يحصل له الأجر الخاص بها ؟

ج - أما إن كان له عُذر من مرض أو حَيْض أو نَفاس أو نحو ذلك من الأعذار التي بسببها أُخِّر صيام قضاؤه ، أو أُخِّر صيام السنَّة ، فلا شك في إدراك الأجر الخاص . وقد نصُّوا على ذلك .

وأما إذا لم يكن له عُذر أصلاً ، بل أُخِّر صيامها إلى ذى القعدة أو غيره ، فظاهر النصِّ يدلُّ على أنه لا يدرك الفضل الخاص ، وأنه سنَّة في وقت فات محلّه ، كما إذا فاته صيام عشر ذى الحجة أو غيرها ، حتى فات وقتها ، فقد زال ذلك المعنى الخاص ، وبقي الصيام المطلق .

س ٢ - ما الحكمة في إباحة الصوم في أيام التشريق للمتمتع والقارن ، مع عدم الهدى ؟

ج - يستفاد من إباحة النبي صلى الله عليه وسلم الصيام أيام التشريق للمتمتع والقارن الذي لم يجد الهدى ، دون قضاء رمضان ، مع أنه أكل وأعظم - فائدتان :

إحداها : أن الوقت إذا كان متسماً للواجب الأعلى ، متميِّناً للواجب الأدنى ، أنه من مُرَجَّحات المفضول على الفاضل .

وفائدة أخرى :

أنه إذا تمارض واجب ومُحرّم ، تمّيز تقديم الواجب ،  
وبهذه الحال لا يصير حراماً في حق المؤدّي للواجب .  
كما يجب على المتمتع الحلق إذا فرغ من عمرته ،  
بعد دخول ذى الحجة .  
ويحرم على المصنّعي أخذ شيء من شعره ، فهذا  
لا يدخل في المحرم .  
والله أعلم .

### باب : الاعتكاف

س ١ — إذا نذر الاعتكاف في غير المساجد الثلاثة ،  
فهل يكره الوفاء بنذره ؟  
ج — إن كان يحتاج إلى شدّ رَحْلِ ، فلا يجوز ،  
كما صحّ في الحديث :  
« لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ » .  
فكل موضع ، مسجد أو غيره ، عيّنه لمباداة اعتكاف  
أو غيره ، وهو يحتاج إلى شدّ رَحْلِ ، فإنه لا يجوز ،  
وإن كان بمض الأصحاب كالموقف وغيره أجاز ذلك .  
فالذي عليه المحققون : هو ما دل عليه الحديث من المنع ،  
وإن كان لا يحتاج إلى شدّ رحل .

فإن كان الذي عَيَّنَهُ تُقَامُ فِيهِ الْجُمُعَةُ ، وهو يتخلَّلُ  
اعتكافه جمعة ، لم يعتكف في مسجد لا تقام فيه الجمعة ،  
لأنه يأتي بأقل مما وجب عليه .

وإن كان المسجدان سواء في إقامة الجمعة أو عدمها ،  
فهو مُخَيَّرٌ .

وإن شاء وَفَى بما نذره ، وإن شاء في الآخر ، كما ذكر  
هذا الأصحاب ، رحمهم الله تعالى .

س ٢ - إذا شرط في اعتكافه شيئاً مما له منه بد ،  
فهل تكفي نِيَّتُهُ ، أم لا بد من نُطْقِهِ ؟

ج - نِيَّتُهُ كَافِيَةٌ عَنْ نُطْقِهِ ، كما هو الأصل في كل  
العبادات ، إلا الاشتراط في الحج ، فلا بد من نُطْقِهِ فِيهِ .  
والله أعلم .



## كتاب : الحجّ

س ١ - ذكر الفقهاء أن نفقة محرم المرأة في الحج عليها ،  
فما مُرادهم من ذلك ؟

ج - مرادهم بذلك ما صرّحوا به أن عليها الزاد والراحلة  
لها وله ، وال زاد : اسم جامع لكل ما يُحْتَاجُ إليه للتزوّد في  
سفره . وأما الحوائج الأخرُ غير المتعلقة بذلك السفر ،  
فلا تدخل في ذلك .

س ٢ - امرأة عجوز فقيرة كفيفة لم تحجّ ،  
فهل يُحجّ عنها ؟

ج - أما حجّة الإسلام إذا كانت تُطيق الرُّكوب ،  
واليومَ كلُّ يُطيق الرُّكوب ، فلا بدّ أن تحجّ بنفسها ،  
لأن لها أولادًا ومحارِم ، ولو أنهم غائبون .

س ٣ - هل يجوز الحجّ بسيارات الحكومة ، إذا كان  
السائق يأخذ الأجرة لنفسه ، وأجرته على الحكومة ؟

ج - لا بأس أن تحجّ ، والتبعية على السائق ، إن كان  
فيه تبعية ، وأنت ما عليك من إيمه شيء . والله أعلم .

س ٤ - ذكر الفقهاء أنه يلزم للنائب أن يحجّ حجة  
الإسلام من بلد المنوب عنه حيًّا أو ميتًا ، فهل هذا وجيه ؟  
ج - الصحيح الذي لا شك فيه ، أنه لا يلزم أن يكون  
من بلد المنوب عنه ، ولا أبعد منه .

بل يجوز من أقرب منه ، ومن مكة ، وهو ظاهر الأدلة الشرعية ، ولا دليل على إيجاب ذلك ، وما استدل به من التعليل منقوض ، لا يتم الاستدلال به .

س ٥ - اشترط الأصحاب لمن ناب عن غيره في حجة الإسلام ، أن يحرم من بلد المنوب عنه ، أو بلد أبعد [منه] عن مكة . فهل هذا وجيه ؟

ج - أما اشتراط الأصحاب رحمهم الله أن النائب عن الغير في حجة الإسلام ، لا يصح إلا من بلده ، أو بلد أبعد إلى مكة من بلده ، فهو قول ضعيف لا دليل عليه . وغاية ما استدل له ، أنه كان يجب على المنوب عنه السعي من بلده إلى الحج ، وهذا مثله .

وهذا الاستدلال ضعيف جدًا ، فإن المنوب عنه لو صادف أنه وقت السعي إلى الحج كان في بلد أقرب إلى مكة من بلده ، بل لو كان بمكة وهو لم ينو من بلده الحج ، ولكن النية لم تحصل إلا في ذلك المحل . فإنه لم يقل أحد : إنه يجب عليه الرجوع إلى بلده لينوى بها ، فنائبه أولى بها .

وأيضاً فهذا التقوُّل يخالف لمومات الأدلة الشرعية ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز النيابة فيه ، ولم يشترط أن يكون من بلده . ولو كان شرطاً ، لبيته .

وأيضًا فإن الواجب والقَرْضَ إنما هو الإحرام وما بعده من أفعال الحج . وأما ما قبله وما بعده ، فلم يأت ما يدلّ عليه ، أى على الوجوب .

وهذا القول قولُ لبعض الأصحاب ، وهو الذى نختاره .

س ٦ - هل يستنيب الشخص فى الحج من يكمله ؟

ج - أما عند الأصحاب ، فإنه إذا حصل للنائب عُذر فقد جَوَّزوا له أن يستنيب فيه ، وقد قالوا فى عباراتهم : وتجاوز الاستنابة فى الحج . وفى بعضه : النفل مطلقًا ، والقرض عند المذر .

مع أنى لم أجد عنهم تصريحًا فى بعضيات النُّسك ، إلا فى الرّثي فقط .

وأنا ما زالت المسألة من زمانٍ طويلٍ فى نفسى ، لأن الذى وَقَصَّتْهُ راحلتهُ وهو واقف بعرفة ، لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أحدًا أن ينوب عنه فى بقية نُسكِهِ .

والمقصود أن كلامهم فى هذه المسألة لا تطمئن له النفس ، والقول إذا لم يَبِينْ للإنسان دليل ظاهر عليه ، فليس له أن يُفتى به ، مع أن الذى انمقد فى خاطرى أن هذا القول مخالف للدليل ، ولم أرَ ما يدلُّ على جوازه .

س ٧ - إذا مات المُحرم فى أثناء النُّسك ، فهل

يقضى عنه بقيته ؟

ج - لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه أن من مات ، وقد شرع في النسك ولم يكمله ، أنه يُكْمَلُ عنه مع وجود ذلك .

بل الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة الذي وَقَصَتْهُ راحلته هَشِيَّةَ عرفة ، أنه أمر بتغسيله وتجنيبه ما يتجنبه المحرم ، وأخبر أنه يُبْعَثُ مُلَبَّيًّا يوم القيامة .

فهذا يدل على أنه من كرامته على الله ، أن تُسَكَّهُ مستمر ، وأنه يبعث يوم القيامة بصيغة المحرمين .

فلو كان في الإمكان أن يُنَابَ عنه في الدنيا ، لسكان نائبه بمنزله ، وإذا كمل النسك ، خرج منه الأصيل والنائب .

وأيضاً فالنبي صلى الله عليه وسلم ، لم يأمر فيه ولا في أمثاله أن يُكْمَلَ عنه ، وإنما الثابت عنه صلى الله عليه وسلم أنه أجاز التَّيَابَةَ في جميع النسك ، لا في بعضه .

ويؤيد هذا أن كل عبادة مات العبد قبل تكميلها ، أنها لا تكمل عن صاحبها . فإما أن تسقط عنه ولا يلزم أن تُقْضَى ، وإما أن يُقْضَى جميعها من أولها ، فما الموجب لخروج النسك عن هذا الضابط العام ؟

س ٨ - إذا عوفي المستنيب قبل إحرام النائب ،

فما الحكم في النسك والنفقة ؟

ج - نقل لى بعض الإخوان عن «الغاية» للشيخ مرعى وكلام ابن نصر الله ، وهذه صورته : قال فى «الغاية» :  
وأجزأ عن عوفى ، لا قبل إحرام نائبه ، ويتَّجِه .  
ولا يرجع عليه بما أنفق قبل أن عوفى ، بل بعه لعزله إذا .  
وقال فى الهامش : وفى القلب من إطلاق هذه العبارة شىء .  
وقال فى حاشية الزاد نمرة ( ٣١٤ ) من الطبع : ويتَّجِه ،  
ولا يرجع عليه بما أنفق قبل أن عوفى ، بل بعه لعزله إذا .  
وإذا لم يعلم النائب زوال عذر المستنيب ، هل يقع النسك عن  
النائب أو عن المستنيب ؟ رجح ابن نصر الله وقوعه عن  
المستنيب ، والنفقة عليه . انتهى .  
وما ذكرته فى الجواب<sup>(١)</sup> يُوافق ما قاله ابن نصر الله ،  
وأما الاتجاه الذى ذكره الشيخ مرعى ، أنه يرجع بما أنفق  
بعد عافيته ، فهو بعيد ، كما نظر فيه صاحب الهامش .  
ووجدنا أيضاً كلاماً فى حاشية «المنتهى» للشيخ عثمان  
التجدي يُوافق كلام ابن نصر الله ، وهذا لفظه :  
قوله : لا قبل إحرام نائبه ، وهل يقع إذا عن المستنيب  
وتلزمه النفقة ، أم عن النائب فيردّ النفقة ؟  
الأول أظهر . وعليه فيما بها ، فيقال : شخص حلّ نقل  
حجّه قبل فرضه . انتهى .

---

(١) يشير إلى جواب سابق ، كتب هذا تقييماً له ، ولم نشر على ذلك الجواب .

أقول : ويمكن الاستدلال عليها بكلام الأصحاب ، وأخذها من كلامهم . وذلك أنهم كما ذكروا الاستنابة ، وذكروا أنه إذا عوفي قبل إحرام النائب ، أنه لا يُجزئ عن فرض المستنيب ، فدلّ على أنها يكون ثوابها وأجرها للمستنيب ، لا للنائب ، ولم يذكروا ردّ النفقة ، فدلّ على أنها تكون كلّها للنائب ، وأنه لا يرُدّ منها شيئاً .

ومن تدبّر كلام الأصحاب في جميع المسائل ، عرف ما يدخل في ظاهر كلامهم ومفهومه ومنطوقه ، وما لا يدخل ، ويحسن به تطبيق كلام السائل على كلامهم ، كما كان يفعله كثيراً صاحب « الفروع » وبعده صاحب « الإنصاف » في شرحه ، لـ « المقنع » . وتتبع كلامه ، وانظر إلى الإخلال بهذا ، كيف أحوجنا وأحوج قبلنا ابن نصر الله والشهيد عثمان إلى أن نستدلّ على هذه المسألة بأصول وكلام خارج عن عبارتهم الخاصة بهذا الموضوع . ولو رجعنا إلى كلامهم في نفس المسألة التي وقع فيها الإشكال ، لوجدناه يؤخذ من قريب .

فجزام الله عنا وعن جميع المسلمين أفضل الجزاء ، وفتح علينا من أبواب فضله وكرمه ، كما فتح عليهم . إنه جواد كريم .

س ٩ - استأجر من يبيع عنه ، فلمن تكون العجبة ، وهل يدفع ما أخذه ؟

ج - تكون الحجّة لمن باشرها وحجّها ، لأنّ المقّد عليها باطل ، وأما صحتها بلا نية له ، فلأنّ الحجّ يُخالف غيره في هذه المسألة ؛ فإنه إذا نوى من عليه حجة الإسلام أن يحجّ عن غيره ، انقلبت عن نفسه . وإذا نوى المُفرد والقارن بمد طواف القدوم والسمي التمتع ، انقلب الإحرام وما بعده من الطّواف والسمي للعمرة . فكذلك هذا الذي استأجره غيره إجارة لازمة تبين فسادها ، فوقمت لمن باشرها ، لا لمن نُويبت له ، لفساد المقّد .

ولكن يبقى الكلام على مسألة النفقة ، فإن كان الأجير الذي باشر الحجّ عالماً بفساد المقّد ، وعدم صيغته عن غيره ، فليس على المؤجّر شيء ، بل النفقة والمصرف على الذي باشر الحجّ . وإن كان جاهلاً بالحكم كانت إجارة فاسدة ، والإجارة الفاسدة يجب فيها أجرة المثل ، وهي النفقة والمصرف الذي يحتمله مثله عرفاً . والله أعلم .

س ١٠ - إذا حجّ بالصبي ، وحمله في الطواف والسمي ، فهل يجزئ ؟

ج - الصواب أنّ الطواف الواحد يجزئ عن الحامل والمعمول ، عن الرجل وعن الصبي ؛ لأنه نوى عن نفسه وعن الصبي . وبعض العلماء يرى أنه لا يكفي إلا عن واحد ، ولكنه قول ضعيف .

س ١١ - هل يجوز أن يرمى عن نفسه وعن الصبي ،  
في موقف واحد ؟

ج - إذا رمى عن نفسه وعن الصبي ، بدأ بالرّمي  
عن نفسه ، والأفضل إذا كَمَّلَ الجمرات الثلاث عن نفسه ،  
استأنفها للصبي ، فإن وَقَفَ عند كل واحدة من الجِمار فرماها  
عن نفسه ثم رماها عن الصبي ، فالصحيح أن ذلك جائز ،  
لا سيما إذا كان ازدحام ومشقة ، فالأمر - والله الحمد - واسع .

س ١٢ - هل إذا طاف وسمى محمولاً لعذر ، ونوى  
كل من الحامل والمحمول عن نفسه يجزئ ؟

ج - المشهور في المذهب عند الحنابلة المتأخرين ، أنه  
لا يجزئ إلا عن المحمول ، وهو ضعيف لادليل عليه ، ولا تعليل  
صحيح يدل عليه . والصحيح في هذا مذهب أبي حنيفة ،  
أنه يجزئ عن كل واحد من الحامل والمحمول ، وهو قول  
في مذهب الحنابلة ، استحسنة الموفق ، وهو الصواب الذي  
تدلّ عليه الأدلة ، فإن من طاف حاملاً أو محمولاً لعذر ،  
أو لعذر على القول الآخر ، فإنه قد أدّى فريضة طوافه ،  
وقد صدق على كل منهما أنه طاف بالبيت العتيق .

يؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » .

وهذان كل واحد منهما نوى الطواف لنفسه وفعله .



يؤيد هذا أنه بالاتفاق إذا حمله في بقية المناسك ،  
كالوقوف بعرفة ، ومزدلفة وغيرها ، أن النسك قد تمَّ  
لكل منهما . فما الفرق بينهما وبين الطواف والسعي ؟

يؤيد هذا أنه لم يُنقل أن أحداً من الصحابة والتابعين  
قال : إنه لا يُجزئ عن الحامل . وقد وقع في زمن النبي  
صلى الله عليه وسلم وزمن أصحابه والتابعين قضايا متعددة  
من هذا النوع ، فلم يأمرُوا الحامل أن يطوف طوافاً آخر  
وسمياً آخر . وإذا كان الوثن المحرم ينوى الإحرام عن الصبي  
الذي لا يُعقل ما يقوله ، ويحضره في المشاعر كلها ، ويجزئ  
عن الجميع ، فما بال الطواف والسعي ؟ وهذا القول كما تدبره  
الإنسان ، عرف أنه الصواب المقطوع به .

وأيضاً ، فإن طواف الرَّاكِب على بعير وغيره ، يجوز على  
الصحيح لمذر ولنير عذر . وعلى القول المشهور من المذهب :  
أنه يجوز لِمَذْر الطَّوْفِ عن المحمول فجراً ، قولاً واحداً .  
فما الفرق بين الرَّاكِب على الحيوان والمحمول على ظَهر الإنسان ؟  
والحاجة تدعو إلى كل منهما ، بل الحاجة إلى حمل الإنسان  
أشد من الحاجة إلى حمل الحيوان ، بل الحيوانات في هذه  
الأوقات متمذِّر دخولها إلى المسجد الحرام ، كما هو معروف ،  
مع أن الحامل إذا نوى عن نفسه كان أحقّ بوقوعه عنه .  
والله أعلم .

## باب : الإحرام

س ١ - هل يجب الإحرام على من قصد مكة ، وهو لا يريد حجًا ولا عمرة ؟

ج - اختلف العلماء في وجوب الإحرام عليه ، والصحيح أنه لا يجب عليه أن يُحرم ، وإنما يستحب له .

س ٢ - إذا قصد مكة وهو يريد الإقامة في الشرائع قبل ، فمن أين يُحرم ؟

ج - لا يُحرم من الميقات ، فإذا أراد أن يدخل مكة ويمشى من الشرائع ، أحرم ، إلا إذا كان قصده الحج ، فلا يتجاوز الميقات حتى يُحرم .

س ٣ - إذا قال الجاهل : أحرم بالحج والعمرة ، فلبى بهما ، ونيته وقصده التمتع ، فهل العبارة بالنية ، أم بما تلفظ به ؟

ج - المدار على القلب ، ولهذا إذا غلط فلفظ بغير ما نوى من صلاة أو صوم أو طهارة أو حج أو عمرة ، فمَلَطُهُ لا يضره ، والمدار على القلب .

وقد ذكر هذا الفقهاء ، رحمهم الله ، حيث قالوا :

ولا يضرُّ سَبَقُ لِسَانِهِ بغير ما نوى .

وهذا عامٌّ في كل العبادات ، وسبق اللسان إما أن يكون

نسيانًا أو جهلاً . والله أعلم .

س ٤ - هل يجب دم التمتع والقران على أهل جدة ؟  
ج - سألتَ حَفِظَكَ اللهُ عما يجب على المتمتع بالعمرة  
إلى الحَجِّ ، والقارِنِ والمفردِ .

أما المتمتع ، فهو الذى يُحْرِمُ بالعمرة فى أشهر الحج التى  
أولها شوال ، وآخرها ذو الحجة ، ثم يَحُجُّ من سنته ،  
فعلية دمُ شاةٍ أو سُبُعُ بدنةٍ أو سُبُعُ بقرةٍ . فإن لم يجد ،  
صام عشرة أيام ، ثلاثة فى الحج ، وسبعة إذا رجع .

ومثل ذلك القارِنِ ، وهو الذى يُحْرِمُ بالنُّسُكَيْنِ ، يعنى  
بالحج والعمرة جميعاً ، فعلية الهدى المذكور ، فإن لم يجد ،  
صام عشرة أيام ، ثلاثة فى الحج ، وسبعة إذا رجع إلى أهله .  
ولكن هذا فى حق القادم من مسافة القصر أى يومين فأكثر .

أما أهل مكة ، ومن كان قريباً منها ، مثل الشرائع وجدة  
ونحوها ، فليس عليه هَدْئٌ ولا صيام ، كما قال تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (١) .

واختلف أهل العلم فى المقيمين بـ « جُدَّة » ، هل إذا  
أحرموا متمتعين أو قارنين ، عليهم الهدى المذكور ، أم أنهم  
مثل أهل مكة ؟ والاحتياط أن يهدوا إذا تمتعوا وقرنوا .  
وأما المفرد الذى لم يَنْوِ إِلَّا الإحرام بالحج وحده ، فليس عليه  
هدئٌ ولا صيام .

س ٥ - إذا كان لا يُدرك الفدية إلا بدين ، هل الأفضل أن يستدين ويشترى ، أو يصوم ؟  
ج - الأفضل له أن يصوم ، ولا يشغل ذمته ، لأن الله تعالى قال :

﴿ قَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ ،  
وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۖ ﴾ (١) . واتباع رخصة الله أولى .

س ٦ -- هل يجوز للفتى أن يُفرد الحج لثلاثه الفدية ؟  
ج - هذا لا بأس به ، ولكن تفوته الفضيلة ، فإن الأفضل أن يتمتع ويفدى ، ليحصل له ثواب الحج والعمرة والهدى .  
س ٧ - إذا أحرم بالعمرة متمتعا ، واشترى الدم من الطريق وساقه ، فهل حكمه حكم من ساق الهدى ، لا يحل إلا يوم النحر ؟

ج - إذا ساق الهدى من بلده ، أو من الطريق بشراء أو غيره ، فإنه لا يحل حتى يبلغ الهدى محلّه .

س ٨ - إذا طاف للقدم وسمى وهو قارن أو مفرد ، وأراد أن يفسخ إلى العمرة ، فهل يُجزئه طوافه وسميه الأول ، أم لا ؟

ج - نعم . يُجزئه طوافه الذي كان نواه للقدم ، وسميه الذي كان نواه للحج ، عن طواف العمرة وسميها .

فينقلبان بالنية - بعد الفراغ منهما - من حال إلى حال ،  
لأنهما لما فسخا نية الحج أو القران إلى عمرة منفردة ،  
تبعا الطواف والسعى ، كما تبعا الإحرام وما بعده .

فلا يُقال في هذه الحال : إنه أحرم بالعمرة من مكة ،  
بل يكون إحرامه بالعمرة من الميقات ، وتكون عمرة أفقية ،  
لا عمرة مكية . وهذه المسألة من غرائب المسائل في العلم ،  
وهو أن الشيء ينقلب من شيء إلى آخر بالنية بعد الفراغ .  
ومن فهم ما ذكرت ، زال عنه الاستغراب ، وأن هذا النُّسك  
حلّ محلّ ما قبله ، وبهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم ،  
لما طافوا وسعوا أن يحملوها عمرة ، واجتزئوا بالطواف  
المتقدم والسعى ، من غير إعادة .

س ٩ - ما قول أصحابنا الحنابلة : إن المتمتع إذا طاف  
لعمرة ، وسعى لها ، وتحلّل منها ، ثم وطئ بعد هذا الحلّ ،  
ثم أحرم بالحج وتتمه ، ثم تبين له أن طوافه للعمرة  
كان بغير طهارة ؟

قالوا : لم يصحّ حجّه ، لأنه أدخل حجبا على عمرة فاسدة ،  
وإدخال الحج على العمرة غير جائز ، ولا مُنْعَقَد .

فهل هذا القول صحيح ، وما الذي تختارونه فيها ؟

ج - الذي نراه في هذه المسألة المهمة ، أن الحج صحيح ،  
حتى لو حكمتنا على العمرة بالفساد .

وعندنا في هذا الرأي ، عدّة مأخذ :

المأخذ الأول : في أصل المسألة ، وهو منع إدخال الحج على العمرة الفاسدة ، لأنه لم يرد المنع من ذلك ، والقران الذى هو أحد الأنساك الثلاثة قد ثبتت صحته إذا أحرم بهما جميعاً من الميقات ؛ كما ثبت إدخال الحج على العمرة الصحيحة ، فالفساد كالصحيح .

المأخذ الثانى : أن الوطء فى الحج ، إنما يفسده إذا كان صاحبه غير معذور على الصحيح ، كما هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ، وكما هو ظاهر العمومات الرافعة للحرج عن الخطأ والنسيان . وهذا بلا شك جاهل بالحوال ، والجاهل بالحوال كالجاهل بالحكم سواء ؛ فإذا كان الصحيح أن الوطء من الناسى والجاهل فى الحج لا يفسده ولا يضرّ ، فكيف بهذا الوطء الذى هو حلّ صحيح ، أو حلّ بين العمرة والحج ، يعتقدده صاحبه صحيحاً ؟ فهذا من باب أولى وأخرى .

المأخذ الثالث : اختلف العلماء فى صحّة طواف المُحَدِّث على ثلاثة أقوال : الصحّة ، وعدمها ، والتفصيل بين ترك الطهارة عمدًا ، فلا يصحّ طوافه ، وبين تركها جهلاً ونسيانًا ؛ فيصحّ ، كما قال به كثير من أهل العلم .

فعلى القولين : قول من يقول بصحّته مطلقاً .

ومن يقول بصحّته المَعذُور ؛ فالحكم ظاهر واضح

أنه وطئٌ بعدُ عُمرة صحيحة تامة . وعلى القول بمسدم  
الصحة مطلقاً ، نرجع إلى المأخذين السابقين .

المأخذ الرابع : أن نقول : هَبْ أن العمرة فاسدة بالوطء  
المدكور ، فنخصها بالفساد ، ولا نُعدِّي ذلك إلى الحج ، وذلك  
أن الأصل أن أركان العمرة وواجباتها ومكملاتها متعلقات بها  
وحدها : صحةٌ وفساداً ، ونقصاً وكاملاً ، كما أن الحج كذلك ،  
وكلاهما نُسَكُّ مستقل في ذاته ، ومستقل في أقواله وأفعاله ،  
وبينهما حدٌّ برزخ ، لا من هذا ولا من هذا . والعبادات  
المستقلة ، الأصل فيها : أن كل عبادة ، لا تفسد بفساد الأخرى .  
فإدخال هذه المسألة في هذا العموم أولى من إخراجها ، بحجة  
أن العمرة والحج مرتبط [بعضهما] ببعض .

فالارتباط إنما هو في وجوب الإتيان بالحج للمتمتع الذي  
لم يحج ، أو الذي فسخ عُمرة إلى الحج ، لا في أفعالها ،  
بدليل استقلال كل منهما بما فيه [من] طوافٍ وسَميٍّ ووقوفٍ  
وحلاقٍ وغيرها . والله أعلم .

### باب : محظورات الإحرام

س ١ - إذا لبس في العمرة بعد الطواف والسعي ،

فما الحكم ؟

ج - إذا لبس جاهلاً بالحكم ، ثم حلق بعد ما لبس ،

فلا شيء عليه . ولو كان عالماً بالحكم ، كان عليه فدية أذى :

صيام ثلاثة أيام ، أو إطعام ستة مساكين ، أو ذبح شاة فدية - تخيير .

س ٢ - ما حكم استئطلال المحرم بالشمسية ؟

ج - في هذه المسألة خلاف بين العلماء ، وفيها في مذهب الإمام أحمد قولان :

أحدهما : أن ذلك لا يجوز . والثاني : أنه يجوز .

والاحتياط ألا يستئطل المحرم بشمسية وغيرها .

ومع ذلك نحن لا نُنكر على من استئطل بشمسية ، لأنه لم يرد فيها نص خاص . والله أعلم .

س ٣ - قولهم : وإن كرر النظر فأمنى فمليه بدنة ،

وإلا فشاة . وإن أمنى بنظرة ، فشاة ، هل هو وجيه ؟

ج - إنما أوجبوا في تكرار النظر البدنة إذا أنزل بالقياس على الوطء . وهو غير ظاهر ، لأن القياس شرطه أن

المقيس والمقيس عليه لا فرق بينهما . وبين تكرار النظر والوطء من الفرق ، شيء عظيم . فلا يصح الإلحاق .

والصحيح عندي ، ما قاله بعض أصحابنا : أن فيه فدية

أذى ، وكذلك إيجاب الشاة بالإمناء بنظرة واحدة عندي

فيه تفصيل : إن وقع بلا قصد ، فلا يجب شيء . وإن

تممده ، وتممده النظرة المحرمة ، فيتوجه ما قاله ليحصل

العبر ، حيث فعل المحرم بالفدية . والله أعلم .



## باب : صفة الحج والعمرة

س ١ - إذا تركنا ركعتي الإحرام ، لكوننا وصلنا للمحرّم بعد العصر ، فما حكم ذلك ؟

ج - صلاة الإحرام غير واجبة ولو في غير وقت التّهيّ وليس على الإنسان تقصُّ في نُسكِهِ إذا تركها .  
فَلَيْكُنْ ذَلِكَ مَعْلُومًا .

س ٢ - إذا نوى الإقامة بمكة مدة تمنع القصر ، وخرج ليشيع أهله خارج الميقات .

فهل عليه طواف لخروجه ، وإحرام لدخوله ؟

ج - أما المشهور من المذهب ، فإنه يجب عليه الوداع لخروجه ، والإحرام لدخوله ، كما هو معروف من كلام الأصحاب .

وأما اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية في المسألتين - وهو قول في المذهب - فإنه لا يجب عليه شيء في الصورتين ،

فليس عليه وداع لخروجه ، لعدم وجوب الوداع عنده لغير حاجٍّ ، ويستدلُّ بالحديث : أمر الناس أن يكون آخرَ

عهدٍم بالبيت طوافٍ . ويرى أن هذا خاص بالحجاج والمعتبرين إذا صدروا لبلدانهم . والمشهور من المذهب

التعميم ، وهو ظاهر عموم الحديث .

وأما إحرامه : إذا تعدّى الميقات ، أو قدم من بلده لغير

حج ولا عمرة :

فالقول الثانى الذى هو اختيار الشيخ ابن تيمية أصح من المذهب ، وأنه لا يجب عليه إحرام إلا أن يشاء .

والحديث الذى فى « الصحيحين » صريح فى هذا ، وهو أنه لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم المواقيت ، قال : « هُنَّ لِأَهْلِيهِنَّ ، وَلِإِمَنٍ مَّرَّ عَلَيْنَهُنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِيهِنَّ » .

ممن يُريد الحجَّ والعمرة . فهذا تصريح بأنه إنما يجب فى هذه الحال التى يريد الإنسان فيها الحج أو العمرة ، بخلاف ما إذا لم يُرِدْ حجًّا ولا عمرة . والخارج من مكة يقصد الرجوع إليها ، من باب أولى أن لا يجب عليه إحرام .

س ٣ - ما حكم من ترك الوداع وهو غير حاج ولا مقتمر ؟  
ج - المسألة التى ذكرت أنك ما ودعت أنت والوالد ، بسبب أنه ما حصل : اشتغلت بالوالد ، ولا تمكنت أنت وهو من الوداع . فحيث أن رَوَّحْتَكُمْ القصد منها العلاج ، علاج الوالد ، ولا حصل فسيحة تتسرع للوداع ، فإن شاء الله ليس عليكم شيء ، لا فدية ، ولا غيرها .

س ٤ - إذا طاف للوداع وخرج من مكة وأقام قريباً منها ، فهل يجب عليه إعادة الطواف ؟

ج - أما من طاف للوداع ثم خرج من مكة مسافراً ، ولكنه أقام بموقع قريب كالمعدل أو مَنَى أو نحوها يوماً ، أو يومين مثلاً ، فلا يعيد طوافه ، لأنه سافر بالفعل ..

وقد أُبيحت له رُخص السفر كلها ، لأنه خرج من مكة ،  
وإنما الإقامة التي يحتاج معها إعادة الطواف : في مكة وحدها .  
وهذا الكلام الذي ذكرته مفهوم من كلام الأصحاب ،  
رحمهم الله تعالى .

س ٥ — إذا طاف للوداع بعد أن فرغ من جميع شؤونه  
ثم ذكر حاجة أو ضياء بها صاحب له فاشتراها ، فما الحكم ؟  
ج — لا حرج عليه ، سواء كان اللازم له أو لغيره .  
س ٦ — ما أركان الحج ، وواجباته ، وسُنَّته ؟  
ج — الحج له أركان أربعة لا يتم إلا بفعلها :  
الإحرام ، والوقوف بعرفة ، والطواف ، والسعى .  
وله واجبات يجب فعلها ، ومن تركها فعليه فدية ،  
وحجَّته صحيح . وهي :

وقوع الإحرام من الميقات ، والوقوف بعرفة إلى غروب  
الشمس ، والمبيت بـ « مزدلفة » إلى [ ما ] بَعد نصف الليل ،  
والمبيت بـ « منى » ليلة الحادى عشر ، والثانى عشر ، والثالث  
عشر إن تأخر ، ورَمَى الجمرات ، والحَلْق ، والتَّقْصِير ،  
وطواف الوداع .

والباقي من أعمال الحج وأقواله كلها مستحبة مكملات ،  
ومن تركها فلا إثم عليه ، ومن فعلها كان أكمل لحجَّه ،  
وأعظم لثوابه . والله أعلم .

# كتاب : الأضاحي

والهدايا والعقيقة

س ١ - إذا ذبح الحاج ما عليه من الدماء ، ثم طرحه في المذبح : فهل يكفي ، أم لا بد من تسليمه لمستحقه ؟

ج - الأحوط والأولى حيث كانت عوائد الحكومات منع الناس من الخروج في الدبائح عن المحلّ المعين لهم ، أن الإنسان يأخذ من ذبيحته شيئاً يتصدق به ، ليتيقن براءة ذمته ، لأنهم لا يمنعون من الأخذ من اللحم .

فإذا أخذ منها ما يتصدق به ، فقد تيقن براءة ذمته .  
وإذا لم يأخذ شيئاً ، فإن كان يقدر على الأخذ وتركه ، فهذا في النفس من إجزائه شيء ، لأنهم وإن كانوا يقولون : دَعَهُ للفقراء يأخذونه ، فإنه ليس المقصد تركُهُ للفقراء ، وقد لا يأخذ الفقراء منه شيئاً أصلاً .

وأما إن كان ممدوراً بمنع أو غيره ، فالظاهر - إن شاء الله - إجزاؤه ، وقد اتقى الله ما استطاع ، وفعل ما يقدر عليه من الذبح ، وترك ما يمجز عنه .

والحمد لله على تيسير شرعه ، ونفى الحرج عن هذه الأمة .

س ٢ - إذا باع البدنة لمن يضحى بها ، واستثنى جلدتها ،

فهل يصح ؟

ج - إذا باع البدنة لمن يُضحّي بها ، ثم استثنى منها جلدها ، فإنه لا يصحّ ، ولا تكون أضحية ، لأن الأضحية هي الذبيحة بما احتوت عليه من لحم وشحم وجلد وغيره ، فكما لا يجوز استثناء شحمها ، ولا جوفها ، ولا غير ذلك من لحمها ، فلا يجوز استثناء جلدها ، ولذلك شمل الجلد حكم الأضحية بأنه لا يُباع ، وإنما يستعمل أو يُهدى ، أو يُتصدقُ به ، لأنه منها .

س ٣ - ما حكم الشريك في أضحية البقر ، وكيف تقسم ؟  
ج - لا شك أن سُبُع البدنة ، أو سُبُع البقرة ، قائم مقام الشاة ، وجميع البقرة أو جميع البدنة قائم مقام سَبْع شِيَاهِ ، وبالعكس . وهذا هو الذي تدلّ عليه الأحاديث النبوية ، وهو الذي فهمه أهل العلم منها . ولذلك فالإفتاء بِمَنْعِ إهداء سُبُع البدنة ، أو سُبُع البقرة لأكثر من واحد ، في حياة الإنسان ، أو في وصيته بعد وفاته ، إنما حدث الإفتاء به في الأوقات الأخيرة ، وهو لا شك غلط .

وإلا فجميع الأصحاب في السكتب المختصرة والمطوّلة ذكروا أن حكم ضحية البقرة والبدنة حكم ضحية النعم في كل شيء ، كما ذكروه في آخر كتاب : الجنائز ، وصرح بها في ذلك الموضع صاحب « الإفتاع » تصريحاً لا يحتمل الشك ، وكذلك ذكروه في آخر جزاء الصيد .

المقصود، والله الحمد، ليس في النفس منها شيء . فإذا كان عندك ضحية لعدد مثل وصية لوالديك أو نحوهما ، فجعلتها شاة ، أو سُبُعَ بدنة ، أو سُبُعَ بقرة ، فإنها تجزئ ، والأفضل من هذه الأمور الأنفع . وأما صفة اقتسام البقرة والبدنة ، فهو على العرف الجاري بين الناس حين يشتركون فيها فيقتسمونها ، وإن وقع بعض الأعضاء المستقلة في نصيب أحد الشركاء ، والآخر عضو مستقل أيضاً ، فلا بأس . وإن اقتسموا كل عضو سُبُعَ قسم وسبعة أجزاء ، حصل للمقصود .

س ٤ — إذا قلنا بجواز التشريك في سُبُعِ البدنة في الأضحية ، فما الفرق بينه وبين الشاة إذن ؟

ج — لا فرق بين سُبُعِ البدنة وسُبُعِ البقرة والشاة ، لأن الشارع جعل سُبُعَها عن شاة ، وجعلها عن سُبُعِ شياه ، وقد أثبت الشارع لسُبُعِ البدنة أنها أضحية بلا شك ، والأضحية سواء كانت من بعير أو بقرة ، أو كانت شاة ، فإنه يصح التشريك فيها ، وهو المذهب بلا شك . وقد ذكره الأصحاب ، في مواضع متعددة .

منها قولهم في جزاء الصيد :

ويجزئ عن سُبُعِ شياه بدنة وبقرة ، كما تجزئ عن البدنة والبقرة سُبُعُ شياه ، إلا في جزاء الصيد ، على قول مرجوح في المذهب ، وإلا فالمذهب : ولو في جزاء الصيد .

فهذه العبارة التي ذكروها في المختصرات والمطولات ،  
ظاهرة جدًا : أن سُبُع البدنة عن شاة في كل شيء ،  
بلا فرق بين أن تنوى لواحد أو متعدد .

وأصرح من هذه العبارة قولهم في آخر الجناز : وأى  
قُرْبَة من صلاة أو صوم أو حج أو عمرة أو صدقة أو أضحية  
أو نحوها ، فعلها وأهداها ، أو أهدى بعضها حتى أو ميت  
مسلم ، نفعه ذلك ؛ فقد صرّحوا كما ترى في قولهم :  
« أهداها أو أهدى بعضها » ، ومثلوا أيضا بالأضحية ،  
كما صرح به في « الإقناع » وغيره .

ومن قال : إنه لا يُشْرِك في ثواب سُبُع البدنة أو البقرة ،  
فقد خالف ما ذكروه بخالفة ظاهرة ، إلا أن يقول : إنها  
لا تدخل في اسم الأضحية .

ومن المعلوم أنه مخالف للنص ، ولكلام الأصحاب ، فإنهم  
أثبتوا بلا شك أن سُبُعها أضحية ، فيثبت لها ما يثبت للشاة .  
واعلم أن مُستند من أفتى من المتأخرين بعدم أجزاء  
التشريك فيها قول الأصحاب : وتجزئ البدنة والبقرة عن  
سبعة ، ففهم أن المراد أنه لا يُشْرِك في سبعمها ، ولا يشرك  
بها كلها أزيد من سبعة ، وليس هذا مراد الأصحاب ،  
لأنهم صرّحوا بالمسألة كما ترى .

ونحن وغيرنا نسلم أن سُبُع البدنة لا يجزئ إلا عن أضحية  
واحدة ؛ كما أن الشاة لا تجزئ إلا عن أضحية واحدة .

وأما كون الشاة يجوز إهداء ثوابها لأكثر من واحد ،  
وسبغ البدنة لا يجوز ، فهذا قول بلا علم ، وهو مخالف  
للأدلة ، وسلكم الفقهاء ، وللحكمة والمناسبة الشرعية .  
ولا فرق بين أن يتبرع بها الإنسان في حال حياته ،  
أو يوصى بها بعد مماته ، بأن يقول في وصيته :  
( قادم في غلة ثلثي ووصيتي ) .

ولا فرق بين أن يتبرع الإنسان بالأضحية في حال حياته ،  
بأن يشتري شاة أو سُبُعَ بدنة ، فينويها عن نفسه والديه  
مثلاً ، متبرعاً بها ، أو يتبرع بها بعد وفاته ، بأن يقول في وصيته :  
( ويجعل فيها أضحية لى ولوالدي ) .. مثلاً .

فكل ما يجرى فيها شاة أو سُبُعَ بدنة .  
وما كان أنفع ، فهو أحب إلى الله تعالى .  
وكما أنها تؤخذ من كلام الأصحاب من المواضع التي ذكرنا ،  
فإنها أيضاً تؤخذ من كلامهم في موضوع الوصية والوقف ،  
وأنه يرجع في ذلك إلى عُرف الشارع .

فإذا أوصى مثلاً بأضحية تُضَحَّى له ولوالديه ، ولمن أراد  
أن يشركه فيها ، وأردنا أن نُنفذ وصيته ؛ رجعنا إلى موضوع  
الأضحية شرعاً . فإذا وضعها الشارع لأحد ثلاثة أمور : شاة  
مستقلة ، أو سُبُعَ بدنة ، أو سُبُعَ بقرة ، فأى واحد من هذه  
الثلاثة فعلة الوصى ، فقد نفذ الوصية ، وقد قام بالواجب .



وإنما عددنا المواضع التي تؤخذ هذه المسألة منها من كلام الأصحاب ، لأن بعض الناس يظن أن هذه الفتوى مخالفة للمذهب ، ولم يعلم أنها هي المذهب ، وأن ما سواها فتوهم محض ، مستنده ما ذكرناه .

والله تعالى يوفقنا إلى الصواب ، وجميع إخواننا المسلمين ، إنه جواد كريم - وصلى الله على محمد وسلم تسليما كثيرا .

س ٥ - هل يجوز التشريك في سُبُع الجَزُور ؟

ج - نرى أن سُبُع الجَزُور يُشْرِك [فيه] ، كما يشرك بالغنم ، من غير فرق ، سواء كانت الضحية من الإنسان ، أو من [رَبِيع] وصِيَّة فيها أشخاص .

س ٦ - هل يقوم سُبُع البدنة مقام الشاة بكل حال ؟

ج - المسألة قد أشكلت على كثير من المشايخ ، وذلك لاشتباه مسألة الإجزاء بمسألة الإهداء .

أما مسألة الإجزاء فإن سُبُع البدنة لا يجزئ إلا عن واحد ، كما أن الشاة لا تجزئ إلا عن واحد في هدى التمتع والقران ، وفي الأضحية . فقد جمل النبي صلى الله عليه وسلم البدنة عن سبعة ، وهذا مذهب جمهور العلماء .

وفيه قول ضعيف أن البدنة عن عشرة في هذا الباب ، ولكن الصحيح قول الجمهور .

المقصود في مسألة الإجزاء : أن الشاة لا تجزئ عن أكثر من واحد ، قولاً واحداً . وكذلك سُبَّع البدنة لا تجزئ على الصحيح إلا عن واحد . وأما مسألة الإهداء بأن يضحي الإنسان ، ويهدى ضحيته لأكثر من واحد ، سواء في الحياة ، أو أوصى وصيته بعد الوفاة ، فهذه تجزئ فيها الشاة ، وسبَّع البدنة ، عن أكثر من واحد . وقد نصَّ الأصحاب على ذلك في آخر أبواب الجنائز ، كـ « المنتهى » و « الإقناع » وغيرهما ، حيث قالوا : وأتى قرابة فملها الإنسان وأهداها ، أو أهدى بعضها حتى أو ميت ، نفعه ذلك ، ومثلوا [بكثير] من القرب ، وصاحب « الإقناع » مثَّل بالأضحية .

وهذا نص منهم على أن الأضحية سواء كانت من البدنة ، أو من البقرة ، أو شاة ، يجزئ إهداؤها لأكثر من واحد ، وكذلك يؤخذ من عموم كلامهم في قولهم في « باب جزاء الصيد » : وتجزئ البدنة عن سبع شياه ، فأقاموا البدنة مقام سبع شياه ، وذلك دليل على أن سُبَّعها قائم مقام الشاة .

وباب الإهداء واسع ، أتى شيء فعله العبد من العبادات ، وأشرك فيه عدة أشخاص ، فإن ذلك يصل إليهم إذا قبله الله ، ويسوغ ، ولا مانع . ومع كثرة بحثي في هذه المسألة في كلام الأصحاب من الحنابلة المتقدمين والمتأخرين ، لم أجد أحداً منع إهداء سُبَّع البدنة ، أو سُبَّع البقرة ، لأكثر من واحد .

ولهذا قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين مفتي الديار  
النجدية وفقهها ، حين سئل عن هذه المسألة ، قال : لم أجد  
ما يدل على المنع . وبعض من أدركنا كانوا يفعلون ذلك ، أى :  
يُهدون سُبُعَ البدنة لأكثر من واحد ، وإنما وجه الاشتباه  
على بعض المشايخ قول الأصحاب رحمهم الله : وتجزئ البدنة  
والبقرة عن سبعة ، وهذا كما ذكرنا مسلم ، ولكنه في باب :  
الإجزاء ، لا في باب : الإهداء . والله أعلم .  
س ٧ — هل يقوم سُبُعُ البدنة أو البقرة مقام الشاة ،  
في الإجزاء والإهداء ؟

ج — اعلم أن الكلام في هذه المسألة يتحرر في فصلين :  
الفصل الأول : في إجزاء الشاة عن سُبُعِ البدنة ، وإجزاء  
سُبُعِ البدنة عن الشاة في الأضاحى والهدى والفدية .

ثبت في « صحيح مسلم » من حديث جابر رضى الله عنه  
قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشترك في  
الإبل والبقرة ، كل سبعة منا ببدنة .

فقد أقام صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث سُبُعَ البدنة ،  
أو سُبُعَ البقرة عن شاة ، فلا تجزئ سُبُعُ البدنة إلا عن  
واحد في الهدى والأضاحى ، كما لا تجزئ الشاة فيهما إلا عن  
واحد . وكما هو مقتضى الحديث ، فهو مذهب جمهور العلماء ،  
خِلافًا لطائفة من أهل العلم ، كإسحاق بن راهويه وغيره

حيث قالوا : إن البدنة تجزئ عن عشرة ، وعن عشر شياه ، وهذا هو المتقرر في أذهان أهل العلم .

ولهذا ترجم المجد في « المنتقى » لهذه المسألة ، فقال :

باب أجزاء البدنة والبقرة عن سبع شياه .

ثم ذكر حديث جابر ، وحديث ابن عباس ، في ذلك ، فهذا الباب لا تجزئ فيه الشاة الكاملة عن أكثر من أضحية ، ولا يجزئ فيه سبع البدنة أو سبع البقرة كذلك عن أكثر من أضحية .

الفصل الثاني : في إهداء الشاة ، أو إهداء سبعة البدنة

أو سبع البقرة ، لأكثر من واحد في الأضاحي .

فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم ذبح كبشاً ، وقال :

« هَذَا عَنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ » .

فأهدى ثواب الكبش لنفسه وآله : الحى منهم والميت .

كذلك لو ذبح بعيراً ، وأهدى سبعة ضحية منه لنفسه

ولوالديه وغيرهم ، وصلّهم ثوابه ، كما يصل ثواب الشاة إذا

أهداها للمذكورين أو غيرهم ، من غير فرق .

ولم يفرّق الشارع بين الشاة وبين سبع البدنة في الأضاحي ،

فإذا فرقنا بينهما ، وقلنا : الشاة يجوز إهداؤها لأكثر من

واحد ، صار هذا الفرق لا دليل عليه ، بل هو مناقض للدليل .

ومن قال : الشارع لم يجعل البدنة لأكثر من سبعة ،

يقال له أيضاً : الشارع لم يجعل سبع شياه لأكثر من سبعة .

وهذا في باب الإجزاء كما تقدم في الفصل الأول .  
أما في باب الإهداء فالأمر فيه واسع ، وكما أن هذا مقتضى  
الأدلة الشرعية ، فهو منصوص فقهاء الحنابلة في عدة مواضع :

### الموضع الأول

في آخر « كتاب : الجنائز »

قالوا في كتبهم المطولة والمختصرة : « الإفناع » و « المنتهى »  
و « المقنع » وشروحها وغيرها : وأى قربة فعلها المسلم ،  
وأهداها أو بمضها كينصفها وتثلثها وربمها لمسلم حي أو ميت ،  
جاز ونفعه ذلك ، ومثلوا بالصلاة والصيام والصدقة والحج  
والأضحية ، فمنهم من صرح في نفس هذه المسألة في الأضحية  
في هذا الموضع ، ومنهم من عمم بجميع القرب .

وهذا نص صريح منهم أن من أهدى أضحية ، سواء  
كانت من الغنم ، أو من الإبل ، أو من البقر ، أو أهدى  
بعضها ، كالتنصف والثلث والرابع ، وأقل من ذلك ، أنه يصل  
إلى المهدى إليه ، وينتفع به .

فإذا قال في حياته : هذه أضحية عنى وعن والدى ،  
وذبحها من الغنم أو البذن ، فحكمها واحد .

وكذلك لو أهداها بعد وفاته ، وجعلها في وصيته ، وأمر  
أن ينفذ له أضحية له ولوالديه أو غيرها ، جاز ، سواء  
كانت شاة أو سُبُعَ بدنة أو بقرة .

ومن قال : إن أضحية الشاة تصل إليهم ، وضحية سُبُع البدنة أو البقرة لا تصل ، فقد أتى بشيء من عنده ، وخالف الأصحاب كما خالف دليل السنة بغير مستند شرعي ، إلا أن يقول في هذا المقام : إن الأضحية لا تُطلق إلا على شاة ، وأما سُبُع البدنة ، أو سبع البقرة ، فلا يسمى أضحية . وهذا مخالف للنص والإجماع . وهذا مما يُبين لك أن قول الأصحاب في الأضحية والمهدي : وتجزئ البدنة والبقرة عن سبعة أنها تكون سبع أضاحي ، وأنها في باب الإجزاء لا تجزئ إلا عن سبعة ، كسُبُع شياه ، ليس مرادهم أن سُبُع البدنة والبقرة لا يُهندي لأكثر من واحد ، لأنه لو كان كذلك ، لتناقض كلامهم ، ولكنّه - والله الحمد - متفق في الموضوعين .

ففي باب إجزاء الأضاحي يقال : إن سبع البدنة والبقرة عن سبعة ، وأنها سبع أضاحي لا أكثر ، مما عليه النص الشرعي . وفي باب الإهداء يجوز إهداء سبعمها لأكثر من واحد ، كما تهدي الشاة لأكثر من واحد . مع أنها أضحية واحدة ، لا تجزئ إلا عن أضحية واحدة . فالواجب الفرق بين البابين ، وألا يُخلط بين البابين ، فيختلط الأمر على صاحبه . يُوضّح هذا أنه لو أهدى صلاة واحدة أو صيام يوم واحد ، أو صدقة بدرهم واحد ونحوه ، لأكثر من واحد ، لوصل إليه .

فما بال الأضحية لا تصل إلا إذا كانت من الغنم ؟  
من نظر إلى كلامهم في هذه المواضع ، جزم بلا امتراء ،  
أن الطريقَ واحدٌ في الأضاحي كلها ، سواء كانت من الغنم  
أو الإبل أو البقر .

### الموضع الثاني

في باب : جزاء الصيد

قال في « المنتهى » و « الإقناع » و شرحه وما قبلهما  
وما بعدهما من كتب الأصحاب في آخر « باب جزاء الصيد » :  
وتجزئ البقرة والبدنة عن سبع شياه ، كعكسه .

كما تجزئ سبع شياه عن البدنة والبقرة . وكلام غيره يوافقه .  
فانظر - رحمك الله - هذه العبارة ، فإنها تدلُّ دلالة  
لا تقبل الاشتباه أن البدن جميعها تجزئ عن سبع شياه ،  
فإذا تقرّر أن سبع شياه يجوز إهداؤها لأكثر من سبعة  
أشخاص ، فالبدنة والبقرة كذلك .

وكما أن هذه العبارة تدل على جملة البدنة والبقرة ، فإنها  
تدل على سبعها من باب أولى ، وأن سبع كل منهما قائم مقام  
الشاة في كل شيء ، ومن ذلك إهداؤها لأكثر من واحد .  
ولو كان هذا لا يجزئ لاستثنوه من هذا العموم .  
ويدل على قصدهم تعميم هذه العبارة في كل الحالات : أنهم  
أتبعوها قولهم : ولو في جزاء الصيد ، إشارة إلى الخلاف الذي

في جزاء الصيد ، بل قد ورد حديث بهذا اللفظ ترجم له صاحب « المنتقى » بالترجمة السابقة ، وهو عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إن عليّ بدنة ، وأنا موسرٌ لها ، ولا أجدها ، فأشترتها . فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يبتاع سبع شياه . رواه الإمام أحمد وابن ماجه .

وكلامهم في هذا الموضع متفق على هذا المعنى ، فمن ادعى استثناءً شيء من هذا العموم ، فمليه الدليل . وأنى له ذلك ؟

### الموضع الثالث

#### في الفدية

قالوا في الكتب المختصرة والمطولة في الدماء الواجبة :  
والدم الواجب ، شاة جَدَع ضأن ، و ثنيٌّ معز ،  
أو سُبُعُ بدنة ، أو سُبُعُ بقرة .

فهذا أيضاً صرح أن من وجب عليه دم ، سواء كان لواحد كنفسه أو أبيه مثلاً ، أو لعدد كالوصية الواجبة فيها أضحية واجبة واحدة لعدة أشخاص ، أنه يجزئُ أحدُ الأمور الثلاثة : شاة ، أو سبع بدنة ، أو سبع بقرة . وهذا أمر واضح .



## الموضع الرابع

كلامهم في الوقف والوصايا

صَرَّحُوا بِوُجُوبِ اتِّبَاعِ لَفْظِ الْمُوصِي . فَإِذَا قَالَ الْمُوصِي فِي وَصِيَّتِهِ : فِيهَا أَضْحِيَّةٌ لَوَالِدِيهِ وَوَالِدِيهِمْ مِثْلًا ..

نظرنا عند تنفيذ هذه الوصية ما سمى الأضحية الشرعية ، فنجد أن مسماها واحد من ثلاثة أشياء : شاة ، أو سُبُع من بدنة ، أو من بقرة .

فإِذَا نَفَذْنَا هَذِهِ الْوَصِيَّةَ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهَا ، كُنَّا مُنْفِذِينَ لَوْصِيَّةِ الْمُوصِي ، بِحَسَبِ إِطْلَاقَاتِ الشَّارِعِ وَالتَّرْفِ الْجَارِي ، وَخَرَجْنَا مِنَ التَّبَعَةِ . وَدَعَوَى أَنْ مِثْلَ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ تَخْتَصُّ بِالشَّاةِ دُونَ سُبُعِ الْبَدَنَةِ وَالْبَقَرَةِ تَحَاكُمُهُ بِلَا دَلِيلٍ ، بَلْ مُخَالَفٍ لِلدَّلِيلِ . وَقد قَالَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ أَبِي عَمْرٍ فِي « الشَّرْحِ الْكَبِيرِ » : وَلَا بَأْسَ أَنْ يَذْبَحَ الرَّجُلُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ شَاةً وَاحِدَةً أَوْ بَدَنَةً أَوْ بَقَرَةً يَضْحَى بِهَا . نَصَّ عَلَيْهِ أَحْمَدُ . وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ ، وَالثَّلَاثَةُ ، وَالْأَوْزَاعِيُّ ، وَإِسْحَاقُ . انْتَهَى .

فصَرَّحَ أَنَّ الْبَدَنَةَ وَالْبَقَرَةَ قَابِلَةٌ لِإِهْدَائِهَا لِأَكْثَرَ مِنْ سَبْعَةٍ كَالشَّاةِ . وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ وَلَا ضَعِيفٌ وَلَا قَوْلٌ أَحَدٍ مِنَ الْمُتَحَابَةِ ، وَلَا قَوْلٌ أَحَدٍ مِنَ الْخُنَابِلَةِ ، وَلَا دَلِيلٌ يَجِبُ الْمَصِيرَ إِلَيْهِ ، يَمْنَعُ مِنْ حَصُولِ سُبُعِ الْبَدَنَةِ وَسُبُعِ الْبَقَرَةِ إِذَا أُهْدِيَ لِأَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ ، بَلِ الْأَدِلَّةُ خِلَافَ ذَلِكَ

كما ذكرناها . وليس فتوى بعض المتأخرين استنادًا على عبارة الأصحاب التي ذكرناها - [وهي] قولهم : وتجزئ البدنة والبقرة عن سبعة - . يوجب إهدار شيء مما تقدم ، كما تقدم بيانه . والله أعلم .

س ٨ - بعض الناس يجعل الجلد والرأس أحد أسباع الأضحية ، فهل هو وجيه ؟

ج - الذي أرى أنه ليس بوجيه ، بل لا بد أن يكون الاقتسام على اللحم المأكول ، ولكن إذا جعل الجلد مع القسم القليل من اللحم ، لأجل زيادة الجلد ، فلا بأس بذلك .

وأما كونه يجعل عن ضحية وهو جلد ، فليس بمناسب ، وإذا تشاحوا في الجلد عند الاقتسام ، فليس له طريق إلا أن يتصدقوا به من بينهم ، أو يسمحوا فيه لأحدهم صدقة أو هدية . وأما بيعه فلا يجوز ، لأنه يبيع للأضحية أو لجلدها ، وهو لا يجوز . والمتصور أن الجلد عند التشاح فيه ، ليس له طريق إلا الصدقة أو الهدية ، لهم أو لغيرهم .

س ٩ - إذا كان والدا الإنسان فقيرين ، فهل تُقدّم حاجتهما على المقيمة ؟

ج - إذا كان والدا الإنسان فقيرين ، فحاجتهما مقدمة على المقيمة ، لأن دفع حاجتهما واجبة ، والمقيمة سنة ، إلا إذا أمكن الجمع بينهما .

س ١٠ - هل يجوزُ بعض البدنة عن العقيقة ؟  
وإذا شك هل عَقَّ عنه أبوه ، فهل يلزمه أن يعق ؟  
ج - أما العقيقة ، فلا يجوزُ ثلث البدنة ، ولا سبعمها ،  
ولا يجوزُ عنها إلا بدنة كاملة ، مع أن الشاة أفضلُ من البدنة  
الكاملة . وإذا شك الإنسان هل عَقَّ عنه والدُه أم لا ؟  
فليس عليه عقيقة . العقيقة على الأب . وأيضاً هو شاكُّ ،  
هل عَقَّ عنه أم لا ؟

س ١١ - هل يجب على الوكيل في الأضحية أن يجتنب  
ما يجتنبُه من أراد أن يضحى أو يضحى له ؟  
ج - ذكر بعض المتأخرين في هذا وجهين ، ولعلهما  
مبتدئان على أن الوكيل : هل يدخل في لفظ الحديث :  
« إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ <sup>(١)</sup> وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَضْحَى ،  
فَلَا يَأْخُذْ شَيْئًا مِنْ شَعْرِهِ » .

وصومُه يدخل فيه الوكيل ، أو أنه لا يدخل في ذلك ،  
لأن المراد من كانت الأضحية له .  
ويؤيده أن بعضهم علل الحكمة بأن في هذا تشبهاً بالحرمين ،  
وبعضهم علله بأنه لرجاء أن تشمل المغفرة جميع أجزاء المضحى .  
فلهذا ينهى عن إزالة شيء من أجزائه . وهذا خاصٌ بمن له الأضحية .  
وهذا هو الظاهر عندي .

---

(١) قوله ( إذا دخل العشر ) يريد : إذا كان أول ذى الحجة .

## كتاب : الجهاد

س ١ - الذى يكره الأمر بالمعروف ، هل يدخل فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ  
تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ﴾ (١)

ج - هذا : المراد به الكارهون لمن يدعوهم إلى أصل الدين ، ولكن الذى يكره الأمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر ، قد عصى وفعل محرماً ، فإن الواجب إهانتهم ومكرم على أمرهم ونهيتهم ، والرغبة فى فعلهم . وهذا عكس القضية .  
س ٢ - إذا استقال النائب ، فهل يجوز أن يأخذ ما كانت الحكومة تجعل له من الشرعة ؟

ج - ليس له أخذها فى هذه الحال ، لأنهم لم يعملوها له إلا عوضاً عن عمله ونيابته .

فإن علمت الحكومة أنه مستقيل عن العمل ، ورضيت بجزائها عليه ، فلا بأس عليه بأخذها ، غنياً كان أو فقيراً .  
وأما الحالة الأولى ، إذا قال : آخذها وأتصدق بها ، فليس له ذلك .

## كتاب : البيع

س ١ - ما الذي يُشترط لصِحَّة التصرفات ؟

ج - التصرفات كلها يشترط أن يكون صاحبها جائزاً التصرف ، وهو البالغ العاقل الرشيد الحرّ ، ويُزاد في الأمور التي يقصد بها التبرُّع أن تكون ممن يصحّ تبرّعه .

وفي الإجارة والوقف أن تكون العين منتفعاً بها مع بقاء أصلها ، وفي الوقف والوصية ، أن يكون ذلك على جهة برٍّ .

س ٢ - هل ينعقد البيع بالمكاتبة ؟

ج - قال في « الإقناع » : وإن كان المشتري غائباً عن المجلس ، فكاتبته أو راسلته : إني بعتك أو بعت فلاناً داري بكذا . فلما بلغه الخبر قبِلَ ، صحّ . قال في شرحه : وظاهر كلام الأصحاب خلافه ... إلخ .

قال شيخنا عبد الرحمن الناصر السعدي : ولكن ما ذكره المصنّف هو الصحيح الموافق للعمومات ، وإنص أحمد المذكور ، وللتعليل الذي ذكره المصنّف ... إلخ .

س ٣ - إذا احتاج المسجد إلى سَمّة ، فعارض أهل

الدكاكين أن تُهدم إلا برضا ، فهل يُجبرون على ذلك ؟

ج - إذا كان في ذلك ضرر عليهم مُحقق ، ونقص من مصلحة الدكاكين ، فإنه لا يسوغ ، لأن توسيع المساجد

بما حولها من الأسواق والطرق ومحالّ الجلوس ، يجوز إذا لم يكن في ذلك ضرر على أحد ، بل هو مصلحة محضّة .. مع أن فيه قولاً آخر في المذهب : لا يجوز حتى في هذه الحالة .

ولكن الصواب الجواز ، إذا كان مصلحة محضّة خالية من مضرّة أحد من جيرانه أو من أهل البلد .

س ٤ - ما حكم بيع الأمانة ؟

يج - ذكر في « الإقناع » عن الشيخ تقي الدين في بيع الأمانة ، أنه عقد باطل ، والواجب ردّ البيع إلى البائع ، وأن يرُدّ المشتري ما قبضه منه ، لكن يُحسب له منه ما قبضه المشتري من المال الذي ستموه أجرة .

أقول : لكن يبقى الكلام في انتفاع البائع بالثمن ، ما حكمه ؟ لأننا إذا أوجبنا له الأجرة اجتمع له الانتفاع بماله وبمَوْضِعِهِ الممنوع ، فالذي يظهر أنهما إذا تراجما وقد انتفع المشتري في المبيع والبائع بالثمن ، أنه لا يجب لأحد على أحد شيء .

س ٥ - ما حكم بيع المصحف ؟

ج - قال في « الإقناع » :

ويحرم بيع مصحف ، ولا يصحّ . اهـ

أقول : والصحيح أنه يصحّ ، ولا يحرم بيع المصحف للمسلم لعموم الحاجة ، والمنهى عنه ترك تعظيمه مطلقاً .

س ٦ — ما الذى يدخل فى النهى عن بيع العَرَر ؟  
ج — ثبت فى صحيح « مسلم » نبيه صلى الله عليه وسلم  
عن بيع العرر ، وهو أصل كبير ، وقاعدة كلية فى عقود  
المعاوضات فى البيع والإجارة ونحوها ، فى كل ما يشترط فيه  
تحرير العوضين ، والعلم بهما . ومن هذا الحديث أخذ الفقهاء  
اشتراط العلم بالثمن والمثمن ، والعلم بالأجرة ، والنفع الذى  
وقعت عليه الأجرة . ومنه أخذوا اشتراط القدرة على التسليم  
بأنواعه ، والإجارة بأنواعها .  
فكل المسائل التى ذكروها فى هذه الشروط مأخوذة  
من هذا الحديث .

والعرر يتفاوتت تفاوتًا كثيرًا ، فكلما كان أعظم جهلاً  
وخطرًا ، كان أعظم تحريمًا ، وأشد تأثيماً .  
ولذلك لما كانت المشاركة كلها مبنية على العدل والمساواة  
بين الشريكين ، كانت الشروط المنافية لذلك ، المبنية على  
الخطر ، منهيًا عنها ، لأنها داخلة فى العرر . فكل جهالة بينة ،  
وخطر ظاهر فى جميع عقود المعاوضات والشركات :  
فإنه داخل فى هذا الحديث العظيم . والله أعلم .

س ٧ — ما حكم بيع ما فتح عنوة ؟  
ج — قال فى « الإفتاء » : ولا يصح بيع ما فتح عنوة  
ولم يقسم . اه . أقول : وجهه ور العلماء على جواز بيع أرض  
العنوة . وهو الصحيح .

س ٨ - ما حكم بيع الراديو وشرائه ؟  
ج - الذى نرى أنه لا حرج ولا بأس فى بيعه وشرائه  
كسائر المباحات ، إلا يبيعه على من يعلم منه أنه يستعمله  
للفناء والمعازف ونحوهما .

س ٩ - هل يجوز بيع البردة قبل قبضها ؟  
ج - لا يجوز ذلك لكثرة الضرر والتعب والتأخير ،  
وخطر النقص ، وعدم الحصول ، وكلها عِلَل تمنع الصحة ،  
وإذا كان الدين الذى على شخص نظير ذلك ، وهو ثابت  
مأمون من إنكاره ، لا يجوز بيعه ، فبيع البردة أشد منعا .  
س ١٠ - إذا اشترى شيئا بغير نقد البلد ، وليس  
عنده ، وإنما يريد تحصيله بعد ، مثل أن يشتري سلعة  
بريات ليست عنده ؟

ج - نعم يجوز ذلك ، وليس فيه - فيما أعلم - خلاف ،  
ولا يدخل فى قوله صلى الله عليه وسلم :  
« لا تَبِيعُ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ » .

لأنه لم يُقَل : لا تَبِيعُ بما ليس عندك . ولا فرق بين  
نقد البلد وغيره من النقود التى ليست برائجة .  
والله أعلم .

س ١١ - قولهم : لا يحلّ استِصْناع سِامة ، هل هو  
: جيه أم لا ؟



ج - ليس بوجيه ، فإنه من البيع بالصفقة . فإذا وصف ما يصنعه [صفقة] تزول بها الجهالة ، ويرتفع الخطر ، فلا مانع من [الصفقة] . وقد قال بالصحة بعض الأصحاب ، وهو الصواب ، فإن الشرط موجود ، والمانع مفقود ، ومُدعى التحريم عليه إقامة الدليل . وأنى له ذلك في هذه المسألة ؟

س ١٢ - ما حكم استئمان السلعة ؟

ج - قال في « الإقناع » : ولا يصح استئمان سلعة بأن يبيعه سِلعة يصنعها له . ا هـ . أقول : وقيل : يصح ، وهو الأولى لعدم الجهالة ، وللممكن من صنعه .

س ١٣ - الذى يمنع بيع الموصوف في الذمة ، ويعتج بحديث : « لا تبع ما ليس عندك » . هل هو وجيه أم لا ؟  
ج - إطلاق منع بيع الموصوف والاحتجاج عليه بالحديث المذكور فيه نظر ، فالحديث يدل على منع بيع الأشياء المتمدر إدراكها أو المتعسر كالأبق والشارد ولو كان في ملكه ، وكالمين الذى في ملك غيره ، أو يتعسر إدراكه .

وأما الموصوف في الذمة المتيسر إدراكه ، فلا أرى دخوله في هذا الحديث ، وهو المذهب عند الأصحاب كتلهم ، فإنهم أجازوا بيع الموصوف ، إذا استقصى من صفاته ما يتفاوت به الثمن ، سواء كان عنده أم لا .

س ١٤ - هل يصح بيع الأنثوذج ؟

ج - قال شيخنا عبد الرحمن السمدى فى حاشية له :  
وهذا يدل على قوة القول بمسحة بيع الأنثوذج لعدم الفرق  
بينه وبين رؤية ظاهر الصبرة المتساوية الأجزاء ونحوها ،  
يحق هذا أنه يجب تطبيق جميع المفردات والتفاصيل  
على أصل الشرط وهو المسلم ، ففى حصول العلم به بأى طريق  
جاز ، ومتى انتهى العلم لم يَجُزْ . ا . هـ .

س ١٥ - إذا باع شيئاً بصفة أو بشرط صفة ، فهان  
بخلافه ، فهل له الأرش ؟

ج - قال فى « الإقناع » وشرحه : فيما إذا باع شيئاً  
بصفة ، ثم وجده متغيراً ، واختار الإمساك ، أنه يسك مجاناً  
بلا أرش ، بخلاف البيع بشرط صفة ، فإن له أرش فقدها .  
أقول : إن التفريق بين المسأتين فى غاية الضعف ، فإنه  
لا فرق بين شرط صفة يتبين خلافها ، أو ييمه بصفة يظهر  
خلافها ، فالشارع لا يفرق بين التماثلات .

س ١٦ - ما حكم بيع المسك فى فأرته ؟

ج - قال فى « الإقناع » وشرحه : ولا يصح بيع المسك  
فى الفأر ، واختار فى « الهدى » صحته . ا . هـ .

أقول : ويمكن الجمع بين كلام الأصحاب ، وكلام صاحب  
« الهدى » فى المسك وغيره ، بأن يقال : من الأشياء ما لا

يعرفه إلا أفراد من الناس كالمسك في فأرته ، وأنواع الجواهر ونحوها ، فبيع هذا النوع لأهل الخبرة به صحيح ، لعدم الجهالة ، ولنيرم غير صحيح لوجود الجهالة . ومن عرف الواقع لم يستترِب في هذا التفصيل ، لما ذكره من التعليل .  
س ١٧ - ما حكم بيع ثوب نُسِجَ بفضه ، على أن ينسج بقيته ؟

ج - قال في « الإقناع » : ولا يصح بيع ثوب نسج بفضه على أن ينسج بقيته .

أقول : وإذا قيل بجواز الاستصناع ، فهذه كذلك .

س ١٨ - إذا باع نخلة خرصاً بشرط أنها مائة ، وشرط أن يأخذها من خمس فرض المشتري ، فهل ذلك صحيح أو فاسد ؟

ج - لا بد من تفصيل تضيح به المسألة ، وذلك أنه إذا كان في ذمته له تمر مثلاً مائة وزنة ، ثم قال له : أريد أن أحرص لك هذه النخلة عما في ذمتي لك ، فهذا معلوم أنه يبيع المزابنة ، لأنه لا فرق بين بيع تمر معين بتمر على رأس النخلة ، وما في الذمة بما على رؤوس النخل ، فلا يجوز من هذا النوع إلا المرابا . وهذا النوع يدخل فيه كل ما ثبت في الذمة من سلم أو قرض ، أو ثمن بيع أو غيرها ، لأنه يأخذ مجهولاً عن معلوم ، والجهل بالتأمل كالعلم بالتفاضل .

وأما الذى وقع عليه السؤال ، فهو نوع آخر ، لأن البائع ليس فى ذمته للمشتري تمر ، وإنما أراد أن يشتري منه النخلة جزافاً ، ولكنهما أحبا أن يكون الجزاف مربوطاً بخرصه لأجل قُرْبِهِمَا من التحرير ، فإذا عرفا خرصها ، وتبايها على أن الشراء يكون على خمس مما خرصاه ، أو خرص لهما ، جاز ذلك ، وليس فيه محذور ، لأن هذه الصورة من صور بيع الجزاف ، وليست من باب التمويض مما فى الذمة ، واسكن لا يقع العقد حتى يعرفا خرصه ، فإن وقع العقد قبل الخرص ، لم يصلح .

لكنهما يتقاولان ويتفقان على البيع جزافاً بما يؤول إليه الخرص ، ثم يقع العقد بعد ذلك ، فهذا لا حرج فيه ولا منع ولا محذور . والله أعلم .

س ١٩ - ما حكم بيع ثمرة الشجرة إلا صاعاً ؟

ج - قال فى « الإقناع » : وإن باعه ثمرة للشجرة ، إلا صاعاً ، لم يصلح . ٨١ .

أقول : وعنه : يصلح . اختاره أبو محمد الجوزى وغيره ،

وهو الصحيح لعدم الضرر ، مع شدة الحاجة إليها .

س ٢٠ - ما حكم بيع نصف داره الذى يليه ؟

ج - ذكر فى « الإقناع » وشرحه : أنه لا يصلح

البيع إذا قال : بعتى نصف دارك الذى يلى دارى .

وأقول : وفي المنع من هذه الصورة نظر ، فإن الجهالة  
مُنتفية ، والحاجة تدعو إلى ذلك ، وكونه لا يدري إلى أين  
ينتهي ، لا يزيد على جهالة الشيء المشاع الذي لا يدري  
مقدار ما يأتيه عند القسمة .

ص ٢١ - ما حكم ما إذا أمر أنه عبده ، فرهنه . الخ ؟  
ج - قال في « الإقناع » : ولو أمر أنه عبده ، فرهنه  
فسكبيح ، فلا تلزم المهدة القائل ، حضر الزامن أو فاب ،  
على المختار . ٥١ .

أقول : وعلى الرواية الثانية التي اختارها شيخ الإسلام ،  
وصوبها في « الإنصاف » : تلزم المهدة المقرر .  
وهو الصواب ، وهو داخل في قول صاحب « الفروع » :  
ويتوجه هذا في كل غارة .

ص ٢٢ - هل لِأُمَّةٍ المِيبِ بهيب ينفسخ به النكاح  
كالجذام ، أن تمنعه من وطنها ؟

ج - قال في « الإقناع » :

ويصح بيع أمة لمن به عيب ينفسخ به النكاح ، كجذام  
وبرص ، وهل لها منعه ؟

يحتمل وجهين : أولهما : ليس لها منعه من وطنها . ٥١

أقول : والوجه الثاني : أن لها منعه من وطنها ، وهو

الصحيح ، سداً للذريعة ، ودفعاً لضررها .

س ٢٣ - ما حكم البيع إذا كان الثمن صبرة أو صنجة  
مجهولة ؟

ج - الصحيح أن الثمن إذا كان صبرة أو وزن صنجة  
مجهولة المقدار ، فالبيع غير صحيح ، لأنه غرر ظاهر . ا . هـ .

س ٢٤ - ما حكم البيع إذا باعه من الصبرة كل قفيز بكذا ؟  
ج - قال في « الإقناع » : ولا يصح البيع إن باع من  
الصبرة كل قفيز بدرم ونحوه . ا . هـ .

وأقول : والصحيح الصحة لعدم الغرر .

س ٢٥ - إذا باع عُشْبًا بتمر مؤجّل ، فلما حلّ التمر ،  
لم يجد وفاء ، فأعطاه قيمة المشب ، فهل يجوز ؟

ج - يجوز ذلك ، لكن بشرط أن لا يفارقه ،  
حتى يقبض منه الدرهم .

س ٢٦ - إذا باع برًا بدرام إلى أجل ، فلما حلّ أراد  
أن يموضه عن الدرهم تمرا ، فما الحكم ؟

ج - فيها ثلاثة أقوال في المذهب : المشهور من المذهب  
أن ذلك لا يجوز مطلقًا ، لأنه لا يجوز بيع البرّ بتمر إلى  
أجل ، فيخشى من التذرع إلى الربا ، والتحييل عليه .

والقول الثاني : اختاره الموفق وغيره ، أنه يجوز مطلقًا ،  
لأنه غالبًا لا يقصد في الأصل ، ولا يتحييل فيه .

وهذا القول أرجح دليلًا .

والقول الثالث : اختاره شيخ الإسلام :  
يجوز عند الحاجة ، ولا يجوز إذا لم تحتج إليه ،  
كن حلت عليه الدرام مثلاً ، وليس عنده بُرٌّ وعنده تمر ،  
فتراضياً على ذلك ، وأخذه عنه .

وهذا أوسط الأقوال ، وهو الذى ينبى العمل به ،  
لأنه لا يستعمله الإنسان إلا عند الحاجة . والله أعلم .

س ٢٧ - رجل يُداين آخر منذ سنين ، ثم تخالفاً ، وأراد  
أن يمتنع بعد ذلك من دينه ، وقد باع عليه أشياء ورهنها عليه ،  
فقال المدين : أريد أن تشتري رهائك بالثمن الذى بنتها على  
به ، وقال صاحب الدين : بل اشتريها بما تستحق اليوم  
دراهم ، وقد كان يبيعها ببيعش ، فهل يجوز ذلك ؟

ج - إن كانت الرهائن المذكورة قد تغيرت تغيراً  
انتقص به قيمتها ، فلا بأس بذلك ، وإن كانت على حالها  
وأحسن منها ، فعلى جادة المذهب : إذا كان الثمن الثانى من  
غير جنس الثمن الأول أيضاً : يجوز .

فعلى المذهب : تجوز مثل هذه الحالة ، وعلى القول الآخر  
وهو الصحيح : أنه لا يجوز بيعها على صاحبها بأقل مما باعها  
به ، ولو كان الثمن جنساً آخر ، سداً للذريعة .

فالأولى فى هذه الحال أن يبيعها على غيره ، ويأخذ صاحب  
الدين أثمانها ، لأنه أسلم لهما .

س ٢٨ - إذا وكل شخصًا يستدين له ، فوكل صاحب الدين من يبيع عليه ، ثم اتفق الوكيلان على المباشرة قبل المقدم ، ووقفوا على التمر الذي في السيارة ، وعدّه وكيل البائع على وكيل المستدين ، وقال : يمه ، فباعه من غير تقدير الثمن . فهل يجوز ؟

ج - لا يصلح هذا ، لأنه لا بد أن يبيعه وكيل البائع على وكيل المشتري ، وقت عدّه عليه بثمن معين مؤجل ، فيكون المقدم واقفًا على نفس التمر ، بأن يقول : بمثلك هذه القليل بكذا وكذا ريالًا إلى الأجل الفلاني ، ويقبض وكيل المشتري التمر ، ثم بعد ذلك يكون التمر لحساب المشتري ، إن شاء باعه ، وإن شاء أبقاه . والله أعلم .

### باب : الشروط في البيع

س ١ - قول الأصحاب : إذا شرط أن الدابة تحلب كل يوم مقدارًا معينًا لم يصح . فهل هذا وجيه ؟

ج - فيه نظر ظاهر . فإن شرط مقدار اللبن أقرب إلى العلم ، وأبعد عن الجهالة ، وعن المنازعة والاختلاف ، كما هو ظاهر . وشرط غزارة اللبن ، أو أنها كَبُون ونحوه ، يتفاوت كثيرًا ، وليس له ضابط يرجع إليه . ولهذا كان العمل على عكس ما ذكره الأصحاب .



س ٢ - إذا اتفق مع صاحب دكان أن يبيعه شيئاً إلى أجل ، ثم إن صاحب الدكان أبى أن يبيعه إلا حالاً ، فما الحكم ؟  
ج - هو باختياره ما دام العقد لم يصدر بعد ، فلا يلزمه أن يبيع عليه إلى أجل إلا بحالة : وهي إذا عقد معه ، وتمّ البيع الموجب ، وفارقاً المجلس ، فليس لأحد أن يمنع إلا بإقالة الآخر ورضاه .

س ٣ - إذا تلف المستثنى نفعه ، فهل هو من ضمان البائع ؟  
ج - قال الشيخ عبد الوهاب بن فيروز :  
ينظر فيما إذا تلف المستثنى نفعه من غير تفریط ، هل يضمن لكونه آخر تسليمه أم لا ، لقولهم : كالمستأجر ؟ محلّ نظر ، والظاهر الثاني ، تأمل .

أقول : هذا الذي استظهره الشيخ عبد الوهاب هو ظاهر كلامهم في أن ما عدا ما يبيع بكيل أو وزن إلخ من ضمان المشتري .

س ٤ - هل من تكون نفقة الحيوان المستثنى نفعه تلك المدة .

ج - قال في شرح « الإقناع » :  
ونفقة المبيع المستثنى نفعه مدة الاستثناء ، الذي يظهر أنها على البائع ، لأنه مالك المنفعة لها من جهة المشتري ، كالمبنى الموصى بها ، لا كالمؤجرة والمعمارة . هـ .

- أقول : بن الظاهر أنها كالمؤجزة والباراة ، لأن العين انتقلت بمنافعها ، إلا هذه المنفعة ، إلى المشتري ، فكان عليه مؤونتها ، وبينها وبين العين الموصى بها فرق عظيم ، كما هو ظاهر .

س ٥ - ما الذى يدخل فى التَّهْيُ عن بيعتين فى بيعة ؟  
ج - يدخل فى ذلك مسائل العينة وضدها ، لأنه يبيعه السلعة نقداً ، ثم يشتريها منه بأكثر منه نسيئة ، وبالعكس ، فهذا الذى يصدّق عليه التَّهْيُ ، لأن فيه محذور الربا وحيلة الربا .  
وأما تفسيره بأن يقول : بعتك هذا البعير مثلاً بمائة ، على أن تبغى هذه الشاة بمشرة ، فالمذهب إدخالها فى هذا الحديث . والقول الآخر فى المذهب عدم إدخالها ، وأنه لا يتناولها التَّهْيُ ، لا بلفظه ولا بعنايه ، ولا محذور فى ذلك ، وهو الذى نراه ونعتقد . والله أعلم .

### باب : الخيار والتصرف فى المبيع والإقالة

س ١ - هل يصح شرط الخيار فى الإجارة ؟  
ج - الصحيح ثبوت خيار الشرط فى الإجارة ، حتى فى الإجارة على مدة تلى العقد ، لدخولها فى العموم ، وأن المسلمين على شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرّم حلالاً ، كما أن الصحيح ثبوت خيار الشرط فى الصرف والسلم وهذا كله اختيار شيخ الإسلام .

س ٢ - هل يثبت خيار الشرط في الإجارة ؟

وهل ينفذ عتق المشتري زمن الخيار ؟

ج - الصحيح ثبوت خيار الشرط في الإجارة ، ولو على مدة تلى العقد ، لدخولها في العموم ؛ لأن إطلاق البيع شرعاً يدخل فيه بيع الأعيان ، وبيع المنافع ، وعلى تقدير الفسخ ، فإنه يحسب ما تقدم بقسطه من المسمى .

والصحيح : لا ينفذ عتق المشتري زمن الخيار ، لتعلق حق البائع ، ولأن ذلك من الغدر الذي لا يُجيزه الشارع ، والعتق إنما يسرى إذا أُريد به قرينة خالية من المحاذير الشرعية .  
فهذا نعلم أن الصحيح أيضاً ، لا ينفذ عتق الرّاهن .

س ٣ - هل يُورث خيار الشرط والشفعة ؟

ج - الصحيح أن خيار الشرط والشفعة يورثان ، ولو لم يُطالب فيهما قبل الموت ، لأنهما من الحقوق التي يستحقهما الميت ، فانتقلت إلى وارثه .

وتعليقهم المذكور ممنوع لا يدل على ما ذكروه .

س ٤ - قولهم في خيار الشرط : ولا يصح في عقد

حيلة ليربح من قرض . ما معنى ذلك ؟

ج - صورة ذلك أنه متقرر أن كل قرض جرّ نفعاً ،

فهو ربا حرام ، وهذا عام في كل نفع شرط في قرض .

والغالب أن يكون ذلك صريحاً ..

وقد يقع غير صريح ، ويتحيل إليه بحيلة صورتها صورة مباحة ، ومعناها محرم ، فمنها هذه المسألة .

فالصريح أن يقول فيها مثلاً : أقرضك ألفاً ، بشرط أن تسكنني دارك سنة ، فهذا قرض جرّ نفماً ، صريح .

وقد يتحيلون عليه بالبيع بشرط ، بأن يقول : اشتريت منك دارك هذه بألف ، على أن لي الخيار مدة سنة .

ثم يعطيه الألف ينتفع به ، ويأخذ هو الدار يسكنها . فإذا مضت السنة أو قبلها ، قال : فسنحت خيارى ، وارْتَجَعَ أَلْفَهُ ، وأعطى صاحب الدار داره .

فهذه مثل الأولى ، بلا فرق من جهة المعنى ، وإنما الاختلاف يعود إلى اللفظ وهو لا يعتبر ، فقد تحيلاً ببيع الخيار إلى القرض الذى جرّ نفماً ، لأن هذا انتفع بدراهمه ، والآخر المشتري انتفع بداره . والله أعلم .

س ٥ — قولهم فى المسترسل : هو من جهل القيمة ، ولم يُحسن المماسكة ، فهل يكفي وجود أحدهما ؟

ج — عباراتهم كلها صريحة أنهما قيّدان لا بد منهما ، وأنه إذا كان يجهل القيمة ، وهو يُحسن المماسكة ، فليس بمسترسل . وعلّوه إذا غبن ، فإنما هو لمجانبته ، وعدم تمهّله ، وكذلك إذا كان لا يُحسن يماكس ، ولسكنه قد عرف القيمة ولم يجهلها ، فليس بمسترسل .

هذا مرادهم ، رحمهم الله ، وهو مفهوم من عباراتهم وتعليقهم ،  
مع أن في المسألة قولاً في المذهب : أن الغبن مطلقاً يُوجب  
الخيار ، ولو لم يكن المغبون واحداً من هؤلاء الثلاثة .

ووجه هذا أن البائع والمشتري ، كل واحد منهما  
قد دخل على أن يتعوض بقيمة المثل ، أو زيادة أو نقص  
قليل لا يُجحف ، فلما حصل الغبن بأى صورة كانت ،  
خرجت المماوضة عن هذا الموضوع ، وعلم أن المشتري  
المغبون لم يرض بالغبن الفاحش ، ومجرد استعجاله لا يوجب  
إهدار الغبن ، وقد يثق بالبائع وأمانته ، فيترك المماسكة لذلك  
وهو يُحسنها ، فلا يكون له في هذه الخيار .

وإذا قالوا : إن الشارع إنما أثبت خيار التلقّي والمسترسل ،  
ونحن قد أثبتنا التجويز عليه للتقرير ، فيقال : هذا موجود  
في كل صور الغبن ، فإذا أثبت الشارع خياراً ، وعللنا أن  
علته الغبن ، علمنا أن هذه العلة تتمدى لكل ما وجد فيه  
هذا المعنى ، لأن الشارع قد ينصّ على أشياء مخصوصة لعلّة  
عامة ، فيتعدى الحكم بعموم علته .

س ٦ - هل يثبت الخيار للرّكبان إذا تلقّوا ،

وإن خرجت عن يد المشتري ؟

ج - أما إثبات الخيار لتلقّي الرّكبان ، فالحديث مطلق ،  
وكذلك كلام الأصحاب مُطلق ، شامل ما إذا لم يخرج عن

يد المشتري يبيع أو غيره ، وما إذا خرجت . والمعنى أيضاً موجود ، صحَّ ، فإن الظلامة لا تزول بتصرف المشتري فيها ، وحق البائع متقدم وسابق لحق من بعده ، فيقدم الحق السابق مع عموم الحديث ، وعموم كلام الأصحاب ، ووجود المعنى الذي لأجله أثبت له الخيار . والله أعلم .

س ٧ — إذا زادت قيمة صاع التمر على قيمة المصراة ، فما الحكم ؟

ج — قال في « الإقناع » : ويردّ مع المصراة صاعاً من تمر ، ولو زادت قيمته على المصراة .

أقول : أما لو علم تفرير المصري ، فزاد قيمة صاع التمر على المصراة ، ففي وجوب ذلك نظر ، لأن الشارع إنما أوجبه في مقابلة اللبن ، وقد نهى عن التفرير ، وعامل المخادع بنقيض قصده .

س ٨ — ما هو الحمق ؟

ج — قال في « الإقناع » في تفسير الحمق : إنه ارتكاب الخطأ على بصيرة ، يظنُّه صواباً .

قال في الشرح : وقوله : يظنه صواباً ، فيه نظر ، لأن ظنه صواباً يُنافي ارتكابه على بصيرة ... الخ .

أقول : الظاهر أنه لا نظر فيه ، بل كما قال في الأصل : إن الأحق يرتكب الخطأ على بصيرة .

يعنى : أنه يظنه صواباً ، لأنه لو ارتكب نسياناً لم يُسَمَّ  
أحمق ، وكذلك لو علم الفرق بين الخطأ والصواب لم يكن  
أحمق ، ولو فعل الخطأ ، لأنه مُتَمَدِّد عَالِمٌ بذلك .

س ٩ - هل الفسق الاعتقادى عيب ؟

ج - قال فى « الإقناع » : وليس الفسق من جهة  
الاعتقاد عيباً . أقول : وفى هذا نظر ، فإن الفسق الاعتقادى  
ربما زاد عيباً على الفسق الفعلى .

س ١٠ - هل الهزال عيب أم لا ؟

ج - قد ضبط الفقهاء رحمهم الله [ العيب ] بضابط جامع  
نافع لا يشذ عنه شيء ، فقالوا : العيب ما نقص ذات المبيع  
أو قيمته ، فما عدّه التجار عيباً علق به الحكم ، وما لا فلا .  
فالهزال فى المبيع لا بد أن المشتري قد دخل على بصيرة ،  
وعلم منه بالهزال ، ويندرُ جداً أن يشتريه غير عالم بهزاله .  
فلو فرض وقوع شرائه إياه غير عالم بهزاله ، فلا شك أنه  
من أبلغ العيوب لمن لم يعلم به ، لكن من ادعى دعوى  
يكذبها الحسّ والعادة ، لم تُسمع دعواه .

س ١١ - هل كفر الرقيق وبدعته عيب فيه ؟

ج - قول الأصحاب : إن الكفر والبدعة الاعتقادية  
فى الرقيق ليس بعيب : فيه نظر ظاهر ، حتى على أصلهم ،  
فإنهم قالوا : العيب هو ما نقص ذات المبيع أو وصفه ،  
والكفر والبدعة من أعظم المنقصات

وأما قولهم : إن الأصل في الرقيق الكفر .  
فيقال : يعارض هذا الأصل الظاهر القرائن الكثيرة  
في الأرقاء الموجودين في بلاد الإسلام ، والقرائن إذا غلبت  
الأصل صار الاعتبار لها ، اللهم إلا أن يكون الرقيق مبيعاً  
على إثر سببي حصل على الكفار والحريتين ، والمهد قريب .  
فهذا يقال : الأصل فيه الكفر ، وأما البدعة فلم أجدهم  
ذكروا لها تمليلًا .

س ١٢ - ما حكم نفخ القصب للذبيحة ؟  
ج - أما نفخ القصب للذبيحة التي يراد بيعها ، فإنه  
من باب النخس ، ومن غشنا فليس منا ، لأن المشتري يتوهم  
أن اللحم المنفوخ كله لحم .  
س ١٣ - إذا اشترى غنماً ، فوجد في واحدة منها عيباً ،  
فهل له ردّ الجميع ؟

ج - الخيار للمشتري إذا كان البيع صفقة واحدة<sup>(١)</sup>  
إن شاء ردّ المبيعة بقسطها من الثمن ، وإن شاء ردّ الجميع ،  
وليس للبائع قبول الباقيات ، لأن البيعة واحدة .

---

(١) سيأتي في السؤال رقم ١٥ ما يشبه هذا . وقد أجاب بأنه يثبت  
الخيار في المبيع وحده ، وعزاه للأصحاب . لكن ما ذكره هنا رواية  
صحابها في « المحرر » و « الفائق » ، واختارها أيضاً بعض الأصحاب .



س ١٤ - إذا اشترى عكة سمن ، فوجد فيها ربًا خارجًا  
عن العادة ، فهل له الأرش ؟

ج - ما زاد عن العادة يسقط من القيمة بمقداره ، لأنه  
اشترى بناءً على أن كلة سمن ، والرب على العادة ، فظهر أنه  
أقل مما اشترى ، فله النقص المذكور .

س ١٥ - إذا ظهر عيب بأحد قلال التمر المبيع صفقة ،  
وهي متساوية القيمة أو متفاوتة ، فهل يثبت الخيار فيما فيه  
العيب فقط ، أو في الجميع ؟

ج - قد ذكر الأصحاب ، رحمهم الله ، في هذه المسائل  
ونحوها ، أن المبيع المتمدّد ، إذا ظهر عيب في أحد المبيعات  
دون الآخر ، أنه يثبت فيه وحده الخيار دون الآخر الذي  
لا يرتبط فيه ، كقلال التمر والغنم ونحوها ، لأنها بمنزلة  
المبيعات المتمددة ، والحكم يدور مع علته .

وهذا بخلاف زوجي الخف ، وأحد مصراعي الباب ،  
ونحوها ، فإن عيب أحدهما في الحقيقة يعود إلى عيب الآخر .

س ١٦ - إذا اشترى تمرًا في سيارة ، فكشف على  
بعضه ، ولما كشف على باقيه ، تبين أنه رديء ،  
فهل له الأرش ؟

ج - له أرش النقص ، لأن هذا غش ، وإن شاء ردّ  
الجميع ، إذا كان لم يتصرّف فيه ، ولم يأكل منه .

س ١٧ - إذا أراد أن يرد المبيع ، وقد نقص السعر  
نقصاً فاحشاً ، فامتنع البائع إلا أن يقبل الأرض ، فما الحكم ؟  
ج - ثبوت خيار الرد بالعيب لا ريب فيه ، ولكن  
لا تغلو الحال : إما أن يكون البائع قد علم بالعيب وكتبه  
على المشتري ، وإما أن لا يعلم . فإن كان عالماً بالعيب ،  
وأخفاه على المشتري ، فهذا حرام عليه ، وهو آثم ظالم .  
وقد ذكر الأصحاب أنه لو تلف في هذه الحالة ، كان  
ضمانه على البائع ، ويرجع المشتري بكل الثمن . ومن باب أولى  
وأخرى ، إذا نقص السعر عند المشتري نقصاً فاحشاً ، فإنه  
يذهب على البائع ، فإن رده استحق المشتري على البائع ذلك  
النقص ، وإن أعطى الأرض للعيب الذي لم يعلمه المشتري ،  
فالأمر واضح ، وإن لم يدلس البائع على المشتري العيب ، ووجد  
المشتري بما اشتراه عيباً ، وكانت السلامة بحالها لم تعيب عنده  
ولم ينقص سعرها نقصاً فاحشاً ، فله الرد بلا إشكال ولا نزاع .  
وإن لم يتبين له العيب إلا بعد أن رخص السعر رخصاً  
ظاهراً ثم أراد ردها ، فمعموم كلام الأصحاب أن له الرد يشمل  
هذه الحال ، ومعموم كلامهم الآخر في قولهم : إذا تمذر الرد  
تعيين الأرض - يقتضى أنه في هذه الحال يتعين الأرض ،  
لتمذر رد المبيع على صفة وقت البيع ، لأن من أعظم أوصافه  
رغبة الناس فيه ، وارتفاع سعره .

فالذي أرى في هذه المسألة ، أنه ليس له الرد ، وإنما له الأرض للغيب على البائع ، أو يردها ويرد معها نقص السعر .  
وذلك لمدة أوجه ، منها : أن الشارع إنما مكّنه من الرد لأجل العيب الذي كان عند البائع ، ولم يمكنه لغيب يحدث عند المشتري ، أو لنقص سعر ، وهذا الراد لم يرده لأجل العيب وحده ، وإنما رده لأجل الأمرين ، وربما كان معظم مقصوده بالرد لأجل نقص السعر .

ومنها أن كلام الأصحاب مطلق ، ويتعين حمله على الرد الذي تكون السلامة بجاملها لم تتغير بنقص ذاتي أو عيباً أو تقويعي ، فكما أنه إذا نقصت ذات المبيع عند المشتري ، أو حدث بها عيب عنده ، فإن هذا النقص وهذا العيب إنما حدث على ملك المشتري ، ليس له أن يرده ، أو يحسبه على البائع ، فكذلك إذا نقص السعر .

ولا فرق بين هذه الأمور الثلاثة

ويؤيد هذا أن إطلاق كلامهم الذي لا يختلفون فيه ، أنه لا يرد السلامة لنقص السعر الحادث عنده ، وأنه لو شرط ردها لنقص السعر ، كان شرطاً لاغياً ، فحفظنا هذا العموم الموافق للمدل أولى من الأخذ بعموم كلامهم السابق .

ومنها : أنه لو اشترى شيئاً ، فوجد فيه عيباً قديماً ، وأراد رده بعدما أحدث عند المشتري عيباً جديداً ، لم يمكن من

الرد إلا إذا أعطى المشتري البائع أرض العيب الحادث ،  
فكذلك النقص الحادث عند المشتري لنقص السعر مثل  
حدوث العيب .

فإن قلت : قد صرح الأصحاب في « باب الغصب » أن  
على الغاصب ردّ المنصوب ، وردّ نقصه إلا إذا كان النقص  
نقص سعر ، فلا يردّه . قلت : هذا القول في غاية الضعف ،  
فإن الصحيح من القولين وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية  
أن الغاصب يضمن المنصوب من كل وجه حتى نقص سعره .  
فلو غصبه شيئاً يساوي ألفاً ، فردّه بعد نقص سعره ،  
فصار يساوي خمسمائة . فعليه خمسمائة لما نقص من سعره ،  
فهل من العدل أن الغاصب لا شيء عليه ، ولا يضمن شيئاً  
في هذه الحال ؟

ثم نقول : ليس من العدل أن يبيع سلعة تُساوي ثمنًا  
كثيرًا وقت المقد ، ثم إذا وجد فيها عيبًا بعد مدة ، وقد  
نزل السعر نزولًا فاحشًا أن يردّها مجانًا ، ونزول السعر إنما  
كان على نصيب المشتري بالاتفاق ، فكيف يعود النقص على  
البائع ؟ وإنما على البائع نقص العيب السابق للبيع فقط .

يوضح هذا ، أنه لو اشترى شيئًا يساوي مائة مثلاً ، ثم  
زاد السعر ، وغلّت السِّلْعُ ، فوجد فيه عيبًا ، وأراد المشتري  
أرض العيب ، وأراد البائع ردّ المبيع الذي زاد عند المشتري

أضعاف أرشه ، فإنّ الأصحاب لا يمكنونه من ذلك ،  
ولا أحد يمكنه . ويقولون : الزيادة حصلت على ملك المشتري ،  
فهى له ، فله اختيار الأرض .

فإذا كانت الزيادة له ، فكيف لا يكون النقص عليه ،  
والجميع حادث في ملكه وعلى ملكه ؟

ومنها : أن في تمكين المشتري من الرد في هذه الحال بلا  
شئ إضراراً بالبائع ، إذ قوت عليه البيع أوقات الغلاء ،  
وفُرضَ المواسم ، والضرر مدفوع شرهاً . وأمّا ضرر المشتري  
الذى يجب دفعه عنه ، فهو نقص العيب ، فله عنه الأرض .

ومنها : أن التمكين المذكور يفتح باب النزاع والنخصام ،  
فقلّ أحدٌ يشتري سلعة ، ثم تكسّد عنده ، وينقص عنها  
نقصاً فاحشاً إلا تتبّع ما فيها من العيب ، وربما جعل ما ليس  
عيباً حيباً ، توصلًا إلى حصول غرضه من الرد حين حصلت .

ومنها : أن الأعمال بالثبّات ، والحيل على إبطال الحقوق  
باطلة . فإذا عرفنا أن قصد المشتري من الرد إنما هو لأجل  
كساد الشئ عنده ورخصه ، لا لأجل العيب وحده ، أو لأجل  
الأمرين ، كان تمكينه من الرد لهذا الغرض غير سائغ ،  
وحيلة لا تتمشى على القواعد الشرعية .

ومنها : أنه إذا تمذّر الرد لتلف ، أو إتلاف ، أو تعيب ،  
أو تصرف يمنع الرد ، تعيّن الأرض .

وهنا تمذّر ردّ السّلمة بالحال التي هي عليها وقت العقد ،  
ونزلت قيمتها نزولاً فاحشاً ، فتمذّر ردّها كما هي ،  
فتمتّين الأرض .

فالذي ينبغي أن يُقال هنا : إما أن يقبل أرض العيب أو  
يردّها ، ويردّها معها نقص السعر ، أو يبذلها له البائع بمثلها ،  
سليماً من العيب إذا أمكن .

وهذه المسألة ، كلما تأملها البصير حق التأمل ، عرف  
أن هذا هو الصواب الذي لا ريب فيه : والله أعلم .

ش ١٨ - إذا باع بعيراً ، وشرطه أجرب ، ولكن باعاً  
بيع الصحيح ، فتبيّن أنه أجرب ، فهل له الخيار ؟

ج - هذا فيه تفصيل ، إن كان شرطه أنه أجرب مثل  
ما يفعل بعض الناس ، يشربون شروطاً توهيماً للمشتري ،  
يعنى معناه : أنه لو تبين فيه جرب (تراك ما ترذه على) . فهذا  
لا يفيد الشرط ، لأنه معلوم عندهما أنه ما شرط جرباً حقيقة .  
وأما إذا قال : تراها جرباء ، وتكلم معه كلاماً صحيحاً ،  
وبين له أنها جرباء ، فهذا هو الشرط الذي يلزم .

والدليل على أن الشرط الذي ذكرت غير مقصود ،  
أنه باعها بيع الصحيحة ، فلو أن المشتري فاهم من البائع أنه  
أجرب حقيقة ، ما شراه مُشتري الصحيح ، فمثل هذا الشرط  
الذي لا يقصد ، لا عبرة به . والله أعلم .

س ١٩ - إذا وجد عيباً في الدابة وردّها ، فهل له نفقتها مدة مقامها عنده قبل الرد ؟

ج - إن الأصحاب رحمهم الله صرحوا أن المشتري يملك المبيع ، ولو كان فيه خيارٌ شرط ، أو خيارٌ عيب ، أو غيرها من الخيارات ، وأنه يترتب على ملكه له أن نفقته عليه ، سواء انتفع به ، أو لم ينتفع ، كما أنه لو تلف قبل رده ، فإنه يتلف على المشتري ، لأن الخراج بالضمان ؛ فكما أن منافقته في هذه المدة للمشتري ، فصارقته وتلفه عليه ، إلا إذا دلّس البائع على المشتري العيب وكتّمه ، ثم تلف ، فإنه يذهب على البائع ، لأنه كتّمه وغرره .

وَمُقْتَضَى هَذَا لِلتَّعْلِيلِ أَنَّهُ لَوْ أَنْفَقَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْمُدَّةَ ، وَقَدْ دَلَّسَ عَلَيْهِ الْبَائِعُ ، وَكْتَمَهُ الْعَيْبَ ، وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ الْمَشْتَرِي مِنْ غَيْرِ مَقَابَلَةِ انْتِفَاعٍ ، أَنَّهُ يَرْجِعُ بِالنَّفَقَةِ . لَسَكُنِي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا صَرَّحَ بِهَذَا . وَأَمَّا ظَاهِرُ كَلَامِهِمْ ، فَإِنَّهُ يَشْمَلُ هَذِهِ الصُّورَةَ ، وَأَنَّ النَّفَقَةَ عَلَى الْمَشْتَرِي ، وَلَوْ كَانَ مَدْلَسًا عَلَيْهِ .

س ٢٠ - إذا أقر الوكيل دون الموكل بالعيب الممكن حدوثه ، فهل يقبل ؟

ج - قال في « الإقناع » : فإن كان العيب مما يمكن حدوثه ، فأقر به الوكيل ؛ وأنكره الموكل ، لم يقبل إقراره على موكله .  
أقول : وعند أبي الخطاب : يقبل إقرار الوكيل هنا . وهو الموافق للقواعد ، لأنه يتعلق فيما وكل فيه .

س ٢١ - إذا اختلفا عند من حدث المييب ،  
فمن يقبل قوله ؟

ج - قال الأصحاب : وإن اختلفا عند من حدث المييب ،  
مع احتمال قول كل منهما ، فالقول قول المشتري

أقول : هذا من المفردات ، والصحيح قول الجمهور أن  
القول قول البائع ، لأنه منكر ، والمشتري مُدَّعٍ ، وَأَضْعَفُ  
أفراد هذه المسألة قوله : ومنه لو اشترى جارية ... الخ .

س ٢٢ - عن كُوفِ الأُمَّةِ محرمة على المشتري ،  
ليس بعيب ، إذا كان التحريم خاصًا به ؟

ج - ذكر في « الإقناع » أن تحريم الأُمَّةِ على المشتري ليس  
بعيب ، إذا كان التحريم خاصًا به كأخته من الرضاع ... الخ .  
أقول : ظاهره ولو كان قصده التَّسْرِي ، ودلَّت الحال  
على ذلك . والأوَّلَى أن له الخيار في هذه الحال .

س ٢٣ - إذا ردَّ المييب ، فأنكر دافئمه أن يكون  
عين ماله الذي دفعه . فما الحكم ؟

ج - إذا حصل التقابضُ بين المتعاضدين للشئ والمثمن ،  
ثم ردَّ أحدهما على الآخر ما قبضه لدعوى عيب أو غيره ،  
وأنكر الآخر أنه المييب التي انتقلت ، فالقول قول المنكر ،  
ولا فرق في ذلك بين ما كان ثابتًا في الذمَّة قبل ذلك ،  
أو غيره ، ولا فرق بين ما فيه خيار الشرط ، أو غيره ،



نقوله صلى الله عليه وسلم :

« الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي ، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ » .

ومعلوم أن المدعى هو الراد ، فعليه أن يأتي ببينة أن هذا الذي رده بعيب أو نحوه هو الذي قبضه ، وإلا فالقول قول المنكر يمينه .

ولو قبلنا قول الراد في خيار الشرط أو في الشرط أو في الثابت بالذمة قبل ذلك ، كما هو قول متأخرى أصحابنا ، لخالفنا هذا الحديث ، ولحصل بذلك فساد وشر ، فإنه لا يشاء أحد أن يقبض الشيء ، ثم يُبدله بعيب ناقص ، ويدعى أنه هو عين ما قبضه من صاحبه ، إلا فعل . وفي هذا فساد كبير . والقول الذي صححناه هو الذي عليه العمل عند أغلب الحكماء ، أو عندهم كلهم ، وهو أحد الوجهين للأصحاب . والله أعلم .

س ٢٤ - عن قول الأصحاب :

ويقبل قول قابض في ثابت في الذمة .

ج - قال الأصحاب : ويقبل قول قابض مع يمينه في

ثابت في الذمة الخ .

أقول : والصواب أن القول قول المنكر أن المبيع غير المردود ، معينا كان أو في الذمة ، وهو الذي ينطبق عليه « البينة على المدعى ، واليمين على من أنكر » .

س ٢٥ - إذا قطع المبيع لقصاص أو سرقة قبل البيع ، فهل هو كالعيب الحادث عند المشتري أم لا ؟

ج - قال الأصحاب : وإن قطع المبيع عند المشتري لقصاص أو سرقة قبل المبيع ، فكما لو عاب عنده ، أى المشتري ، على ما تقدم . أقول : فى هذا نظر ظاهر ، بل الصواب : فكما لو عاب عند البائع ، لأن السبب وجد عنده .

س ٢٦ - هل الحمل والطلع زيادة متصلة أو منفصلة ؟  
ج - هذا السؤال فيه عدة تفاصيل ، فإنه إن كان الحمل والطلع موجوداً وقت الشراء ، فهو داخل فى المبيع ، سواء وضع الحمل ، وجد الثمر أم لا .

وإن كان وقت الشراء غير موجود ، ثم وجد ، وجد الثمر ، ووضع الولد قبل الرد ، فهو نماء منفصل محض لا شك فى ذلك .

وإن كان وقت الشراء غير موجود ، ثم حدث بعد العقد ، واحتيج إلى رده قبل وضعه وجدته :

فهذه كلام الأصحاب فيها مختلف ، بعضهم كالقاضى وابن عقيل يرى أنها منفصلة ، وبعضهم كالموفق يرى أنها متصلة تُردّ مع المبيع ، ولا تكون باقية للمشتري .

وهذا هو الصحيح فى مسألة الرد بالعيب ، خاصة لوجوب ردّ المبيع بما اشتمل عليه . وأما فى بقية الأبواب ، فإلى الآن لم يتضح لى القول الصحيح . والله أعلم .

س ٢٧ - عما إذا قال : أشركني . . عالمًا بشركة الأول ، فله الربع أو النصف ؟

ج - قال الأصحاب : وإن لقيته آخر ، فقال : أشركني . وكان الآخر عالمًا بشركة الأول ، فشرکه ، فله نصف نصيبه وهو الربع . وإن لم يكن عالمًا ، صح وأخذ نصيبه كله ، وهو النصف . ا هـ

أقول : قولهم : وإن لم يكن عالمًا الخ ، فيه نظر ، و غاية الأمر اعتقاد الآخر حصول جميع نصف الشيء له ، واعتقاد المشرك أنه ليس له إلا نصف نصيبه وهو الربع ، فلأى شيء يكون له الجميع ، وهو غير داخل بلفظه ولا بذيته ؟ ا

س ٢٨ - عن ثبوت الخيار في صور التخيير بالثمن ؟  
ج - قال في شرح « الإقناع » : وما ذكره ، أى : الماتن من ثبوت الخيار في الصور الأربع ، إذا ظهر الثمن أقل مما أخبر به البائع ، تبع فيه « المقنع » وهو رواية حنبل . ا هـ .  
أقول : وهى الصحيحة الموافقة للقواعد والمقاصد .

س ٢٩ - قول الأصحاب : إذا تخالفا في قدر الثمن ، وكانت السلعة تالفة ، رجما إلى قيمة مثلها .

هل مرادهم بالقيمة وقت التلف أو الفسخ أو العقد ؟  
ج - مرادهم بذلك قيمتها يوم العقد الذى يزعم كل واحد منهما أنها داخله فى ملك المشتري بالثمن الذى ادعاه .  
فإن الخلاف إنما مناطه ومُتعلقه فى ذلك الوقت .

وأما يوم التلف ويوم الفسخ ، فلا دَخَلَ لهما في ذلك ، ولا ريب فيه . والله أعلم .

س ٣٠ - عن حكم الاختلاف في عين المبيع أو قدره ؟  
ج - الصحيح أن الاختلاف في قدر المبيع أو عينه ، كالاختلاف في الثمن ، يتحالفان ويتفاسخان .

س ٣١ - الذي يمنع بيع الطعام بمد قبضه حتى يحوزه إلى رحله ، هل هو مصيب أم لا ؟

ج - هذه المسألة معروفة ، ومعروف الخلاف فيها ، وأن المذهب في الطعام المبيع بكيل أو وزن ، أنه إذا كيل أو وُزِنَ ، فهذا قبضه ، وأنه يجوز بيعه ولو لم يحُزْه إلى رَحْلِهِ . وُحُجَّتْهم في هذا مفهوم الحديث الصحيح ، أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الطعام حتى يستوفيه .

وهو في «الصحيح» . والاستيفاء : هو كيله أو وزنه . والآخرون المانعون من بيعه حتى يحوزه إلى رحله أيضاً يحتجّون بالحديث الصحيح ، أن الناس أو التجار كانوا يُنْهَوْنَ عن بيع الطعام حتى يحوزوه إلى رحالهم . وهو يقتضى أنه سواء كيل أو وزن ، أو كان مبيناً جزافاً . وهذا أحوط وأولى . وإذا حمل أهل المذهب هذا الحديث الأخير على الكراهة ، والأول على الجواز ، حصل الجمع بين الحديثين ، والله أعلم بالصواب .

س ٣٢ - إذا تنازع البائع والمشتري ، أيها يكيل ، فأيهما يقبل ؟

ج - يقدم قول البائع ، وهو الذى يتولى الكيل ، إلا إن أثبت المشتري أن فى كيل البائع خطأ ، فليوكل البائع من هو مرتضى عند الناس أو عندهما ، وذلك أن الكيل والوزن ومؤونة ذلك على البائع ، ولهذا قال تعالى :

﴿ وَيَلُ لِّلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوا لَهُمْ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (١) .

فأضاف الكيل إلى البائع . وقال صلى الله عليه وسلم :

« إِذَا بَعْتَ فَكَيْلٌ ، وَإِذَا ابْتَعْتَ فَكَتْلٌ » .

يعنى إذا كنت أنت البائع ، فَكَيْلٌ أنت للمشتري ، وإذا ابتعت يعنى اشتريت فَكَتْلٌ . يعنى أن البائع يكيل لك ، وليس معناه : اكتل بنفسك أيها المشتري .

فتبين أن الذى يتولى الكيل البائع ، حيث لا مانع ، ومع التراضى أيها كالم ، جاز .

س ٣٣ - قولهم : وإن قبض المبيع بكيل جزافاً مصداقاً لبائمه فى كيله ، برئ البائع من عهده ، ولا يتصرف فيه قبل اعتباره لفساد القبض . فهل هو وجيه ؟

وهل يدخل الأكل فى التصرف فيه ؟

ج - إنه قد تقرر أن المبيع بكييل ووزن ونحوها ، لا يصح التصرف فيه قبل قبضه بكييل أو وزن أو عدًّا أو ذرع .

فإذا قبضه بذلك ، صح تصرفه فيه . وإذا لم يقبضه بذلك ، بل قبضه بمجرد تصديق البائع ، من غير علم من المشتري بكييله ووزنه أو نحوها ، فقبضه هذا تضمن أمرين :

أحدهما : أنه كالإقرار من المشتري أنه حقه حيث صدق البائع ، فبرئ البائع من التهمة ، بحيث لا يصير كالذي لم يقبضه المشتري أصلاً يكون عهده على البائع . بل زال الضمان عن البائع بتصديق المشتري ، هذا من جهة نفسه .

والأمر الثاني : من جهة غيره ، لا يتصرف فيه ببيع ونحوه قبل اعتباره ، لتعليق صحة بيعه على قبضه الصحيح المعلوم ، وهذا مجرد تصديق للبائع ، فلم يتحقق الشرط الذي هو العلم بقبضه بالكييل ونحوه ، والمراد بالتصرف المتنوع منه قبل اعتباره : هو البيع ونحوه .

وأما الأكل والشرب والاستعمال ، فلا بأس به ، لأنه استعمال لا تصرف فيه ، ولم يبق للبائع فيه علقه ؟

بخلاف البيع الذي شرط فيه خيار للبائع ، فإن المشتري ممنوع من التصرف والاستعمال إلا للتجربة . والله أعلم .

س ٣٤ - إذا أراد أن يودع شخصاً مكيلاً أو نحوه ، فامتنع المودع إلا بقبضه بكييل ونحوه ، ثم اشتراه المودع بعد مدة .

فهل يكفي القبض الأول، أم لا؟ وهل يفرق بين ما كان متميزاً، أو في ذمة المودع، بأن خلطه بماله بإذن؟

ج - القبض المذكور، هو قبض اللوديمة. فلو اشتراه المستودع بعد ذلك وهو باقٍ على حاله، لم تختلف فيه الأيدي ولا هو من الأشياء التي تزيد أو تنقص عند مضي المدة. فإذا اشتراه بما علمه من ذلك السكيل على هذه الصفة، جاز، ولا يحتاج أن يعيّد كيله؛ لأنه معلوم لهما، وقد علمنا أيضاً أنه لم تختلف فيه الأيدي التي يكون بها عرضة للنقص، ولا هو من الأشياء التي تزيد وتنقص بمضي المدة فلو اختل شرط بما ذكرنا واشتراه، فلا بد من اعتباره إذا كان الشراء بكيل. فإن كان جُزافاً، جاز من دون اعتبار. وأما إذا أُذن له أن يخلطه بماله على وجه لا يصير به شريكاً، فإنه لم يبق وديعة، بل هو دين من جملة الديون تثبت له أحكام الديون. فإذا اشتراه في هذه الحالة، كان ييماً للذئب على من هو في ذمته، فيجوز بشرطه، وهو أن لا يجرى بين الموضين ربا النسبئة، وأن يقبض عوضه قبل التفريق.

س ٣٥ - إذا اشترى طعاماً بكيل، وكال عشرة أصع ووزنها، ثم أخذ الباقي وزناً مثل العشرة. فهل يجوز؟

ج - أما المشهور من المذهب، فلا بد من اعتبار الجميع بمعياره الشرعي، وبالذي سُمي به العقد، ويمتلون ذلك بالجهالة.

وعلى هذا القول ، فالتحريم في مثل هذه المسألة التي جهالتها يسيرة جدًا ، أخفت مما جهالته كثيرة ، وهذا معنى ينبغى التفطن له ، وهو أن الأصحاب - رحمهم الله - ذكروا تحريم جميع الصنور والمسائل التي فيها جهالة . ولكن التحريم يتبع كثرة الجهالة وقتها . فما كثرت جهالته ، دخل في أمور الميسر دخولاً ظاهراً ، وصار من كبائر الذنوب ، ولهذا كان هذا النوع مما لا يوجد فيه خلاف ، إلا خلافاً شاذاً لا يُعتبر .

وما قلت جهالته ، فإنهم وإن قالوا : لا يحل ولا يجوز ، فلا يلحق بالأول بأنه من كبائر الذنوب ، بل تحريمه عندم أخفت . وهذا النوع يكثر التنازع فيه بين أهل العلم .

ومنهم من يُدخله في الضرر ، فيمنعه نظراً لمجرد الجهالة ، أو حسماً وسدّاً للذريعة ، ومنهم من يجيزه ، لأن جهالته لا تُدخله في القمار ، والحاجة تدعو إليه كثيراً ، وما دعت إليه الحاجة وهو لا يُخالف قاعدة شرعية مخالفة بيّنة ، فالشارع من حكمته ورحمته لا يُحرّمه . فهذه أصول ما أخذ أهل العلم ، ومسألتكم من النوع الأخير .

والذي أرى : إذا كان الطعام جنساً واحداً ، فلا بأس به ، وهو أحد القولين في المذهب ، والوزن في الغالب أزيد تحريراً من الكيل في الأشياء التي من جنس ونوع واحد ، بخلاف ما إذا كان بعضها ثقيلاً وبعضها خفيفاً ، فإن التفاوت بين كيلها ووزنها ظاهر . والله أعلم .



س ٣٦ - ما حكم ضمان المقبوض بعقد فاسد ؟

ج - قال الأصحاب في المقبوض بعقد فاسد :

إنه مضمون على القايض كالمَنْصوب .

أقول : واختار الشيخ تقي الدين أن المقبوض بعقد فاسد غير مضمون ، وأنه يصح التصرف فيه ، لأن الله تعالى لم يأمر برد المقبوض بعقد الربا بعد التوبة ، وإنما رد الربا الذي لم يُقبض ، ولأنه قبض برضا مالكة ، فلا يُشبهه المنصوب ، ولأن فيه من التسهيل والترغيب في التوبة ما ليس في القول بتوقيف توبته على رد التصرفات الماضية ، مها كثرت وشقت . والله أعلم .

س ٣٧ - هل وعاء المشتري كيده ؟

ج - قال في « الإقناع » وشرحه : ووعاؤه كيده ، ولو اشترى منه مكيلاً بعينه ، ودفع إليه الوعاء ، وقال : كاه ، فإنه يصير مقبوضاً . قال في « التلخيص » : وفيه نظر . اهـ . قال في الهامش : ولعل وجهه أن قولهم : وعاؤه كيده ليس كذلك ، إذ لم يخرج عن حوزة البائع .

أقول : وفيه نظر من وجه آخر ، فإنه لو اشترى منه ربوياً بربوياً من جنسه ، أو ما يشترط فيسه القبض ، فسلمه وعاءه على أنه نائب عنه في القبض ، لم يصحح ، لفوات الشرط الشرعي .

س ٣٨ - عن التصرف بما يبيع جزافاً قبل قبضه ؟  
ج - قال الأصحاب : ويحصل القبض في صبرة بنقلها ،  
لحديث ابن عمر : كنا نشترى الطعام من الركبان جزافاً ،  
فنهانا النبي صلى الله عليه وسلم أن نبيعه حتى ننقله . ا هـ .  
أقول : الحديث صريح في دلالاته على القول الآخر ، أنه  
لا يصحّ التصرف بما اشتراه جزافاً إلا بعد نقله ، وهو إحدى  
الروايتين عن أحمد .

س ٣٩ - قولهم : ويتميز ثمن عن ثمن بباء البدلية ،  
فهل هو وجيه ؟ وهل هو خاص في بيع الأعيان ،  
أو يتناول جميع البيوع ؟

ج - مرادهم بذلك بيع الأعيان ، وما في الذم .  
وهذا القول على إطلاقه فيه نظر ، ولذلك قال كثير  
من المحققين : إن الثمن هو أحد التقديين إن كان أحدهما  
نقدًا ، سواء دخلت عليه الباء ، أو دخلت على المعوض  
الذي هو الثمن .

فلا فرق على هذا القول الصحيح [بين] أن يقول : بعتك  
شاة بدرم أو دينار ، أو : بعتك دينارًا أو درهما بشاة .  
ولكن لما كان الغالب أن الباء إنما تدخل على الثمن ،  
قال من قال من الأصحاب إنه يتميز بالباء على كل حال ،  
كما هو المشهور من المذهب .

ولا فرق على هذا القول بين كون البيع حاضرًا ، أو بدين ،  
كقوله : بعتك دينارًا بعشرين صاعًا بُرًّا ، فالثمن عندهم  
هو البر ، ولكن الصحيح ما ذكرنا : إن كان أحد العوضين  
تقدًا ، فهو الثمن مطلقًا ، وإن كان العوضان غير التقديين ،  
كالبُرِّ بالشاة وبالعكس ، فيتوجه القول بأن الثمن ما دخلت  
عليه الباء . والله أعلم .

س ٤٠ - إذا قال : أقلنى وأنظرك في الثمن ، فهل  
فيه محذور ؟

ج - لا محذور فيه إذا عيّن مدة الإمهال ، فكأنه جعل  
للثمن أجلًا معينًا ، وإن كان لم يُعين للإمهال مدة ، لم يصح ،  
لأنه يصير كأنه قرض جرّ نفعًا ، وهذا كله على الصحيح .  
وأما على قاعدة المذهب ، حيث لم يُجوزوا الإقالة بأكثر  
من الثمن ، فإن ذلك لا يجوز ، لأن المدة المذكورة زيادة  
عن الثمن الذي وقع عليه العقد .

باب : الربا والصرف

س ١ - ما حكم الربا ؟

ج - قال في « الإقناع » وشرحه : وهو ، أى : الربا  
محرم إجماعًا . قال في هامش النسخة : إجماعًا : أى : فى الجملة ،  
بدليل أنه لا ربا بين السيد وعبده ، وفى رواية : ومكاتبه  
أيضًا . وبدليل ما نقل صاحب « الفروع » عن الموجز رواية  
إباحته فى دار الحرب .

أقول : ولا حاجة إلى هذا الاستدراك ، لأنه إذا حصل الإجماع على أصل الشيء لم يضّر الاختلاف في بعض الفروع ، كما في كثير مما حكى فيه الإجماع .

س ٢ - ما هي العلة المؤثرة في الربا عندكم ؟

ج - ليس عندي شيء أقطع به قطعاً ، لأن الخلاف كما مرّ عليكم فيها كثير ، وليس ثمّ نصّ في التعليل يُوجب المصير إليه ، ولكن العلة التي ذكر الأصحاب - رحمهم الله - [وهي] أنه يجري الربا في كل مكيل وموزون : قريبة ، وعلّما بعض المالكية بتعليل حسن نقلته منذ ستين للأخ عبد العزيز العبد الله ، وربما يكون موجوداً عنده . وأيضاً ما ناب عن النقدين كالورق المتعامل فيه في هذا الزمان ، حكمه كالنقدين في جريان الربا والزكاة وغيرها من الأحكام .

س ٣ - ما حكم الربا بين عبد وسيّده ؟

ج - استثنى الأصحاب من تحريم الربا :

[ ما ] بين العبد وسيّده .

أقول : الأولى عدم استثناء شيء من الربا ، لأن رقيقه القن إذا حامله ، فهو صورة لا حقيقة ، مع أن الأولى عدم التشبه بالربا ، لثلا يدعو إلى فعله حقيقة ، وأما تمجيل بعض الكتابة وإسقاط الباقي ، فالصواب أنه ليس ربا ، ولا محذور فيه .

س ٤ - ما معنى قولهم : الجنس ماله اسم خاص وما مثاله ؟

ج - أما قول الفقهاء : الجنس ما له اسم خاص ، يشمل أنواعاً ، فمثلاً البُرُّ جنس يدخل فيه أنواعه : لقيمي ، ممية ، حنطة . والتمر جنس وأنواعه : الشقر ، السكرى ، الحلاء ، أم حمام . . . إلى آخرها . فإذا بيع البر بالبر ، ولو من نوع آخر ، كاللقيمي بالمية ، وجب فيه التماثل والقبض قبل التفرق . وكذلك إذا بيع شقر بسكرى ، وجب فيه الأمران المذكوران . وأما ينع البر بالشمير ، فهما جنسان ، فلا يُشترط إلا التقابض قبل التفرق .

وأما المكيلات ، فقد نصّ عليها الفقهاء ، الحبوب كلها والأدقة والمائعات ، فكلها مكيلة ، إذا بيع بعضها ببعض ، وكان الجنس مختلفاً ، كالبر بالدهن مثلاً ، جاز التفاضل ، ووجب التقابض ، لأن العلة واحدة ، وهي الكيل .

س ٥ - قولهم : اللحم والشحم والسكبد إلخ أجناس .. هل هو وجيه ؟

ج - أما قولهم : واللحم والشحم والسكبد إلخ أجناس فإنه وجيه ، لاختلاف الاسم والمعنى والمقصود بالمدكورات .  
س ٦ - إذا [كال] الإنسان على آخر مائة وزنة تمر ، وأراد أن يأخذ عنها نخلة ، فهل يصحح ؟

ج - الأصل أن ذلك لا يجوز ، لأن هذه المزابنة التي نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه يدخل في المزابنة بيع ثمرة النخل على رؤوسها بتمر حاضر أو في الذمة ، كله واحد .

ولم يُرخص النبي صلى الله عليه وسلم إلا في المرابا عند الحاجة إلى أخذ الرطب وأكله طرياً، وليس عند المشتري ثمن يشتري به سيوى التمر، وباعه بخرصه تمرًا لحاجته للمقيظ، فهذا يجوز، وسواء كان التمر الذى يشتري به حاضرًا أو فى الذمة، لكن بالشرط المذكور: أن لا يكون عنده ثمن يشتري به، وهو محتاج للرطب، فيما دون خمسة أوسق.

س ٧ - إذا اشترى مائة صاع بُرّ إلى أجل، ثم قبضها منه، وأراد أن يُبدّلها بشمير، فما الحكم؟

ج - وإذا اشترى من رجل مائة صاع بر إلى أجل، ثم قبضها منه، جاز له أن يبدّلها منه بشمير، أو بعضها كذلك، لعدم المحذور.

س ٨ - إذا جعل فى لزا القليب عشرة أصع فلم تزرع، فأمرناه بأخذهن من النخل، فهل يأخذ التمر عن العيش، أو يبيع التمر ويشتري به عشرة [أصوع]، أو يبيع التمر ويمطيه ثمنه؟  
ج - يجوز فى هذه الحال ما اتفقا عليه، فيجوز أن يأخذ تمرًا عن البر أو دراهم أو ثمن التمر، بشرط ألا يتفرقا وبينهما شيء.

وحديث ابن عمر المشهور: كنا نبيع الإبل بالتقيع بالدراهم فنأخذ عنها الدنانير، وبالدنانير فنأخذ عنها الدراهم، فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

« لَا بَأْسَ بِذَلِكَ ، إِذَا لَمْ تَفْتَرِقَا وَيَبْنِكُمَا شَيْءٌ »

فهذا تمويض مما في الدمة بغير جنسه ، ولا محذور منه ،  
ولكن مع التراضى ، فإذا اختار أحدهما الأصل ، وهو عشرة  
[أصوع] ، واختار الآخر التمويض ، رجع إلى من يختار  
الأصل . والله أعلم .

س ٩ - هل يجوز بيع العيش بالسمن ، وأحدهما  
غير مقبوض ؟

ج - هذا ذكره الأصحاب ، رحمهم الله ، في المختصرات  
والطوولات في باب الربا ، وأن كل شيئين اتفقا في علة الربا  
وهي الكيل أو الوزن ، فلا يحل بيع أحدهما بالآخر ،  
إلا بشرط القبض لسكل منهما قبل التفرق . والسمن مكيل ،  
والعيش مكيل ، فلا بد من التقابض بين الطرفين .

س ١٠ - هل يجوز بيع السمن ، أو العيش ، بثمره النخل ؟

ج - نعم ، يجوز بشرطه ، وهو أن المتعاقدين لا يتفارقا  
حق بتقابضا ، فإذا قبض منه السمن أو العيش ، ومشى  
هو وإياه إلى النخلة التي جعلت عوض ذلك ، حصل الشرط ،  
وصح البيع ، لأن المذكورات كلها مكيلات ، ولكن الجنس  
مختلف . فهذا النوع وما أشبهه لا يشترط له إلا شرط واحد  
وهو التقابض قبل التفرق ، ولا فرق بين بيمة : كيلا  
أو وزنا أو جزافا .

س ١١ - هل يجوز بيع القرع والبطيخ واللحم بعيش

أو تمر ، نسيئة ؟

ج - نعم يجوز ذلك . أما اللحم ، فلأنه موزون ، والمبش  
والتمر مكيل ، وبيع المكيل بالموزون نسيئة يجوز ، وبالعكس .  
وأما القرع والبطيخ ، فن باب أولى وأخرى ، لأنه  
لا يجرى فيها ربا الفضل ، ولا ربا النسيئة ، لا إذا بيعت  
ببعضها ، ولا إذا بيعت بغيرها . والله أعلم .

س ١٢ - قولهم : ولا يصح بيع قرع بأصله ، كتمر  
بدبس . هل هو وجيه ؟

ج - هو وجيه ، وهو داخل في عموم النصوص المانعة  
من بيع الجنس بجنسه ، إلا يداً بيد ، مثلاً بمثل . والدقيق  
بالحب مانع من التأمل .

ولما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع التمر  
بالرطب ، فقال : « أَيْنُقْصُ إِذَا جَفَّ ؟ » .

قالوا : نعم . فنهى عن ذلك .

فالدقيق بلا شك يزيد بطحنه . والله أعلم .

س ١٣ - إذا باع زيتاً ونحوه من المحروقات ، بعيش

أو تمر إلى أجل . فما الحكم ؟

ج - لا يجوز إلا يداً بيد ، لأن الحبوب كلها مكيلة ،  
والمائعات كلها مكيلة ، مثل الديزل والزيت ، وبيع المكيل  
بالمكيل لا يجوز ، إلا يداً بيد ، ولو كان من غير الجنس ،  
فلا يصلح بيعها بعيش أو تمر إلا مقابضة من الطرفين .



س ١٤ - [هل] العجوة المتجيلة من الموزون ؟

ج - قال في «الإفناع» وشرحه : وللتساوي بين الجبن والجبن بالوزن ، لأنه لا يمكن كيّله ، وكذلك الزبد والسمن . قلت : ومثله العجوة ، إذا تجبلت ، فتصير من الموزون ، لأنه لا يمكن كيّلهما . اهـ .

أقول : يتعين أن مرادم بالتمر إذا تجبلت ، بيع بعضها بيمض بالوزن ، لأنهم علّوا هذا بعدم إمكان كيّلهما ، لا بيعها بمكيّل تمر أو برّ أو نحوهما نسبيّة ، كما هو صريح النصوص الشرعية . والله أعلم .

س ١٥ - هل يجوز لأحد المتصارفين أن يوكل أحدهما

في قبض العوض عن نفسه ؟

ج - إذا تصارفا ، لم يجز لأحد المتصارفين أن يوكل الآخر في قبض العوض ، لأن الشارع شرّط التقابض منهما قبل التفرّق ، ولسكن يوكل غيره في ذلك .

س ١٦ - هل يجوز أخذ الرّيال العربي بفرنسي ،

ويُسّاحه في الباقي ؟ وهل يُجوّزه شيخ الإسلام ؟

ج - هذا لا يجوز ، ولا يجوّزه شيخ الإسلام ، ولا غيره من الأصحاب ، لأنه مخالف للأحاديث الصحيحة ، حيث اشترط النبي صلى الله عليه وسلم في بيع الفضة بالفضة ، أن يكون وزناً بوزن ، مثلاً بمثل ، يدّاً بيد .

ومعلوم الفرق بين العربي والفرنسي ، وكل منهما نوع بانفراده ، وليس هذا الذي ذكره هبة ومسامحة ، وإنما هو معاوضة ، فإن هذه المسألة ليست بمنزلة من له على إنسان مثلاً مائة ريال فرنسي ، فأخذ منه تسعين فرنسيًا ، وسمح له عن الباقي ، فإن هذا هبة محض . ولكنه بمنزلة من له على آخر عيش حنطة أو لقيمي أو ممية غير مرغوب ، فأراد أن يعطيه من النوع الآخر المرغوب أقل منه عن الذي عليه ، كأن يعطيه عن عشرين صاع حنطة خمسة عشر لقيميًا ، ويقول : هذا بمحض حقك ، وسامحتك عن الباقي ، فإنه أخذ الأقل عن الأكثر ، للترغيب الخاصة أو العامة ، وهذا معاوضة ، لا يجوز .

س ١٧ — قوله في « المنتهى » :

ويقوم الاعتياض عن أحد التقدين وسقوطه عن ذمة أحدهما مقام قبضه ، هل هو وجيه أم لا ؟

ج - نعم وجيه ، لأن الاعتياض عنه قبض وزيادة ، لأنه مثلاً إذا اشترى ديناراً بعشرة دراهم ، وأعطاه الدرهم ، وأخذ الدينار أو أخذ عوضه مثلاً طعاماً أو عروضاً ، فقد سقط الدينار عن ذمته ، وصار عوضه المذكور هو الواجب له .

لكن إن كان الطعام أو العروض معيناً لا يحتاج إلى حق توفيقية ، فقد ملكه بالمقد ، وصح تصرفه فيه . وإن كان موصوفاً في الذمة ، صار ديناً بدين ، لا بد من قبضه في المجلس ،

فقدم ذكرهم للقبض في المجلس ، لأن فيها هذا التفصيل المذكور . وأما سقوطه عن ذمة أحدهما ، فالأمر فيه ظاهر .  
س ١٨ - إذا افترق المتصارفان قبيل القبض ، وقد وكل أحدهما من يقبض له ، فهل يصحح ؟

ج - لا يصح ذلك ، لأن الماقيدين اللذين عقدا قد افترقا ، والوكيل لا يقوم مقام موكله في مجرد القبض فيما قبضه شرط لصحته . فإذا أراد الصحة ، فليوكل الوكيل بعقد وبقبض ، فإذا وكله في ذلك حصل المقصود ، وزال المحذور .

س ١٩ - ما حكم المعاملة بالأنواط ؟

ج - أما بيعه ديناً إلى أجل ، فهو ممنوع ، وأما بيعه إلى غير أجل ، فلا بأس به ، سواء بزيادة أو نقصان ، أو قبض أو غيره ، فقط لا يصير إلى أجل .

س ٢٠ - ما حكم الأنواط ، وبأى نقد تلحق ؟

ج - أما الأنواط ، [فهي] أنواع : إما نوط ربية ، فحكمه حكمها في كل شيء في الزكاة والربا وغيرهما .

ومنها أنواط دينار ، وهو نوط العراق ، ومنها نوط جنبيه إنجليزي ، فهذه حكمها حكم الذهب في كل شيء .

وقد ذكرنا اختلاف أهل العصر فيها ، وأن الصواب الموافق للأصول والقواعد الشرعية هذا القول .

والله يتولانا وإياكم بتوفيقه ولطفه .

س ٢١ - ما حكم الأنواط (أوراق النقد) المتعامل بها الآن؟

ج - يتحرّر الجواب عنها بفصلين :

### الفصل الأول

في وجوب الواجبات بها، مثل الزكاة والنفقات وغيرها ، وليس الإشكال المسؤول عنه في حكم هذا الفصل ، فإن أحدًا من أهل العلم لا يشك ولا يستريب أن من ملك نصاب زكاة وحال عليه الحول تجب عليه الزكاة . وكذلك تجب فيها الكفّارات المالية ، والنفقات على النفس والزوجات والأقارب والماليك من الآدميين ، أو البهائم . كما يجب على المستطيع بها الحج ، وأداء الديون التي لله ، أو للآدميين .

وكذلك من عنده ما يحصل به الغنى منها ، لا يحلّ له أخذ الزكاة ونحوها ، وذلك لأنها من الأموال الداخلة في النصوص الموجبة لهذه الأمور ، مثل قوله تعالى :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ،

وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ (٢) .

ونحوها من الآيات .

ومثل قوله صلى الله عليه وسلم لِمُعَاذٍ ، حين بعثه

إلى اليمن :

(٢) البقرة : ٢٦٧

(١) التوبة : ١٠٤

« فَإِنْ هُمْ أَطَاعُواكَ لَذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً ، تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيُنَائِهِمْ ، فَتَرُدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ »  
فإنها من الأموال ، ومما يحصل به الغنى .  
ومثل قوله تعالى :

( لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ،  
وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ، فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ) (١)  
ونحو ذلك . وهذا واضح ، لا إشكال فيه ولا خلاف .  
الفصل الثاني

هل يجري فيها الربا أم لا ؟  
وهذه المسألة هي التي اختلفت فيها أنظار أهل العلم .  
فمنهم من أجراها مجرى الشكوك ، وبينها ويبيع الديون  
التي في الذمم ، فمنع المعاملة بها رأساً .  
وهذا مع ما فيه من الضيق والحصر الذي لا تأتي به  
الشريعة ، ليس له دليل صحيح ، ولا مأخذ قوي .  
ومنهم من أجراها مجرى النقدين ، وحكم عليها بحكم الذهب  
والفضة ، نظراً للقصد ، فإن المقصود بها أن تكون بدلاً من  
الذهب والفضة ، فأوراق الدينار بمنزلة الدينار ، وأوراق الدرهم  
بمنزلة الدرهم ، فيُشترط فيها على هذا القول ما يشترط في  
النقدين ، فإذا بيع نوط الفضة بنوط الذهب ، أو بيع بالذهب ،  
اشترط التقابض من الطرفين .

(١) الطلاق : ٦ .

وإذا بيع نوط الفضة بمثله أو بفضة ، ونوط الذهب بمثله ،  
أو بذهب ، اشترط له شرطان : التماثل في الوزن ، والقبض  
قبل التفريق .

وهذا القول عند التأمل يتضح ضعفه ، ويعلم أنه لا يتحقق  
فيه الشرط الشرعي ، وهو الوزن وتماثله ، إذا بيع بمثله من  
الأوراق أو بمثله من النقدين . وفيه أيضاً ضيق شديد يُنافي  
ما جاء به الشرع ، ويوجب على من اعتقده أمرين :  
إما أن يضيق على نفسه وعلى غيره بالمعاملة ، إن التزمه ،  
وعمل به . وإما أن يتجرأ به على الوقوع في الحرام ، إن  
اعتقده ، ولم يعمل به ..

وهذا المأخذ الذي أخذ به صاحب هذا القول ، من  
أن المقصود من الأوراق هو المقصود بالنقدين : صحيح .  
ولكن هذا القصد لا يكفي في المنع وجريان الربا ؛ بل  
لا يدفع ذلك أن يكون داخلياً في النصوص الشرعية ؛ فإن  
الشارع إنما نصّ على الذهب والفضة ، وعلّق عليهما أحكام  
الربا ، واشترط فيهما التماثل إذا اتفقا في الجنس مع القبض ،  
واكتفى بالقبض قبل التفريق من الطرفين إذا اختلف الجنس .  
وقد علم أن الأوراق ليست ذهباً ولا فضة ، فكيف  
ثبت لهما أحكامهما ، فلم بذلك أنه يتمين أن الصواب هو  
القول الثالث . وهو أنه لا يحكم لها بأحكام النقدين .

ونهاية الأمر ، أن يحكم عليها أحكام الفلوس الممدنية ، يمنع فيها أن يباع حاضر منها بمؤجل ، وما سوى ذلك فإنه جائز ، فيجوز مثلاً بيع أنواط للفضة بأنواط من فضة ، أو بفضة ، متماثلاً أو متفاضلاً ، بأن يبيع ألف درهم من الأوراق بألف وعشرة نقداً ، وبالعكس ، وبأقل ، ويجوز التحويل فيها من بلد إلى بلد آخر ، سواء حوّلت الأوراق على أوراق ، أو على نقد . كل ذلك جائز . وهذا القول هو الذي تكثر عليه الدلائل ، وبه يحصل التعامل والتوسعة فيها ، وذلك لأن الأصل في البيوع والمعاملات الحل ، كما قال تعالى :

﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾<sup>(١)</sup>

وقال : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وهذا شامل لكل بيع وتجارة جارية بين الناس . فمن منع شيئاً من ذلك ، فعليه الدليل ، ولا دليل على المنع في هذه المسألة .

وأيضاً ، فقد استفاضت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في تحريم الربا في النقدين الذهب والفضة ، واشترط إذا بيع بمثله التماثل والتقابض ، وإذا بيع جنس منها بآخر : الشرط الأخير . وهذه الأوراق والأنواط ليست ذهباً ولا فضة ، لا شرعاً ، ولا لغة ، ولا عرفاً .

(٢) النساء : ٢٩ .

(١) البقرة : ٢٧٥

فكيف نلحقها بالذهب والفضة ، بمجرد أنه يقصد بها ما يقصد بالذهب والفضة ، أن تكون قيم العروض وغيرها ؟ أرايت ، لو حصل بدل الذهب والفضة لؤلؤ أو جوهر أو أمتعة ، واتفق الناس على المعاملة بها ، هل يحكم أنها ذهب وفضة ؟ كذلك هذه الأوراق .

وأيضاً الشارع أطلق الذهب والفضة ، ولا يمكن قياس غير الذهب والفضة [عليهما] في جريان الربا .

وإلا لأدخلنا في كلام الشارع ما ليس منه ، لأن الذهب والفضة يجري الربا فيهما في كل أحوالهما ، سواء كانت مضروبة أو تبرأ أو مجمولة حلياً ، فحكم الربا دائر معها حيث دارت . وأيضاً من الأدلة الواضحة أن الشرط الذي شرطه الشارع في بيع الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، وهو التماثل في الوزن ، لا يمكن في الأنواط ، والأنواط لا تساويها في شيء من هذه الأمور ، إلا أنها تُشبهها في التقويم فقط ، ولا يكفي هذا [في] القياس الصحيح ، حتى تماثلها من جميع الوجوه ، باتفاق الأصوليين .

فإذا بيع عشرة أنواط بمائة درهم فيه عشرة دراهم ، فهي مائة ريال عربي مثلاً . فهل يشترط أن تماثل مع الأريل في الميزان ؟ هذا لا يقوله ، ولا يمكن أن يقوله ، أحد . فعشرة الأنواط في الميزان يعادلها درهم واحد .



وكذلك إذا بيعت الأنواط بالأنواط ، نوط خمسة ، ونوط عشرة ، ونوط مائة ، يتقاربن في الحجم ، فيتمدّر فيها المائلة . وهذا واضح ، والله الحمد .

فحيث تقرّر وعلم لسكل أحد ، أن الأنواط ليست بنفسها ذهبًا ولا فضة ، وأنه لا يمكن أن يتحقق فيها ما شرطه الشارع في الذهب والفضة من جهة الوزن ، تعيّن القول بأنها بمنزلة العروض ، وبمنزلة الفلوس المعدنية ، وأنه لا يضرّ فيها وفي المعاملة بها الزيادة والنقص والقبض في المجلس أو عدمه .

ومع ما في هذا القول من التوسّعة على الخلق ، والمشى على أصول الشريعة المبنية على اليسر والسهولة ، ونفي الحرج ، وتوسيع ما يحتاج إليه الخلق في عاداتهم ومعاملاتهم .

نعم ، الذي لا يجوز شيء واحد ، وهو أنه لا يحلّ أن يبيع مثلا مائة منها حاضرة بمائة وعشرين مؤجلة ، كما لا يجوز ذلك في الفلوس المعدنية على أصحّ الأقوال . والله أعلم .

مس ٢٢ - عن مُناظرة بين ثلاثة في حكم الأنواط ؟

ج - قال أحدهم : إنه عرض ، له حكم سائر العروض .

وقال آخر : إنه نقد ، له حكم سكوته .

وقال ثالث : إنه سند ، ويبع للدين .

وكلّ منهم أبدى ما عنده من الاستدلال ليقف الناظر عليها ، ويُرجّح أقربها إلى الأدلة الشرعية والأصول الدينية .

قال صاحب العروض : عِنْدِي عَلَى مَا قُلْتِ عِدَّةُ أَدْلَةٍ وَبِرَاهِينٍ ،  
لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا إِلَّا أَنْ هَذَا هُوَ الْوَاقِعُ [ لِكْفِي ] . [ فَإِنْ ]  
الْثَّمَنُ هُوَ النَّوْطُ حَيْثُ اشْتَرَى بِهِ ، كَمَا أَنَّهُ هُوَ السَّلَامَةُ حَيْثُ  
اشْتَرَى بِهَا ، فَالْعَقْدُ وَاقِعٌ عَلَى نَفْسِ ذَلِكَ الْوَرَقِ ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ  
لِغَطِّهِ وَمَعْنَى وَإِنْ كَانَ قَدْ جُمِلَ لِرَوَّجَانِهِ وَرَغْبَتِهِ أَسْبَابٌ مُتَعَدِّدَةٌ .  
فَكَثِيرٌ مِنَ السَّلْعِ قَدْ يَكُونُ لِرَوَّجَانِهَا أَسْبَابٌ مُتَعَدِّدَةٌ ،  
كَمَا يَكُونُ لِضِدِّ ذَلِكَ أَسْبَابٌ ، فَالْعَقْدُ لَمْ يَقَعْ عَلَى ذَهَبٍ  
وَلَا فِضَّةٍ ، حَتَّى يَدْخُلَ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
« الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ رِبَاً إِلَّا هَاءُ وَهَاءُ ،  
وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ رِبَاً ، إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ ،  
وَزَنًا بِوَزْنٍ ، يَدًا بِيَدٍ » .

وَإِنَّمَا وَقَعَ عَلَى أَوْرَاقٍ يُخَالِفُ مِمْدِنَهَا الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ مِنْ  
كُلِّ وَجْهِ ، وَإِنْ وَاظَمَهُ فِي الشَّمَنِيتَةِ ، فَلَيْسَ فِي تِلْكَ الْمَوَافِقَةِ  
مَا يَوْجِبُ أَنْ يَجْرَى فِيهِ الرِّبَا ، وَأَنْ يَحْكَمَ فِيهِ بِحُكْمِ  
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .

كَمَا أَنَّ أَنْوَاعَ الْجَوَاهِرِ وَاللَّائِيَّ وَنَحْوَهَا لَوْ وَاظَمَتْ الذَّهَبَ  
وَالْفِضَّةَ فِي غَلَاثِمَا ، أَوْ زَادَتْ عَلَيْهِ ، لَا يَحْكَمُ عَلَيْهَا بِأَحْكَامِ  
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ . فَكَذَلِكَ هَاهُنَا . فَتَعَيَّنَ أَنَّهَا سَلَعٌ يَثْبُتُ لَهَا  
مَا يَثْبُتُ لِسَائِرِ السَّلْعِ مِنْ زِيَادَةٍ وَنَقْصَانٍ ، وَجَوَازِ بَيْعِ بَعْضِهَا  
بِبَعْضٍ ، مِمَّا تَلَا أَوْ مِمَّا ضَلَّ ، مِنْ جِنْسٍ أَوْ أَجْنَاسٍ .

يوضح هذا ، أن الأصل جواز المعاملات في العقود ، وأن من ادعى تحريم عقد أو معاملة ، فعليه أن يأتي بدليل يدل على التحريم ، وأدلة التحريم في جريان الربا إنما تدل على جنس الذهب والفضة ، ولا تتناول هذه الأوراق ، فتبقى على الأصل ، وهو حلُّ المعاملة ، حتى يأتي ما يخالف الأصل بدلالة واضحة يئنة ، وأتى لنا ذلك ؟

ويؤيد هذا أن منع المعاملة بها ، وجعلها بمنزلة بيع الدين ، بحيث لا تحلّ مطلقاً ، مع أنه قول لا دليل عليه ، ففيه من الحرج والضيق ، بل عدم الإمكان والتعذر ، ما يوجب أن نعلم علماً جازماً أن الشرع لا يأتي به ، ويضيق عليهم ما هم مضطرون إلى المعاملة فيه ، مع سمة الشريعة ويسرها ، وكونها صالحة لكل زمان ومكان .

فإنه لا يخفى أن جميع أقطار الدنيا ، إلا التزور اليسير منها ، كل معاملاتهم في هذه الأوراق التي تسمى الأنواط . . . فلو حُكِم لها بأحكام السندات والديون ، لتمطت المعاملات في هذا الوقت الذي تقتضى الأحوال وظروفها أن يخفف فيه غاية التخفيف . . .

وأيضاً فع هذا الضيق يقع التجرؤ والتوثب على المحرم ، والمعاملات الحبيثة ، لأن الذي يتدين بالشريعة إذا ظن واعتقد أن الشريعة تدل على تحريم المعاملة بها ، ومع ذلك يرى

ضرورته وضرورة غيره داعية ، بل مُلجئة إلى هذه المعاملات ،  
لم يصبر على هذا الضيق والشدة ، وخلع من نفسه خلة  
الورع ، فتجراً على هذا الذي يعتقد محرماً ، وانجراً به  
إلى عدة محرّمات ، لأن المعاصي آخذ بعضها برقاب بعض .  
وهذا معلوم بالحسّ والتجربة .

ومن الأدلة على أنها ليست بنقود ، بل عروض ، أن  
هذه الأوراق إذا سقطت حكومتها ، وانهارت دولتها  
وشركتها التي رفعتها وأعزتها ، بقيت لا قيمة لها ، لا [ قليلاً ]  
ولا [ كثيراً ] ، فعلم بالحسّ والمعنى أنها ليست بنقود ، وإن  
كانت قاعة مقامها في الثمنية موقتاً ، للسبب الذي ذكرناه .

فالحسك دائر مع علة ، فقد قامت مقام النقد في شيء ،  
وخالفته في أشياء . في ذاتها هي أوراق ، والنقد ذهب أو فضة ،  
وإذا انهار الأصل الذي أسسها لم يكن لها قيمة ، ولا لجوهرها  
عوض . ولا يمكن القياس مع هذه المخالفة ، لأن شرط القياس  
أن يستوى الأصل والفرع في علة واحدة من غير فارق بينهما .  
نعم ، لا تُنكر موافقتها للنقدين في وجوب الزكاة والنّصاب ،  
وحصول المقاصد ، كما تشاركها العروض في هذه الأمور .

ومن أدلة هذا القول ، أن المشهور من مذهب الإمام أحمد  
أن العلة في جريان الرّبا في النقدين ، كونها موزونين ،  
هو [ مفقود في الورق ، كما هو مشاهد .

فقال صاحب النقد :

وإن حكم كل نوط حكم نوط نقده في جريان الربا ، كما كان حكمه في الزكاة وغيرها .

قال : قد تقررت القاعدة الشرعية في مصادرها ومواردها : أن البديل له حكم المبدل ، وأن النائب له حكم من ناب عنه في جميع الأشياء . والناس لا يختلفون أن هذه الأنواع : الذهب والفضة قاعة مقام سكتتها ، وجارية مجاريها ، وحالة محالها ، وذلك عام في جميع الأبواب . فما الفرق [في] باب الزكاة الذي لا يختلف الناس فيه من باب الربا ، والشارع قد نصّ في البابين على النقدين ؛ إذ هما في ذلك الوقت وبمده بأزمان كثيرة سكة الناس وثمانيتهم .

فإذا قال القائل : إن الأنواع لا تدخل تحت قول النبي صلى الله عليه وسلم : « الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ » إلخ لأنها أوراق ، وما نصّ عليه ذهب وفضة ، فلا شيء لا يقول القائل : إنها تدخل في إيجاب النبي صلى الله عليه وسلم : الزكاة في مائتي درهم ، وفي عشرين ديناراً ، فيقول : هذه أوراق ، وليست بدراهم ، ولا دنانير ، فلا زكاة فيها .

ومن المعلوم أنه لا يمكنه القول بما يُخالف الإجماع ، فما الفرق بين البابين ؟ وأن التوط يجعل في باب الزكاة نائباً وبدلاً ، وفي باب الربا لا يجعل كذلك ؟

يوضح هذا توضيحًا جليًا أن الربا الذي حرّمه الله في كتابه ، وحرّمه رسوله ، وأجمع المسلمون عليه ، [ هو ] ربا النسيئة ، وكذلك ربا الفضل الذي حدده النبي صلى الله عليه وسلم بحدوده ، وشرط فيه التقابض مطلقًا ، والتماثل عند اتفاق الجنس . [ و ] يلزم على قول القائل : إن النوط عرض ، وليس بنقد ، أنه يرتفع عنه الربا بأنواعه : ربا الفضل والنسيئة ، بل وربما القرض في حلّ المعاملات ، لأنه إذا حكم لها بأنها عروض ، لزم من هذا جواز بيع بعضها ببيع ، حاضرًا أو غائبًا ، متماثلًا أو متفاضلاً .

والمعنى الذي حرّم الشارع الربا لأجله موجود فيها .

وكلُّ أحد لا يُفرّق بين بيع دينار بدينارين ، أو درهم بدرهمين . وبين نوط ربية بنوط اثنتين ، ونوط دينار بنوط اثنين . بل لا يفرق بين بيع عشرة دنانير نقدًا باثني عشر نوط دينار نسيئة .

فمهما قيل بجواز ذلك بالنوط ، حصل من المفسد من تعاطى الربا ، وما يترتب عليه من المضارّ ما تمنعه الشريعة .

يوضح هذا أن الأعمال بالنيات ، وأن الأمور الشرعية بقاصدها ومما فيها ، لا بألفاظها ورسومها . فالقصد من هذه الأنواط ، إنما هو أن تكون أمانًا بمنزلة الذهب والفضة ، ولو كان هذا القصد مدعومًا بالأسباب التي ذكرتها .

ولهذا إذا زالت الأسباب التي روجته أصبح كاسيداً ،  
وكلُّ يعرف أنه ليس القصد نفس الورق [ وجوهره ] ،  
وإنما [ تَمَنِّيَّتُهُ ] . فتبيّن أن نوط الريّة محكوم بأنه  
كسكّته ، وأن نوط الدينار كسكّته في الزكاة والربا وغيرها  
من الأبواب .

ومن أراد التفريق بينهما ، فعمله الدليل .

يوضح هذا أن كثيراً من الفقهاء ، ومنهم شيخ الإسلام  
ابن تيمية وابن القيم وغيرها ، قالوا :

إنّ العِلَّةَ في جَرَيان الربا في النقدين إنّما هي التَمَنِّيَّةُ ، وأنها  
قِيمُ الأشياء وأثمانها ، فلذلك نصّ الشارع عليها .

ولا يخفى أن التَمَنِّيَّةَ في الأنواط موجودة ، فتتمّ جَرَيان  
الربا فيها ، لوجود العلة .

وأيضاً فالأجوبة التي وجهتموها في تمذّر المعاملة وضيقها ،  
إنما توجه على قول من قال : إنّها كبيع الصُّكوك وما في  
الذمّم ، ونحن نوافقكم على ما فيها من الحرج والضيق ،  
وأن تنزيهاها على هذا الأصل في غاية الضعف ؛ ولكن  
قولنا : الذي به تتفق المقاصد الشرعية ، والأصول الصحيحة ،  
والإحكام والإتقان ، من غير ضرر ولا عسر .

وبالجملة ، فمن نظر إلى المعاني الشرعية ، وعرف الواقع ،  
لم يسترب أن النوط حاله حال الأثمان . والله أعلم .

فقال الثالث ، الذى يرى أن النوط حُكْمه حكم بيع  
الشكوك والديون فى الذم :

لا يخفى على من نظر إلى هذه الأوراق المسماة بالأنواط أنها  
فى نفسها لا تُسَمَّنُ ولا تُغْنى من جوع ، وليس لها قيمة فى ذاتها .  
وإنما حقيقتها أن الحكومات التى بَدَّتْها ، وأخذت نقود الناس ،  
قد تكفّلت بنفسها ، أو تكفّل بعض شركاتها ، بهذه الأوراق ،  
وأسسوا لذلك التأسيسات التى أمنت الناس ، وجعلتهم يُنقادون  
لذلك ، رغبة منهم ، وجعلت كل من أتى بورقة منها ،  
وأراد نظيرها من النقد ، سلمته إياه ، ولم تتوقف فى ذلك .

فتبيّن بهذا أنه دين على الحكومة التى كفلته ، وأنه ليس  
هو المقصود ، وإنما المقصود عوضه . فلا يجوز على هذا  
بيعه ، ولا شراؤه ، ولا الشراء به ، لأنه بيع لما فى الذم ،  
[ وهو ] بيع الشكوك ، وهى الوثائق التى فيها الديون على الناس ..  
فما الفرق بينها وبين أوراق الأنواط ، إلا فى سرعة الوفاء  
وبطئه ؟ فالديون التى فى الذم ، فيها أيضاً التفاوت بين  
الأمرين ؛ فتعيّن أنه يجب المدول عنها إلى غيرها ، ولو أحدثت  
من الضرر ما أحدثت ، فإن بعض المعاملات المحرمة يتوهم  
كثير من الناس أن فى تركها ضرراً .

أولاً : أن ذلك غير مسلم ، فإنه ما من أمر محرّم ،  
إلا وفى المباح غنية عنه وسعة .

ثانياً : أن من ترك شيئاً لله ، عوّضه الله خيراً منه .



فقال صاحب العروض لصاحب النقد :  
حاصل ما احتججتم به ، أن هذه الأوراق معانيها والمقصود  
منها مقصود النقادين ، وأنه يلزم من قولنا : إنها عرض ،  
ارتفاع الربا بأنواعه . فجواب هذا أنه لا حرام إلا ما حرّم  
الله ورسوله ، وما نصّ عليه ، أو كان في معنى المنصوص عليه  
من كلّ وجه ، وقد ذكرنا أنهما يتفقان في أشياء ، ويفترقان  
في أشياء ، فامتنع القياس .

وأما قولكم : إنه يلزم منه ارتفاع الربا بأنواعه :  
قلنا : لا يلزم منه ذلك ، فإن الربا يجري في الأشياء  
التي نصّ الشارع عليها ، وما كان مساوياً لها من كل وجه ،  
وهذه الأشياء ما زالت ، ولا تزال ، موجودة ، في كل عصر  
ومصر ، وزمان ومكان .

فالحكم يدور معها حيث كانت ، ولا يمتدّها إلى غيرها ،  
وما الأوراق في حكمها إلا بمثابة ما لو تعاطى الناس المعاملة  
بشيء من المتوجات ، أو الممولات ، أو الحيوانات ، التي لا يجري  
الربا فيها ، [ واطرد ] عندم أنها قيم الأشياء ، ونحن المبيعات .  
فهل ينتقل حكم الذهب والفضة إليها ؟

أم تقولون : إنه خاصّ بالنوط ، دون هذه الأشياء ؟  
[ وهذا ] تحكّم لا دليل عليه . فإمّا أن تجعلوا حكم الجميع  
واحدًا ، وإمّا أن تفرّقوا ، ولا سبيل إلى التفريق ، فتعيّن أن  
يكون حكمها واحدًا ، لا يجري الربا فيها ، وهو المطلوب .

قال صاحب النقد : قد بينا لكم أن هذه الأنواط تابعة في جميع مقاصدها وأحوالها للنقدين المضروبين ، وهذا أمر لا يحتاج إلى إيضاح ، فإن كل أحد يعرف أنها هي النقود والمثلن للأشياء . وأما الفرق الذي ذكرتموه أن معدنها غير معدن الذهب والفضة ، فليس العبرة بالرثسوم والأشباح ، وإنما العبرة بالممانى والأرواح ، فممانيتها متفقة ، ومقاصدها مؤتلفة . وما يراد بكل منها مشترك ، فالفرق العائد إلى رسومها وأشباحها التي لا تقصد بوجه ، لا عبرة به .

ولهذا قد اتفق الأصوليون أن العبرة في جميع القياسات والاعتبارات بالممانى والصفات المقصودة التي متى اتفقت اتفق الحكم ، ومتى اختلفت اختلف . ولهذا كان من القواعد الشرعية المقررة أن الشارع لا يفرق بين متماثلين ، كما لا يجمع بين متفرقين . وأما قولكم : إنه قد يقوم بهض العروض مقام النقد ، فجواب هذا : المنع ، وأننا لا نُسلم وجود شيء من العروض يقوم مقام النقدين في أحواله كلها ، بل ولا في كثير منها . وهذا خلاف النوط ، فإنه قائم مقامها في كل شيء ، بل الغالب الآن أن النقدين يروجان روجان السماع زيادة ونقصا ، والنوط أثبت منهما وأقرب إلى الثمينية ، وثبوت السعر ، فتعيّن أن [ يسكون ] لها حكم النقدين في جميع الأحكام ، كما قامت مقامه في كل المقاصد والأحوال . والله أعلم .

وبالجُملة ، فالمسألة دائرة ومُنحصرة في أحد هذين القولين :  
هل هو عروض ، أو حكمه كالنقد ؟  
وأما القول بأن حكمه حُكم بيع الدُّيون في الذَّم ، فقد  
تبين واتضح ضعفه .

فقال لهم رابع ممن رأى تكافؤ الدليلين ، دليل من يراه  
نقدًا ، ودليل من يراه عروضًا :

أرأيتم لو أن متوسطًا توسّط بين القولين ، وسلك طريقًا  
بين الطريقتين ، بأن حكم للأنواط حكم النقود في بيع النسيئة ،  
فمنع من بيع العشرة مثلاً باثني عشر إلى أجل ، لأن هذا هو  
ربا النسيئة الذي أجمع المسلمون على تحريمه ، واتفق المانعون  
أيضًا من ربا الفضل أنه أشد حرمة ، وأعظم إثمًا من ربا  
النسيئة ، وأجاز بيع بعضها ببعض حاضرًا ، وبدأ بيد ، سواء  
تباينت أم لا ، لأن تحريم ربا الفضل إنما كان لأجل أنه وسيلة  
إلى ربا النسيئة ، ولأن بعض العلماء أجازوه ، وإن كان محجوبًا  
بالأدلة الشرعية . لكن كون الأوراق غير نقود حقيقية ،  
ولأجل موضع الحاجة ، ربما صاغ أو تميم الأخذ بهذا .

فهذا القول المتوسط ، والتفصيل المذكور ، يمكن القول  
به ، مع مراعاة المعاني الشرعية .

وهذا ، كما رجّح كثير من الأصحاب مسألة بيع الفلوس  
بعضها ببعض حاضرًا بحاضر ، بدون شرط التماثل ، ومنع من

بيع بعضها بيمض مؤجلاً ، ومن يبيعها بأحد النقدين مؤجلاً ،  
والفلوس إلى النقدين أقرب من الأنواط إلى النقدين .  
يؤيد هذا أن بيع الأنواط بالأنواط إلى أجل ، هو بعينه  
الربا الداخل في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ (١)

فمفسدة بيع عشرة أنواط بائني عشر إلى أجل ، لا تنقص  
عن مفسدة بيع عشرة دراهم أو دنانير بائني عشر إلى أجل ،  
والمفسدة التي حرّم الشارع الربا لأجلها ، خصوصاً ربا النسبئة ،  
لا يمكن من له أدنى مسكة من عقل وتميز أن يُنكر وجودها  
بأكملها في بيع الأنواط بعضها بيمض ، أو بأحد النقدين  
نسبئة ، وتكاد تكون من الضروريات .

والمقصود أنه لو سلك سالك هذا التفصيل ، فراراً من ربا  
النسبئة ، وتسهيلاً للأمر ، بسبب شدة الحاجة إلى بيع بعضها  
ببعض بالقيم ، لا بالمسمى المرقوم عليها ، مع عدم النصّ  
القاطع على المنع في هذه الحالة - كان أقرب إلى الصواب .  
ومن مرجّحات هذا التفصيل ، أن ربا الفضل ، أبيع منه  
ما تدعو الحاجة إليه ، كسألة المرابا ، وأجاز كثير من أهل  
العلم بيع حليّ الذهب بذهب ، وحليّ الفضة بفضة ، متفاضلاً  
بين الحليّ والسكة ؛ جعلاً للصنعة أثرها من الثمنية والتقويم .

(١) آل عمران : ١٣٠ .

وغير خاف حاجة الخلق في هذا الوقت لهذه المسألة ، بل الاضطرار إليها في كثير من الأقطار التي يضطر أهلها على الجرى على القواعد المؤسسة عندهم في المعاملات التي لا يتمكن المعامل الخروج عنها . فالحاجة بل الضرورة ، مع كونه غير ربا النسبثة ، مع كونه الأنواع غير جوهر الذهب والفضة ، مع اختلاف أهل العلم في حكمها - مما يسوغ هذا القول ، بل يرجحه . والله أعلم .

س ٢٣ - إذا كنت أطلب من شخص نصف ريال عربي ، فأتاني بريال ، وقال : خذ حقك منه ، وردّ الباقي ، فهل يجوز ؟

ج - إذا كان الإنسان يطلب من آخر نصف ريال عربي ، فجاء إليه بريال ، وقال : خذ حقك منه ، وردّ عليّ الباقي ، فهو جائز ، سواء ردّ قروشاً أو ردّ نصف ريال عربي ، لأن الوزن وأحد النصفين منه ريال تحريراً .

س ٢٤ - إذا أراد أن يدين إنساناً ، فهل يقول : العشر اثنا عشر مثلاً ؟

ج - لا يقول : العشر اثنا عشر ، بل يكون البيع على سلعة خام أو غير خام ، يبيع مثلاً الذي يساوي مائة بمائة وعشرين أو بمائة وعشرة مثلاً .

س ٢٥ - ما هو قلب الدين ، وما حكمه ؟

ج - إعلم أن أشد أنواع الربا ، هو القلب المعروف عند الناس الذي إذا حلَّ على مدينه الدين قال له : إما أن تقضى ديني ، وإما أن تُرْبِي ، وبهذا أنزل الله تعالى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ (١) .

وهذا : الربا الصريح الذي لا يشكُّ أحد من المسلمين في تحريمه ، وأنه من أكبر الكبائر : وقد زين لكثير من الماملين الشيطان في هذا النوع أن يتحيلوا عليه بأنواع من الحيل ، حذرًا من شناعة صورته الصريحة - بأمر : منها أن يحلَّ له على مدينه دين ، والمدين ليس عنده ما يوفيه ، أو عنده موجودات كآلات الفلاحة وبهائها ، وهو لا يجب أن يبيع منها شيئًا لحاجة عمله إليها ، ويريد صاحب الدين الحال أن يقبله عليه ، فيقول له : اذهب إلى فلان ، واستقرض منه ما توفيني به إياه ، فإذا حصل الوفاء ديتك ، فتوفى المقرض من ذلك .

وقد يتواطؤ الثلاثة على ذلك ، وقد يقول صاحب الدين للمقرض : أقرضه وأنا ضامن لك ، أو يعلمه بصورة الحال ، فيثق المقرض بصاحب الدين .

وقد لا يقول شيئًا ، ولكنه متواطئ على أن يُقرض المدين ، فإذا صحح عليه ، ردَّ عليه قرضه .

---

(١) آل عمران : ١٣٠

فهذه الأمور كلها حِيل قريية لقلب الدين . والله يعلم ، بل والناس يعلمون ، أن القرض المذكور على هذا الوجه ليس قرصاً حقيقياً ، وأنهم يتوسلون بصورته إلى الربا . ولذلك لو طالب المدين من ذلك المحلل قرصاً حقيقياً يذهب بدراهمه ، ويستعملها في أغراضه ولوازمه : لم يُقرضه درهماً واحداً . فهذا الذي يسمونه قرصاً : إنما هو حيلة للتوسل إلى المحرم .

وجميع الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على تحريم الحِيل على إسقاط الواجبات ، واستحلال المحرمات : تدلّ على تحريم مثل ذلك . ونصوص الأئمة المحرمين للحِيل تتناول هذا . وكذلك فقهاء الحنابلة وغيرهم قالوا : تحرم جميع الحِيل المتوسل بها إلى المحرمات ، وصورتها أن يظهر عقداً صورته صورة مباحة ، ومعناه ومقصوده الحرام .

وهذه الحِيل المذكورة من أسهل الحِيل لكل أحد يريد قلب الدين على مدينه الموسر أو المعسر ، يقدر أن يتوسل إلى مراده بهذه الطريقة التي يعلمون جميعاً أنها غير مقصودة . فإن الله أوجب إنظار المعسر ، وهذه تُنافي ذلك .

ومن أنواع الحِيل المحرمة في قلب الدين ، أن يتواطأ اثنان على معاملة ثالث وتدينه ، فكما حلّ عليه دين أحدهما استدان من الآخر وكفله ، وليست هذه الكفالة الصحيحة

التي يُصحّحها الفقهاء ، لأنه لم يكفل إلا بهذا الشرط المعروف بينهما . فهذا رباً صريح يتداوله الفريقان .

ومن أنواع الحِيل القريبة المستعملة في قلوب الذين أنه مثلاً إذا حلّ عليه مائة لا وفاء لها ، وأراد أن يدينه أيضاً مائة ، جعل مصلحة المائة الجديدة مضاعفة ، فإن كانت المصلحة عَوَض العشرة اثني عشر ، جعل الجديدة عَوَض العشرة أربعة عشر مثلاً ، مراعاةً للمائة الحالّة ، والمدين يلتزم بذلك لاضطراره .

فالواجب على العبد أن يتقَى الله في أحواله كلها :

{ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ،

وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ } (١)

وأن يكتفى بالحلال عن الحرام ، ولا يتحيل على محارم الله بأدنى الحِيل . ونسأل الله أن يعصمنا وإخواننا المسلمين من كل شرٍّ - إنه جواد كريم .

س ٢٦ - عن قلب الدين وغيره .

ج - قال رحمه الله في خطبة له :

أما بعد ، أيها الناس : اتقوا الله تعالى ، والزموا طاعته في العبادات والمعاملات ، فإن من لزم التقوى في معاملاته ، جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ،

---

(١) الطلاق : ٢ و ٣



ورزقه من حيث لا يحتسب . ومن تجاوز الحلال إلى الحرام ،  
فقد تمدى الحدود ، وتجراً على المآثم ، وأذن الله ورسوله  
بالمحاربة ، إن لم يتب من هذه المظالم .

فأعظم أنواع الربا قلب الدين على المدينين ، سواء فعل  
ذلك صريحاً أو تحميلاً ؛ فإنه لا يخفى على رب العالمين . فن  
حلّ دينه على غريمه ، أزم بالوفاء ، إن كان من المقتدرين ،  
ووجب على صاحب الحق إنظاره إن كان من المعسرين .

فلو قال له : لا أرضى أن يبقى مالى فى ذمتك بلا مصلحة ،  
فإما أن تستدين منى وتوفينى الدين القديم ، أو تقترض لى ،  
[ لأجدد ] ذلك الدين بعد الوفاء - فقد تجرأ على إثم عظيم .  
فإن المقصود بذلك مضاعفة فى ذمة المدين بذلك التحيل  
الذميم ، فإنه لولا قصد الوفاء ما استدان منه ديناً جديداً ،  
ولو علم المقرض أن قرضه لا يحصل له عاجلاً ، لما أقرضه  
قليلاً ولا كثيراً .

فاحذروا البهجة على من هو بكل شىء عليم ، وإياكم  
وهذه المعاملات الذميمة الموجبة للمحقق والمذاب الأليم ،  
فائقوا الله ، وأجملوا فى طلب الرزق الحلال ، ولا يحملتكم  
الجشع والطمع على معصية الكبير المتعال . وعليكم بالتيسير ،  
وحسن المعاملة ، ولا تنسوا الفضل بينكم بالإحسان ،  
والإنظار ، والمماثلة .

فرحم الله عبداً سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترى ،  
سمحاً إذا قضى ، سمحاً إذا اقتضى .

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً ، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ ، أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ ،  
وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّبَهُ اللَّهُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،  
فَلْيَنْفُسْ عَنِ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعِ عَنْهُ » .

(وكان رجل يُبدان الناس ، فيقول لعلامة : إذا أتيت  
ممسراً ، فتجاوز عنه ، لعل الله أن يتجاوز عنا . فلقى الله ،  
فتجاوز عنه . )

وقال : « خَيْرُ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قِضَاءً » .

وهو الذي يُبادر بقضاء ما عليه ، ولا يُماطل ، ولا يقضى عن  
الحقّ الذي عليه شيئاً رديئاً أو ناقصاً ، وذلك لسوء قصده وحاله .  
فاجتهدوا - رحمكم الله - في الدخول في دعوة  
سيد المرسلين ، وذلك بالمعاملة الحسنة الصادقة والإحسان ،  
إن الله يحب المحسنين .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا  
أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ (١) .

س ٢٧ — هل من صور بيع الدين بالدين ، أن يتصارفا ما في ذمتيهما ، من غير إحضار أحدهما .

ج — عُدَّ في « الإقناع » من بيع الدين بالدين : لو كان لكل واحد من اثنين دين على صاحبه من غير جنسه ، وتصارفا ، ولم يحضرا شيئاً ، فإنه لا يجوز .

أقول : والصحيح جواز المقاصة ، ولو اختلف الجنس ، لعدم الدليل على منعه ، والأصل : الجِلُّ ، وليس فيه محذور شرعي .

س ٢٨ — ما معنى التنبيه ؟

ج — فسر في شرح « الإقناع » التنبيه بأنه : عنوان بحث يُفهم مما قبله .

أقول : لو قالوا : عنوان بحث يتعلق بما قبله ، كان أولى من قولهم : يُفهم ، إذ لو فهم ما احتيج إليه .

باب : بيع الأصول والشمار

س ١ — هل يدخل في بيع الدار مفتاحها ؟

ج — قال الأصحاب : ولا يدخل مفتاح الدار معها .  
أقول : فإن كان العرف جارياً بدخول المفاتيح ، دخلت بلا ريب ، لأن العرف كالشرط ، مع أن الوجه الآخر دخول المفاتيح مطلقاً .

س ٢ - إذا باعه شجرة ، فبادت ، هل يملك غرس بدلها ؟  
ج - قال في « الإقناع » : وإن باعه شجرة ، فله تبقيتها  
في أرض البائع ، فلو انقلعت أو بادت ، لم يملك إعادة غيرها  
مكانها . أقول : فلو انقلعت وخلفت وديّة ، نظرنا ، فإن  
كانت موجودة وقت ملكة للأم ، بقيت في الأرض حتى  
تبيد ، بلا أجر ، لأنها مبيمة ، وإن لم تنبت إلا بمد دخول  
الأم في ملكه ، فهي له أيضا محترمة ، وتبقى بأجرة المثل ،  
أو يملكها صاحب الأرض .

س ٣ - عما إذا اشترط بائع الشجرة [ ثمرتها ] ، فليكل  
السقي لمصلحته ، ولو تضرّر الآخر ، ومؤنته على من طلبه ؟  
ج - قال الأصحاب : ولبائع سقى ثمرته لمصلحته ، ولمشتر  
سقى ماله إن كان ، أي : السقي لمصلحة ، ولو تضرر الآخر ،  
وأيهما التمس السقي فؤنته عليه .

أقول : فلو تحقق حاجة الأصل والثمره إلى السقى ،  
وامتنع أحدهما من السقى ، لقصد انفراد الآخر بسقيه مجانا ،  
فقتضى القواعد إلزامه بالسقى والمشاركة ، وعليه من النفقة  
بقسط ماله ، كما في تصليح الميون والأنهار والآبار والحيطان  
المشركة ، وكما في الإنفاق على المحتاج للنفقة من حيوانات  
وغيرها مشتركة ، فكل مشترك : نماؤه للشركاء ، ونفقته عليهم ،  
ونقصه عليهم . هذا أصل جامع .

س ٤ - ماذا يدخل في قولهم :

يثبت تبعاً ما لا يثبت استقلالا ؟

ج - يعني أن كثيراً من المسائل لها حكم إذا كانت تابعة لغيرها ، ولها حكم إذا انفردت بنفسها ، مثل منع الشارع بيع الثمرة قبل أن تحمرّ أو تصفرّ ، فإذا احمرّ شيء منها جاز بيعه ، وبيع بقية الثمرة التي لم تحمر تبعاً للذي بدا صلاحه . وصوّرها كثيرة جداً .

س ٥ - ما حكم بيع الثمرة والزرع قبل صلاحها لمالك الأصل ؟

ج - أجاز الأصحاب بيع الثمرة قبل بُدوّ صلاحها ، والزرع قبل اشتداد حبّه ، لمالك الأصل .

أقول : والصحيح أن بيع الثمرة لمالك الأصل ، وبيع الزرع لمالك الأرض قبل بُدوّ الصّلاح : ممنوع ، لعدم الأدلة ، ووجود المعنى الذي حرّم لأجله .

وكونه مالكا للأصل أو للأرض لا يمنع بقاءه على المنع .

س ٦ - نمو الخشب بعد مدة شرط قطعه فيها ، لمن يكون ؟

ج - قال الأصحاب : وإن أحرّ المشتري قطع خشب اشتراه مع شرطه ، أي : القطع ، فما ، وغلظ ، فالبيع لازم ، ويشتركان في الزيادة .

أقول : وإن تأخر قطع خشب النخ . التحقيق أن للزيادة تكون للبائع ، لأن المشتري إنما دخل على شراء الخشب الموجود وشرط قطعه ، فتأخيره لقطعه محض تمدد ، لا يسوغ له المشاركة في الزيادة . وهذا واضح جدًا . فعلى هذا يقوم وقت البيع ووقت القطع فيما بينهما ، فكلاهما للبائع . وهنا وجه آخر حسن قاله بعض الأصحاب ، وهو أنه كله للمشتري ، لكن عليه أجرة الأرض ، والأصل مدة نهوه . لكن الأول أحسن .  
س ٧ - هل يجوز بيع الثمرة قبل بدو صلاحها ، لمالك الأصل ؟

ج - الصحيح أنه لا يجوز بيع الثمرة قبل بدو صلاحها ولو لمالك الأصل ، لعدم الحديث ، ولأن المعنى الذي نبه عليه الحديث ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم :  
« أَرَأَيْتَ إِنْ مَنَعَ اللَّهُ الثَّمَرَ ، فَبِمَ يَسْتَحِلُّ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ ؟ » موجود في هذه المسألة .

وأما قولهم : لحصول التسليم للمشتري على الكمال ، فإنه ممنوع ، فإنه لا يتم الكمال إلا باستكمال الثمرة .

س ٨ - إذا اشترى شجرة وعليه ثمر للبائع ، فهل يُجبر أحدهما على تمكين الآخر من سقي ملكه ، مع الحاجة ؟

ج - ذكر ابن رجب في القاعدة (٧٦) عن القاضي فيمن اشترى شجرة وعليه ثمر للبائع ، أن أحدهما إذا طلب السقي

لحاجة مِلْكِهِ ، أُجبر الآخر على التمكين لدخوله على ذلك ،  
وتكون الأجرة على الطالب ، لاختصاصه بالطلب دون صاحبه ،  
وهذا يشمل ما إذا كان نفع السقي راجعاً إليهما .

وعلّل ذلك في « المغنى » بأن السقي لحاجته . وظاهره  
اختصاصه بحالة عدم حاجة الآخر ، فإن النفع إذا كان لهما ،  
كانت المؤنة عليهما ، كبناء الجدار . انتهى المقصود منه .

وهذا يقيد إطلاق الأصحاب ، رحمهم الله ، في هذه المسألة  
المذكورة في «باب: بيع الأصول والثمار» حيث قالوا: ولكلّ  
السقي حاجة ، فيتوهم المتوهم أن الآخر ليس عليه شيء مطلقاً ،  
وهذا الكلام الذي ذكره في «القواعد» يزيل الإشكال والله الحمد .  
ثم ذكر أيضاً بعد هذا بيسير عبارة تدلّ على ذلك ،  
فقال : وذكر القاضى وابن عقيل فيما لو وصى بثمر شجر  
لرجل وبرقبته لآخر ، أنه لا يُجبر أحدهما على السقي ، لأن  
أحدهما لم يدخل على حفظ مال الآخر ، يدل عليه أن بائع  
النخل بعد تشقق طلعه قد دخل كلّ منهما على حفظ مال  
صاحبه ، لأن المشتري ينقذ الثمن بسبب أن الثمرة للبائع  
مبقاة ، والبائع كذلك ، لأن الثمرة له مبقاة . والله أعلم .

س ٩ - الذى يمنع من بيع المشتري ثمرة النخل قبل  
الجذاذ ، ويحتج بحديث : « نُهِيَ عَن رَيْحِ مَا لَا يُضْمَنُ » .  
فهل هو وجيه ؟

ج - قد علمتم المذهب في هذه المسألة ، وهو المذكور في كتب الأصحاب المتأخرين من « المنتهى » و « الإقناع » وغيرها ، وأن هذا جائز لا بأس به ، وهذا مذهب جماهير العلماء ، وقول من أدركنا من مشايخنا ومشايخهم ، وهو الصحيح الذي ليس في النفس منه شيء ، وعموم الأدلة الدالة على بيع المملوكات تدلّ على صحّته ، وليس في منعه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث صريح .

وأما من منعه ، واحتجّ بحديث : نهى عن ربح ما لم يضمن ، فإنه لا يدلّ على هذه المسألة ، إنا يدلّ على منع بيع الأشياء التي تحتاج إلى حقّ توفّية ، كبيع المكيل قبل كيّله أو الموزون قبل وزنه ، أو بيع ما في الذمّ قبل قبضه ، فهذا الذي يدلّ عليه الحديث ويتناوله ، لِكَوْنِهِ لم يحصل القبض الصحيح .  
وأما بيع المشتري للثمرة فهو جائز ، وقد حصل له القبض الصحيح ، وقد خلى البائع بينه وبينه ولا يوجب كون ضمانه على البائع منع المشتري من بيعه . ونظيره من كل وجه : من استأجر شيئاً ، فإن ضمان المنافع المستأجرة على المؤجر . ومع ذلك فالمتأجر أن يؤجرها لغيره بمثل الأجرة أو أقل أو أكثر . والثمرة مقبوضة قبضاً صحيحاً ، ولولا أنها تحتاج إلى سقي وبقية تنمية ، لكانت بمنزلة غيرها المقبوضة حتى في الضمان . فهذا القول هو الصحيح ، إن شاء الله .



والتقول الآخر في منع المشتري من التصرف فيه هو رواية  
عن أحمد ، ويحتجّون بعموم هذا الحديث ، ولكن كما ذكرنا  
لا دلالة فيه بيّنة ، والأصل في المعاملات الصّحّة ، إلا إذا نصّ  
الشارع عليها نصّاً بيّناً ، أو دخلت في قاعدة من قواعد  
المعاملات الفاسدة ، كالربا والغرر ونحوهما . والله أعلم .  
س ١٠ - إذا اشترى نخلاً خرصاً ، ثم أراد أن يبيع  
منه ، وهو في رؤوس نخله ، فهل يجوز ؟

ج - لا بأس بذلك إذا اشتراه شراءً صحيحاً ، ثم أراد  
بيعه ، فلا محذور في ذلك ، إلا في مسألة واحدة ، وهي لو اشتراه  
من صاحبه نقداً ثم باعه عليه بأكثر من ثمنه نسيئة مؤجلاً ،  
كما لو اشتراه من صاحبه بمائة حائلة ، ثم باعه على صاحب النخل  
بمائة وعشرة مؤجلاً ، فهذا من العينة المنهي عنها .

س ١١ - إذا باع رجل على آخر ثمرة نخلة [وقبضها] ،  
وقال البائع : بعض [منها] ، فهل يجوز ذلك ؟

ج - إذا كان قد قبض من المشتري الأول ، ثم أراد أن  
يشترى البائع من المشتري بعد ذلك فلا بأس . وإن كان قد  
باعه إياه نسيئة ، ثم أراد أن يشتري من النخل أو بعضه  
نقداً بأقل مما باع به نسيئة ، فهي مسألة العينة .

وإن كان قد باعه إياه بثمن حال ، لم يقبض ، واشترى  
منه بمثله أو أكثر ، فلا بأس .

وإن اشترى منه بأقل ، فعلى المذهب : لا يجوز .

وفيه رجه لبعض الأصحاب بالجواز ، وهو الذى عليه عمل الناس ، ولا أرى فى هذه الأخيرة محذوراً .  
وأما إذا باعه شيئاً ، تمرّاً أو غيره ، نقداً أو نسيئة ، ثم قال :  
أقلنى ولك كذا وكذا دراهم أو [ تمرّاً ] ، أو غيره ، فالمشهور من مذهب الإمام أحمد ، رحمه الله ، أنه لا يجوز .  
بل إذا أقله أخذ ما دفعه من الثمن من غير زيادة ولا نقص .  
وفيه رواية عن أحمد اختارها كثير من الأصحاب ، أن ذلك يجوز ، وليس فيه من محاذير الربا شيء ، فالصواب جوازه .  
وأما بيع التمر بالنوى ، فذلك لا بأس به ، كما نص عليه الأصحاب ، رحمه الله ، فى « المتهى » و « الإقناع » وغيرها لأن النوى الذى فى التمر تابع غير مقصود ، فليس من مسألة مدّ عجوة .

س ١٢ - إذا اشترى من إنسان ثمرة نخل ، وقبضه الثمن ، أو سقط وفاء عن ذمته ، فهل يجوز بيع الثمرة عليه إلى أجل ؟  
ج - لا يجوز بيعه عليه إلى أجل بأكثر من ذلك الثمن ، وهى مسألة المينة ، وعكسها ، فإنهم ، وإن لم يقصدوا بالبيع الأول البيع الثانى ، ولكن يكون ذريعة ووسيلة إليه .  
والوسائل إلى الربا ممنوعة .

س ١٣ - رجل باع نخلاً بأصله ، واستثنى منه نخلتين بأرضهما ، لأجل الفرس بعد فنائهما ، فهل الاستثناء صحيح ؟

ج - هذا السؤال يفسر بأمرين :  
أحدهما : أن يستثنى البائع النخلتين بأرضهما من البيع المذكور ، ويجوزهما ، ولا يشترط على المشتري سقيا ، ولا استحقاق ماء ، فهذا لا محذور فيه بوجه ، وجوازه ظاهر ، لأن المبيع معلوم ، والمستثنى معلوم .

والأمر الثاني : وهو الذي يغلب على الظن أن السائل أراده : أن يبيع الرجل ملكه المشتمل على النخل والبئر وغيرها ، ويستثنى منه نخلتين [ بأرضهما ] ، ويشترط على المشتري أن لهما ماء وأنهما مسقيتان ، إذا تلفتا غرس في أرضهما غيرها ، ويبقى استحقاقهما من الماء على حاله ؛ فهذا أيضا لا محذور فيه ، لأنه عبارة عن استثناء الأرض بما فيها من النخلات ، واستثناء قسطها من ماء البئر ، فهو استثناء معلوم .

فشكل استثناء معلوم ، فهو جائز .

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الثنيا ، إلا أن تعلم .  
فإن شرط مع ذلك أن المشتري يلتزم بسقيها مجانا ، الموجودات وما وضع بمدها ، كان هذا الشرط فاسدا ، للفرق الكثير ، والجهالة التي لا تنضبط . والله أعلم .

س ١٤ - إذا وجد مُشْتَرِ النخلة فيها [ عيبٌ ] لا يبلغ الثلث ، فهل له المطالبة به ؟

ج - نعم له المطالبة ، لأنه لا يعتبر بلوغه الثلث .

س ١٥ - إذا باع ثمرة نخل ، وتعيب مقدار ثلثه بمساجج أو غيره ، فهل يوضع عن المشتري أم لا بد من الثلث فأكثر ؟  
وإذا اشترى نخلاً جزافاً ، فهل يجوز أن يبيع فيه وزناً قبل نقله أم لا ؟

ج - إذا تعيبت الثمرة بعد ما باعها على المشتري ، فالجائحة موضوعة عن المشتري ، كما دلّت عليه الأحاديث الصحيحة . ولا فرق بين الربع والثلث ، بل والخمس والسدس ، إلا للشيء اليسير الذي لا ضرر فيه ولا نقص . وإذا اشترى ثمرة النخل جاز أن يبيعها جزافاً ، وجاز أن يبيعها بوزن ، ولو قبل أن يخوزها إلى عملّه ، لأن قبضها حصل بالتخلية بين المشتري وبينها ، وليست مما يحتاج إلى حقّ توفيقية . والله أعلم .  
س ١٦ - هل تثبت الجائحة في الزروع ؟

ج - الصحيحُ ثبوت الجائحة في الزرع ، كما ثبتت في الثمار ، لعدم الفرق بينهما . والمشهور من المذهب اختصاص ذلك بالثمار ، وما صحّحناه هو اختيار المجد في « المحرر » وغيره .  
وشيوخ الإسلام ابن تيمية .

س ١٧ - هل يجوز بيع الخضرة التي فيها بطيخ وذرة وتوابع ذلك ، وقد بدأ صلاح بعضه دون بعض .

ج - أما بيع الذرة ونحوها من الحبوب قبل بُدوّ صلاحها ، فإنه لا يجوز ، وصلاحها اشتداد حبّها ، فإذا خرج

الفلاح لفلاح آخر ينزل الآخر منزلته ، حصل التثمين لما في الأرض من خضرة علف وبطيخ ، ولو لم يَبْدُ صلاحه ، وجعلت الدرّة ونحوها من الحبوب بسهم مزارعة بالذى تساوى .

وأما التحيّل لتثمين الخضرة وتوابعها بأكثر من ثمنها ، ثم يجمالون للعبوب سهماً ضعيفاً عسيراً ونحوه ، فهذا حيلة ، لا يجوز . وأما إذا أُريد بيع البطيخ من دون الفلاح يطلع وينزل الآخر منزلته ، بل يبيع البطيخ مثلاً وهو على فلاحته ، فهذا لا يجوز إلا لقطعة لقطعة ، كما ذكره الفقهاء ، رحمهم الله .

س ١٨ - هل يجوز بيع القرع والبطيخ جملة ، وفيه صفار وكبار ، وشيء لم يطرح ، ولم يطلع عليه ؟

ج - قد ذكر الأصحاب ، رحمهم الله ، أنه لا يجوز بيع المقائى ونحوها إلا لقطعة لقطعة ، لأن العلم بالمبيع شرط لصحة البيع .

فاللقطة الموجودة معلومة معروفة ، فتجوز . والذي لم يخرج أو خرج ولم يعلم بلوغه وتعامه ، لا يجوز إيقاع المقد عليه ، لما فيه من الفرر والجهالة الكثيرة . وكلامهم عام في كل الأحوال . والذي ينبغي في هذه المسألة التفصيل :

وهو أنه إذا جاء لصاحب البطيخ ، فاشتري منه مبعلاًخته للقطعة الحاصلة والمتلاحقة ، والذي ما بمدّ طرح ، والبائع يقوم عليها ويستقيها ويُنمّيها المشتري ، فلا شك أن هذا لا يجوز ،

لما فيه من الغرر الكثير، ولم تدع الحاجة إلى مثل هذا البيع .  
وأما لو أراد أن يشتري منه مَبْطُخْتَه ، وينزل المشتري منزلة  
البائع ، وهو الذي يسمونه التَّشْمِينِ للفلاح الجديد ، فالبائع  
يبيع مَبْطُخْتَه ، وما في فِلاحتِه من المَلَفِ ونحوه على المشتري -  
فهذا ما زال أهل نجد يستعملونه ، والمشايخ يُقَرِّونهم على  
ذلك ، وذلك لِدُعَاءِ الحاجة إليه . وما اشتدت حاجة الناس إليه  
وسَّع فيه الشارِع . فلا أرى منع هذا .  
وأيضاً الصَّغار ، والذي ما خرج ، تابع للموجود ،  
ويغتفر في التوابع ما لا يغتفر في غيرها . والله أعلم .

### باب : السلم

س ١ - عن شروط السلم الاستفادة من قوله صلى الله  
عليه وسلم : « مَنْ أَسْلَمَ فِي شَيْءٍ » .

ج - حديث ابن عباس المتفق عليه مرفوعاً :

« مَنْ [ أَسْلَمَ ] فِي شَيْءٍ ، فَلْيُسَلِّفْ فِي كَنْبِلٍ مَعْلُومٍ ،

وَوَزْنٍ مَعْلُومٍ ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ »

يحتوى على جُلِّ شروط السلم ، بل كلها ، لأن قوله :

« مَنْ أَسْلَمَ فِي شَيْءٍ ، فَلْيُسَلِّفْ » أى : ليقدِّم دليلاً على

اشتراط قبض ثمنه قبل التفرُّق من مجلس العقد .

كذا استنبطه الإمام الشافعى ، رحمه الله ، وغيره .

وقوله : « في كَيْلٍ معلوم ، أو وزن معلوم » أي لا بد من علمٍ مقدار كَيْلِه ، ومقدار وزنه ولا بد أيضاً من العلم بجميع صفاته التي يختلف بها الثمن اختلافاً ظاهراً ، لأن العلم يُعْمُ العلم بالمقدار والصفات . ومن اللوازم العلم المذكور ، فقد اشترطوا في السلم : أنه لا بد من انضباط صفاته ، لأن ما لا تنضبط صفاته لا يتأتى فيه العلم .

وقوله : « إلى أجلٍ معلوم » فيه ذكر اشتراط التأجيل والعلم بذلك . فحقيقة الأمر أن الشروط كلها عائدة إلى معنى اشتمل عليه هذا الحديث الشريف . والحمد لله على نعمه .

س ٢ - عن اعتبار الأوصاف التي ذكروها في السلم متمسرة .  
ج - اعلم أن اعتبار كثير من الأوصاف التي ذكرها الأصحاب ، رحمهم الله ، متمسرة ، وربما تعذرت ، وليس على كثير منها دليل ، فالدليل دلٌّ على اعتبار العلم بالمسلم فيه ، فمتى حصل العلم بين المتماقدين حصل المقصود ، حتى ولو أطلقا إطلاقاً يعرف به ما أطلقاه ، كما لو أطلقا مسلماً بشمر أو برّ أو نحوهما ، فإنه ينصرف إلى الوسط عرفاً .

س ٣ - ما حكم ما إذا أسلم إلى الحصاد والجذاذ ؟  
ج - قال الأصحاب : إذا أُجِّل إلى الحصاد والجذاذ ، لم يصحّ . . أقول : والرواية الأخرى بصحة تأجيله إلى الحصاد والجذاذ ونحوه .

- س ٤ - عما إذا قال في مؤجل : محله في شهر كذا  
- صحح . وإن قال : تؤديه فيه - لم يصح ؟
- ج - قال الأصحاب : إذا قال : محله شهر كذا ، أو في شهر كذا - صحح وحلّ بأوله ، وإن قال : تؤديه فيه - لم يصح .  
أقول : إنهم نصّوا على انعقاد العقود كلها بما يدل عليها ، مع دلالة الشرع عليه والعرف . فإذا قال : تؤديه فيه ، فهو مثل قوله : يحلّ فيه ، فالصواب جواز ذلك . والله الحمد .
- س ٥ - إذا أسلم إلى شخص في شيء وقال : إن رددت علىّ رأس مالى أو بمضنه قبل شهر ، فقد أقلتك . .  
فهل هذا من باب الخيار ، فلا يجوز عند من منعه ، أو فسخ معلق على شرط ؛ فيكون جائزا ؟
- ج - الذى أرى : أنه من القسم الأخير ، [لأنه] علق الإقالة على ردّه لرأس المال ؟  
[والإقالة] صرح الأصحاب بأنها فسخ ، لها أحكام الفسوخ ، واللفظ أيضاً يدل على ذلك ، فإنه جزم بالإقالة وحصولها عند ردّ المال ؛ ولم يقل : فلك الخيار ، أو فلك الفسخ ، أو إن شئت حين ترد المال أن أقتلك أقلتك .  
فهذه العبارة وما يشبهها هى التى تدلّ على إثبات الخيار .
- س ٦ - إذا أسلم إليه فى ذرة على أنه لم يزرع ذرة ، ردّ رأس ماله . فهل يصح ؟



تج - هذا لا يجوز ، وهو شرط فاسد ، فيه غرر يبطل السلم من أصله ، لنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الغرر ، وهذا غرر ظاهر .

س ٧ - ما حكم ما إذا أسلم في جنس إلى أجلين ، أو جنسين إلى أجل واحد ؟  
ج - قال الأصحاب ، رحمهم الله :

إنه إذا أسلم في جنس إلى أجلين ، أو في [جنسين] إلى أجل : صح ، إن بين قسط كلِّ أجل ، وثمن كلِّ جنس ، وإلا فلا .  
أقول : وقيل : يكفي بيان قسط كلِّ أجل من المسلم فيه ، دون ما يقابله من الثمن ، وعليه عمل الناس قديماً وحديثاً .  
وهو الصحيح .

س ٨ - هل يصحَّ أخذ الشعير عن البرِّ في السلم ؟

ج - المذهب : لا يجوز ، والصحيح : صحته ، لكن بشرط أن لا يتفرقا وبينهما شيء والحديث المذكور فيه كلام ، ولو صحَّ لم يدلَّ على المنع .

س ٩ - إذا أسلم في أربعين صاعاً من الحنطة ، فأراد أن يعطى بدلها مئة ، بشرط أن يحط عنه المسلم مؤونة حملها .  
فهل يصحَّ الشرط ؟

ج - لا يصح هذا الشرط ، لأن هذا بعينه الذى ذكروه أنه لا يجوز له أن يأخذ أطيب مما عليه ، ويعوضه عن الزيادة .  
( ٢٤٢ - تاوى )

فلما كانت المعية أرغب عنده من الخنطة ، أراد أن يحمل  
في مقابلة طيبها إسقاط حملها ، وهو تمويض لا يجوز ، كما  
لا يجوز أن يأخذ الطيب ، ويعطيه مقابل ذلك نقدًا أو  
عرضًا . والله أعلم .

س ١٠ - هل يجوز الاعتياض عن دين السلم بمدلوله ؟  
ج - المذهب معروف : أنه لا يجوز ، ولكن الصحيح  
أنه يجري مجرى سائر الديون الثابتة في الذمم ، وأنه يجوز  
الاعتياض عنه ، بشرط أن لا يفارقه حتى يقبض ما عوضه عنه ،  
وبشرط أن لا يجري بين العوضين ربا الفضل ، كالتمويض عن  
البر الطيب بالردىء أكثر منه ، أو الطيب أقل منه ، فهذا  
لا يجوز لعلّة الربا . وأما القرع والبطيخ [ونحوهما] ، فلا يجري  
فيها الربا : لا ربا الفضل ، ولا ربا النسيئة ، لأنها ليست  
مكيلة ، ولا موزونة . والله أعلم .

س ١١ - إذا أسلم درهما بعيش ، فلما حلّ الأجل ،  
أراد أن يأخذ عن العيش بعيرًا أو غيره ، فما الحكم ؟  
ج - لا بأس أن يأخذ عن العيش بعيرًا ، أو غيره من  
السلع ، وسواء حلّ الأجل أو لم يحلّ ، فإنه يجوز على  
الصحيح أن يأخذ منه بعيرًا أو غيره من السلع المعينة ،  
وتكون قيمة البعير ونحوه بسعر الوقت الذي يأخذ به ،  
ولو كان أكثر من رأس المال .

س ١٢ - إذا أسلم في برّ ، فلم يكن عند المسلم إلا شعير  
أو ذرة ، فهل يجوز أخذه عن البرّ ؟

ج - المذهب : لا يجوز ، والصحيح : أنه يجوز ، لكن  
بشرط أن يقبضه قبل التفرّق من مجلس التعويض ، وسائر  
الديون كذلك . والله أعلم .

س ١٣ - إذا أسلم إليه عشرة أرّيل بعشرين صاع برّ ،  
فإن تمذّر البرّ يُصَيَّرهن بذرة أو بالعكس ، فهل يجوز ؟

ج - هذا لا يجوز ، فلا بد أن يجزم بأحد النوعين ،  
ومثل ذلك إذا أعطاه عشرة أرّيل بعشرين صاعاً من دون  
تعيين ، والقصد أن يأخذ ما حصل من برّ أو ذرة أو غيرها ،  
فهذا لا يصلح ، بل لا بدّ من العلم بمقدار المسلم فيه ، وجنسه ،  
ونوعه ، وصفاته ، كما ذكره الأصحاب ، رحمهم الله .

ومثل ذلك إذا باع رجل على آخر عشرة أصوع دخن ،  
وقال البائع للمشتري : لك الخيار إما بعشرة فرنسية ، أو بخمسة  
عشر عربية ، وتفرّقاً على غير تعيين ، فإن ذلك لا يصلح ، بل  
يُخَيَّره وقت العقد ، ولا يفترقا حتى يجزما على أحد النوعين .

س ١٤ - ما معنى قولهم : إن دين السلم لا يصح بيعه ،  
ولا رهنه ، ولا الحوالة به ولا عليه ؟

ج - ذكر الأصحاب ، رحمهم الله ، أنّ دين السلم  
لا يجوز الحوالة به ، ولا الحوالة عليه .

وهذا فيه نظر ، بل الصواب جواز ذلك ، وأنه كسائر الديون ، يجوز الحوالة به وعليه ، لعدم الدليل الدال على المنع .  
وأما التولية والشركة فإنهم ما ذكروا المنع منهما من هذا الباب ، لأنه من جملة الديون . والتولية والشركة إنما محلها الأعيان ، لا الديون . فافهم ذلك .

س ١٥ - ما حكم بيع المسلم فيه : والحوالة به ، وعليه ؟  
ج - القول بصحة يمينه على من هو عليه مقبوضاً ، والحوالة به وعليه ، وأخذ الرهن والكفيل به - أولى من المنع ، لعدم الدليل البين على المنع .

س ١٦ - إذا كان [ للشخص على ] دين ، فأعطيته دين عمر أو عيش لى فى أصل قليب ، جاهلين بالحكم . فما الواجب ؟  
ج - إن كان الشيء قد قبض ولم تثق علاقة ، فيعفو الله عما مضى ، وعلى العبد أن يستغفر الله ، ويتوب إليه ، لأن هذا بيع دين بدّين ، وهو لا يجوز .

وإن كان الشيء ما قبض بعد ، فالطريق إلى حصول المقصود أنك توكله أن يقبض لك الدين للتمر والعيش ، ويكون نائباً عنك ، فإذا قبضه على كبسك فيستوفى حقه منه .

س ١٧ - ما [ صفة أخذ ] الأرش فى المقبوض فى السلم ؟  
ج - لا يخلو إما أن يكون المقبوض رأس مال السلم أو عوضه وعلى كل ، فإن صفة أخذ الأرش فيهما كصفته

في غيرها ، إلا أنه يشترط أخذ الأرش في مجلس العقد في رأس مال السلم ، لاشرط القبض التام قبل التفريق ، والأرش تابع رأس المال .

وصفة التأسيس في الأشياء أن يقوم الشيء سالماً لا عيب فيه ، ثم يقوم معيباً ونحوه ، فما بينهما هو الأرش ، فلينسب الثمن .

لكن من قاعدة المذهب : أن المسلم فيسه لا أرش فيه من غير جنسه ونوعه ، لأنه تمويض فيه ، وهو ممنوع ، على المذهب . والصحيح جوازه ، لأنه لا فرق بين مُماوضة السلم وغيرها فيما يجوز وما لا يجوز ، لعدم الفرق بين جميع الديون .

س ١٨ - ما حكم التمويض عن الديون التي في الدم ؟

ج - الصحيح أن جميع الديون التي في الذم يجوز التمويض عنها ، بشرط أن يقبض العوض قبل مفارقة المجلس الذي حصل فيه التمويض . ولا فرق بين دين السلم وغيره ، لعموم الحديث ، حديث ابن عمر المشهور ، خلافاً لما منعه الأصحاب في دين السلم من التمويضات ، وأخذ الوثائق فيه ، احتجاجاً بحديث : « مَنْ أَسْلَمَ فِي شَيْءٍ ، فَلَا يَصْرِفُهُ إِلَى غَيْرِهِ » وهو حديث ضعيف ، وعلى تقدير الاحتجاج به ، فإن معناه لا يحمل ما في ذمته شيئاً آخر باقياً في ذمته . ولهذا ضيق الأصحاب ، رحمهم الله ، الأمر فيه ، حتى منعوا أخذ الرهن في السلم ، فحملوه ما لا يدلّ عليه والله أعلم .

س ١٩ - إذا كان على زيد طعام لعمرو ، فدفع إليه عمرو  
دراهم ، وقال : أشتري لك بها مثل الطعام الذي على - لم يصح .  
وإن قال : اشترى بها طعاما ، ثم اقبضه لنفسك - صحَّ الشراء .  
ج - قال الأصحاب : وإن دفع زيد لعمرو دراهم ، وعلى زيد  
طعام لعمرو ، فقال زيد لعمرو : أشتري لك بها مثل الطعام الذي  
على ، ففعل - لم يصح ، وإن قال : اشترى بها طعاما ثم  
اقبضه لنفسك ، ففعل - صحَّ الشراء ، ولم يصح القبض لنفسه .  
أقول : والصحيح جواز التصرف والقبض في الصورتين ،  
لأنه يتضمن التوكيل في التصرف والتوكيل في القبض .  
والوكالة كسائر العقود تنعقد بما دلَّ عليها .

### باب : القرض

س ١ - هل يجوز الجمل على الإقراض بجاهه ، كما قاله  
الأصحاب : وفي ذلك نظر ؟

ج - قول الأصحاب ، رحمهم الله : وله أخذ الجمل على  
اقتراضه له بجاهه ، فيه نظر ، فإنه لو قيل : أخذ الجمل على  
الكفالة ، لا عن الاقتراض ، لكان أولى ، فإن الاقتراض من  
جنس الشفاعة ، وقد نهى الشارع عن أخذ الجمل فيها .  
وأما الكفالة فلا محذور في ذلك ، ولكن الأولى عدم ذلك ،  
والله أعلم .

س ٢ - إذا دين إنساناً سلمة إلى أجل ، ثم وكله  
المدين على بيعها ، فهل يجوز أن يسلفه ويستوفى ؟

ج - لا بأس بذلك ، لأنه إزفاق لأجل بيع سلمته ،  
فلم يكسرها ، ولا صار بينهما شرط .

س ٣ - قول الأصحاب : إن الحال لا يتأجل ،  
هل هو صحيح ؟ وهل له مأخذ غير تعليلهم ؟

ج - مرادهم بقولهم : الحال لا يتأجل ، أنه إذا حلّ  
عليه دين فرضى بتأجيله بعد حلّوله ، أنه وعد لا يجب عليه  
الوفاء به ، بل يُسنّ له الوفاء به ، ولو شرط على نفسه ذلك  
لم يلزمه . وليس له مأخذ غير ما علّوه به ، ومأخذ القائلين  
بتأجيله بعد حلّوله إذا رضى صاحب الحقّ : أولى ، فإن الشارع  
أمر بالوفاء بالمهود والوعود ، وذمّ الخلفين للوعد ، وأخبر أنه  
من نُعوت المنافقين .

وهذا القول هو أحد القولين في مذهب الإمام أحمد ،  
واختاره الشيخ ، وجملة من الأصحاب . والجواب عن قولهم :  
الحال لا يتأجل ، إن أريد به أن أصله وجوبه عند حلّوله ،  
وأن من عليه الحق لا يُلزم صاحب الحق بتأجيله ،  
فهذا صحيح لا خلاف فيه .

وإن أريد به أن صاحب الحق لا يؤجله ، ولو رضى بذلك ،  
فهذا فيه نظر ظاهر ، وهى دعوى مجرّدة بلا دليل ، بل

مخالفة للدليل ، ولهذا : الصواب أن القرض والعارية والديون  
الحالة تلزم بالتأجيل ، ولا يطالب صاحبها قبل حلول الأجل .  
س ٤ - إذا كان عليه قرض ، فعرضه على ربّه ، فأبى  
أخذه ، فأراد المقرض أن يزيده بمقدار زكاته من غير مواطاة  
ولا حيلة ، فما الحكم ؟

ج - أما إذا أوفاه ، وزاده في الوفاء في القدر أو الصفة  
من دون مواطاة ولا مواعدة ، فهذا جائز ، لأنه من حسن  
الوفاء . وأما إذا واطأه قبل الوفاء ، أو وعده ، أو أخبر بذلك  
غير المقرض ، وأوصل الخبر إلى المقرض ، فهذا لا يسوغ ، لأنه  
يحمل على إمهاله ، ويطمئن خاطره بسبب ما وعده به .

### باب : الرهن

س ١ - إذا رهن عينا واحدة لاثنين ، ولم يعلم السابق ،  
فما الحكم ؟

ج - معلوم أن هذا الرهن قد فعل أمراً محرماً ، وغدر  
بكل واحد منهما ، وعليه من الإثم والعقوبة الدنيوية ما على  
أمثاله من [ الغارّين ] . وأما الغريماني ، فالعدل أن يحمل الرهن  
بينهما بقدر دينهما : إن كان الدينان متفقين ، فبالنصف ،  
وإن زاد دين أحدهما على الآخر ، وهو الدين المرهون به ،  
كان على حسب ذلك .



س ٢ - ما معنى قولهم : ما لا يَصِحُّ بيمه لا يَصِحُّ رهنه ؟ وهل هو وجيه ؟

ج - ذكرهم أن ما لا يَصِحُّ بيمه لا يَصِحُّ رهنه ، فيه نظر ، فإن الرهن عقد توثيق ، وهو أوسع بكثير من عقود المعاوضات ، ولهذا جَوِّزوا فيه رهن الثمرة قبل بُدُوِّ صلاحها ، والزرع قبل اشتداد حَبِّه ، والقرن دون رحه المحرم .

فالمصحيح أن المسألة مُطَّرِدَةٌ ، وأنه يجوز رهن الديون التي في الدم ، والعبد الآبق والشارد ، ونحوها مما لا يجوز بيمها ، لأنه بتقدير تلفها أو تلف بعضها ، لا يفوت من حقه شيء ، فلا محذور في ذلك ، ولا مانع منه .

فعلی هذا : عمالة الخراز والنجار عندكم إذا كان له أصواع أو أوزان تمر معروفات ، وأراد رهنها بدين عليه ، فلا بأس بذلك ، واسكن على المقدم عند الأصحاب : لا يلزم هذا الرهن . والله أعلم . وكذلك رهن الدرهم المسأخوذة عوضاً عن الرهن ، صحيح لا بأس به . والله أعلم .

س ٣ - ذكر الأصحاب أن رهن المجهول لا يَصِحُّ ، فهل هو وجيه ؟

ج - اعلم أولاً أن القاعدة الشرعية والضابط السكلي ، أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الغرر . وهذا شامل لجميع أنواع البيوع والإجازات كلها ، لا يجوز منها الغرر والجهالة الظاهرة ، وذلك داخل في المنسبر .

وحكمة ذلك - والله الحمد - ظاهرة ، وهي وجود الفرر والخطر ، لأنه لا بد أن يُفبن أحدهما من حيث لا يشعر ، وأحدهما إما غام أو غارم ، وهذا هو الميسر بعينه .

وأما عقود التوثيقات ، كالرهن ونحوه ، وعقود التبرعات ، كالهبة ونحوها ، فاختلف العلماء فيها . فالمشهور من المذهب إلحاقها بعقود المعاوضات ، ومنع رهن المجهول ، وهبة المجهول .

والقول الثاني وهو الصحيح : أنها لا تلحق بها ، ولا تُقاس عليها ، لأن شرط القياس مُساواة الأصل والفرع ، وإذا كان بينهما فرق فلا يلحق ، مع أن مفهوم نهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع الفرر ، يدلّ على أن غير البيع من الرهن والهبة لا يلحق به ، ولا ينهى عنه ، لأن الرهن نهاية الأمر أنه وثيقة بحقّ الإنسان ، وعلى تقدير تلفه أو نقصه أو جهالته لا يفوت من حقّ المرتهن شيء ، ولهذا أجازوا رهن [العنب] قبل اشتداد حبه ، والتمر قبل بدو صلاحه ، لهذه العلة ، فرهن المجهول كذلك ، وكذلك هبته . فعقود التوثيقات والتبرعات أوسع من عقود المعاوضات . فتبيّن أن الصحيح أن رهن المجهول جائز ، خصوصًا إذا كان يؤوّل إلى العِلْم .

ولكن لما كان أغلب الأحكام الآن لا يحكمون إلا بالمشهور من المذهب ، فالإنسان يحتاط لنفسه ، ويتحرز .

س ٤ - هل يجوز رهن المجهول الذي يؤول إلى العلم؟  
ج - المشهور من المذهب معروف ، وهو أنه ما جاز  
بيئته ، جاز رهنته ، وما لا يجوز بيعه ، لا يجوز رهنته ، فكما  
لا يجوز بيع المجهول جهالة بيئته ، فلا يجوز رهنته ، ولا يثبت ،  
كما صرحوا بذلك ، رحمهم الله .

والقول الثاني في المسألة : أن الرهن أوسع من البيع ،  
لأن البيع مَماوَضة محضه ، والرهن توثيقه بحق ثابت من  
دونها ، وإنما فائدته أن يتوثق صاحب الدين عن حقه  
بوثيقة الرهن ، وهذه الوثيقة قد تكون عيناً مقبوضة ، وقد  
تكون عيناً غير مقبوضة ، وقد تكون ديناً في ذم الناس ،  
وقد تكون مجهولة .

والفرق بين البيع والرهن أن الشارع إنما نهى عن بيع الغرر .  
فالغرر الذي هو الجهالة البيئته ونحوها ، منهى عنه في البيع .  
وأما الرهن ، فمتى رضي المتراهنان بالرهن القليل أو الكثير ،  
المعلوم أو المجهول ، فلا غرر ولا محذور فيه ، لأنه على تقدير  
تلفه لا يفوت الحق بفواته . وهذا القول أقرب إلى العدل  
والصواب ، والرفق بالناس ، وأخرى لأداء الحقوق .

ولكن الإنسان ينبغي في هذا الوقت أن يتيقظ ويحتاط  
لنفسه ، مهما أمكنه ذلك .

والله الموفق .

س ٥ - امرأة لها ابن فقير ، ولها أولاد غيره صغار ،  
فاحتاج أن تبذل له حُلِيَّها ليرهنها ويستدين ، هل لها ذلك ؟  
وهل للمرتهن أن يملك بيع الرهن والحالة هذه ؟  
ج - ليس للمرأة أن تخصّ بعض أولادها بمطية أو  
تبرع أو مُعاباة ، وم متساوون في الحاجة ومن ذلك أن  
تعطى أحدهم من مالها شيئاً يرهنه لحاجته وحده . فأما إذا كان  
يستدين للنفقة له ولإخوانه الصغار أولادها ، فلا بأس بذلك .  
وعلى كلّ حال ، فإذا أعطته من حُلِيَّها ليرهن بإذنها ، ثم  
رهنه ، فإن المرتهن يملك بيع الرهن ، لأن الأصحاب ، رحمهم  
الله ، ذكروا أنه يجوز للإنسان أن يبذل ماله لمن يرهنه ،  
وأنه إذا حلّ الدين ولم يُوف الرهن ، بيع الرهن ، وبقي في  
ذمة المأذون له لصاحب الرهن قيمة الرهن . فهذه المرأة سواء  
جاز لها ذلك ، أم لم يجز ، إذا أذنت لابنها في رهن حُلِيَّها  
ثم [رهنها] ، ودعت الحاجة إلى بيع الرهن ، بيع واستوفى من  
ثمنه صاحب الحق ، وما بقي فلها ، ويبقى لها في ذمة ولدها  
ما استوفاه ربّ الدين . والله أعلم .

س ٦ - إذا رهنه شيئاً فجعله المرتهن في يده ، فهل  
الرهن صحيح ؟ وإذا باعه الراهن ، فهل ييمه نافذ ؟  
ج - أما المشهور من المذهب في هذه المسألة ، فهو معروف :  
أن القبض شرط للزوم الرهن ، واستدامته كذلك شرط .

فعلى هذا : إذا أخرج المرتهن من يده إلى يد الراهن باختياره ، زال لزومه ، وكان له أن يتصرف فيه بما شاء .  
وفي هذا القول مشقة عظيمة على الناس .

ولهذا كان علماء القسيم من وقت الشيخ عبد الله أبا بطين إلى وقتنا يعملون بالقول الآخر ، وهو أن لزومه باق ، ولو خرج من يد المرتهن إلى يد الراهن ، وهو الرواية الأخرى عن أحمد ، لأن في هذا مصلحة عظيمة للناس ، ويزول ضرر كثير ، لأن فيه معاش للناس في فلاحتهم ، وهم مُضْطَرُونَ إلى بقائها بأيديهم ، ومضطرون إلى الاستدانة ، والاستدانة لا تحصل إلا بالرهن غالباً .

فلو كان خروجه من يد المرتهن إلى يد الراهن يُزيل لزومه ، لتمطلت أحوالهم ، وتمكن الخائن من خيانتته ، والشارع لا يمكن الخائن . والمؤمنون على شروطهم ، إلا شرطاً أحلّ حراماً ، أو حرّم حلالاً .

فعلى هذا القول الصحيح : إذا أخرج من يده إلى يد الراهن ، يبقى الرهن بحاله . والله أعلم .

س ٧ - ما حكم رهن الديون ؟

ج - قال الأصحاب في الرهن :

يشترط أن يكون عيناً معلومة القدر والصفة ... إلخ .

أقول : لم يذلل الدليل على عدم صحّة رهن الديون ،

ولا غير المقبوض ، ولا على اشتراط تحرير العلم بالرهون قدرأً  
وجنسًا وصفة ، وذلك لأنه ليس يبيع ، وإنما هو وثيقة قد  
تكون كاملة ، وقد تكون ناقصة ، والنهي عن بيع الغرر  
لا يدخل فيه الرهن . والله أعلم .

س ٨ — ما حكم الزيادة في دين الرهن ؟  
ج — الصحيح صحة الزيادة في دين الرهن ، وعليه العمل .  
س ٩ — إذا رهن دابة ، فباعها بدون إذن المرتهن ،  
فما الحكم ؟ وما حكم نمائه ؟

ج — لا يصح بيع الراهن للرهن إلا بإذن المرتهن ،  
فإن فعل ، فالعقد فاسد إذا لم يُجزَّه المرتهن صاحب الدين ،  
فإن أجازهُ أو رضَى ببيعه ، صحَّ بيعه ، وإلا فلا . وإذا لم  
يصح بيعه ، لم ينتقل الملك إلى المشتري ، وصار باقياً على رهنه ،  
وما نما بعد ذلك - ولو عند المشتري - فهو تبع للرهن . المقصود  
أن العقد إذا لم [يُجزَّه] المرتهن غير صحيح ، والملك لا ينتقل .

س ١٠ — هل ينفذ عتق الراهن للمرهون ؟  
ج — الصحيح عدم نفوذ عتق الراهن ، موسراً كان  
أو معسراً ، وهو إحدى الروايات عن أحمد .

س ١١ — هل ينفذ عتق الراهن ونحوه ؟  
ج — المشهور من المذهب نفوذ عتق الراهن مطلقاً ،  
ونفوذ عتق المفلس الذي لم يُجبرَّ عليه ، ونفوذ وقف من

عليه دين يضرّ وقفه بدينه إذا لم يحجر عليه ، مع التحريم في ذلك كله . والصواب في ذلك عدم النفوذ ، لما فيه من إبطال حق المسلم ، وهو أحد القولين في المذهب في هذه المسائل .  
س ١٢ - إذا أراد الراهن بيع الرهن لإيفاء المرتهن ، فهل يتوقف على إذنه ؟

ج - نعم ، يتوقف على إذنه ، كما قاله الأصحاب جميعهم ، والمرتهن [فيه] حق يوجب للراهن أن يتوقف ، فلا يستقلّ بالبيع حتى يأذن المرتهن ، أو يحلّ الدين فيبيعه لوفاؤه ، ولكن لا بد فيه من إذنه أو حضوره ، والمرتهن أن يزيد [فيه] وقت السّوم ، ويمنع الراهن من [بيعه] بما شاء ، إذا كان يبقى من حقه شيء بمدّ ثمن الرهن .

س ١٣ - إذا شرط كوث الرهن بيد اثنين ، فما الطريق إلى حفظه ؟

ج - قال الأصحاب : وإن شرط جعل الرهن في يد اثنين لم يكن لأحدهما الانفراد بحفظه ، ويمكن اجتماعهما في الحفظ ، بأن يجعلاه في مخزن ، عليه لكل واحد منهما قفل .  
قال في حاشية على شرح « الإقناع » : قوله : قفل : مُغاير للقفل الآخر ، كما ذكر في حاشية « المنتهى » . أقول : في كلام المحشى نظر ، والظاهر عدم اشتراط المغايرة ، كما هو ظاهر كلامهم ، وظاهر مُراد المرتهن . ا هـ .

س ١٤ - إذامات المرتهن والرهن بيده ، فما الحكم ؟  
ج - قال في شرح « الإقناع » : وإن مات المرتهن  
والرهن بيده ، لم يكن لورثته إمساكه إلا برضا الراهن .  
أقول : وهذه المسألة مخالفة للأصل ، وهو أن الورثة  
قائمون مقام مورثهم في جميع حقوقه ، ومن حقوقه بقاء الرهن  
بيده ، فكذلك يبقى بأيدي ورثته ، إلا أن تتضح خيانتهم .  
س ١٥ - إذا أمار شيئاً ليرهنه إلى أجل بدين حالاً ،  
فما الحكم ؟

ج - قال في شرح « الإقناع » : فلو أماره شيئاً ليرهنه  
إلى أجل على دين حالاً ، يعني أنه شرط على المرتهن أن لا  
يباع قبل الأجل المسمى ، فرهنه على ذلك ، صح الرهن عندي .  
وظاهر كلام القاضى في « المحرر » أنه لا يصح .  
قاله المجد في شرح « الهداية » : قال في هامش « الإقناع » :  
قوله : وظاهر كلام القاضى . . إلخ .

وكأن العلة في ذلك كون الحال لا يؤجل ، فتأمل .  
أقول : ليس ما ذكره من التعليل صحيحاً ، لأنه لم  
يؤجل الدين الحال ، وإنما أجل بيع الرهن الممار ، وذلك  
صحيح كما قاله المجد ، وليس لقول القاضى ، رحمه الله ،  
وجه صحيح .



س ١٦ - ما معنى قول الفقهاء : المرهون لا يُرهن ،  
والمشغول لا يُشغل .

ج - يريد الفقهاء من هذا الكلام أمرين :  
أحدهما : متفق عليه ، والآخر : مختلف فيه .

أما المتفق عليه ، فإذا رهن زيد داره مثلاً على دينه ، ثم  
جاء رجل آخر فداينه ، ثم رهنه أيضاً داره التي رهنها زيد  
من غير أن يأذن فيها زيد ، فهذا : المرهون الذي لا يُرهن ،  
والمشغول الذي لا يُشغل ، لأنه مشغول بدين زيد ، فلا يُشغل  
بدين غيره . وهذا القسم ظاهر ، فلا يكون للراهن الثاني حق  
حتى يرهنه إياه بعد صدور الأول .

وأما المختلف فيه : فهو إذا رهن زيد داره المذكورة بدين  
له ، وهو مائة مثلاً ، ثم استدان من زيد ديناً آخر ، وأراد أن  
يرهنه بيته أيضاً ، فهذا يدخلونه أيضاً بأن المرهون لا يرهن ،  
والمشغول لا يشغل . وهذا المشهور من المذهب ، ولكنه  
ضعيف ، ليس العمل عليه ، وإنما عمل الناس على القول الصحيح ،  
وهو قول من المذهب أن ذلك جائز ، وذلك أن الإنسان يدين  
بدينه ، فيرهن عليه عقاره أو غيره ، ثم يحتاج ديناً آخر  
فيُدخله في الرهن السابق ، ولا محذور في ذلك ، بل فيه مصلحة .  
وقولهم : المشغول لا يشغل ، مُسَلَّمٌ إذا شغل بدين الغير ،  
وأما إذا [ شُغِلَ ] بدين الغريم الرهن ، فلا بأس بذلك .  
( م ٢٥ - فتاوى )

س ١٧ - إذا عزل الراهن المرتهن أو العبدل عن بيع الرهن ، فما الحكم ؟

ج - قال الأصحاب : وإن عزل الراهن المرتهن أو العبدل عن بيع الرهن ، أو مات ، عَزَلًا ، سواء علما أو لم يعلم .  
أقول : قال بعض الأصحاب : ليس له عزلها ، لأنه تعلق به حق واجب للغير . وهو الصحيح .

س ١٨ - لو بيعت العين المرهونة برضا المرتهن ، ولم يطالب حقه ، ظنا منه أن حقه يتبع العين ، فهل يكون رضاه مع الجهل منبطلا للرهن ؟

ج - قد صرح الفقهاء أنه إذا بيع الرهن برضا المرتهن ، أنه يبطل حقه من الوثيقة ، وهي العين التي بيعت برضاه ، ومن ثمنها أيضا ، إلا إذا رضى أو شرط أن يكون ثمنها رهنا ، فينتقل الرهن في هذه الحال إلى القيمة ، و [هي] الثمن .

وأما إذا لم يشترط ذلك ، فإنه لم يبق له حق في العين ولا في ثمنها . ولم يفرقوا بين العالم بالحكم والجاهل . لكن لو خدعه المدين ، وأوممه أن حقه باق في العين أو في ثمنها ، وقد قامت البيّنة أو القرينة الظاهرة على خديعته ، فإن هذه المسألة على هذا الوجه تدخل في إبطال الحيل التي يقصد بها إبطال حق المسلم من الحق أو الوثيقة ، فينقل حقه إلى الثمن .  
والله أعلم .

والأصحاب ما أظنهم نصّوا على هذه الحيلة بعينها ، وإنما أردنا أن ندخلها في العموم . والله أعلم .

س ١٩ - إذا رهنه شيئاً ، وشرط الراهن أن لا يستوفى المرتهن دينه إلا من غلّة المرهون ، وتراضيا ، فهل يجوز ؟

ج - لا يجوز هذا ، قولاً واحداً ، لأن هذا غرر ، فيدخل في نهيّه صلى الله عليه وسلم من بيع الغرر ، لأنه لا يدرى مقدار ما يستوفى كلّ عام من الدين ، وشرطه أن يكون إلى أجل مسمى بعوض مسمى ، وهذا عوض مجهول جهالة ظاهرة .

وأما رهن الغلّة وحدها ، فالمذهب معروف ، أن الغلّة الموجودة يجوز رهنها ، والغلّة التي لم تظهر إلى الآن لا ينعقد رهنها . وفيه قول آخر في المذهب أنه يجوز رهنها ، كما يجوز رهن الديون التي في الذمّ ، وهو الصحيح ، إن شاء الله .

س ٢٠ - إذا اختلف الراهن والمرتهن في عين المرهون ، فما الحكم ؟

ج - قال الأصحاب : وإن قال : رهنتك هذا العبد ، فقال : بل هذه الجارية ، خرج العبد من الرهينة أيضاً ، لإقرار المرتهن بأنه لا رهن له عليه ، ويحلف الراهن أنه ما أرهنه الجارية ، ثم تخرج من الرهن أيضاً .

أقول : وفي هذه المسألة نظر ، لأن المرتهن لم يدع ارتهان الأمة إلا لزيادة الوثيقة ، لزيادة قيمتها على قيمة العبد .

فَهَبْ أَنَا قَلْنَا : القول قول الراهن في تعيين رهينته العبد ، فانطلاق العبد والأمة من الرهينة فيه ظلم ظاهر ، حتى باعتراف الراهن ، كما هو ظاهر للمتأمل . ا هـ .  
س ٢١ - إذا أقرّ ربُّ الدّين بأنّه لغيره ، فهل تبطل الوثيقة ؟

ج - قال في شرح « المنتهى » : وإن أقرّ ربُّ الدّين بالدّين لغيره ، فقال ابن نصر الله : فالظاهر بطلان الرهن والضمان ، لتبين أنه رهنه بغير دين الخ ...  
ما استظهره ابن نصر الله - رحمه الله - ليس بظاهر ولا مُقارب ، بل الصواب بقاء الرهن والضمان ولو كان الدين لغيره ، لأنه ناب عن غيره ، ولا يشترط في النيابة في سائر العقود - أصولها ووثائقها - تسمية المنوب عنه إلا في عقد النكاح خاصة .  
والدّين المذكور كما ثبت أصله وهو لم يسمّ من هو له ، فكذلك ما يتبعه من الوثائق . وما قاله ابن نصر الله فيه ضرر ، فكثير من الناس يستدين لغيره ، ويُعامل لغيره ، من دون تسمية ، والنائب هو الذي يُباشِر العقد ويكتب الوثيقة ومتملقاتها باسمه ، فلو ألغينا الرهن والضمان في هذه الحال لكان فيه ضرر ، ولوجب أن نلغى أصل الدين .  
ومن تأمل هذا ، عرف أن ما قاله ابن نصر الله في غاية الضعف .

س ٢٢ — قول ابن نصر الله : لو أقرَّ ربُّ الدَّينِ بالدَّينِ لغيره ، وفيه رهن أو ضمين ، بطل الرهن والضمين إن عيّن المضمون له . فهل هو وجيه ؟

وقول الأصحاب : إذا أحال ربُّ الدين على المدين ، وفيه رهن أو ضمين ، انفسخ الرهن وبرئ الضمين ، لا إن ورث .  
ما الفرق بين الأمور الثلاثة ؟

ج — الأصحاب يفرّقون بينها بأن الميراث يتنقل التركة بحالها وحقوقها كلّها إلى الوارث ، ويتلقّاها عن الموروث ، ويكون قائماً مقامه فيها ، والرهن والضمين من الحقوق المالية التي توثق الأموال ، وهذا يبيّن ظاهر .

وأما لو أقرَّ بالدين لغيره ، فبإقراره بالدَّين لغيره يزول ملكه عنه ، فإذا زال ملكه عنه بقيت الوثيقة وهي الرهن والضمان بغير حق له ، أي المقرّ ، فبطلت . وكذلك الحوالة يرونها بمنزلة التّقييض ، فإذا حول زيد عمراً على خالد بمائة درهم فيها رهن أو ضمين ، فزيد كان له على خالد مائة درهم موثقة بتلك الوثيقة ، فلما حول عليه عمراً فقد قبض المائة .  
وإذا قبضها بقيت الوثيقة بلا مال .

هذا وجه كلام الأصحاب ، رحمهم الله ، وجزاهم عنا أفضل الجزاء ، ولكن التعليل غير وجيه . فالتحقيق إلحاق المسألتين بمسألة الميراث ، وأنه إذا أقرَّ بالدَّين لغيره ، فذلك الدَّين الذي

أقرّ به قد وثق برهن أو ضمين ، وهما من توابع الدين ،  
فالموجب لبطلان الوثيقة التي لا يحصل الحق غالباً إلا بها ؟  
وأيضاً فكثير من الناس يكتب الدين باسمه وهو نائب عن  
غيره ، ويتوثق بالرهن أو الضمين عليه ، فإذا حقت الحقيقة  
واحتيج لبيان من هو له ، فبيّنه وأقرّ به لغيره ، تبطل بذلك  
الوثيقة . هذا مع تصوّره بعلم ضعفه جدّاً . والظاهر أن مسألة  
التحويل كذلك لعدم الفرق المؤثر .

س ٢٣ — إذا زال المقد ، فهل تزول الوثيقة ؟

ج — إعلم أن المقد إذا كان فيه وثيقة رهن أو ضمان أو  
كفالة ، ثم زال الأصل تبطلت وثيقته ، فتزول بزواله ، ولا  
تنتقل إلى بدله بعد زوال العقد الأول ، فإن تبين أن العقد  
الذي فيه الوثيقة لم ينتقل ، بأن كان العقد الآخر فاسداً ،  
فالوثيقة بحالها تبع للأصل . والله أعلم .

س ٢٤ — ما حكم انتفاع المرتهن بالرهون ؟

ج — قال الأصحاب : ويجوز للمرتهن أن ينتفع بالرهون  
بإذن رهن مجاناً ، ولو بمحابة ، ما لم يكن الدين قرضاً . قال في  
هامش شرح « الإقناع » : قوله : ما لم يكن الدين قرضاً .  
أقول : الظاهر أنه قيد لغير المركوب والمحلوب . وظاهر  
« المنتهى » أنه قيد للجميع ، قاله في الحاشية . ونصّه : قال في  
« المبدع » عقب الكلام : إن المرتهن ركوب الرهون ، وحلبه

هذا كله إذا كان الدين غير قرض ، فإن كان قرصاً ، لم يجز .  
نص عليه ، حذراً من قرض جرّ نفعاً .

وصريح هذا مع كلام المؤلف يقتضى [ أن ] قوله : ما لم  
يكن الدين قرصاً ، قيد في المسألتين .

أقول : مسألة المركوب والمخلوب ظاهرٌ عدم دخولها في  
القرض الذى يجزئ نفعاً ، لأن المماوضة حاصلة ، وليس الرُّكوب  
والمخلَب مُراعى به الدّين ، إنما روعى فيه النفقة .

س ٢٥ - هل يُؤخّر الأَمين ردّ ما أوْتَمَن عليه ،  
ليشهد على الردّ ؟

ج - قال الأصحاب : وكلُّ أمين يقبل قوله فى الرد ،  
فطلب منه الردّ ، فإنه لا يملك الردّ ليشهد .

أقول : وقيل : له التأخير ليشهد ، وهو أولى ، لأنه قد  
لا يتمكن ، أو يمكن من الاقتصار على قول : لاحق له قبلى ،  
كما هو الواقع كثيراً .

س ٢٦ - هل يلزم دفع وثيقة الدّين إلى من هو عليه  
بعد أدائه ؟

ج - قال الأصحاب : ولا يلزم من له دّين ، دفع وثيقة  
الدين إلى من هو عليه . بل الإِشهاد بأخذه .

أقول : والصحيح أنه إذا لم يخف ضرراً ، أنه يلزمه  
دفع الوثيقة ، لإزالة ضرر غيره ، بلا ضرر يالحقه .

## باب : الضمان

س ١ - إذا كان لإنسانٍ غريم ، وأراد أن يستدين من غيره ، ولا يحصل ذلك إلا بضمان صاحب الدين ، فهل يصحّ ضمانه ؟

ج - لا يصحّ أن يستدين ويضمنه صاحب الطّاب ، لأن هذا حيلة لقاب الدّين بواسطة الغير ، ولأن ضمانه للدين مجبول فيه عيوض هو حصول الوفاء ، وذلك لا يجوز ، ففيه مفسدتان ، كل واحدة تكفي في منعه ، فكيف إذا اجتمعتا ؟

س ٢ - ما حكم ضمان أحد المتضامنين صاحبه ، وكفالة أحد الكفيلين صاحبه ؟

ج - قال الأصحاب ، رحّمهم الله : لا يصحّ من أحد المتضامنين أن يضمن الآخر ، لأن كل واحد منهما أصل ثابت الدّين في ذمّته ، فلا يكون فرعاً ، وبصح أن يكون واحد من الكفيلين كفيلاً بالآخر ، لأن الكفالة بالبدن ، بخلاف الضمان .

س ٣ - ما معنى قولهم : لضامن إبطاله قبل وجوبه ؟

ج - هو أن يبطل ضمانه قبل وجوب الدّين على المضمون عنه ، لأنه يصح أن يقول : بعت على فلان أو أعطه كذا ، أو أنا ضامنه . فلو قال هذا ، ثم قبل البيع والإعطاء ، يقول : قد أبطلت ضمانى ، فإن ذلك يجوز . فإن باعه أو أعطاه قبل إبطاله ، لزم الضمان ، وليس لضامن إسقاطه . والله أعلم .



س ٤ - ما ألفاظ ضمان العهدة ؟

[ج] - قال الأصحاب : وألفاظ ضمان العهدة : ضمنت  
عهده أو دركه ، أو يقول للمشتري : ضمنت خلاصك منه ،  
أو متى خرج المبيع مستحقاً ، فقد ضمنت لك الثمن .  
فلو ضمن خلاص المبيع ، فقال أحمد : لا يجزئ . ١٠ هـ .  
أقول : ومثله ضمان خلاص الثمن المعين ، والظاهر أنه  
إذا فهم منه ضمان العهدة ، فإنه صحيح في الأمرين .

س ٥ - عن ضمان نقص الصنعة وقبول قوله في النقص .  
ج - قال الأصحاب : ويصح ضمان نقص الصنعة ونحوها ،  
ويرجع بقوله مع يمينه . ١٠ هـ .  
أقول : فيه نظر ، لأن الأصل عدم النقص في المقبوض ،  
على أنه تام ، ثم حصل الاختلاف .

باب : الكفالة

س ١ - الكفالة من البعير الأجرى إذا كفل قيمته ،  
والكفيل لم يعلم أنه أجرى ، ولو علم لم يكفل ، وهو يريد  
فسخ الكفالة ، فهل له ذلك ؟

ج - ليس له فسخ الكفالة في هذه الحال ، وإنما يكفل  
قيمه مميماً ، إلا إن حصل تنفير ، بأن غرّوه بالكفالة بشميه ،  
وأوهموه أنه لا جرّب فيه . فالغرور لا ضمان عليه ، لكن  
بشروط ثبوت التنفير .

س ٢ - إذا قال الكفيل : متى عجزت عن إحضاره ،  
فعلّى القيام بما أقرّ به ، فما الحكم ؟

ج - قال في شرح « الإقناع » : ولو قال الكفيل في  
الكفالة : إن عجزت عن إحضاره ، أو متى عجزت عن  
إحضاره ، كان على القيام بما أقر به ، فقال ابن نصر الله :  
لم يبرأ بموت المكفول ، وإنزّمه ما عليه ، قال : وقد وقعت  
هذه المسألة ، وأفتيت فيها بلزوم المال . ١٠ هـ .

أقول : وفي هذه الفتوى نظر ظاهر ، فإن المعجز المذكور  
هو المعجز عنه في حياته ، كما هو الأصل في الكفالة ،  
وذكره هذا من باب التأكيد .

س ٣ - هل السجّان كفيل أو وكيل ؟

ج - قال في « الإقناع » وشرحه : السجّان ونحوه ممن  
هو وكيل على بدنّ النريم بمنزلة الكفيل للوجه ، فإن تعذّر  
عليه إحضاره ضمن ما عليه . قاله الشيخ .

وقال ابن نصر الله : الأظهر أنه كالوكيل يحمل في حفظ النريم :  
إن هرب منه بتفريطه ، لزمه إحضاره ، وإلا فلا . ١٠ هـ .

أقول : قول ابن نصر الله أرجح من قول الشيخ التقي ،  
لأنه منوب بحفظه ، لا ملتزم لإحضاره .

س ٤ - إذا قال : طلق زوجتك وعلى ألف ، فطلقها ، أو بع  
عبدك من زيد بمائة وعلى مائة أخرى ، فهل يلزمه ما قال ؟

ج - قال في « الإقناع » وشرحه عن « الرعاية » :  
ولو قال لزيد : طَلَّقْ زَوْجَتَكَ وَعَلَى أَلْفٍ ، أَوْ مَهْرَهَا ،  
فَطَلَّقَهَا ، لَزِمَهُ ذَلِكَ بِالطَّلَاقِ . وَلَوْ قَالَ : بَيْعُ عَبْدِكَ مِنْ زَيْدٍ  
بِمِائَةِ وَعَلَى مِائَةِ أُخْرَى ، لَمْ يَلْزِمَهُ شَيْءٌ . وَالْفَرْقُ أَنَّهُ لَيْسَ  
فِي الثَّانِي إِتْلَافٌ ، بَخْلَافِ الْأَوَّلِ . ٥١ .

أقول : وفي هذا الفرق نظر ، فإنه إما اختار بيعه بمائة  
الضمان المائة الأخرى ، فكأنه لم يرض ببيعته إلا بمائتين -  
والذي تقتضيه القواعد : استواء المسألتين في الضمان .

س ٥ - ما حكم ضمان المعرفة ؟

ج - قال الأصحاب : وإن ضمن معرفته ، أخذ به .

أقول : والأولى أن يقال في ضمان المعرفة :

إن دلّ في الثرف على التزام إحضاره أخذ بإحضاره ،  
وإلا أخذ بمعرفته ، وتعريفه لصاحب الحق فقط .

س ٦ - إذا ضمن معرفة إنسان ، فما حكمه ؟

ج - المشهور عند الأصحاب : أنه من ضمن معرفته صار  
ضماناً تاماً ، يُطالب بهذا كما يُطالب ضامن نفس الدين ، ولكن  
الصواب التفصيل ، وهو أنه إن ضمن معرفته فقط ، بأن  
فهم من كلامهم أن قصده : أنتم لا تعرفونه ، فأنا أعرفكم  
باسمه ومحله وموضعه ، فإنه إن وثق بما قاله ، فلا ضمان عليه ،  
وإن غرّم ولم يعرفهم به معرفة تُفيدهم ، فإنه ضامن .

وأما إن كان ضمان المعرفة في عُرْفِهِم أنه ضمان لنفس  
الدين ، فهو ضمان تام . ولكن العرف والمادة ، أن ضمان  
المعرفة راجع إلى الأول ، فعليه أن يعرفهم به ، فإن قام به  
برى ، وإلا فهو ضامن .

### باب : الجحالة

س ١ - عما يُستفاد من قول النبي صلى الله عليه وسلم :

« مُطَّلُ الْغَنِيِّ ظَلَمٌ ، وَإِذَا [ أَتَبِعَ ]  
أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيءٍ ، فَلْيَتَّبِعْ » .

ج - جمع النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : « مطل للغني ظلم ، وإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبّع » ، بين وجوب  
حسن قضاء الحق ، وأن من عليه الحق يجب عليه أداءه  
كاملاً بغير تأخر مع القدرة ، وبين حسن الاقتضاء ، وأن من له  
الحق ينبغي أن يكون ستمحاً ، بحيث إذا حوِّله من عليه الحق على  
مليء ، لا ضرر عليه في التحويل عليه ، فعليه أن يتحوّل ، إجابة  
لأخيه ، وتسهيلاً عليه ، وهو لا ضرر عليه في ذلك . والله أعلم .

س ٢ - تفسير الزركشى للمليء ، هل هو صحيح ؟

ج - نعم ، هذا المليء القادر بماله وقوله وبدنه ، فإله :  
أن يكون عنده من المال ما يُوفى به . وقوله : أن لا يكون  
مماطلاً ، وبدنه : أن يمكن حضوره لمجلس الحكم ، لأن المقصود  
من المليء : التمكن من الأخذ منه .

ومن جمَع الصفات الثلاث أمكن الأخذ منه ، ومن  
اختلفت فيه ، أو [ إحداهما ] ، لم يمكن الأخذ منه .

س ٣ - إذا كان لزيد على عمرو مائة تحلُّ في  
رجب ، ولكن على زيدٍ [ مائة ] تحلُّ في نفس رجب  
المذكور ، فهل تصح الحوالة ؟

ج - ذكر الأصحاب جوابها . فلو تأملت شرح « الزاد »  
وما فوقه ، لرأيت المسألة مصرّحاً بها ، لأنّ الدَيْنين إذا اتفقا  
في الحلول أو التأجيل مع اتفاقهما في الجنس ، فإنّ الحوالة تجوز  
لوجود الشرط ، وفقد المانع . وسؤالكم من هذا الباب . والله أعلم .

س ٤ - عن رجوع [المُحال] على المحيل عند تعذر الاستيفاء .

ج - القول برجوع [المُحال] على المحيل إذا تمذر عليه  
الاستيفاء بغير تفريطه أولى وأصحّ ، سواء رضى بالحوالة  
أو كان المحال عليه مليئاً أو لا .

س ٥ - إذا قال : أحلتك بما على الميت أو به عليه ،  
فما الحكم ؟

ج - قال في « الإقناع » وشرحه ، نقلاً عن « الرعاية »  
الصغرى و « الحاويين » : إن قال : أحلتك بما عليه أى  
الميت صحّ ، لا : أحلتك به عليه ، فلا يصحّ ، لأنّ ذمته قد خربت .  
أقول : ولا مانع من إرادة الحوالة على التركة بهذا  
اللفظ ، كما هو المتعارف .

## كتاب : الصلح

- س ١ - هل يصحّ الصلح عن الشفعة ؟
- ج - الصحيح صحّة الصلح عن الشفعة ، لأنها حق له ، فلا مانع من الماوَضة على إسقاطه ، وكذا عن حقّ خيار .
- س ٢ - ما حكم المصالحة عن المؤجل بيمضه حالاً ؟
- ج - الصحيح جواز الصلح عن الدين المؤجل بيمضه حالاً ، لأن فيه إسراع براءة الدمة ، ولا محذور فيه ، وقصّة بنى النضير تدلّ عليه ، وكثيراً ما تدعو الحاجة إليه .
- س ٣ - إذا تصالحا عن دين مجهول وقت الصلح ، ثم عثرا على الوثيقة ، فتبين أنه لا يُقابل ما اصطالحا عليه ، فهل يُنقض الصلح ؟
- ج - نعم يُنقض هذا الصلح ، لأنها إنما تصالحا بحسب جهالة المبلغ ، فلما تبين لهما مقدار الدين ، وجب الرجوع إليه ، فإن كان المصالح به أكثر منه ، استردّ الزائد ، وإن كان أقلّ ، فله طلب الزائد ، إلا إن حصل الرضا بمد العلم بمقدار الدين ، فالرضا سيّد الأحكام . إلا إن كان المال المصالح عنه ليتيم ، أو لغير المصالح ، فإن عليه الاجتهاد فيه ، وليس له تميم الصلح ، إذا كان فيه ضرر على اليتيم ونحوه .

س ٤ - إذا امتنع الغريم من بذل الحق إلا بلفظ الصلح ،  
فقد قالوا : لا يصحّ ، لكن هل يحرم على صاحب الحق أخذه ؟  
ج - لا يُحرم على صاحب الحق أخذه ، وإنما التحريم في  
حق من عليه إذا وقع في حالة يهضم فيها الحق ويمتنع من الأداء  
إلا في هذه الحالة . وحرم عليه ، [لأنه] واجب عليه أداء  
جميع ما عليه ، وفي هذه الحالة لم يؤدّ إلا بعض الواجب . فإن  
[وقع] الصلح المذكور برضا صاحب الحق ، صار حلالاً حتى في  
حق من عليه الحق ، لأن الحق لغريمه ، وقد أسقطه . والله أعلم .  
س ٥ - إذا صالحت الزوجة عن ثمنها من التركة ، جاز ،  
ولم يُفترقوا بين الأعيان والديون ، فهل هو وجيه ؟  
ج - عبارتهم ومُرادم ما ذكر ، ثم إنه يتناول الأعيان  
والمنافع والديون المعلومه والمجهولة .  
وأما قولكم : هل هو وجيه أم لا ؟ ففيه تفصيل ، وهذا  
التفصيل يتنزّل على القواعد الشرعية ، والمعاني الفقهية .  
أما إذا كانت التركة مجهولة أعيانها أو ديونها أو كلاهما ،  
ولكنه لا يتمدّد ولا يتمسّر عليهما ، فهذا لا يجوز ، لأنه من  
نوع بيع الغرر ، وفيه مخاطرة ظاهرة ، وفيه أيضاً تمويض  
عن الديون التي في الدم . وكل هذه محاذير .  
وأما إذا كانت التركة معلومة أعيانها وديونها ، فالأعيان  
معلوم جواز الصلح عنها ، إذا كانت معلومة .

وأما الديون ، فإن بيع الدين ممنوع ، ولكن الصلح أوسع من البيع ، ويجوز فيه ما لا يجوز في البيع ، فإذا كانت خالية من الغرر والخطر ، فلا نرى بذلك بأساً .

وأما إذا كانت التركة مجهولة ، ويتمذر علمها ، فيجوز الصلح فيها لسكون الضرورة تدعو إلى ذلك ، وإذا كانت مجهولة ويمكن بعد البحث والتدقيق الوقوف على كنهها مع العسر والمشقة ، فهذا موضع اشتباه :

إن نظرنا إلى ما في الصلح من سرعة الراحة ، والخلاص من الخصومة والتعب ، ترجح جوازُه ، وإن نظرنا إلى ما فيه من الغرر ، وربما حصل فيه تغرير أو خداع ، ترجح المنع . والأولى في هذا : النظر إلى القضية الخاصة والموازنة بين مصالح الصلح ومضارّه بتحقيق تام ، والحكم على ما ترجح .  
مس ٦ - إذا كان بين اثنين عرصة ، وأراد أحدهما أن يبنى ، فهل يلزم شريكه بالمباناة ؟

ج - إن كان الآخر يريد بقاء عرصته فضاءً ، لا يريد لها داراً ولا حوشاً ، فلا يلزمه مباناته ، ما دامت في هذه الحان فضاءً ، لا حصنها ولا بناها ، لعدم انتفاعه بما بناه جاره . ومتى أراد بناء داراً أو حوشاً وحصنها فإنه يلزمه المباناة ، لأن الجدار الذي بناه جاره سابقاً ، صار الآن من جملة ما حصن به داره أو حوشه . لكن عليه من المباناة بمقدار ما ينتفع به .



فإن كان لدى بنى أخيراً جملة حوشاً ، والأول قد بنى داراً أعلى منها ، لم يلزم الأخير من المباناة إلا مقدار الجدار الحامى ، وهو تقريباً سبعة أذرع . وإن بنى الأخير مثل ما بنى الأول ، لزمه مباناته [مباناة] تامة ، وإن زاد عليه ، لم يلزم الأول الزيادة . وهذا كله مأخوذ من كلام الأصحاب .

س ٧ — إذا طلب من جاره المباناة ، فامتنع ، فهل يُجبر ؟  
ج — إن كان الممتنع أرضه بيضاء ، يعنى [حياله] ، ما بنى فيها ، فما دامت على هذه الحال لا يجبره الآخر على المباناة ، فإذا أراد أن يُحَوِّشها بجدار ، أو يبنى أيضاً زيادة منازل ، فإنه يُجبره على بذل حقه من المباناة ، لكن بمقدار ما بنى الأخير .  
إن بنى حوشاً فقط ، فبدسوق له من المباناة مقدار ارتفاع جدار الحوش [عن] جدار جاره ، فإن زاد مسقفاً أو بنياناً عاليًا ، استحقّ أن يأخذ منه الزيادة .

س ٨ — هل يملك إحداث بئر ينقطع به ماء جاره ؟  
ج — قال الأصحاب : ويحرم إحداثه في ملكه ما يضرّ بجاره .  
ثم ذكروا أمثلة ، منها حفر بئر ينقطع بها ماء بئر جاره .  
أقول : وقيل : له حفر بئر في ملكه ، ولو أفضى إلى نقص ماء جاره أو قطعه ، لأن قرار الأرض له ، وما فيه من الماء المودع هو أحقّ به من غيره ، ولو ترتب عليه ما ذكر ، وهو أظهر ، بشرط أن لا يفعله على وجه المضارّة .

ومما يدلّ على ذلك ، أن له [ أن ] يحفر البئر الموجودة  
ويُعمّقها ، ولو أفضى إلى نقص ماء جاره . فكما أن الهواء  
تابع للقرار ، فالقرار عماد السطح والهواء .

### باب : الحجر

س ١ - ما حكم منع المدين من السفر ؟  
ج - قول الأصحاب : ولغريم من أراد سفرًا طويلًا  
منعه ، ولو كان الدّين لا يحلّ قبل مدة السفر ، إلا برهن  
يُحرز ، أو كفيل ملىء . انتهى .

الصواب : ليس له منعه في هذه الحال ، إذا كان الدّين  
لا يحلّ قبل مدة السفر ، إذا لم يخشَ غييبته المستمرة ، وهو  
اختيار القاضى وغيره ، لأن الغريم قبل حلول دينه على غريمه  
ليس له أن يُطالبه ولا يجبسه ولا يمنعه من شيء من عوائده  
التي لا تضرّ الغريم . هذا مأخذ . ومأخذ آخر ، وهو أن  
المعروف بين الناس ، كالمشروط بينهم ، وقد [ اطرّد ] في العرف  
والعادة أنهم لا يمنعون غُرمائهم الذين لا تحلّ ديونهم من السفر .  
ومأخذ ثالث ، وذلك أن كثيرًا من الناس أسبابهم  
ومعاملاتهم مضطرة إلى السفر ، ومنعه ضرر كبير ، وتفويت  
لمصلحه ، وربما ضرّ الغريم بنفسه ، وإلزامنا إياه بالوثيقة  
إلزام بما لا يلزمه ، وأكثر الناس أيضًا لا يتمكن من الوثيقة ،  
وهو محتاج أو مضطر إلى السفر ، فكيف يمنع ؟ والله أعلم .

س ٢ - هل يمنع العاجز عن وفاء الدين من السفر ؟

ج - قال في « الإفتاح » وشرحه :

وإن أراد المدين سفراً ، وهو عاجز عن وفاء دينه ،

فلغريمه منعه ، حتى يُقيم كفيلاً ببذاته . قاله الشيخ .

أقول : وظاهر الآية ، وهي قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ، فَنَنْظِرْهُ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ (١) .

ليس له منعه من السفر ، ولو لم يُقم كفيلاً .

وهو ظاهر كلام بقية الأصحاب ، لِكَوْنِهِ لَا تَحِلُّ

مطالبته في هذه الحال . اهـ .

س ٣ - هل يُحبس الأجير الممتنع من وفاء دينه الحال ،

مع القدرة ؟

ج - قال الأصحاب : فإن أبي من له مال يفي بدينه

الحال الوفاء ، حبسه الحاكم .

قال ابن قندس : ظاهر ما ذكروه ، أنه متى توجه حبسه

حبس ، ولو كان أجيراً في مدة الإجارة ، أو امرأة مزوجة .

وعليه مشى الحكماء في هذا الزمان ، ولم أر المسألة مصرحاً

بها في كلام أشياخ المذهب ، لكن إطلاق كلامهم ظاهره :

أن الإجارة والزوجية لا تمنع .

أقول : ومموم كلام الأصحاب في وجوب حق المؤجر على الأجير ، وحق الزوج على زوجته ، يُقابل هذا العموم ، مع موافقته لظاهر الشرع ، وأنه يمكن القيام بالحقّين من غير حبس . فحق المؤجر والزوج لا يفوت ، ويُجبر على الأداء من غير حبس ، وإلا فيؤخذ من ماله قهراً عند امتناعه ، فإن كان حق المؤجر والزوج سابقاً ، لم يبق في تقديم حقّها أدنى ريب ولا إشكال .

س ٤ - ما حكم نفوذ تصرف المفلس قبل الحجر ؟  
ج - قال الأصحاب : وكل ما فعله المفلس قبل الحجر عليه ، فهو نافذ ، ولو استغرق جميع ماله . اهـ .  
وعند الشيخ تقي الدين : لا ينفذ التصرف المضرّ بالغيرم ، ولو لم يحجر عليه . وهو أرجح وأقرب إلى العدل .  
س ٥ - هل يحلّ الدّين بالموت ؟

ج - هذه قد ذكرها الفقهاء من أصحابنا أنه يحلّ إلا إذا وثق الورثة برهن يُحرز ، أو كفيل ملء ، فإذا وثقوا بأحد الأمرين ، فالدين لا يحلّ حتى يحلّ أجله ، وإذا لم يحصل توثيق ، حلّ الدين . ولا فرق على المذهب بين الدين المؤجل الذي جعل أجله بمقابلة مصلحة ، أو مؤجل قرض ونحوه . ولكن الذي نحن نفتى به : إذا كان الدين له مصلحة ، مثل أن يبيع عليه ما يساوي مائة ريال بمائة وعشرين إلى أجل ،

ثم مضى نصف الأجل مثلاً ، وقلنا : يحل لعدم التوثيق ، فإنه لا يحق لغريم إلا مائة وعشرة ، بحسب ماضى من الوقت ، وهو قول لبعض العلماء ، وهو المدل الذى لا يليق القول إلا به ، وهو كما لو اتفقنا فى حال الحياة أن يُبادر بالوفاء قبل حلول الأجل ، وواقفه الغريم على ذلك ، فإنه [ لا ] يسقط المصلحة المدة المستقبلية ، ويقبض ، كما هو الصحيح .

س ٦ - عن حلول الدين المؤجل بالفلس .

ج - قال الأصحاب : ولا يحل دين مؤجل بفلس .  
أقول : وقيل : إن الدين المؤجل يحل بالفلس ، وإنه يُشارك أصحاب الديون الحائلة . لكن إن كان مؤجلاً فيه ربيع ، أسقط من الربح بمقدار ما سقط من المدة .

فلو باع سلعة تُساوى ألفاً بألف ومائتين إلى أجل ، ومضى نصف الأجل ، وجب ألفاً ومائة ، وسقطت المائة الأخرى مقابل باقى المدة ، وهذا أقرب إلى المدل والصواب .

س ٧ - إذا رخصت أعيان مال المحجور عليه ، فهل تُباع بضمن مثلها وقت الحجر ، أم ينتظر بها عودته إلى حالته الأولى ؟

ج - قد ذكر العلماء الأصحاب وغيرهم : أن فائدة الحجر على المفلس توزيع موجوداته وأعواضها على غرمائه ، وأنه يُباع موجوداته التى ليست من جنس الدين ، ولم يُفترقوا بين ما كان رخيصاً أو غيره ، لأن حقهم واجب ، إيصاله إليهم

على الفور ، وهو مصلحة متحققة . وبقاء ذلك إلى وقت آخر مصلحة متوهمة ، فإنه قد يزيد وقد ينقص ، ولكن الأولى للفرمء في هذه الحال المسايرة والمساحة ، والانتظار إذا غلب على الظن وجود مصلحة ، ولكن لا يجبرون على ذلك .

س ٨ - عن أن الحقوق المتعلقة بالمال الحاضر مقدمة على ما تعلق بالذمة .

ج - الحقوق المتعلقة بالمال الحاضر تُقدّم على الحقوق المتعلقة بالذمّ ، أو الحقوق السابقة ، كما تقدّم أجره المنادى والدلال والحافظ والديون التي تُستدان على التركة لمصلحتها على حقوق الفرء ، كما يُقدّم حقّ العامل ونحوه على الحقوق الأخرى .

س ٩ - يقول الأصحاب : من رجع فيما ثمنه مؤجّل لم يأخذ قبل حلّوله ، فهل هذا قويّ ؟

ج - قولهم في رجوع الغريم المحجور عليه في عين ماله : ومن رجع فيما ثمنه مؤجّل لم يأخذ قبل حلّوله . هذا قول ضعيف ، ولهذا اختار ابن أبي موسى أخذه في الحال ، لأنه إنما يرجع في المبيع ، فأى موجب لتأخيره ؟ وهذا واضح عند القائل .

س ١٠ - ذكر الأصحاب أن الزيادة المتصلة تمنع من رجوع البائع بعين ماله عند الفلاس ، وأن الزيادة المنفصلة للبائع ، فما الفرق ؟

ج - الأمر ، كما علمتم ، أنه لا فرق بين الأمرين على هذا القول ، وهذا الذي جرى عليه في متن « الإقناع » أن الزيادة المنفصلة للبائع ، وأن أحمد نصّ على ذلك . وقد ذكر الشارح المذهب ، وهو الذي جرى في « التنقيح » : أن الزيادة المنفصلة تكون للمفلس ، وهو القول الموافق للقواعد ، لأنه إذا كانت الزيادة المنفصلة الحادثة بمد البيع للمشتري من خيار العيب والشرط ونحوها إذا ردّ المبيع ولا يردّها مع المبيع ، فكونها للمفلس من باب أولى . والذي جرى عليه في « التنقيح » هو المذهب المرجح عند المتأخرين . فعلى هذا القول الراجح يظهر الفرق بين الأمرين . والله أعلم .

س ١١ - إذا وجد عين ماله عند من أفلس ، وقد خرجت عن ملكه ، ثم عادت ، فما الحكم ؟

ج - ذكر الأصحاب من الأحكام التي تتعلق بالحجر على المفلس أن من وجد عنده عيناً باعها إياه فهو أحقّ بها ، ولو بعد خروجها عن ملكه . فلو اشتراها ، ثم باعها ، ثم اشتراها ، فهي لأحد البائعين بقراءة .

أقول : وقيل إنها للبائع الثاني ، وهو أولى .

س ١٢ - إذا بذل الغرماء لصاحب السلعة ثمنها ،

فهل تسقط أحقيته بها ؟

ج - قال الأصحاب : فإن بذل الغرماء لصاحب السلعة

ثمنها ، أو خصّوه بها من مال المفلس ، أو قال المفلس : أنا أبيعها أو أعطيك ثمنها ، لم يلزمه قبوله .

أقول : والأولى أنه إذا حصل له ثمن سلعته على أى وجه كان ، لم يكن له أخذها ، لأن الشارع إنما خصّه وجعل له الحقّ فى أخذها خوفاً من ضياع ماله ، فينظر إلى المعنى الشرعى .  
س ١٣ - شروط الرجوع بعين ماله على المفلس ، هل لها دليل ؟

ج - ذكر الأصحاب إرجوع المفلس فى عين ماله شروطاً ، وأكثر هذه الشروط فى استحقاق الرجوع فى العين لا دليل عليه ، وظاهر الحديث يدلّ على رجوعه ما لم يمنع مانع ، كتملّق حق ، أو انتقال ملك ، أو تغييرها تغييراً كثيراً بزيادة .  
س ١٤ - إذا كان وكيلاً على مال يتامى ، وهو فقير ، والمال كثير يحتاج إلى مصاريف وأصحاب يصرفونه معه ، فهل يأخذ هذه المصاريف من المال ؟

ج - كلّ ما تملّق بمصلحة المال ، فله أن يأخذ المصاريف المتعلقة به من مال يتامى ، لأن الله يقول :  
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١) .  
و [هى] الأمور التى فيها مصلحة للمهم ، وحفظ له ، ولولا ذلك لتخلّى الوكيل عن الوكالة . فكل هذا يؤخذ ، إذا كان بالمعروف ، وليس فيه إسراف .



س ١٥ - قال الأصحاب : إذا زُوجَ السفية بزائد على مهر المثل ضمن الزيادة ، بخلاف ما إذا أذن فيها . فهل هذا وجيه ؟  
ج - قول الأصحاب في وَليِّ السفية : وتلزم ولياً زيادة على مهر المثل زوج بها السفية ، لا زيادة أذن فيها ، لأنه لم يُباشرها ، ووجود الإذن كمدمه . انتهى .  
وفي هذا التفريق نظر ، فإن الزيادة التي أذن فيها ، كالتى باشرها ، لأنه مؤتمن على مال السفية .

ثم قولهم : ولا تلزم أيضاً السفية : غريب ، فإنهم لم يُزوّجوه إلا على هذه الزيادة المشروطة التي أذن فيها الولي ، فإذا لم تلزم واحداً من الوليِّ والسفية ، صار خِداً ظاهراً .

س ١٦ - إذا مات من يَتَّجِرُ لنفسه وليتيمه بماله ، وقد اشترى شيئاً ولم يعرف لمن هو له ، فما الحكم ؟

ج - ما نقله في شرح «المنتهى» عن شيخ الإسلام في قوله : وإن مات من يَتَّجِرُ لنفسه وليتيمه بماله ، وقد اشترى شيئاً ولم يعرف لمن هو : أقرع ، فمن قرع حُلْفَ وأخذ . انتهى .  
في هذا التحليف نظر ، ولو قيل : يقسّم بين ورثته وبين اليتيم بنسبة ما لكل منهما ، لسكان أولى ، لأن المال المختلط زيادته وتقصه وما يعتريه من شكٍّ واشتباه ، يجب أن يُراعى فيه المدل ، وذلك بالتقسيم ، وكيف يحلف في هذا ، واليتيم والوارث ليس [ عندهما ] اطلاع على الأمر ؟  
فالحلف لا محلّ له . والله أعلم .

س ١٧ - بماذا يُكفر السفية ؟  
ج - قال الأصحاب : ويكفر السفية بالصوم ،  
ولا يكفر بالمال .

أقول : كَوْنُ السفية الغنى لا يكفر بالمال في غاية الضعف ،  
وخالف لمعوم الأدلة ، فالصواب أنه يكفر بالمال كغيره .  
وقولهم في تعليل المنع : لأنه يضره ، مقابل بالزكاة .  
ومنه والحجر عليه ، من التصرفات الضارة ، لقصور عقله .  
وأما العبادات المالية : فهو وغيره سواء .

س ١٨ - ما يُترك للمفلس بعد الحجر ؟  
ج - قال الأصحاب : ويجب أن يُترك للمفلس من  
ماله ما تدعو إليه حاجته من مسكن و خادم .  
أقول : وعند ابن حمدان : يُباع المسكن إذا استدان  
ما اشترى به مسكنًا ، وهذا هو عين الصواب .

ولا يمكن أن تأتي الشريعة بخلاف هذا القول ، وتفتح  
للناس أكل أموال الناس بأبطل الباطل ، فلا يعجز مُبطل أن  
يستدين ويشتري له دارًا تكون مسكنًا بذلك الدين ، ويقول :  
إنه معسر لا يُباع مسكنه . بل لو قيل كقول كثير من أهل  
العلم : إن المسكن مطلقًا يُباع لوفاء الدين ، لكان قولًا  
قويًا ، لأن وفاء الدين من الضروريات ، وبقاء ملكه على  
مسكنه من الحاجيات ، ويا بعد ما بين الأمرين !

س ١٩ - ما حكم تصرف من حكم الحاكم بالحجر عليه ،  
بعد زوال رُشْدِهِ ؟

ج - قال الأصحاب : ومن حجر عليه الحاكم ، استحبَّ  
إظهاره لتجنّب معاملته . قال الشيخ عبد الوهاب في هامش  
شرح « الإقناع » : ظاهره - بل صريحه - أن معاملاته قبل  
الحجْر صحيحة نافذة ، كما لا يخفى . ٥١ .

أقول : فيه نظر ، فليس بظاهر ولا صريح صحة معاملاته  
قبل حجر الحاكم ، لأن الحاكم إنما يظهر خافياً ، بل متى  
ثبت جنونه أو سفهه وقت تصرفه ، فإنه ليس بصحيح .  
وهو داخل في عموم كلامهم .

س ٢٠ - ما أقسام التخيير في الشرع ؟

ج - يتكرّر في كلام الفقهاء - رحمهم الله - ويختبر بين  
كذا وكذا ، ويُشكل بفضله : هل هو تخيير بعدما يجتهد في  
الأصلح منها ، أو هو تخيير بحسب رغبة المخير وشهوته ؟  
وعند التبشيع والاستبراء ، تعبد من خَيْر بين أمرين فأكثر  
لأجل ولاية ونحوها ، فإنه تخيير في الاجتهاد في الأصلح ،  
فيمتدّن عليه النظر في أصلح المذكورات ، وذلك مثل تخيير  
الإمام في قِسمة الأراضي المنومة ، أو ضرب للخراج عليها ،  
والتخيير في الأسارى ، وفي اللقطة قبل الحؤول ، ونحو ذلك .  
وإن كان التخيير راجعاً إلى السهولة على المكلف ، وطلب

الأرفق له ، فإن هذا تابع لإرادته ، وذلك كالكفارات الخيرة ،  
وأنواع الدّية ، وكالجيران في الزكاة ، ونحو ذلك .

س ٢١ - عن أحكام الأرقاء ؟

ج - العبد المملوك له أحكام كثيرة : أحكام تكليفية ،  
وأحكام مالية ، وأحكام بدنية . ولكنها - على وجه التقريب  
لها - يقال : أما أحكام التكليف البدنية ، فالتحقيق أن حكمه  
حكم الأحرار ، حتى في وجوب الجمعة والجماعة ، لعموم النصوص  
الدالة على وجوبها على جميع الرّجال المكلفين ، مع أن المشهور  
من المذهب أن الجمعة والجماعة لا تجب إلا على الأحرار .

وأما الأحكام المالية : فهو في نفسه حكمه حكم الأموال في  
ضمانه وضمان منافعه إذا تلفت أو وضعت عليه اليد المتمدية ،  
فهو مضمون في ذلك كله ضمان الأموال بالقيمة ، وهو لا يملك  
شيئاً من المال ، وما اكتسبه بيده أو قبوله للهدية والصدقة  
والوصية : فلسيده . وعلى هذا ليس عليه كفارات مالية ، إنما  
عليه الكفارات البدنية ، ولا يجب عليه أيضاً الحج لتركه  
من المال والبدن ، لكن لو بذل له سيده ما يحج به أو يكفر ،  
فالمشهور من المذهب أن لا يجزئ عنه ، والصحيح أنه يُجزئه  
عن حجة الإسلام إذا كان مكافاً ، وتجزئه الكفارة المالية  
إذا بذلها سيده ، لأن غايته أن يكون كالحُرّ الفقير ، لا تجب  
هذه الأشياء عليه ، وإذا تيسرت له ، أجزأت عنه ، لأن

عدم وجوبها عليه كونه لا يقدر عليها ، فتمّ فعلها حصل المقصود . والعمومات تدلُّ على هذا ، فإنّ الشارع لم يفرض على المكلف إلا حجة واحدة ، ولم يثبت التفریق بين الحرّ والعبد ، كما لم يثبت بين الذكر والأنثى . وينبني على [ذلك] صحة تصرفاته في البيع والشراء والنكاح ونحوه . فكلُّ ذلك منوط بإذن سيّده ، ففتى أذن في شيء من التصرفات ، جاز وتمّ ونفذ ، ومتى لم يأذن فيها ، فالتصرف غير صحيح ، إلا تصرفاً متملقاً بخصوص رغبة العبد ، كالطلاق والرجعة . فالحكّم متملق بذاته . فلهذا صحّح العلماء طلاقه ورجعته ، ولو لم يأذن فيهما سيّده ، مع أن الإذن في النكاح يستلزم الإذن في هذه الأمور المتفرّعة عنه .

وأما الأمور المتعلقة بأقواله كفتاويه وقضائه وشهادته وإقراره ونحوها ، فإنها معتبرة على التحقيق ، وحكمه حكم الحرّ فيها ، من غير تفصيل بين شيء منها ، لظاهر الأدلة وعمومها . وإن كان بعض العلماء يرى ردّ قضائه وشهادته ، فهو قول لا دليل عليه ، وهو مخالف للدليل . وأما حاله في الحدود ، فالقتل والقطع حكمه فيه كالأحرار ، بحسب تفاصيل أحكامهم . وأما الجلد فإنه يتنصّف عليه نصف ما على الحرّ ، وكذلك القسم بين الزوجات الأحرار والعبيد ، فعلى النصف ، والعدة والطلاق على النصف ، فهذا تقريب حكم العبيد . والله أعلم .

س ٢٢ - قول الأصحاب : ويصح أن يشتري قنًا  
مأذونًا له في تجارة من يعتق على مالكة ، فهل هو صحيح ؟  
ج - قول أصحابنا رحمهم الله : ويصح أن يشتري قنًا  
مأذونًا له في تجارة من يعتق على مالكة لرحم أو [قربى] ،  
ويعتق بذلك أو يشتري زوج مالكة ، وينفسخ بذلك  
النكاح . انتهى .

العتوب الذي لا شك فيه ، أنه لا يدخل في الإذن في  
التجارة ، لأنه إنما أذن له أن يبيع ويشتري ما تحصل به  
التجارة ، لا أن يشتري ما يُنافيها ، فهو في حال شرائه لرحم  
سيده وزوجه غير مأذون لفظًا ولا عرفًا ، فكيف نصح ذلك ،  
وتلزم السيد بأمر لم يلتزمه ولم يأذن به ، بل أمر يضره ؟  
والله أعلم .

وهذا أحد القولين للأصحاب . ومثل ذلك المضارب ،  
لا يدخل في تصرفه شراء من يعتق على رب المال ولا زوجه ،  
فإن فعل فالتصرف لاغٍ ، على الصحيح .

### باب : الوكالة

س ١ - هل الأولى الدخول في الوكالات ونحوها ، أو لا ؟  
ج - من العلماء من استحَبَّ الدخول في ذلك ، لما فيه من  
قضاء الحاجات ، وإجابة من تعلق به بوكالة أو وصاية ونحوها ،  
ولما يترتب على تنفيذها في طرقها الشرعية ، وتنفيذاتها الواجبة ،

من الأجر والثواب ، حتى ولو كان ذلك بما وُضِعَ وأجرة .  
ومن العلماء من يستحبُّ البُعدَ [عنها] ، والسلامة منها .  
وكان الإمام أحمد ، رضى الله عنه ، لا يعدلُ بالسلامة  
شيئاً . [لما] فيها من الأخطار ، والبُعد عن محلِّ المِحْنِ والفِتَنِ  
والأغراض الضارّة من القواعد الشرعية . ولِمَا في ذلك  
من اتهامه وكثرة الخُصومات ، وهى نوع من الولاية .  
والولاية ينبغى البعد [عنها] .

والتحقيق فى هذا : التفصيل ، وأنه يختلف باختلاف  
أحوال المولّين والمولّين ، فمن كان يعلم من نفسه عدم  
الكفاءة ، أو يخشى من نفسه الخيانة ، أو يشغله مما هو  
أهمّ منه ، قوى المنع فى حقّه ، بخلاف العكس .  
وكذلك من كان الذى وكله أو وصّاه أو أتابه فى النظر  
فى الوقف ، له حق واجب عليه ، ولم يجد غيره ، قوى  
الاستحباب فى حقّه .

وكذلك من كان يظن أنه إذا تمذّر ذلك تولاه من  
لا يصلحه ، أو يظنه يضيع أو ينفذ فى غير طُرُقهِ الشرعية ،  
فدخوله فيها لأجل هذه المصلحة الشرعية مستحبّ أو مُتعيّن .  
وهذا النظر فى جميع الولايات الصغار والكبار ، ينبغى  
[أن] يلاحظ [فيه] المصالح والمفاسد ، فلا يحكم حكم كلى يشمل  
جميع الأشخاص ، بل يتبع فى ذلك المصالح الشرعية .  
ومع الاستواء ، فالسلامة لا يمدّها شيء . والله أعلم .

س ٢ - ما أقسام النيابة عن الغير ؟  
ج - النائب عن الإنسان ثلاثة أقسام : نائب خاص ،  
كالوكيل ، والوصى الخاص ، المعين باسمه أو وصفه .  
ونائب عام ، كنيابة الحاكم عن النائب ، ونظره في  
الأوقاف والوصايا التي لا وصى لها ولا ناظر .  
ونائب ضرورة ، كنيابة المنتقط على ما يجده مع اللقيط  
من مال لينفقه عليه ، ونيابة من مات في محل لا وصى فيه ،  
ولا حاكم ، وما أشبه ذلك من محال الضرورة .

س ٣ - هل للقاضي أن يستنيب إذا غاب ؟  
ج - قد ذكر الأصحاب ، رحمهم الله ، ضابطاً حسناً  
يدخل فيه القاضي وغيره . فقالوا : ومن قرّر في وظيفة لم يجز  
صرفه عنها بلا موجب شرعي ، وله أن يستنيب ، فالقاضي إذا  
استناب من فيه أهلية ، وغاب ، خصوصاً لحاجة ، فإنه جائز ،  
والله أعلم .

وكذلك كل من كان في وظيفة شرعية ، والله أعلم .

س ٤ - عن صفة التوكيل في الإقرار ؟  
ج - قال الأصحاب : بصحّ التوكيل في الإقرار .  
قال في شرح « الإقناع » : وصفة التوكيل في الإقرار أن  
يقول : وكلت في الإقرار ، فلو قال له : أقرّ عنى ، لم يكن  
ذلك وكالة ، ذكره المجد . اهـ .



أقول : تفريق المجد غير واضح ، فأى فرق بين قوله :  
وكلتك في الإقرار في بيع كذا ، أو بع كذا ؟ فنظيره :  
وكلتك في الإقرار ، أو : أقرّ عنى . وظاهر كلام الأصحاب  
خلاف ما قاله المجد ، وإن كان الشارح قد ساق كلامه  
كالقيد لكلامهم ، فليس لهذا القيد داعٍ .  
س ٥ - عن صفة الوكالة الدورية وحكمها ؟

ج - صحّح الأصحاب ، رحمهم الله ، قول الموكل : كلما  
عزلتك فقد وكلتك ، وقالوا : هذه وكالة دورية .  
أقول : الوكالة الدورية ، والعقود والفسوخ الدورية ،  
إنما حدث الإفتاء بصحتها [ ودورانها ] بعد القرون المفضلة ،  
كما ذكره الأئمة . وحقق المحققون أنها غير صحيحة ،  
إنفاذاتها لمقتضى العقود والفسوخ الشرعية ، وجعل العقود  
الجازئة لازمة ، وبالعكس .

س ٦ - إذا وكل في شيء ، فما الحكم ؟  
ج - قال في « الإفتاء » : وإن وكله في كلٍّ ، قليل أو كثير ،  
لم يصح . قال شارحه : وكذا لو قال : وكلتك في كل شيء ،  
أو في كلٍّ تصرف يجوز لى ، أو كلٍّ ما لى التصرف فيه . اهـ .  
أقول : الصحيح أنه إن عرف موضوع ما فيه الوكالة ،  
صحّ التوكيل ، ولو عمّت الوكالة كلٍّ ما له التصرف فيه ،  
حيث لا محذور في هذا .

س ٧ - هل يصح أن يقول : اشترى لي عبداً بما شئت ؟  
ج - قال الأصحاب : وإن قال : اشترى لي عبداً بما  
شئت ، لم يصح .

أقول : ليس في هذا التفويض محذور أصلاً ، ولا دليل  
على المنع ، والأصل جواز التوكيل .

س ٨ - إذا أرسل معك دراهم لشخص ، فأرسلتها إليه  
مع إنسان آخر ، بغير إذن الذي أرسلك ، فهل تضمن ؟

ج - هذا الذي أرسلتها معه إن كان ثقة حافظاً للأمانة ،  
ولكن ضاعت منه بدون تفريط ولا تعدد ، فالذي أرى أنه  
لا ضمان على الطرفين ، لا عليه ، لأنه محسن مؤتمن ، وما على  
المحسنين من سبيل ؛ ولا على الذي أرسلها معه ، لأنه بمنزلة  
وكيله ونائبه المؤتمن ، والمادة أيضاً جارية بذلك ، وعرف  
الناس متفق على أنه في هذه الحالة صانع بمصاحبه معروفاً ،  
إلا إن قال له : لا ترسلها مع غيرك .

س ٩ - إذا وكل شخصاً ، ثم وكل بعده آخر من غير  
عزل للأول ، فهل يشتركان ؟

ج - إن أتى في كلامه أو قرينة حاله ما يدل على عزل  
الأول ، فتوكيل الثاني عزل للأول .

وإن وكل الثاني من غير تعرض لعزل الأول ، لا لفظاً  
ولا عرفاً ، فالأصل بقاء وكالته ، فيشتركان في التصرف

والتصريف والتدبير ، ويصير نظير ما لو وكلهما دفعة واحدة .  
فكل فعل واحد ينيب فيه اثنين فأكثر ولم يذكر أن لكل  
منهما التصرف بانفراده ، فإنه لا ينفرد أحدهما دون الآخر .  
س ١٠ - إذا باع الوكيل بثمن المثل ، وثم من يزيد ،  
فهل يصح البيع ؟

ج - قال الأصحاب : لو حضر من يزيد في البيع على ثمن  
المثل ، لم يجز للوكيل ولا للمضارب بيعه به .

قال في شرح « الإقناع » : فإن خالف وباع ، فقتضى ما سبق  
يصح البيع . وظاهر كلامهم : لا ضمان ، ولم أره مصرحاً به .  
أقول : يعني إن لم يحصل غبن فاحش . والصواب أنه  
كما لا يجز له أن يبيع وثم من يزيد ، فإن فعل فلربها الرد .  
س ١١ - هل يقبض وكيل البيع الثمن ؟

ج - قال الأصحاب : ولا يقبض وكيل البيع الثمن ،  
إلا بإذن أو قرينة .

أقول : يتمين الرجوع إلى عرف الناس في التقبض  
والقبض في الوكالات .

س ١٢ - إذا وكل في قبض حقه من زيد ، فهل يقبض  
من وارثه ؟

ج - قال الأصحاب : وإن وكله في قبض الحق من زيد ،  
لم يملك قبضه من وارثه ، لأن العرف لا يقتضيه .

أقول : ومقتضاه أنه لو اقتضاه العرف ، فله قبضه من الوارث ، وهو الظاهر .

س ١٣ - قولهم في التوكيل : إذا قضى الدين بغير حضور الموكل ، ولم يشهد أنه يضمن ، فهل هو وجيه ؟

ج - فيها قولان في المذهب : هذا هو المشهور ، والثاني : أنه لا يضمن . وعندى في المسألة تفصيل ، وهو أن اتباع العرف والموائد يختلف بحسب الديون وحسب القرماء ، فمن كان دينه مؤجلاً بوثيقة ، ووكل المدين من يقضيه دينه ، ثم قضاه بلا إشهاد عليه ، فهذا لا شك أنه يُعدّ مفرطاً . والمفرط ضامن ، لأنه أمره بقضاء يبرئ ذمته .

وأما إن كان عنده طلب [آخر] ليس فيه وثيقة ، ولم يأمره بالإشهاد ، بل أمره أن يعطيه حقه ، والمقضى أمين ، فهذا لا يمدّه الناس مفرطاً ، فلا ضمان عليه إن لم يشهد . فالمسألة مناطها التفريط وعدمه ، وتعمليلهم يدلّ على هذا التفصيل . والله أعلم .

س ١٤ - إذا قال ربّ الدين للمدين : اشتر لي بدينى عليك طعاماً ، فما الحكم ؟

ج - قال الأصحاب : وإذا قال ربّ الدين للمدين : اشتر لي بدينى عليك طعاماً ، أو أسلف لي ألفاً من مالك في كُرّ طعام ، لم يصح .

أقول : فيه نظر . ولو قالوا في الصورتين ، إن قوله ذلك يتضمن التوكيل ثم الشراء ، كما قالوا في نظائره ، لكان أولى .  
س ١٥ - إذا طلب منه حقاً ، فامتنع حتى يشهد القابض على نفسه بالقبض ، فما الحكم ؟

ج - قال الأصحاب : ومن طلب منه حق ، فامتنع حتى يشهد القابض على نفسه بالقبض ، وكان الحق بغير بينة ، لم يلزم القابض أن يشهد .

أقول : وفيه نظر ، فإنه قد لا يُحسن الجواب بالمجمل ، وقد لا يكتفى منه بمجرد قوله : لا يستحق على شيئاً ، فله أن يمكن من كل ما يدفع عنه الضرر المحتمل .

س ١٦ - إذا أشهد من له الحق على نفسه بالقبض ، فهل يلزمه تسليم الوثيقة ؟

ج - قال أصحابنا : ومتى أشهد من له الحق على نفسه بالقبض ، لم يلزمه تسليم وثيقة الحق .

أقول : والأولى إذا لم يسلم الوثيقة أن يكتب عليها القبض ، أو الخلاص ، ونحوه .

س ١٧ - إذا وكل وكيلاً في تصرف عقد أو فسخ أو غيرها ، ثم بعد تصرف الوكيل ادعى الموكل أنه رجع وفسخ توكيله .

ج - إن كان تعرفه بمد رجوع [ الموكل ] وفسخ [ التوكيل ] ، وكان ذلك بيينة ، صار تصرف الوكيل لاغياً . وكذلك إذا صدق المتصرف معه ، وإن لم يكن بيينة ، لم يقبل قول الموكل ، لأن الوكالة ثبتت ، [ والتصرف ] المأذون فيه حصل .

والأصل عدم نقضه ، إلا في مسألة اختلف فيها كلام الأصحاب ، [ وهى ] ما إذا وكل زوجته في طلاق نفسها ، وطلقت نفسها ، وادعى أنه رجع قبل إيقاعها .

ف قيل : القول قول الزوج .

وقيل : القول قول الزوجة ، وهو الأظهر ، كغيرها من المسائل ، بناءً على هذا الأصل الذى ينبغى طرده .

وكذلك لو وكل غير الزوجة ، فطلق الوكيل ، وادعى الزوج أنه رجع قبل الإيقاع .

والله أعلم .

## كتاب : الشركة

س ١ - قولهم في شركة العنان : إذا تلف أحد المالكين ، ولو قبل الخطأ ، فهو من مالهما ، فهل هو مقيد بما بعد التصرف ، كالمضاربة ، أو مطلق ؟

ج - هو من مالهما مطلقاً ، سواء قبل التصرف أو بعده ، لأنهما لما عقدا الشركة صار المال مشاعاً [ بينهما ] على حسب الملك ، وصار ما تلف من ذلك بمنزلة تلف النماء . وهذا بخلاف المضاربة ، فإن [ المضارب ] ليس [ له ] شركة في مال المضاربة ، حتى يحصل الربح ، والله أعلم .

س ٢ - قول الأصحاب في شركة العنان والمضاربة : لا يُشترط كَوْنُ المالكين من جنس ، فهل هو مطلقاً ، أو فيه تفصيل ؟

ج - قول الأصحاب ، رحمهم الله ، في شركة العنان ، وكذا المضاربة : إذا كانت من متعددين : ولا يشترط أن يكون المالكان من جنس واحد ، فيصح أن يُخرج أحدهما دنانير ، والآخر دراهم ، وعند التراجع كل منهما بما أخرج ، ويقسم الباقي . هذا بناءً منهم على ثبات النقدين وبقائهما بقاءً مستمرّاً بسعر واحد ، لا يزيد ولا ينقص ، كما هو في الأوقات الماضية ، إذا كانت الدراهم والدنانير قيم الأشياء ، ونسبة بمضها لبعض لا تزيد ولا تنقص وأما في هذه

الأوقات ، فقد تغيّرت الأحوال ، وصار النّقدان بمنزلة السِّلَع تزيد وتنقص وليس لهما قرار يربطهما ، فهذا لا يدخل في كلام الأصحاب قطعاً . وأما في هذا الوقت ، فيتعيّن إذا أخرج أحدها ذهباً ، والآخر فضة ، أن يحمل رأس مآليهما متفقاً ، إمّا [ ذهباً ] تُقوّم به الفضة ، أو فضة يُقوّم [ بها ] الذهب . فهذا هو العدل .

وهو مقصود الشركات كلها إذا كانت مبنية على العدل ، واستواء الشريكين في المنعم والمغرم ، وتحريم ما يُنافي هذا ويضاده . لأن تجويز كؤن مال أحدها ذهباً ومال الآخر فضة مع عدم قرارها ، يقتضى أنه عند التراجع والقسمة إذا كان أحد النّقدين زائداً سعره ، أن يستوعب صاحبه الربح كله ، ويبقى الآخر محروماً . فكما لا يجوز لأحدها أن يشترط له ربح أحد الزمانين ، أو أحد السفرتين ، أو ربح السلمة الفلانية ، وللآخر ربح الشيء الآخر . فهذا كذلك ، بل أولى للفرر والخطر ، لأنه قمار ظاهر ، وهو مقصود الأصحاب ولا ريب ، لأن تعليلاتهم تدلّ عليه .

س ٣ - إذا قال : خذ هذا فاتجر به ، والربح لك ، فما الحكم ؟

ج - قال الأصحاب في المضاربة : وإن قال مالك المال : خذ فاتجر به ، والربح كله لك ، فقرض .



أقول : وقيل لا يكون قرصاً ، بل مضاربة فاسدة ، كل  
الربح للعامل ، والوضيمة على المالك ، وهو الأصح ، لدخوله  
على عدم الضمان .

س ٤ - إذا قال ربُّ دينٍ ضاربٍ بالدين الذي عليك ،  
أو بديني الذي على زيد ، فهل يصح ؟

ج - قال الأصحاب : وإن قال ربّ الدين : ضارب  
بالدين الذي عليك ، أو بديني الذي على زيد ، لم يصح .

أقول : والصحيح صِحَّة ذلك ، ويكون توكيلاً في قبضه  
من نفسه ومن غيره ، ثم يكون مضاربة ، كما في قوله :  
اقبض ديني وضارب به ، ومثله : هو قرض عليك شهراً ،  
ثم هو مضاربة . وتصحيح هذه الأمور جارٍ على قاعدة :  
انعقاد العقود بما دلّ عليها .

س ٥ - إذا أعطى شخصاً ريبالات فرنسية مضاربة ،  
فهل يلزم عند تصفيتها أن يردّها إلى أصلها فرنسية ؟

ج - إذا كان بيده مُضاربة ، وكان أصلها ريبالات  
فرنسية ، فانقلبت بمداولة البيع والشراء إلى عربية ، فلا يلزم  
ردّها إلى أصلها عند المحاسبة ، إلا إن اختار صاحبها أن يردّها ،  
فيردّها لأجل صاحبه .

وأما لو كانت مثلاً مائتي ريال فرنسية ، فبآلت إلى  
خمسائة ريال عربي ، وتراضيا على قسمتها ، إن كان قد ظهر

فيها ربح ، أو ردّها على صاحبها بسعر الريالات الفرنسية ، فلا بأس بذلك ، لأن ذلك ليس ببيع ولا شراء ، وإنما هو تقويم ، وهو مال المضارب انتقل من عين إلى أخرى ، فمع التراضي منهما يجوز ذلك ، وإذا اختار أحدهما ردّها إلى أصلها ، لزم ذلك .

س ٦ - إذا كان رأس مال المضاربة [ نصف ] فرنسية ونصف عربية ، أو بالعكس ، ورضى ربّ المال بالعربية ، فهل يجوز ؟ أو يفرّق بين ما إذا ربحت أو خسرت ؟ وكيف يكون إخراج الربح ، والحالة هذه ؟

ج - إن ذلك كله جائز مع التراضي ، إذ لا محذور في ذلك ، لأنه ليس ببيع : وإنما هو عين مال الإنسان انتقل من عين إلى أخرى ، وهو باق على ملك صاحبه . فإن كان لم يربح المال ، بأن كان بمقدار رأس المال ، أو كان ناقصاً ، فهو كله في الحقيقة مال الدافع . فإذا رضى بأخذه في هذه الحال ، جاز ، لأنه لم يأخذه عوضاً عن فقد آخر ، وإنما هو ماله انتقل من حال إلى حال ، كما له أن يأخذ عوضاً بتقويمه . وأما إذا ظهر فيه ربح ، فقد صار العامل شريكاً للدافع في قدر حقه ، فإذا اتفقا على قسمته وتقويمه بسعر النقد الآخر ، كان ذلك إقراراً وقسمة ، وليس بيعاً ، فلو كان رأس المال ألف ريال فرنسية على النصف ، فنصت ألفين عربية ، وصار مثلاً

ما يقابل ألف ريال فرنسية [ألفاً] وستمائة ريال عربي ، والباقي أربعمائة ريال عربي ربح ، كان للدافع ألف وثمانمائة ريال ، وللعامل مائتان . ومن أبي منهما إلا [ترجيحه] إلى أصله ، فالقول قوله كالعروض التي ظهر فيها ربح ، إذا أحبا قسمتها بالتقويم برضا الطرفين ، جاز . وإن أراد أحدهما إرجاعها إلى أصلها ، فله ذلك . والله أعلم .

س ٧ - إذا دفع إليه مضاربة ، وشرط أن يحمل عَوَضَهُ على دوابّه ، وشرط العامل على صاحب المال أن يتولى بيعه ، فهل يَصِحّ ؟

ج - إذا شرط أن يتولى بيعه صاحب المال ، فهذه تدخل في عباتهم أنه يَصِحّ أن يعمل مع صاحب المال بماله ، ويكون له جزء معلوم مشاع ، فلا بأس بذلك .

وأما إذا شرط أن يحمل العامل أموال المضاربة وأهواضها على دوابّه ، فإن كان بأجرة فلا بأس بذلك ، وإن كان بغير أجرة ، فلا يجوز ، لأن مبنى شركة المضاربة على المساواة في حاصل الربح ، قَلّة أو كثرة ، بحسب شرطها ، وأن العامل سالم من الغرامة مطلقاً ، ربحت أو خسرت . وفي هذه الحال المضارب لا بد أن يذهب عليه أجرة دوابّه مجاناً ربحت أو خسرت أو كافأت . وهذا يخالف لموضوعها ، فلا يجوز .

ص ٨ - إذا اختلف لمن المشروط ؟ فلن يكون ؟

ج - قال الأصحاب : وإن اختلفا لمن المشروط ؟

أقول : والصحيح أنهما إذا اختلفا لمن الجزء المشروط ، أن يرجع إلى العادة والعرف في الشركة [والمساقاة] والمزارعة . ١ هـ

ص ٩ - إذا فسدت المضاربة ، فاذا للمالك ، وللعامل ؟

ج - قال الأصحاب : وإذا فسدت المضاربة ، فللعامل أجرة مثله ، والربح كله للمالك .

أقول : وقال الشيخ تقي الدين : له نصيب المثل إذا فسدت المضاربة ، وهو الموافق للقواعد الشرعية .

ص ١٠ - ما حكم اشتراط [المضارب] النفقة له ؟

ج - قال الأصحاب : يصح للمضارب أن يشترط له النفقة . قال في شرح « الإفساع » : وتردد ابن نصر الله ، هل هي من رأس المال أو الربح ؟ قلت : بل الظاهر أنها من الربح . ١ هـ .

قال الشيخ عبد الوهاب بن فيروز في حاشية له بخطه : بل الظاهر أنها من رأس المال ، لسكوته ما أنفق إلا بإذن ، ولما فيه من الضرر الذي لا يخفى ، وأفاد بأنه عرضه على والده الشيخ محمد بن فيروز ، فأقره . ١ هـ .

أقول : المعروف عند الناس ، أنه من جملة التوائب التي تنوب المال ، فتكون مستهلكة ، وعند القسمة يرجعان إلى أصل رأس المال فهي إذن من رأس المال ومن الربح .

س ١١ - هل يجوز للمضارب أن يعطى مال المضاربة  
لمضارب آخر ؟

ج - ذكر الأصحاب أنه لا يعطيه لآخر مضاربة بدون  
إذن صاحب المال . فإن فعل ، فعليه الضمان ، ويرد حصته  
من الربح على رأس المال .

س ١٢ - هل يقبل قول العامل فيما يدعيه من تلف  
ونحوه ؟

ج - قال الأصحاب : والعامل أمين في مال المضاربة .  
وذكروا قبول قوله فيما يدعيه من تلف ونحوه .

أقول : وإذا قبلنا قول العامل في هذه الأمور ، لم يمنع  
ربّ المال من استيفاله عن مفردات التلف والخسران وما  
أشبه ذلك ، حيث أمكن استظهار الصدق أو عدمه ، خصوصاً  
إذا ظهرت أمارات الريبة .

س ١٣ - إذا اختلفا : لمن الجزء المشروط بمد الربح ،  
فمن يُقبل قوله ؟

ج - قال الأصحاب : والقول قول ربّ المال في الجزء  
المشروط للعامل بمد الربح ، والصواب قبول قول من يشهد  
له العرف .

س ١٤ - إذا دفع مالا إلى رجلين قرصا ، فنفى المال  
ثلاثة آلاف ، فقال له ربّه : رأس المال ألفتان ، فصدته  
أحدهما ، وقال الثاني : بل ألف ، فما الحكم ؟

ج - قال الأصحاب : وإذا دفع رجل مالا إلى رجلين  
قرضاً على النصف ، قبض المال وهو ثلاثة آلاف ، فقال رب  
المال : رأس المال ألفان ، فصدقه أحدهما . وقال الآخر :  
بل هو ألف ، فالقول قول المنكر مع يمينه .

أقول : فلو شهد العامل ، وحلف ربّ المال مع شاهده ،  
حكم له على المنكر ، لتمام النصاب ، وعدم المانع .

س ١٥ - ما حكم المدولة التي يفعلها الناس ؟

ج - المدولة معروفة ، يعطى الإنسان البهائم لمن يراها ،  
وتكون الأجرة لبنها ودُّهنها وصوفها ، وهي - على المشهور  
من المذهب - غير صحيحة ، بل لا بد أن تكون بأجرة مسماة ،  
أو بجزء مشاع منها .

وأما على القول الصحيح - وهو قول في المذهب اختاره  
شيخ الإسلام ، وعليه عمل الناس من قديم - فإنه يجوز ذلك ،  
لارتفاق كلّ منهما : الراعى يحصل له اللبن وما ترتب عليه  
والصوف ، وصاحبها يكتفي بنمائها بذلك ورعيتهما . وهي شبيهة ببيع  
المتاع بثمن معين ، وما زاد فهو للوكيل في التبيع . وأيضاً الحاجة  
داعية إلى ذلك من الطرفين من غير غرر ظاهر ، فليست من  
باب الإجارة المحضنة ، ولا الجمالة ، وإنما هي ارتفاق .

وأما الضالة : إذا وجدها حلبها ، خصوصاً إذا كان بقاء  
اللبن يضرّها ، فإن كان اللبن موجوداً ، وجب تسليمه لصاحبه

إذا لم يُسامح فيه ، وإن كان قد شربه الواجد ، فحطبه وإن لم يكن مأذوناً فيه نطقاً ، فإنه مأذون فيه عرفاً . والحال في هذه الحال محسن ، فلا ينبغي تضمينه في هذه الحال .  
وأما وجوب غُرمه عليه إذا ألح صاحبه بذلك ، ففي النفس منه شيء . والله أعلم .

س ١٦ - هل تجوز المدولة المعروفة ؟

ج - أما مسألة المدولة المعروفة المتعارفة بين الناس : يعطيه الغنم ، ويكون على البدوى رعيها ، والقيام بجميع لوازمها ، وله في مقابلة ذلك نفمها الخارج منها ، من لبن ودُهْن وصوف ، دون نمائها فالمسألة فيها قولان للعلماء ، ولكل قول مأخذ وأصل يرجع إليه . أما المشهور عند الأصحاب ، فلا يجوز ذلك ، ومأخذ ذلك أن الأجرة مجبولة ، والمدة مجبولة ، فأجروها مجرى الإجارة التي يشترط فيها تحديد الأجرة وتقدير المدة ، والأمران مفقودان .

هذا وجهها عندهم . والقول الثاني الصحيح الذي اختاره شيخ الإسلام وغيره ، وهو الذي عليه العمل من قديم ، ومشايخ نجد لا ينكرونها ، بل يقرونها ، وكثير منهم يصرح بترجيحه : أن ذلك جائز لا بأس به .

ومأخذ هذا القول : أن هذا ليس إجارة محضنة ، بل هو شبيه بالمشاركات ، كالمضاربة التي يعمل فيها المضارب من غير

تقدير مدة بما يسره الله من الربح . وشبيهه أيضاً بمن يستاجر من يبيع ثوبه أو متاعه بضمن معلوم ويقول : ما زاد على ذلك فهو لك ، وأيضاً الحاجة داعية إلى ذلك من الطرفين : المعطى يحتاج إلى تنمية ماشيته والقيام عليها ، والآخذ إلى أخذ النماء المذكور مقابل القيام عليها وتنميتها .

ولا محذور شرعى فى ذلك ، ويؤيد هذا أن الأصل فى العقود والشروط : الصحة ، حتى يأتى ما يدل على المنع .  
والأصل أيضاً أن ما دعت إليه الحاجة أن يوسع فيه ، ويرخص فيه ترخيصاً لا يُخرجه إلى مشابهة القمار .  
فهذه المسألة ليس فى النفس منها شيء . والله أعلم .

س ١٧ - هل عقد الشركة فى المفاتحة على المسكائن وتوابها جائز أو لازم ؟

ج - لا أرغب أن أفتى فيها ، لا بإثبات أنها لازمة ، ولا ينبغى ذلك ، لأن المسائل التى يحصل فيها خصومات عند القضاة ، كلها مصاد الباب عن الفتوى فيها . ليسكن معلوماً .  
س ١٨ قولهم : ولا تصح شركة الدلائن ، ما صفته ؟

وهل هو وجيه ؟

ج - أما صفة ذلك ، فإن يشترك اثنان فيما يأخذان من الناس من الأموال التى يبيعونها فيما حصل لهما ، ويكون معنى شركتهما أن كل واحد منهما يبيع ما أخذ شريكه ، كما يبيع



ما أخذه هو من الناس . فللذهب عدم الجواز ، لأن الناس لم يورثوا الجميع ، وإنما وكلوا من باشر ذلك فقط . واختيار الشيخ جواز ذلك ، وهو وجيه إذا علم الناس حالهما ، واشتراكهما ، لأنهم - وإن أعطوا أحدهما - فقد علموا أن الآخر شريكه ، وإذا لم يملوا ، فللذهب هو الوجيه ، للعلّة السابقة . والله أعلم .

### باب : المساقاة والمزارعة

س ١ - هل المساقاة والمزارعة من العقود الجائزة ؟

ج - قال الأصحاب : إن المساقاة والمزارعة عقدان جائزان ، والصحيح الذي دلّ عليه العمل أنهما عقدان لازمان .

س ٢ - إذا دفع بذراً إلى صاحب الأرض ليزرعها ، وما خرج فبينهما ، فهل يصح ؟

ج - قال الأصحاب : وإن دفع رجل بذره إلى صاحب الأرض ليزرعه في أرضه ، ويكون ما يخرج بينهما ، ففاصد ، ويكون الزرع لمالك البذر ، وعليه أجره الأرض والعمل .

وإن قال : أنا أزرع الأرض ببذري وعواملي ، وتسقيتها بمائك ، والزرع بيننا ، لم يصح .

أقول : وعنه : يصح ، وهو أولى . ا هـ .

س ٣ - إذا اتفق رجلان على أن يُبدع أحدهما في أرض الآخر بئراً أو أرضه ، أو يبني فيها داراً ، ولم يكن في ذلك جهالة ، على أن تكون الأرض مشتركة بينهما ، في مقابلة عمل الآخر ، فهل يصح ذلك ؟

ج - إذا تعاقد صاحب الأرض مع آخر على أن يبدع الآخر في الأرض بئراً ، أو يصفها بالصفات التي تزيل الجهالة ، ثم بعد ذلك يكون شريكاً له في الأرض بحسب ما يُنفقان [عليها] ، فهذا صحيح . وكذا لو شرط عليه مع ذلك أن يبني قصرًا أو دارًا موصوفة ، أو غير ذلك من مرافق الملك . وكذلك إذا شرط ربّ الأرض على المزارع أن يكون حفر الأوضة محل السكنة عليه ، وتكون الأوضة في الغالب معلومة ، فكل هذه الشروط صحيحة . لا غرر فيها ولا محذور . والله أعلم .

س ٤ - إذا شرط في المساقاة والمزارعة ، أن يأخذ ربّ الأرض أو الشجر مثل البذر ، أو أوزان معينة ، ثم يقسم الباقي ، فهل يصح ذلك ؟

ج - هذا غير صحيح . وكذلك المضاربة ، إذا شرط أنْ لرب المال من الربح قدرًا معينًا ، والباقي بينهما أنصافًا أو أثلاثًا . فهذا كله غير جائز ، لأن هذه العقود مبنيّة على المساواة بين العامل والأصيل في الحاصل ، في غنمه وغُرمه ، وشرط ذلك المعين يخلّ بهذا .

س ٥ - إذا شرط في المساقاة والمزارعة على العامل ما يلزم ربّ المال ، أو بالعكس ، فما الحكم ؟

ج - لما ذكر الأصحاب ما يلزم العامل وربّ المال في المساقاة والمزارعة ، قالوا : فإن شرط على أحدهما ما يلزم الآخر أو بفضه ، فسد العقد والشرط .

أقول : الصحيح أنه لا يفسد العقد ، إلا إذا كان في الشرط غرر ، لأن المسلمين على شروطهم .

( قلت : ولم يصرّح شيخنا عبد الرحمن السمدى بحكم الشرط ، هل هو صحيح أو فاسد ؟

لكن قوة كلامه وتعليقه [يدلّان] على صحة الشرط أيضاً ، حيث قال : لأن المسلمين على شروطهم . والله أعلم . )

س ٦ - تميمين الجمارة إذا خرج المساقى ، هل هو وجيه ؟ وهل له مأخذ شرعى ؟ وهل بين الزيادة والنقص فرق ؟

ج - أما المساقى على الشجر من نخل وغيره ، إذا قصر فيما يجب عليه من السقى المعتاد أو المشروط ، فإنه آثم ضامن لما نقص ، لأنه نقص حصل بسبب إهماله ما وجب عليه ، ولأنه لا يستحقّ جميع ما جعل له من الجزاء المشروط من الثمرة إلا بوفاء ما عليه من السقى . فكما أنه لا يرضى أن ينقص من حقه شيء ، فصاحب النخل لا يرضى أن ينقص من شجره شيء . و [قصده] أمران : الشجرة ، وحصول

الثمرة ، فهذا من أصول العدل الذى دلت عليه الشريعة .  
وليس من العدل أن يأخذ المساقى جميع ماله ، ويترك ما عليه ،  
فهذا من التطفيف . فعلى هذا تسمين الجمارة مبنى على الأصل ،  
وهو ظاهر جلى ، والله الحمد .

وأما تسمين زيادة الجمارة ، إذا قام المساقى بأكثر مما عليه ،  
وزادت جمارة النخل ، فإن زيادته تبرع منه ، لم يأمره صاحب  
النخل بها ، ولكن إذا جرى عُرف بعض البلاد بذلك ،  
ورضى أهل النخل بأن المساقى إذا زادت الجمارة بسببه ، فله  
حصّة معروفة عندهم ، ترغيباً له فى ذلك ، فهذا لا يمتنع العمل  
به ، لأن المسلمين على شروطهم ، مع أن قاعدة المذهب  
فى هذه المسألة : لا يستحق شيئاً . اهـ

### باب : الإجارة

س ١ - ما حكم كسب العمال الذين يشتغلون فى الظهران  
عند الأمريكان ؟

ج - أما اشتغال العمالة فى الظهران عند الأمريكان ،  
فالكسب الذى فيه خطر على دين الإنسان ، لا بركة فيه ،  
لأن كثيراً ممن يُخالطونهم هناك يتضررون كثيراً فى أمور  
دينهم ، ويُخشى عليهم ، وخصوصاً من لا بصيرة له . ومع

ذلك فهذا الكسب كسائر المعاملات من جهة حِلِّه ، فالأصل الحِلُّ في معاملات الناس ، سواء مع المسلمين أو مع الكفار ، إلا إذا سلك صاحبها طريقاً محرماً ، ولكن الكسب الذي يُبعده عن هؤلاء ، ويسلم به دين العبد ، أبرك ولو كان قليلاً .  
نسأل الله السلامة والعافية ، إنه جواد كريم .

س ٢ - هل يجوز أخذ الأجرة على عقد النكاح ؟

ج - لا يجوز ، فإن عقد لهم وأعطوه بدون شرط ، فلا بأس أنه يقبل ، والأولى أنه لا يقبل ، لأنه ينقص الأجر .  
س ٣ - هل يجوز أخذ الأجرة على كتابة العزيمة

للمريض ونحوه ؟

ج - كذلك أخذ الأجرة على كتب العزيمة التي تعلق على المريض ونحوه ما يصلح ، مع أن ترك الكتب أولى ، ولو أنه لا يأخذ شيئاً . والمشروع أنه يزيه بالأدعية النافعة .

س ٤ - ما حكم سَلْخ البهيمة بجلدها ؟

ج - قال الأصحاب : ولا يصح أن يسْلَخ البهيمة بجلدها .  
أقول : وقيل : يصح ، لأنه معلوم ، وهو أصح .

س ٥ - ما حكم استئجار الحيوان لأخذ لبنه ؟

ج - قال الأصحاب أيضاً : ولا يصح أن يستأجر حيواناً ، ليأخذ لبنه ، ولا ليرضعه ولده ونحوه .

أقول : وعند الشيخ تقي الدين : جواز استئجار الحيوان ،  
لأخذ لبنه ، وإرضاعه . وهو الأولى .  
س ٦ - إذا استأجر أرضاً ، فتوفى قبل تمام المدة ،  
فهل تنفسخ الإجارة ؟

ج - الإجارة كما مرّ عليكم : عقد لازم ، لا تنفسخ بموت  
المؤجر ولا المستأجر ، ويقوم وراثته مقامه .

وأما أخذ النخلة عن التمر الذي في الدمة ، كالولادة  
ونحوها ، فهذا لا يجوز ، لأنه يبيع تمر بتمر . وشرطه التماثل ،  
وهذا غير معلوم التماثل ، وليست هذه كالعرايا .

س ٧ - قولهم : لو غار ماء بئر دار مؤجرة فلا فسوخ ،  
هل هو وجيه ؟

ج - هذه العبارة ما زالت موضع إشكال ، وقد حلّها  
بعض الأصحاب حلاً لطيفاً ، فقال : مرادهم بقولهم : فلا فسوخ ،  
يعنى معناه : لا يحصل الفسوخ بمجرد غور البئر ، وإنما  
يثبت للمستأجر الفسوخ . أو فرق بين ثبوت الفسوخ والانفساخ ،  
لأن الانفاساخ لا يتوقف على اختيار الفاسخ ، ومالك الفسوخ  
يثبت له الخيار ، إن شاء فسوخ ، وإن شاء لم يفسوخ .  
وبهذا يحصل الجمع بين كلام الأصحاب . فلو قلنا : ليس له  
الفسوخ في هذه الحال ، لكان تناقضاً ، لأن غور الماء من  
أكبر العيوب . والله أعلم .

س ٨ - إذا استأجر صاحب سيارة يحمل له شيئاً ، وسلم له العربون ، ثم أراد فسخ الإجارة ، فهل له ذلك ؟

ج - إذا تقاطع صاحب السيارة هو ومن يريد أن يحمل سيارته غنماً أو غيرها ، وتمّ العقد بينهما ، وسلم له عشرين ريالاً عربوناً ، ثم استنخار عن شئيل الغنم ، فليس له أن يستخير إلا برضا صاحب السيارة ، فإن رضى ، ردّ عليه العربون ، وإن لم يرض ، فالعربون لصاحب السيارة ، وله إجباره على تسليم بقية الأجرة التي اتفقا عليها . كما أنه يلزم صاحب السيارة إذا امتنع أن يحمل ما اتفقا عليه ، لأن الإجارة عقد لازم . ومع الإصلاح والتراضى على حل التأجير لا بأس ولا حرج .

س ٩ - إذا استأجر سيارة لحمل شيء ، ثم خربت في أثناء الطريق ، فهل يلزم صاحبها بحمله إلى البلد ؟

ج - إن كانت الأجرة على عين سيارة ، لم يلزم صاحبها حمله إلى المحلّ المعين ولكن ليس له من الأجرة إلا مقدار ما شال من المسافة ، وإن كانت الإجارة ليست على عين السيارة ، إنما قال له : [آجرتك] لتشيل لى هذا الحمل مثلاً إلى مكة أو عنيزة ، ثم خربت في أثناء الطريق ، فعلى صاحب السيارة أن يستأجر لحمله إلى المحلّ الذى عيناه فيه ، أو يتفقا على ما يتراضيان عليه .

س ١٠ - هل الإجارة تنفسخ بموت الراكب ؟  
ج - القول بأن الإجارة تنفسخ بموت الراكب في غاية الضعف . وأى فرق بين موت الراكب وبين موت المرتضع وانقلاع الغرس وموت المركوب ونحو ذلك ؟ فالصواب في هذه الصور كلها أن الإجارة تنفسخ إذا تعذر الانتفاع على أى وجه كان ، وهو الموافق لأصل الشرع وقواعد المذهب .

س ١١ - قولهم : ولا يصحح أن يُشارِطه على البرء :  
هل هو صحيح ؟

ج - المسألة فيها قولان للأصحاب . والمجوزون للإجارة واشتراط البرء يحتجّون بحديث أبي سعيد المشهور ، وهو ظاهر في مشارطتهم على البرء . والمشهور من المذهب : يحملون ذلك على أنه جمالة لا إجارة ، وهو الأولى ، لأن الإجارة لا بد فيها من علم العوض ، والمنفعة . وحصول البرء غير مقدور ولا معلوم ، والله أعلم .

س ١٢ - قولهم : الأجير الخاص من يستحق الأجرة بتسليم نفسه ، عمل أم لم يعمل ، فهل هو وجيه ؟

ج - نعم وجيه ، لأن الأجير الخاص من استأجره لزمان خاص ، لا يشاركه في ذلك الزمان أحد ، فإذا بذل نفسه في ذلك الزمان ، فالحاجة لصاحب الإجارة ، إن تركه ولم يشغله بما استأجره له فقد قوّت المنفعة على نفسه ، وإن شغله بذلك



العمل في الزمان المستأجر فيه فهو المستحق ، بمنزلة من استأجر داراً وسلها له صاحبها ، فإن سكن أو تركها ، فعليه الأجرة ، فالتعميل ظاهر . فكذلك هذا الأجير الخاص مثلاً ، إذا استأجره يوماً يعمل عنده بدرهم ، ثم جاء الأجير وبذل نفسه واستعداً لعمل من أجره ، ولسكن من أجره إما أنه تبدل فكره عن العمل واشتغل ، أو نحو ذلك ، فعليه الأجرة تامة ، لأن الإجارة عقد لازم ، ولم يحصل موجب للفسخ والله أعلم .

س ١٣ - فرق الأصحاب بين الأجير الخاص بأنه يستحق الأجرة بتسليم نفسه ، عمل أم لم يعمل ، وبين المشترك بأنه لا يستحقها إلا بتسليم عمله ، فما وجه التفريق ، وهل هو وجيه ؟

ج - أما وجه التفريق بينهما ، فقد ذكروه حيث قالوا : إن الخاص يستحق المؤجر جميع زمانه ، فإذا سلم نفسه واستعد لعمل المؤجر ، وكان ترك العمل ممن أجره ، فقد وفى الأجير بما عليه ، فلا يلزم المؤجر إلا نفسه . ومن أتى بما عليه ، وجب ماله من الأجرة .

وأما المشترك فإن الذى عليه العمل ، وجبها واحداً ، وكذلك على المذهب : عليه مع العمل ، التسليم للممول لصاحبه ، لأنهم قالوا : إنه ملتزم للأمرين . فلو أجره أن يفصل له ثوباً أو يخيطه أو يقصره ، ثم عمله وأتم عمله ، ثم تلف قبل تسليمه

من غير تفريط ، لم يكن له أجره ، لأن العمل حصل ،  
والتسليم لم يحصل ، فلم يستحق .

والذي يترجح عندي هو القول الآخر : أن الأجير المشترك  
إنما عليه العمل فقط ، فإنه الذي استوجب عليه ، وهو  
المقصود من الاستئجار ، فلو تلف من غير تفريط ، لم تسقط  
الأجرة ، لأنه وثق بما عليه . وهذا القول وجه في المذهب ،  
وهو الصحيح ، إن شاء الله .

فهذا وجه التفريق بينهما . والله أعلم .

س ١٤ - ما حكم ضمان الأجير المشترك والخاص ؟

ج - الصحيح أن الأجير المشترك كالخاص ، لا يضمن  
ما تلف مطلقاً إن لم يتعمد أو يفرط ، لأنه تلف ناشئ عن  
إذن في التصرف والاستعمال ، فكان غير مضمون . وأما  
تضمن الأجراء ، فمحمول على أنه رأى منهم نوع إهمال أو  
تفريط ، ولذلك قال : لا يصلح الناس إلا ذلك .

س ١٥ - هل يضمن الأجير المشترك ؟

ج - قال الأصحاب : ويضمن الأجير المشترك ما تلف  
بفعله ولو لخطئه ، كتخريق القصار ثوباً ، وزلق جمال ،  
وسقوط الحمل عن دابته إلخ .

أقول : والصحيح عدم ضمان الأجير المشترك ما تلف بزلق  
ونحوه ، ما لم يفرط . وقواه في « الإنصاف » . وكذلك الصحيح

أنه يستحق أجره ما عمله إذا تلف بعد عمله بغير تفریط، لأن الأجره في مقابله عمله، وقد حصل. وأما التسليم، فتابع لذلك، وهو قول ابن عقيل، وقواه في « الإنصاف » .

س ١٦ - إذا تلف المتاع المحمول على وجهه يضمنه الحامل، فما الحكم؟

ج - قال الأصحاب أيضاً: إذا تلف المتاع المحمول على وجهه يضمنه الحامل، خير ربه بين تضمينه قيمته في الموضع الذي سلمه إليه فيه، ولا أجره له، وبين تضمينه في الموضع الذي تلف فيه، وله الأجره إلى ذلك المكان. ا هـ .

أقول: وقال أبو الخطاب: يضمنه بقيمته في موضع تلفه، وله الأجره، وهو الموافق للقاعدة .

س ١٧ - عن ثبوت الأجره فيما عمله وتلف .

ج - الصحيح أن له الأجره فيما عمل وتلف، ولو قبل تسليمه، إن لم يفرط .

س ١٨ - ما حكم ما إذا شرط على المستأجر أن لا يستوفي المنفعة إلا بنفسه؟

ج - قال الأصحاب: ولو شرط على المستأجر أن يستوفي المنفعة بنفسه، فسد الشرط، ولم يلزم الوفاء به .

أقول: وقيل: الصحيح أن بشرط أن لا يستوفي المنفعة إلا بنفسه، وهو أصح، لأنه قد يكون له فرض في ذلك .

س ١٩ - ما الذى يدخل فى قولهم :

من أدى ما وجب عليه ، وجب ما جعل له عليه ؟

ج - هذا يدخل فيه أمور كثيرة : الإجارة ، والجمالة ،  
والوكالة بأجرة . إذا قام الأجير ونحوه بالعمل الذى شرط عليه  
واتفقا عليه ، استحق الأجرة المجمولة على ذلك العمل ، وإذا لم  
يقم بما عليه ، لم يستحق شيئاً ، إلا إذا ترك بقية العمل لعذر ،  
فإنه يستحق من الأجرة بمقدار ما عمل .  
والله أعلم .

س ٢٠ - إذا استأجر شخصاً لحمل كتاب ، فوجد  
المكتوب له غائباً ، ولا وكيل له ، ثم رده الأجير إلى صاحبه ،  
فله المسمى وأجرة المثل لرده ، بخلاف ما إذا وجد المكتوب  
إليه مبيّناً . فما الفرق بين الصورتين ؟

ج - قال الأصحاب : وإن استأجره لحمل كتاب إلى  
شخص ، فوجده غائباً ، ولا وكيل له ، رده على صاحبه ،  
وله الأجرة المسماة لذهابه ، وأجرة المثل لرده ، وإن وجده  
ميتاً رده ، وليس له إلا المسمى . اهـ .

أقول : ولا يظهر التفريق بين الصورتين . اهـ .

س ٢١ - قولهم : ويصح بيع عين مؤجرة ، والأجرة

من حين الشراء المشتري ، هل هو وجيه ؟

وهل يفرق بين علم المشتري وجهه ؟

وهل تفرقهم بين كَوْن المشتري هو المستأجر ، فليس له الأجرة ، دون الأجنبي فيستحقها ، فهل هو وجيه ؟

ج - ما ذكره في شرح « الإقناع » عن « المغني » وهو أن الأجرة للبائع مطلقاً ، سواء استأجرها المشتري أو أجنبي ، هو الصحيح ، لأنه ملك الأجرة بالعقد ، وليس ثمّ مُزِيل لِمَالِكِهِ ، فلم يشترط المشتري على البائع من الأجرة شيئاً ، وإنما له الفسخ إذا لم يعلم أنها مستأجرة .

وأما التفریق بين ما إذا كان المستأجر أجنبيّاً بأن الأجرة تكون للمشتري ، وبين ما إذا كان المستأجر المشتري ، فيجتمع للبائع عليه الثمن والأجرة ، فلا وجه لذلك . وقول صاحب « المغني » هو الموافق للقاعدة ، وهي أن ورود عقد على عقد لا يُنافيه ، صحيح ، ويثبت لكل من العقدین أحكامه الخاصة . والله أعلم .

س ٢٢ - عن اختلاف المؤجر والمستأجر : هل هي عارية أو إجارة ؟

ج - ما أحسن الرجوع في مسائل هذا الفصل عند اختلافهما إلى القرائن المرجحة لقول أحدهما ، لأن قبول قول أحدهما مطلقاً ليس عندنا فيه أصل أصيل تطمئن إليه النفس ، اللهم إلا إذا اختلفا في دعوى ردّ العين ، فإن المستأجر ونحوه مُدَّعٍ ، والمالك منكر .

باب : السبق

س ١ - ما حكم اللّعب بأُمّ خُطوط ؟

ج - أما اللّعب بأُمّ خُطوط ، فهي لا تحِلّ ، ولا تجوز ، سواء كانت بعوض أو بغير عوض ، فهي من جنس الشُّطرنج والنرد الذي صحّ الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في الزجر عنه . فاللّعب المباح اشتغال العبد بماشيه المباح ، وأسبابه المباحة . وأما اللّعب المحرّم ، فمثل الشُّطرنج ، وأمّ خُطوط ، والمدافن ، وما أشبه ذلك ، فكلُّ ذلك حرام لا يحِلّ . ويجب نصيحة من يتعاطى ذلك ، وتعليمه إن كان جاهلاً . والله أعلم .

س ٢ - لو قال المفضول في المفاضلة للفاضل :

ضع فضلك بدينار ، فما الحكم ؟

ج - قال الأصحاب في المفاضلة : وإن فضل أحد

المفاضلين صاحبه ، فقال المفضول للفاضل :

ضع فضلك وأعطيك ديناراً ، لم يجز .

أقول : وفيه نظر . فإنه حين ترجّح على صاحبه ، فهو

بصدّد الغلبة التي يحصل فيها المال . فما المانع من تجويز وضع

الفضل بعوض ، والأصل جواز ما لا محذور فيه محققاً ؟

## كتاب : العارية

س ١ - ذكروا أنه إذا أعاره حائطا ، أو مسفينة في اللجة ، أو أرضا لزراعة ، فلا رجوع له في الأجرة ، وله الأجرة في الأخيرة منذ رجع ، فهل هو وجيه ؟

ج - الصواب في ذلك أنه لا أجرة له في الصئور الثلاث ، كما قاله المجد وغيره من الأصحاب ، وهو مقتضى الأدلة الشرعية . فإن الخداع ، وإخلاف الوعد ، غير جائز شرعاً . وفي استحقاق الأجرة في الأرض والحكم له في ذلك ، مع أن المستعير لم يُقدم على الزرع إلا مجاناً ، هو من أكبر المخادعات ، وإخلاف الوعد الممنوع .

س ٢ - إذا حمل السليل أرضاً بشجرها ، فنبتت في أرض أخرى ، فما الحكم ؟

ج - قال في « الإقناع » : وإن حمل السليل أرضاً بشجرها ، فنبتت في أرض أخرى كما كانت ، فهي ، أي : الأرض ذات الشجر المحمولة : لمالكها ، ويُجبر على إزالتها .

قال الشارح : لكن تقدم في حكم الجوار أن ربّ الشجر لا يُجبر على إزالة عروق شجرة وأغصانها من أرض جاره ، وهوائه . لأنه حصل بغير اختيار مالكها . ولم يظهر لي الفرق بينهما ، إلا أن يقال : هنا يمنع الانتفاع بالسكّية : الأغصان والعروق . ا هـ .

أقول : والظاهر أن العروق والأغصان قد جرت المادة بوصولها واتصالها بأرض الجار ، فجرت مجرى الشاغل المأذون فيه ، بخلاف ما إذا نقل السبيل أرضاً بشجرها ، فإنه مُخالف للأوّل من كلّ وجه .

س ٣ - ما حكم ضمان العارية إذا تلفت ؟

ج - الصحيح أن العارية غير مضمونة ، إذا تلفت بغير تعدّد ولا تفريط ، كسائر الأمانات ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « عَلَى الْيَدِ مَا أَخَذْتَ ، حَتَّى تُؤَدِّيَهُ » .

أى : عليها ردّ ما قبضت لمالكها ، لا ضمانها ، ولذلك يدخل فيها العين المؤجرة وغيرها ، وقوله صلى الله عليه وسلم لصفوان : « بَلْ عَارِيَةٌ مَّضْمُونَةٌ » لا دليل فيه على الضمان مطلقاً ، بل قد يكون فيه دليل على ضمانها عند الشرط .

س ٤ - ما معنى قولهم : من ملك المنفعة ، فله المماوضة عليها ، دون من ملك الانتفاع ؟

ج - يدخل في هذا : الأجير ، فإنه يملك المنفعة ، فله أن يؤجرها بغير إذن المالك ، والمستعير لا يملك ذلك .

فالمستأجر حيث إنه مالك للمنفعة ، جاز له أن يؤجر الذي استأجره ، ولو بغير إذن صاحبه . والمستعير حيث إنه ملك الانتفاع ، ولم يملك المنفعة ، لا يجوز له أن يؤجر إلا بإذن صاحبه المعبّر . والله أعلم .



## كتاب: الغصب

س ١ - ما يُفهم من قوله صلى الله عليه وسلم :

« لَيْسَ لِعِرْقِ ظَالِمٍ حَقٌّ ؟ »

ج - هذا يدلُّ على أمرين مهمَّين فيمن بنى أو غرس في أرض الغير .

أحدهما : يُؤخذ من المنطوق ، وأن من بنى أو غرس في أرض غيره ، وهو ظالم في ذلك ، كالفاسب ونحوه ، أنه لا حق له في ذلك ، وأن صاحب الأرض يلزمه بقلع غرسه وبنائه ، إلا أن يختار تملكه بقيمته ، أو [بتفقا] على التأجير ونحوه .  
الثاني : يؤخذ من مفهوم الحديث أن غير الظالم في غرسه وبنائه له الحق ، وذلك كالمؤجر ونحوه ممن وضع ذلك بحق أنه لا يُجبر على إزالة غرسه وبنائه ، لأنه وضعه بحق ، فيتفق هو وصاحب الأرض ، إما على التقويم ، أو على التأجير ، أو نحو ذلك .

بقي مسألة ، وهي اليد المنتقل إليها من الفاسب ، كالمشترى والأجير ونحوه ، إذا لم يعلم أن الأرض لغيره ، فإنه في هذه الحالة معذور بلا شك ، فمن أهل العلم من قال : إن الأرض إذا عادت إلى صاحبها ، فلصاحبها أن يلزم الفارس والبانى بقلعه ، ولو كان جاهلاً بالحال مغروراً ، ويرجع المقلوع غرسه  
( ٢٩٠ - فتاوى )

وبناؤه على الذي انتقلت إليه منه ، لسكونه غرّه ، لأن الأرض ليس لأحد فيها حق ، ولم يتفق صاحبها مع أحد بعقد يسوّغ له [إبقاؤه] ، وهذا هو المشهور من المذهب .

ومنهم من قال : إنه في هذه الحال ، كما أنه ممدور في غرسه ، وبنائه ، فإنه وضعه معتقداً أنه ملكه ، أو مالك لمنافعه ، وهو في هذه الحال لا يوصف بأنه ظالم ، فلا يدخل في قوله : « ليس لمرق ظالم حق » . وهذا هو الصحيح ، ويؤيده أنه في الغالب يكون أصلح للطرفين إبقاؤه بتقويم أو تأجير ونحوه ، وربما إذا أزمناه بقلع غرسه وبنائه يتمدّر عليه الرجوع على من غرّه ، [فصار] فيه عليه ضرر كبير ، وهو ممدور .

وقد اختار هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله .

س ٢ - هل تثبت اليد على الحرّ بالاستيلاء عليه ؟

ج - قال الأصحاب : وإن استولى على حرّ لم يضمه ، ولو صغيراً ، ولا يضمّن دابة عليها مالها الكبير ومتاعه .  
أقول : والصحيح ثبوت اليد على الحرّ ولو كبيراً ، فعليه : يضمّن دابة عليها مالها إذا قهره ، ويضمّن أجرته إذا منعه عن العمل .

س ٣ - إذا تمدّر على الناصب ردّ عين المنصوب ،

فردّ المثل ، ثم قدر على عين المنصوب ، فما الحكم ؟

ج - إذا قدر على عين المنصوب ، ولو بمد دفع مثل ،

فإنه يردّ عين المنصوب ، ويرجع بما دفعه من [بدلها] لأننا [إنما]

رجعنا إلى مثلها عند تمذرها ، فحيث حصلت رجعنا إلى الأصل ، لأن البديل يقوم مقام المُبدل ، عند التعذر ، واستمرار التعذر . وأمام القدرة على أداء ما غصبه ، فهو الواجب ، وهذا الواجب لا يسقط إذا ردّ بده ، وليس هذا بمنزلة البيع والشراء ، وإنما هو غرامة . ومع هذا فلو اتفقا على بقاء الأمر على حاله ، وأن العين تكون للغاصب ، ولصاحبها ما سلمه الغاصب من مثل أو قيمة ، جاز . ولكن السؤال إنما هو عند إرادة أحدهما الرجوع إلى الأصل ، سواء كان الغاصب ، أو صاحبها ، فإن القول قوله . والله أعلم .

س ٤ - هل يضمن ما نقص بالسعر ؟

ج - قال الأصحاب : وما نقص بسعر لم يضمن .

أقول : وفي هذا نظر ، فإن الصحيح أنه يضمن نقص السعر ، وكيف ينصب [شيثاً] يساوى ألفاً ، وكان مالكة بصدد بيعه بالألف ، ثم نقص السعر نقصاً فاحشاً ، فصار يساوى خمسمائة : أنه لا يضمن النقص ، فيرده كما هو ؟

س ٥ - إذا كان عندك مال منصوب ، وتمذّر معرفة

صاحبه ، فما الحكم ؟ وعلى أي قاعدة ينبى ؟

ج - من تمذّر عليه معرفة صاحب الشيء ، يتصدق به عن صاحبه ، بشرط الضمان ، أو يسلمه إلى الحاكم ، ويبرأ من تبعته ، وذلك مثل ما إذا كانت عندك وديعة لإنسان ، أو مال

منصوب ، وتمنّر عليك معرفة صاحبه ، وأيسّت من ذلك ،  
فأنت بالخيار :

إما أن تُعطيها الحاكم ، يُنوب متّاب الشخص المجهول ،  
ويجعلها في المصالح العامة .

وإما أن تصدّق بها عن صاحبها ، وتنبوي : إذا وجدته  
خَيْرَتَهُ بين أن تفرمها له ، ويكون لك أجر الصدقة بها ،  
أو يُمضي ما تصدقت به ، ويكون الأجر له .

س ٦ - هل يضمن صاحب الكلب المقور ، إذا عض  
كلبُه أحداً ؟

ج - إن كان صاحِبُه أطلقه ، فعليه ضمان عضّته ، يقدرها  
أهل العرف . وإن كان قد ربطه ، والمعضوض هو الذي أتى  
الكلب في موضعه ، فليس على صاحب الكلب شيء ، لأنه  
ربطه ، وتسبب لمنع أذاه . اهـ .

س ٧ - إذا وجد بعيراً في برّيّة ، فذكاه خوفاً عليه ،  
فهل يحلّ ؟ وهل يضمن ؟

ج - من وجد بعيراً في برّيّة ، وخشى عليه إن تركه  
أن يموت ، فذكاه ، فهو محسن ، والبعير حلال . ولكن لو لم  
يصدّقه صاحب البعير ، فله أن يضمنه النقص ، إلا إذا دلّت  
القربنة على صدّقه ، مثل بعير فيه مرض ، أو كان اللابح  
رجلاً معتبراً صدوقاً ، فلا يضمن شيئاً .

س ٨ — كيف نعمل بالقرعة إذا قلنا بها ، فيما إذا اختلط  
درم بدرهمين ، وتلف اثنان ؟

ج — قال الأصحاب : وإن اختلط درم بدرهمين لآخر  
من غير غضب ، فتلف اثنان ، فما بقي بينهما نصفان . قال في  
« تصحيح الفروع » : ويحتمل القرعة ، وهو أولى ، لأننا  
متحققون أن الدرهم الواحد منهما لا يشركه فيه غيره ، وقد  
اشتبه علينا ، فأخرجناه بالقرعة . ا هـ .

أقول : لكن صفة القرعة : هل يكون لصاحب الدرهم سهم ،  
ولصاحب الدرهمين سهم فقط ، أو لصاحب الدرهمين سهمان ؟  
الثاني أظهر ، لأنه أقرب إلى العدل ، ولو قيل : صفة  
القسمة أيضاً : لصاحب الدرهم ثلث الباقي ، ولصاحب الدرهمين  
ثلثاه ، فسكذلك ، لأن القاعدة أن الأموال المشتركة غير  
المتميزة متى تلف أو نقص منها شيء ، [ كان ] عليهما كلها  
بقسطها ، كما لو زادت ، فالزيادة بقسطها ، إلا أن يميز بزيادة  
عمل . والله أعلم .

س ٩ — هل يرجع بما أنفق على عبد ونحوه تبين منصوباً ؟  
ج — قال الأصحاب : إذا اشترى عبداً أو حيواناً ،  
فأنفق عليه ، أو أرضاً خراجية ، فأخرج خراجها ، ثم تبين  
أن العبد والحيوان أو الأرض منصوبة ، لم يرجع بما أنفق ،  
ولا بالخراج . ثم عللوه .

أقول : وفي هذا التعليل نظر ، فإنه إنما أنفق وأخرج  
النَّجْرَجَ بحسب سلامة ملكه لها ، فإذا تبين عدمه ، رجع  
بما غرمه على من غره .

س ١٠ - هل يضمن إذا دفع المفتاح للصّ ؟  
ج - قال الأصحاب : وإن دفع مفتاحاً للصّ ، فسرق  
البيت ، فالضمان على اللصّ ، لا على الدافع .  
أقول : الصواب : يضمن الدافع المفتاح للصّ ، لأن هذا  
من أكبر الأسباب ، خصوصاً إذا تعذر تضمين اللصّ .  
والله أعلم .

س ١١ - إذا حفر حُفْرَةٌ فِي بَرِّيَّةِ مَوَاتٍ ، أَوْ بِفِنَاءِ  
زَرْعِهِ ، فهل يضمن ما تلف بها ؟ وهل يفرق بين من حفر عبثاً ،  
ومن حفر الانتفاع ؟

ج - قال النبي صلى الله عليه وسلم :  
« الْمَجْمَاءُ جُبَارٌ ، وَالْبَيْرُ جُبَارٌ » .

وهذا الحديث ثابت في الصحيح . والجبار : الهدر الذي  
لا شيء فيه ، وهذا شامل لحفر البئر ، أو لحفره في ملكه ،  
أو فناء زَرْعِهِ لمن له أرض الموات وفي نفس الموات ، وسواء  
قصد بحفرها الوصول إلى مائها ، أو الانتفاع بما يجرى إليها  
من مياه السيول ، أو جعلها خندقاً وحفرة على زرعه ، أو  
قصد أخذَ طينها ، ونحو ذلك من المقاصد والأغراض .

فكفل هذا لا ضمان على [واضعه] إذا تلف [به] أحد ،  
إنسان أو حيوان أو غيره . وإنما استثنى الفقهاء ، رحمهم الله ،  
من حفر بئراً تمدياً ، سواء وصل إلى مائها أو لا ، بأن حفرها  
في ملك غيره ، أو في طريق مسلوكة عام نفعه ، كالطريق في  
البلدان ، وجواد البر المسلوكة ، فهذا ظالم مُتَمَدِّد ، وما تلف بها  
في هذه الحال فهو ضامن له .

س ١٢ — هل يضمن إذا مال حائطه إلى غير ملكه ،  
فأتلف شيئاً ؟

ج — قال الأصحاب : وإن مال حائطه إلى غير ملكه ،  
فأتلف شيئاً ، لم يضمن بكفل حال . وعنه : إن طواب بنقضه ،  
وأشهد عليه ، فلم يفعل : ضمن .

أقول : وقيل : عليه الضمان مطلقاً ، سواء طوَّلب ، أو لم  
يطالب ، لمطالبة الشرع له ، لوجوب إزالة ضرره ، فإبقاؤه مع  
القدرة على إزالته تمددٌ وعدوان . وهو الصواب .

س ١٣ — هل يضمن الصائل إذا قتله دفاعاً عن غيره ؟

ج — قال في شرح « الإقناع » : قال في القاعدة السابعة  
والعشرين : لو دفع صائلاً عليه بالقتل ، لم يضمنه . ولو دفعه عن  
غيره بالقتل ، ضمنه .

وفي الفتاوى الرجيبات من ابن عقييل وابن الزاغوني :  
لا ضمان عليه أيضاً . اهـ .

أقول : قول ابن عقيل وابن الزاغوني هو الصواب ،  
الموافق للقاعدة ، لسكونه مأموراً ، بل واجباً عليه ، الدفع  
عن الغير . وما ترتب على المأذون غير مضمون .

س ١٤ - إذا دخل عليه محرّم لكسبه ، فما الحكم ؟  
ج - من دخل عليه محرّم لكسبه ، فلا يخلو من ثلاث حالات :  
أن يكون عن منفعة محرّمة ، استوفاهما من انتقل منه المال ،  
فهنا لا يُردّ المال لصاحبه ، لكن على من كان بيده التصدّق به .  
الثانية : أن يصل إليه ، لا على وجه المعاوضة ، كالمغصوب .  
فيلزم ردّه إلى مالكه ، أو ورثته .

الثالث : أن يكون بيده مالٌ لغير من يملكه ، كالمغصوب  
والودائع التي جهل أربابها ، فله دفعها إلى الإمام ونائبه ، وله  
التصدّق بها عنهم ، لعدم إيصال نفع مالهم إليهم ، إلا في  
هذه الصورة .

فإذا وجد [صاحبها] ، أو ورثته ، بعدما تصدّق بها ، خيره  
بين إمضاء ذلك التصرف ، ويكون الأجر لصاحبها الأصيل ،  
وبين أن يردّ هذا التصدّق ، ويكون الأجر للذي تصدّق  
به ، ويضمن المال لصاحبه .

أما المحرّم لذاته ، كالميتة ، فلا يجوز مطلقاً .

س ١٥ - ما هي الإتلافات للنفوس والأموال بغير حق ؟  
وهل يضمنها غير المباشر ؟



ج - ما يُتَلَفُه العبد يكون في رقبته ، ويفديه السيد بالأقل من أرش الجناية وقيمته . ومنها : من أرسل صغيراً ، أو مجنوناً لا ولاية له على واحد منهما ، أو استعمله في عمل ، فأتلف أو تلف ، فضمن ذلك على المرسل .

ومنها : الغاصب للعبد ، جميع إتلافاته وتلفه ، [ضمانه] عليه .  
ومنها : العاقلة تحمل دية الخطيأ وشبه العمد ، فإن تعذر ذلك ، فعلى بيت المال .

ومنها : خطأ الحاكم في حكمه ، والإمام ونوابه في [أحكامهم وأعمالهم] العامة ، فإنها في بيت المال .  
ومنها : خطأ الوكيل والوصى والناظر للوقف والذمي ، وما أشبههم من أهل الولايات ، إذا أخطأوا في تصرفاتهم وأعمالهم ، فالضمان ليس عليهم ، إذا لم يتمدوا أو يفرطوا ، بل على تلك الجهات ، وكذلك الأمانة على الحيوانات والأموال ونحوها ، إذا لم يتمدوا أو يفرطوا .

ويشبهه هذا من بعض الوجوه : أن البهائم جنباياتها هدر ، إلا ما نسب صاحبها إلى تفريط ، أو تعدد ، أو كان متصرفاً فيها . ونظير ذلك : من أعطى الصغير أو السفية أو المجنون من أموالهم ما لا يصلح أن يعطوا : فإنه ضامن للإتلافهم في هذه الحال . والله أعلم .

## باب : الشفعة

س ١ - عن ثبوت الشفعة فيما انتقل بغير بيع .  
ج - الصحيح ثبوت الشفعة ، ولو كان انتقاله بغير بيع ،  
ويأخذه الشفيع بقيمته ، لأنه لا ضرر على المنتقل إليه زائد  
على ضرر المشتري .

س ٢ - عن اشتراط المبادرة في الشفعة ، وأن تكون  
في أرض تجب قسمتها ، وألا تكون بشركة وقف .  
ج - اشتراط المبادرة لطلب الشفعة ، ونفى الشفعة في  
العقار الذي لا يقسم إجباراً ، وفي شركة الوقف .

هذه ثلاث مسائل من مسائل الشفعة معروفات مشهورات في  
المذهب ، وهي ضعيفة كلها ، لمخالفتها نصوص الشفعة لفظاً ومعنى .  
أما اشتراط المبادرة في الشفعة ، فليس فيه دليل صحيح ،  
لأن الحديثين اللذين استدلت بهما الأصحاب لم يثبتا عن النبي  
صلى الله عليه وسلم ، [ وإذ ] لم يثبتا لم يحتج بهما في مسألة  
استقلالية ، باتفاق أهل العلم ، فضلاً عن الاستدلال بهما  
على خلاف ما صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه أثبت  
الشفعة للشريك ، وأجمع العلماء على ثبوتها .

فعموم الحديث يدل على ثبوتها ، ما لم يوجد من الشفيع  
ما يدل على إسقاطها ، والرّضا بشركة الشريك الجديد .

ويدل على هذا أن الأصل في جميع الحقوق والخيارات  
الثابتة أنها لا تسقط إلا بإسقاط صاحب الحق قولاً أو  
فعلًا ، فكيف يخرج منه هذا الحق المجمع على ثبوته ؟

فالصواب أنها كسائر الحقوق لا تسقط إلا بما يدل على  
إسقاطها من قول أو فعل . وقد يحتاج الشفيع إلى التروى  
والمشاورة في الإقدام على الشفعة لأجل : هل تقدر على ثمن المبيع ؟  
وهل هو مناسب له ؟ وهل يوافق الشريك الجديد ، فيرغب  
في مشاركته ؟ وهذا يحتاج إلى تأنٍّ ، ولكنه يمنع من الإضرار  
بالمشترى بالمطاوله ، بل يحدد له ما يحصل به مقصوده عرفاً .

المسألة الثانية : [وهي] أنهم ، رحمهم الله ، لم يُثبتوا الشفعة  
إلا في العقار الذي يمكن قسمته ، دون ما لا يمكن قسمته .  
فهذا ضعيف أيضاً ، لأن حديث جابر المرفوع : قضى صلى الله  
عليه وسلم بالشفعة في كل ما لم يقسم - وهو في الصحيح -  
صريح في عموم الشفعة في كل عقار لم يقسم ، سواء أمكنت  
قسمته بلا ضرر أم لا .

ومن جهة المعنى الذي أثبت الشارع الشفعة فيه للشريك  
لإزالة ضرر الشركة ، وهذا المعنى موجود في الأرض التي لا يمكن  
قسمتها أكثر من غيرها ، لتمكينه في غيرها بإزالة ضرر  
الشركة في القسمة فيما يقسم بلا ضرر ، وأما ما لا يمكن قسمته  
إلا بضرر ، فهو أعظم ضرراً من غيره ، فكيف لا تثبت به !

وهذا هو الصحيح ، وهو أحد القولين في مذهب الإمام أحمد ، وهذا المأخذ بعينه في المسألة الثالثة ، وهي شركة الوقف .  
فلو باع الشريك الذي يملكه طلق ، فله شريكه الذي نصيبه وقف الشفعة ، لعموم الحديث المذكور ، ووجود المعنى .

بل صاحب الوقف إذا لم يثبت له شفعة ، يكون أعظم ضرراً من صاحب الطلاق ، لتمكّن المالك من البيع ، بخلاف مستحق الوقف ، فإنه يضطر إلى بقاء الشركة .

وأما استدلال الأصحاب بقولهم : إن ملكه ناقص ، فالحديث لم يفرّق بين الذي ملكه ناقص أو كامل . ومنعنا إياه من البيع ، لتعلق حقوق من بعده به . فالصواب إثبات الشفعة إذا باع الشريك ، سواء كان شريكه صاحب ملك طلق ، أو مستحقاً للوقف ، كما أنه لا فرق بين المقار الذي يُقسم إجباراً ، أو يقسم عن رضا واختيار . والله أعلم .

س ٣ - هل اشتراط الفوريّة في المطالبة بالشفعة

غير صحيح ؟

ج - ذكر الأصحاب من شروط الشفعة : أن يُطالب بها على الفور . والصحيح أن حق الشفعة كسائر الحقوق ، لا يسقط إلا بما يدلّ على السقوط .

س ٤ - إذا باع بألفٍ شقصاً يساوي خمسمائة ،

فهل يأخذه الشفيع بذلك الثمن ، أم بالقيمة ؟

ج - يأخذ الشفيع بالآلف ، وإن كان الشقص يساوي خمسمائة ، لسكون المشتري له رغبة خاصة : إما لأجل الجوار ، أو لأجل أنه غريم للبائع ، والبائع لا تسمح نفسه ببيعه بقيمته حتى يبذل له شيئاً كثيراً ، والغريم يهون عليه ، لأن ثمنه وفاء ساقط عن ذمته ، وربما كان معسراً .

والمقصود أنه على أي حال كان ، حتى ولو وقع محابى عنه ، بأن حابى المشتري البائع ، فبذل فيه أكثر من قيمته ، فليس للشفيع إلا أخذه بذلك الثمن الذى وقع عليه العقد ، أو يترك شفيعته . وهذا ، كما أنه ظاهر كلام الفقهاء ، بل صريحه ، فهو ظاهر النصوص ، لأن الشارع أثبت للشريك الشفعة بالثمن الذى وقع به العقد ، سواء كان غالباً أو رخيصاً ، أو مساوياً [أو] مقارباً . وأيضاً الضرر مدفوع ، فلا يضارّ هذا البائع الذى لم تسمح نفسه ببيعه إلا بالآلف ، بأن يعطى خمسمائة لم يرض بها ، أو يضارّ الشفيع ، فتفوت عليه خمسمائة ، ولم يحصل له الشقص .

والظاهر أنه لا خلاف فى هذا . وأما الذى ذكره الفقهاء : إذا كان الثمن خمسمائة ، ثم تحبّلوا وأظهروا أن الثمن ألف ، فإنه يؤخذ بالخمسمائة التى هى الثمن الحقيقى .

س ٥ - إذا بيع الشقص الذى فيه الشفعة بمحابة ، فهل تسقط الشفعة من أجل المحابة أم لا ؟

ج - عموم الحديث ، وعموم كلام الأصحاب ، بل صريحه

يدلّ على ثبوت الشفعة في كل بيع ، سواء كان بالقيمة ، أو حابي البائع المشتري ، لقرابة أو صداقة أو نحوها ، أو بالعكس ، بأن باعه على مدينه بأكثر من قيمته ، لأجل الوفاء ، فالشفعة ثابتة بلا شك ، له أن يأخذ ، وله أن يدع .

س ٦ - إذا اشترى شقصا من عقار ، ثم شفع الشريك ، وأنظر ثلاثا أو نحوها ، ثم عجز عن الثمن ، أو لم يرغب في الشفعة ، وأراد تركها ، فهل له ذلك ؟ أو يؤخذ من قول الفقهاء : إذا عجز عن الثمن سقطت الشفعة ؟

ج - صرحوا بأن سقوطها في هذه الحال لدفع ضرر المشتري . فأما إذا لم يختَر المشتري السقوط ، فله ذلك .  
وعبارة بعضهم : أنه إذا عجز ، فللمشتري الفسخ ، أي : وله الإمضاء . بل لو أراد الشفيع الرجوع عن الشفعة في مجلس العقد ، لم يمكن من ذلك إذا لم يختَر المشتري إقالته ، كما نصوا أيضا على ذلك في باب الخيار ، حيث ذكروا : الشفعة مما لا خيار فيه . والله أعلم .

س ٧ - هل تجوز قسمة الشقص المشترك ، لأجل ألا يكون فيه شفعة إذا باعه ؟

ج - ليس هذا من الحيل المنوعة ، بل هذا توسل إلى استقلال الشقص ، لأجل حصول المقاصد المتعددة ، والأغراض التي منها : أنه إذا عرض للبيع رغبت فيه المشتري ، لعله أنه لا شفعة فيه . والله أعلم .

### باب : الوديعه

س ١ - هل يجوز أن يستودع ممن يشك أن المال له ؟  
ج - الأصل جواز الاستيداع ، بل استحبابه ، والأصل  
أن ما يبيد الإنسان ماله . ولكن إذا دلت القرائن على أنه  
ليس له ، فلا ينبغي أن يدخل الإنسان في أمور ربما أدت  
إلى ضرره في دينه أو دنياه . لأنه إذا تبين في هذه الحال  
أنه لغيره ، ضمن المستودع ، ولو لم يفرض ، لسكنه يرجع  
بما غرمه على من غرمه واستودعه .

ومن الضرر أنه ربما أسىء الظن بالوديع ، وظن أنه راض بذلك ،  
وقد يكون في ذلك من المنفعة حفظها على ربها . والله أعلم .

### باب : اللقطة واللقيط

س ١ - إذا ضاعت اللقطة ، فهل يملكها الملقط الثاني  
بالتعريف ؟

ج - قال في « الإقناع » وشرحه فيما إذا ضاعت اللقطة ،  
فعرّفها الثاني مع علمه بالأول ولم يعلمه ، أو علمه وقصد الثاني  
بتعريفها لنفسه : لم يملكها الثاني ، لأن ولاية التعريف للأول ،  
وهو معلوم ، فأشبه ما لو غصبها من الملقط غاصب وعرّفها .  
والوجه الثاني : يملكها ، لأن سبب الملك وجد منه ،  
والأول لم يملكها .

أقول : وقد يقال : إن سبب الملك الالتقاط ، وشرطه التعريف ، وتعريف الثاني كالنباية عن الأول ، فيملكها الأول . والله أعلم . ويؤيده ما ذكره في التقاط المجنون والصغير والفاسق الذي لا يؤمن عليها .

س ٢ - عن تحريم نبد الطفل، لما له من مفسد متعددة .

ج - قال في شرح « الإقناع » في باب اللقيط :  
ويحرم النبد ، لأنه تعريض بالمتبوذ للتلذذ .

أقول : ليس تحريم النبد لهذه العلة وحدها ، بل يحرم النبد لما فيه من المفسد المتعددة ، غير ما ذكر ، منها : أنه يسقط عن نفسه النفقة الواجبة عليه ، ويحملها من لا عليه منها ، ومنها : ما يخشى من ضياع نسبه ، وربما ادعى رقه ، وربما لا يتمكن بعد ذلك من استلحاقه الوارد ، إلى غير ذلك .

### باب : الوقف

س ١ - ذكروا أن الوقف المعلق بالموت لازم من حينه ، فهل هو وجيه ؟

ج - الذي أرى أن هذا جار مجرى الوصية ، والوصية يجوز الرجوع فيها ، وقد جرت عادة الناس : تارة يوصون بمشاع من أموالهم ، وتارة يوصون بمعين يكون وصية لهم بعد موتهم . وجواز الرجوع في الوصية يتناول الأمرين ، فلا أرى للتفريق وجهاً .  
وقد قال بعض الأصحاب : إنه غير لازم فالحمد لله على ذلك .



من ٢ - عن بطلان الوقف على [البيع] ونحوها ؟  
ج - قول الأصحاب في الوقف على البيع ونحوها : إنه يصح  
على المارّ بها من مسلم وذمّي ، ونقلهم كلام «الرعاية» في صحة وقف  
عبدته على حُجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، لإخراج ترابها ،  
وإشمال قناديلها ، وإصلاحها ، لا لإشمال وحده .  
هذا ما قالوه ونقلوه ، والصواب أن هذا الوقف باطل ،  
لأنه من أعظم الإحانة على الإثم والمدوان .  
فالتوقيف على بُيوت الكُفر ، لا فرق بين التوقيف عليها  
لمن يعمل فيها بشعائر الكفر ، ولا بين إرفاق المارّين بها ،  
والمقيمين عندها .

وهذا القول يُعدّ من الأغلط الفظيعة ، وكذلك كلام  
«الرعاية» ، فإن العلماء اتفقوا على أنه لا يحلّ العلوّ في القبور ،  
ولا إشغالها وتنويرها ، ولا البناء عليها وزخرفتها ، وكل هذا  
من وسائل الشرك ، فكيف يُستجاز الإحانة عليه ؟  
وأيضًا فكلام «الرعاية» في نفسه مُتناقض ، وهو أنه  
صرّح : إن وقف على مجموع المذكورات ، صحّ ، وإن خصّ  
منها الإشمال وحده ، لم يصحّ . فإذا كان الإشمال محرّمًا ،  
فلا فرق بين انفرادِه وانضمامه إلى غيره .  
وهذا مما يدلّ على أن هذا الكلام غير فقهي علمي ،  
كما أنه ليس بشرعي ، والله أعلم .

س ٣ - ما حكم من وقف عبده على الحجرة النبوية ؟  
ج - قال الأصحاب : ويصحّ وقف عبده على حجرة  
النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذا القول مع مخالفته للشريعة ، مخالف لقاعدة المذهب .  
س ٤ - إذا امتنع البطن الأول من الحلف ، فالثاني أن  
يحلّفوا ، ثم لمن يكون المحلوف عليه ؟

ج - قال الأصحاب رحمهم الله : إن البطن الثاني ومن  
بعده من أهل الوقف يتلقّى الوقف من الواقف ، لا من البطن  
الذي قبله ، فإذا امتنع البطن الأول من اليمين مع شاهده  
لإثبات الوقف ، فلمن بعدهم الحلف .

أقول : هل يكون للحالفين الذين إنما ثبت بحلفهم ، أم  
للبطن الأعلى ؟ فيه تردد ، والذي يترجح أنه للبطن الأعلى ،  
إلا أن يمتنعوا ، فيكون للنازلين .

س ٥ - كيف يقسم الوقف على أولاده ؟

ج - قال أصحابنا : والمستحبّ أن يقسم الوقف على  
أولاده . للذكور مثل حظّ الأنثيين . فإن فضل بعضهم ،  
أو خصه على وجه الأثرة ، كره .

أقول : اقتصارهم على الكراهة فيه نظر ، فإن هذا ترك  
للمدلّ الواجب ، فلا يكون إلا محرّمًا . والله أعلم .

س ٦ - إذا وقف على أولاده أو ولده ، ولم يأت بلفظ  
دالّ على التثريب ، ولا على الترتيب ، فما حكمه ؟  
ج - المذهب فيه معروف ، أنّه بحسب الطبقات لا يستحقّ  
الطبقة النازلة مع المالية شيئاً ، فعلى هذا لا يدخل أولاد الأولاد  
مع أولاد الصّلب ، ولا أولاد أولاد الأولاد مع أولاد  
الأولاد .. وهكذا .

واسكن الذى نحن نُرجّحه فى هذه المسائل ، أن كل من  
مات عن ولد ، فنصيبه بين أولاده تقريب للإرث والعدل ،  
وإبعاد عن الجور والإثم . والله أعلم .

س ٧ - لو وقف على آل جعفر وآل عليّ ، فكيف يقسم ؟  
ج - قال فى شرح « الإقناع » : ولو وقف على آل جعفر  
وآل عليّ ، فقال أبو العباس : أفيتّ أنا وطائفة من الفقهاء  
أنّه يقسم بين أعيان الطائفتين ، وأفقى طائفة أنّه يقسم  
نصفين ، فيأخذ آل جعفر النصف وإن كانوا واحداً . وهو  
مقتضى أحد قولى أصحابنا . اهـ .

قلت : وهو مقتضى ما تقدم فى مواضع . اهـ .  
أقول : ونظير هذه الفتوى لو قال : وقف على أولاد  
[أبنيّ] فلان وفلان ، هل يقسم على أعيان أولاد ابنيه ولو تفاوتوا ،  
أو يجعل لكل أولاد ابن نصف ؟  
وهذا الثانى أقرب ، حتى إلى مقاصد الموقفين .

س ٨ - إذا وقف على مسجد ، ولم يُعيّن للإمام ،  
ولا للمؤذن ، ولا غيره ، فكيف يُصرف ؟

ج - إن كان هناك عادة مستمرة وعمل مُتّرد في صرفه  
في بعض مصالح المسجد ، عمل بذلك ، وإن لم يكن عُرف مطرد  
صرف لجميع مصالح المسجد ، من إمام ومؤذن ، وتصليح  
ما دمر فيه ، وسيراج ودلو ونحوها ، يُنفذ بحسب ما يروونه  
من المصلحة . والله أعلم .

س ٩ - إذا وقف بشرًا للشرب ، فهل يجوز الوضوء [بها] ؟

ج - ذكر الأصحاب ، رحمهم الله ، أنه إذا سَبَّل ماء  
للشرب ، فإنه لا يجوز الوضوء به . وأطلقوا العبارة .

والذي أرى أنه يتقيّد بالماء الذي حصله في قربة أو إناء ،  
إذا سَبَّل للشرب ، لا يجوز استعماله في غير ما صرّح به المسبّل .  
وأما الذي يُسبّل بشرًا للشرب ، فلا أرى دخوله في هذه  
العبارة لأمرين ، أحدهما : أن الماء الذي في البئر لا يملك ،  
والناس شركاء فيه ، فإذا كان الماء الذي في البئر قبل وقفه لا يأخذ  
صاحبه من آخذه عوضًا ، ولا يمنع غيره من أخذ ما لا يضرّه ،  
فكيف إذا كان وقفًا ؟ فإنه من باب أولى وأحرى .

الثاني : أن العُرف في الشرع جارٍ مجرى اللفظ ، وقد دلّ  
العُرف على التسامح في مثل هذه الأمور النافعة التي لا تضرّ  
بالشاربين ، وهي نافعة لموقفها . ولكن ينبغي أن يُقيّد بعدم

الضرر ، فلو سبّل بئراً للشرب ، ثم جماعها الناس مفلساً لهم ،  
ومنعوا الشاربين ، وقتلوا الماء عليهم ، فإنه في هذه الحال  
يتمّين الرجوع إلى نصّ الموقف ، بلا ريب .

س ١٠ - إذا وقف وقفاً ، وجعل للناظر عليه أن يصرّفه  
فيما هو أنفع ، فهل يسوغ له أن يصرّفه في دين الواقف ،  
إذا ظهر عليه دين ؟

ج - إذا نفّذ الواقف ، وتمّت شروطه الشرعية ، خرج  
من ملك الواقف ، وصار هو وغيره فيه على حدّ سواء .  
إن كان قد شرط فيه الانتفاع أو الفسقة ، مدة حياته ،  
أو يقضى منه دينه ، أو نحو ذلك من الشروط ، فله شرطه .  
وإلا فالدين الذي على الواقف ودين غيره على حدّ سواء .  
وهذا ظاهر كلام الأصحاب ، رحمهم الله .

ولسكن ليعلم أن من الموانع المانعة للوقف ونفوذه على قول  
المحققين : أنه لا يحلّ للإنسان أن يوقف وقفاً يصرّ بغير مائه .  
أما تحريمه ، فهو قول واحد ، وأما نفوذ الوقف ،  
فن قال : لا يمنع تصرف الإنسان في ماله إلا حجز الحاكم ،  
كما هو المشهور من المذهب ، جملوه نافذاً مع التحريم .  
ومن قال : إنه يصير محجوراً عليه بمجرد إفلاسه ، قال :  
لا ينفذ هذا الوقف . وأما إذا كان الدين إنما استجدّ بعد  
نفوذ الوقف ، فكما ذكرنا : قضاء دين الموقف وغيره سواء .

س ١١ - إذا وَقِفَ المصحف على المسجد ، فهل يجوز

إخراجه منه ؟

ج - المصحف إذا وَقِفَ في المسجد ، فلا يخرج منه ،  
لكن إذا خيف عليه سرقة ، يُخرج وقت اجتماع الناس ،  
ويُحفظ - إذا تفرّقوا - عن أحد يأخذه . وأما إذا لم يوقف  
على المسجد ، فللإنسان أن ينظر للمصلحة ، إن كانت المصلحة  
تقتضى أن يعطيه واحداً يستعمله ويحفظه ، فهو أولى من  
جملة المسجد ، يخاف أن يُسرق منه .

س ١٢ - هل يجوز التصدق بباقي قروش جعلت

للمقبرة ؟

ج - الذى أرى إن كان يظن أن المقبرة تحتاج لها ، ولو  
بمد ذلك ، فلا يصلح ، لأنها بُذِلت في هذه الجهة . فإن كان  
يَجْزِم أن المقبرة ما تحتاج لها ، وأهلها يغلب على الظن أنهم  
يرضون بذلك ، فلا بأس بالصدقة بها على المحتاج .

س ١٣ - إذا عَيَّنَ تمر لصُومِ المسجد ، فزاد عن

حاجتهم ، فاذا يفعل بالزائد ؟

ج - قد أفتينا من بطرفنا أنهم يتصدقون [به] على  
المحتاجين ، من المصلين في المسجد الذى عَيَّنَ فيه فطور الصُوم .  
والطريقة واحدة .

س ١٤ - إذا وقف على مدرسة فتمطّأت ، فماذا يفعل به ؟

ج - ينبغي أن ينتظر ، ويوقف الحاصل من مُنَلِّ الوقف حتى ييأس من عود المدرسة إلى الأهلية .

فعند اليأس من عودها [ يُصْرَف ] في طريق خيريّ عام نفهه ، مراعاة لقصد الموقف بحسب الإمكان ، ويُراجع في ذلك أهل الخبرة : أيّ المشاريع أنفع لأهل البلد ، وأقرب إلى حصول مقصود الواقف ؟

س ١٥ - إذا جعل في قليب عشرة أصوع كل سنة لإمام مسجد ، ثم تمطّلت سنتين ، وزُرِعَت الثالثة ، فهل يعطى للسنتين من ربيع هذه السنة ؟

ج - إذا قال الموقف هذه العبارة الموجودة في السؤال ، استحقّ إمام المسجد لجميع السنين التي زرعت فيها ، والتي تمطّلت ، لأنّ الرّبيع عبارة عن حاصل القليب [ ونحوه ] ، وقد يوجد كل عام ، وقد يوجد تاماً بعد عام .

واستحقاق إمام قد نصّ على أنه كل سنة ، وأما الرّبيع فلم يقيد بزرعها . فالاستحقاق مُقيّد ، والرّبيع غير مقيد ، فلو قُيّد بزرعها كان كما قال .

س ١٦ - إذا جعل عشرة أصوع في لز القليب ، ثم

تمطّلت الأرض ، فهل يُؤخذ من النخل ؟

ج — نعم ، يؤخذ من النخل ، لأن مقصود الموقف أن هذه العشرة قادمة في ربيع هذا القليب ، سواء حصل منه غلة زرع ونخل ، أو غلة زرع وحده .

وأيضاً لفظه دالٌّ على هذا ، فإن وقف عشرة أصوع في لزام ، معناه ما جرى عليه ماء القليب من نخل أو زرع أو بطيخ أو غيرها .

س ١٧ — إذا تعطل فعل الوقف سنين ، ثم حصل ربيع ، فهل يعطى للسنين الفائتة ؟

ج — هذا السؤال مجمل ، يحتمل أن مرادكم به : إذا تعطل الوقف على الجهات الدينية ، كملى أئمة المساجد والمؤذنين والمدارس ونحوها ، وهو مُرادكم ، لأنكم حوّلتُمونا على نقل صاحب « الفروع » لكلام شيخ الإسلام ، حيث قال : ولو عطل فعل وقف مسجد سنة ، تقسّطت الأجرة المستقبلة عليها وعلى السنة الأخرى ، لتقوم الوظيفة فيهما ، فإنه خير من التعطيل ، ولا ينقص لإمام بسبب تعطل الزرع بعض المام .

هذا كلام الشيخ ، ثم قال صاحب « الفروع » ، في توجيه كلام الشيخ : فقد أدخل مُغلّ سنة في سنة .

مثال هذا : لو جعل لإمام المسجد مائة صاع كل سنة من مغل الأرض ، ثم تعطلت في عام بالكفاية ، ثم حصل منها ربيع في العام الآخر :



فإن كان الربيع يكنى لتسديد هذا العام الذي حصل فيه  
المغل وللعام السابق المتعطل ، بأن كان الربيع مائتين فأكثر ،  
أعطى مائة للعام الماضي ، ومائة للعام الحاضر .

وإن كان لا يكنى لهما ، بل كان الربيع في العام الحاضر  
مائة فقط ، قسّمت المائة على السنة الماضية والمستقبلية ، فيجعل  
لكل سنة خمسون صاعاً . وهذا الذي ذكره عن الشيخ هو  
الذي يتعين المصير إليه في الأوقاف على الجهات الدينية ، لأنها  
في مقابلة الأعمال ، فربيع العام الحاضر مثلاً يُقابل عمل السنة  
الماضية ، والسنة الحاضرة . وليس هذا بمنزلة وقف الربيع على  
مجرد الأشخاص والأوصاف الذين ليس منهم عمل ، كالوقف  
على بنى فلان ، وعلى زيد وعمرو ونحوهما من غير مقابلة  
عمل ، بل القصد مجرد برِّ بذلك الشخص ، أو تلك الأوصاف ،  
فهذا يعتبر كل عام على حدّته .

ثم قال صاحب « الفروع » مقررًا لهذا الذي نقله عن الشيخ :  
وأفتى غير واحد منا في زمننا فيما نقص عما قدره الواقف  
كل شهر : أنه يتمّ مما بمدُّ ، وحكم به بعضهم بعد سنين .  
فهذا الكلام الذي نقله عن غير واحد من الحنابلة ،  
يؤيد ما قاله الشيخ .

ثم قال صاحب « الفروع » ، ناقلاً قول من يعتقد خلاف  
هذا القول ، فقال : ورأيت غير واحد لا يراه .

فهذا نقله مجرداً ، ليس فيه تعليل ولا استدلال .  
ومن المعلوم أن القول الأول الذي علّله الشيخ بتلك  
المِلل الحسنة الموافقة للقواعد الشرعية ، ولقاصد الواقفين ،  
ولعموم مصلحة الجهات وقيامها ، [ أنه ] أصح وأولى .  
فهذا آخر ما يتملق بنقل صاحب « الفروع » في هذه  
المسألة . والذي أوجب لكم الاشتباه في كلامه أنه ، رحمه  
الله ، حريص جداً على الاختصار ، ولو كان فيه غموض .  
فرحمه الله ، وغفر له .

س ١٨ — رجل جعل في قلبه عشرة أصوع برّاً وشميراً ،  
وبمض السنين ما تزرع في الشتاء ، وتزرع في القيظ ،  
فهل يُؤخذ من زرع القيظ ما يشتري به ؟

ج — يُؤخذ من زرع القيظ ما يشتري به برّاً وشميراً ،  
لأن لفظه وقصده يدلّان على ذلك . أما لفظه فظاهر ، لأنه  
قال : كل سنة ، ولم يقيد ذلك بزرع الشتاء . وأما قصده ، فلأن  
قصده الجاعل لهذه العشرة أنها تكون من مُنقَل الأرض ، من  
غير أن يقصد أنه لا بد أن تُزرع في الشتاء . فكل سنة يحصل  
فيها ما ينقل المذكور ، تعين صرفه إلى ما سماه . والله أعلم .  
س ٢٠ — إذا كان عند رجل نخلتان في أضحية لوالده  
وجده ، ونخلة في أضحية لخالته وعيالها ، ولم تكف كل نخلة  
لما جعل فيها ، فما الحكم ؟

ج - يجمع مُغْلُ النخلتين مع الثالثة ، ويشترى [ به ]  
أضحية واحدة ، وينويها عن أهل الوصيتين : ينويها عن جدّه  
ورالده ، وعن خالته وعيالها . وكل له نصيبه من الأجر بقدر  
مغل وصيته . مثل : لو كان عندك عدة عشبّات : صاع للوصية  
الفلانية ، وصاعان للوصية الفلانية أو أكثر ، وجمعتن جميعاً ،  
وفرتقتن ، كل له نصيبه من الأجر ، أحسن من كونه يجمع  
المغل سنتين أو [ ثلاثاً ] أو أكثر حتى يَتِمَّنَ أضحية .

وهذا الذى نحن نفقئ فيه الجماعة : أن من كان عنده  
عدة وصايا ، وكل واحدة ما تضحى ، فإذا جمعهن فى أضحية  
واحدة ضحيتين ، فهو أولى من التمطيل .

والله لا يضيع أجر العاملين ، ويعلم مقدار كل عامل وعمله .  
س ٢١ - إذا أراد أن يوقف فى ملكه شيئاً بعد موته ،  
وجعل له شيئاً مقدماً فى غلته مُقَدَّرًا ، وهو حين الموت أقل  
[ من ] الثالث ، فهل يكون هذا المقار حكمه حكم الموقوف ،  
ويعطى حكم الوقف فلا يباع ، أم لا ؟ وهل تحصر هذه  
الصبرة فى قسط منه ، ويتصرف بالباقي ؟

ج - أما التوقيف بعد الموت ، فحكمه حكم الوصية يُنفذ ،  
إذا كان من الثالث فأقل للأجنبي ، والمبرة بخروجه من الثالث  
وعدمه وقت الموت ، لا وقت الوصية ، لأنه الوقت الذى تلزم  
به الوصية . فإذا قال الإنسان مثلاً : ملكى الفلانى قادم

في ريمه بعد موتى مائة درهم ، أو مائة وزنة تمر ، أو حب ،  
أو نحوها ، نظرنا :

فإن كان ملكه المذكور إذا قُوم بأصله وقت موته ، فهو  
من الثلث فأقل ، صار ذلك الملك وقفًا بعد موته : أصله وغلته ،  
لأن قوله : قادم في غلته كذا وكذا درهمًا أو تمرًا أو حبًا  
كناية عن وقفه ، وهذا من خصائص الوقف ومعانيه .  
وما زاد عن الغلة المذكورة المقدرة ، فصرفه مصرف الوقف  
المطلق ، أو المنقطع ، على الخِلاف المعروف فيه : إما على ورثته  
من النسب والولاء على قدر موارثهم ، أو على الفقراء والمساكين ،  
أو على أقاربه الفقراء المحتاجين ، وهو أصح الأقوال .

وأما إن كان الملك المذكور يزيد على الثلث وقت موته ،  
فإن أجازته الورثة أعطى حكم ما تقدم ، وإن لم يُجيزوه حُصرت  
الوصية في ذلك الملك المعين ، وأخرج منه مقدار الثلث ، أى :  
ثلث تركته كلها ، والباقي ملك للورثة ، يتصرفون فيه بما شاؤوا ،  
فإن أحبوا الاقتسام للملك - إذا لم يكن في قسمته ضرر -  
فعلوا ، وإن أحبوا بقاءه على الشيوخ والشركة ، بقى بمضه  
ملكًا ، وبمضه وقفًا مشاعًا . والله أعلم .

س ٢٢ - ما معنى قول شيخ الإسلام : تجبُ عمارة  
الوقف بحسب البُطون ، والجمع بين عمارة الوقف وأرباب  
الوظائف حسب الإمكان أولى ، بل قد [يجب] .

ج - هذا الكلام الذي قاله الشيخ ، ونقله الفقهاء عنه مرتضين له ، تضمن أمرين : أحدهما : وجوب عمارة الوقف وإن لم يشترط الواقف تعميره ، لأن هذا العرف المطرد في الأوقاف ، لأنه لا يحفظ ماليّتها ولا يتم استقلالها إلا بالتعمير ، فالواقف وإن لم يشترطه بلفظه ، فهذا مقتضى العرف الذي تحمل عليه المطلقات .

لكن هذا التعمير يُوزع على حسب البطون ، فلا يجعل على البطن الأول ، فيكون عليه ضرر ، وهو المقدم في التصدق والاستحقاق ، فإنه إذا عمر من مُغله الحاضر ، فربما استوعب المُغل جميعه عدة سنين ، فيحرم منه البطن الأول ، ويكون إذا خاص من نفقة التعمير للبطون المتأخرة خالصاً مَعمرًا ، فهذا ليس من الإنصاف ، بل العدل الواجب أن توزع النفقة ، أو يوزع التعمير على البطون كلها .

فإذا فرضنا أنه يستوعب من النفقة للتعمير ثلاثة آلاف ، وأمکن استدانها آجالاً كثيرة كل عام ، يحُلُّ منها قسط يؤخذ من الرِّبِّع ، وتبقى البقية من المُغلِّ لأهل البطن المستحق حتى تكمل الآجال . وإما أن يعمر شيئاً فشيئاً ، فينظر الأصلاح للجميع من أحد الأمرين للوقف وأهل الوقف . وهذا معنى قوله : والجمع بين العمارة وأرباب الوظائف حسب الإمكان أولى ، بل قد يجب . فيكون في ذلك مراعاة للوقف إذا لم يشترطه الواقف ، ولأهل الوقف ، واستمرار النفقة .

وأما قول الأصحاب : إنه لا يجب عمارة الوقف ، فهذا ضعيف ، مُخالف لمقاصد الموقفين ، ومُنافٍ للعرف ، وإضرار في الحال والمآل ، وتسليط للمستحقين الأولين على استغلاله استغلالاً يُتلاف أصله ، كما هو معروف .

وكلام الشيخ هذا عدل ، وهو الطريق الوجيه لإصلاح الأوقاف ، واستمرار نفعها . والله أعلم .

س ٢٣ - اشترط أهل العلم في الأوقاف ونحوها أن تكون في جهة برّ ، مع أن الإنسان يجوز له بذل ماله في الأمور المُباحة ؟

ج - السبب في ذلك أن الأموال جعلها الله قياماً للناس ، تقوم بها أمور دينهم وأمور دنياهم ، فإدام العبد في قيد الحياة ، فإنه يجوز له بذلها في المباحات والمنافع المتنوعة ، كما يبذلها في الطاعات . فإذا مات العبد ، انقطع عنه المنافع الدنيوية ، ولم يبق إلا المنافع الأخروية ، فهذا هو السبب ، وهو ظاهر كما ترى ولهذا من كان عنده مال لغيره ، وقد جهل صاحبه ، وتمذّر عليه معرفته أو معرفة وارثه ، صرفه فيما ينفع صاحبه في الآخرة ، فتصدق به عنه ، أو صرفه في المصالح الدنيوية . لأنه لما تمذّر عليه الانتفاع في ماله في حياته ومنافعه الدنيوية ، تعيّن المصالح الأخروية . ولهذا أيضاً كان الجزاء في الآخرة من الأعمال ، حين تمذّر الوفاء من المال .

باب : الهبة

س ١ - إذا قال : خُذ من هذا الكيس ، أو من هذه الدراهم ما شئت ، فهل له أخذ الجميع ؟

ج - قال في « الإفتاح » : لو قال : خُذ من هذا الكيس ما شئت ، كان له أخذ ما به جميعاً .

وخُذ من هذه الدراهم ما شئت ، لم يملك أخذها كلها .  
ثم ذكر في « الشرح » عِلَّةَ الفرق ، عن ابن الصيرفي .

أقول : وفي هذا الفرق الذي ذكره ابن الصيرفي نظر ،  
والتحقيق عدم الفرق في التُّرف ، وما يبدو للأذهان والألفاظ  
يرجع [فيه] إلى ما يقصده المتكلمون [به] .

س ٢ - رجل له أبناء ، وأحدهم قائم بأعمال والده  
وأشغاله ، والآخرون لبسوا مثله في ذلك ، فهل يجوز أن  
يخصص له خمسمائة ريال زائدة عن [إخوته] ؟

ج - الابن المذكور له حالة عالية محمودة ، وحالة  
لا حرج عليه فيها ، ولا يُلام عليها .

أما الحالة العالية ، فهو أنه يبقى على خدمة والده ، والقيام  
بأشغاله ، يرجو بذلك الأجر من الله ، والبرِّ بوالده [وإخوته]  
ويحمدُ الله تعالى أنه وُفِّق لهذه الحالة التي هو عليها . ومن  
كانت هذه نيته ، فهو غانم للأجر ، وعاقبته حميدة .

وأما الحالة الأخرى ، فهو إذا لم يرغب إلا أن يكون لقيامه بأشغال والده له على ذلك مصلحة ، فالطريق في ذلك أن يعقد معه أبوه عقد إجارة كل شهر ، أو كل سنة ، بشيء معين ، مثلما يأخذ غيره من الناس ، فهذا يصير مثل الأجير ، مُشاهرة أو مدّة يتفقان عليها .

وأما تخصيص المبلغ المذكور زيادة على إخوته ، فهذا ما يصلح . لأنه لا يدري : هل هو مقدار استحقاقه أو أقلّ أو أكثر؟ وأيضاً وسيلة إلى مُحاباته ، ووسيلة إلى أنه ينسب إلى الحيف والتخصيص لبعض أولاده دون بعض . بخلاف عقد الإجارة ، فإنها معاملة مع ابنه ، كما ملته مع الناس يبيع أو إجارة أو غيرها . والله أعلم ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

س ٣ - ما حكم وقف المريض ثلثه على بعض ورثته ؟

ج - قال الأصحاب : وإن وقف ثلثه في مرضه على بعض ورثته ، يوقفه عليهم ، جاز .

أقول : وتخصيص بعض الورثة بوقف ثلثه عليه أو تفضيله ، قول ضعيف جداً . والرواية الثانية : لا يجوز ذلك ، وهو مذهب جمهور العلماء . وعليه تدلّ الأدلة الشرعية في إيجاب العدل بين الأولاد ، ومنع الوصية لوارث . والله أعلم .

س ٤ - هل تصرف الابن بما وهبه له أبوه يمنع الرجوع ؟

ج - قال الأصحاب : كل تصرف لا يمنع الابن من التصرف في رقبة ما وهبه له أبوه كالوصية والإجارة ، فإنه



لا يعمّر رُجوع الأب في هَيْبَتِهِ ، وإذا رجع ، فإن كان التصرف لازماً كالإجارة بقى بحاله ، وإلا بطل . قال في « شرح الإقناع » :  
لكن تقدّم أن الأخذ بالشفعة تنفسخ به الإجارة ، والفرق أن للأب فعلاً في الإجارة ، لأن تملكه لولده تسليط له على التصرف فيه ، ولا كذلك الشفيع . هذا ما ظهر لى . والله أعلم .  
أقول : والتحقيق في الفرق بينهما ، أن حقّ الشفيع متقدم على حقّ المستأجر ، بخلاف حقّ الأب في الرجوع ، فإنما يثبت وقت الرجوع الذى تقدمه حقّ المستأجر . والله أعلم .  
س ٥ - هل تمنع الزيادة المتصلة رُجوع الأب فيما وهبه لولده ؟

ج - قال الأصحاب : ولا رجوع للأب فيما وهبه لابنه ، مع زيادة متصلة . أقول : والرواية الثانية : لا تمنع الزيادة المتصلة رجوع الأب ، وهى الصحيحة .  
س ٦ - ما حكم ما إذا أقرّ الأب بقبض دين ولده وأنكر الولد ؟

ج - قال الأصحاب : لو أقرّ الأب بقبض دين ولده ، فأنكر الولد أو أقرّ رجع على غريمه ، ورجع الغريم على الأب . قال في « شرح الإقناع » : فقول الإمام في رواية ، [منها] : ولو أقرّ بقبض دين ابنه ، فأنكر ، رجع على غريمه ، وهو على الأب ، لا يعول على مفهومه من أنه لو أقرّ لا يرجع ، لأنه يمكن أن يكون جواباً عن سؤال سائل ، فلا يحتجّ بمفهومه .  
( ٣١٢ - شاوى )

أقول : والأولى التحويل على مفهوم قول الإمام أحمد ،  
خصوصاً إذا قلنا بجواز إبراء نفسه وإبراء غريم ابنه من  
دين الابن ، وجواز قبض ديون الابن ، كما يجوز قبض أعيان  
ماله . وهو الصحيح لقوله صلى الله عليه وسلم :  
« أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ » .

فيشمل الأعيان والديون . والله أعلم .

س ٧ - إذا أخذ من مال ولده شيئاً ، ثم انفسخ  
سبب استحقاقه ، فهل يرجع على الأب بما قبضه ؟  
ج - نقل الأصحاب عن الشيخ تقي الدين أنه لو أخذ  
من مال ولده شيئاً ، ثم انفسخ سبب استحقاقه بحيث وجب  
ردّه إلى الذي كان مالكة ؛ مثل أن يأخذ صدق ابنته ،  
ثم يطلق الزوج ، فالأقوى في جميع هذه الصور أن للمالك  
الأول الرجوع على الأب .

قال في « الإقناع » بعد نقله كلام الشيخ : ويأتى في الصداق :  
لو تزوجها على ألف لها ، وألف لأبيها ، أى : فإنه يرجع  
عليها لا على أبيها ، قال في شرح « الإقناع » : وهو يقتضى  
أن المذهب خلاف ما قاله الشيخ . اهـ .

أقول : وما قاله الشيخ هو الصواب ، لأن يد الأب  
كيد ولده بالنسبة إلى من له الاستحقاق ، ولسدّ الذريمة  
عن الحيلة .

## كتاب : الوصية

س ١ - قول الأصحاب : ويجوز الرجوع في الوصية ، هل هو قبل قبض الموصى له ، أو مُطلقاً ؟

ج - مرادهم بالرجوع أن يرجع وهو حتى قبل موته ، فإذا مات الموصى قبل رجوعه تثبت للموصى له ، ولا يمكن في هذه الحال الرجوع لا قبل القبض ولا بعده ، ولكن لا بد من قبول الموصى له للوصية بعد موت الموصى بقول أو فعل . والله أعلم .

ويترتب على هذه المسألة مسألة : وهي أن الموصى ، له الرجوع في وصيته ، سواء كتبها وأشهد عليها ، أو لم يكتبها ولم يشهد عليها ، وسواء كان على معين أو غير معين .

والله أعلم ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

س ٢ - ما الفرق بين الهبة والوصية ؟

ج - بين الهبة والوصية فروق ، مع أنهما من قسم التبرع : الهبة لا تقبل التعليق ، والوصية لا تكون إلا مملقة .

والهبة لا بدّ فيها من القبول قولاً أو فعلاً وقتها ، والوصية بعد الموت . والهبة من جميع المال إلا إذا وقعت في مرض الموت ، والوصية من الثلث لأجنبي . والهبة تصحّ لعبد غيره ، والوصية لا تصحّ . والهبة لا تصحّ لعبد ، والوصية تصحّ له بنفسه ، أو بمشاع من ماله ، لا بعين غير نفسه .

والهبة أفضل من الوصية إذا لم يسكن للوصية منية ترجيح .  
وهذا كله على المشهور من المذهب . وتصح الوصية للآبق ،  
وللحتمل في البطن ، دون الهبة . وتصح الوصية بالمدوم ، دون الهبة .  
س ٣ — متى تدخل التركة في ضمان الورثة ؟

ج — قال في « الإقناع » : ويستقرّ الضمان على الورثة بمجرد  
موت مورثهم ، إذا كان المال حيناً حاضرة يتمكن من قبضها .  
أقول : وقال القاضى وابن عقيل : لا تدخل في ضمانهم  
إلا بالقبض كالديون ، وهو أولى .

### باب : الموصى له

س ١ — ما حكم الوصية لعمارة القبور ؟

ج — كلام صاحب « الترغيب » مردود ، فإن عمارة  
القبور من أعظم مناهج الشرك ، وتنفيذ هذه الوصية من أعظم  
التعاون على الإثم والعدوان ، كما هو ظاهر لا يخفى على من  
له أدنى معرفة بأمر الشرع .

س ٢ — إذا قال : يخدم عبدى فلاناً سنة ، ثم هو حر .

فردّ الموصى له ، فهل يعتق العبد حالاً ؟

ج — قال في « الإقناع » : وإن قال يخدم عبدى فلاناً  
سنة ، ثم هو حرّ ، صحّت الوصية ، فإن لم يقبل الموصى له بالخدمة ،  
أو وهب له الخدمة ، لم يعتق إلا بعد السنة . قال في شرح  
« الإقناع » : وفي « المنتهى » وغيره : يعتق في الحال .

أقول : قول صاحب « المنتهى » أقرب إلى حصول مراد الموصى ، لأنه قصد حرثته ، وملكته منافع نفسه ، إلا تلك المنفعة التي وهبها له صاحبها .

س ٣ - لو قال الموصى : اعتق عبداً نصرانياً ، فأعتق مسلماً ، فما الحكم ؟

ج - قال في شرح « الإقناع » : قال أبو بكر : لو قال الموصى : اعتق عبداً نصرانياً ، فأعتق مسلماً ، أو ادفع ثلثي إلى نصراني ، فدفعه إلى مسلم ، ضمن . قال أبو العباس : وفيه نظر . اهـ .

أقول : لعل مراد أبي بكر ليس مجرد كونه نصرانياً ، بل قصد به وصفاً مقصوداً شرعياً ، كالقريب والجار : فلا يبقى فيه نظر .

س ٤ - إذا أوصى لفرس زيد ، فمات للفرس ، فلمن يكون الباقي ؟

ج - قال في « الإقناع » : وتصحيح الوصية لفرس زيد ولو لم يقبله ، وبصرف في علفه ، فإن مات فالباقي للورثة .

أقول : لا يخفى أن مراد الموصى نفع صاحب الفرس ، وإن كان عين ذلك لنفع يصرِّفه إلى علف فرسه ، فإذا تعذر الإنفاق عليها ، فالذي ينبغي أن يكون لصاحب الفرس .

س ٥ - إذا أوصى له ولجبريل بثلاث ماله ، فماذا يكون لزيد ؟

ج - قال الأصحاب : ولو وصى له ولجبريل ، أو له وللحائط ، بثُلثِ ماله ، فله جميع الثلث .  
أقول : الأصل انتقال جميع التركة للورثة ، إلا وصية صحيحة معتبرة فعلى هذا إذا أشرك بينه وبين من لا يصح تعليقه ، كجبريل والحائط ، كان ما جعله لجبريل والحائط للورثة . ومثل هذا : [صواب] إبطال وصية من أمر بدفن ثلثه أو إحراقه ونحوه مما يمتد [تلاعياً] ، فلا نجعل لكلامه معنى لم يُرَدّه ، بل نُلغى لفظه بالسكوية .

### باب : الموصى به

س ١ - عن حكم ما إذا أوصى بإحراق ماله ، أو دفنه في التراب ؟

ج - الصواب بطلان الوصية في هذه المذكورات ، وهي إذا أوصى بإحراق ثلث ماله أو دفنه في التراب ، فراده بذلك إما إضرار بالورثة أو السّفَه أو العبث ، وهو فاسد لا يمكن اعتباره ، وإما إبطال حق الورثة الذي فرضه الله لهم ، وإنما أبيض للإنسان ثلث ماله عند الوفاة ، إذا وصى بما فيه خير ونفع ، إذا كان ثابت العقل . والله أعلم .

س ٢ - إذا أوصى بعمشاء ، فهل يطبخ أو يخرج حبّاً ؟ وهل يجوز أن يخرج بدله تمرّاً ؟

ج - إذا كان الموصى قد جعل في وصيته عشاء في رمضان ،  
والقصد أو التصريح أنه يطبخ ، أتبع في ذلك نعته ،  
ولا يُخرجه حبًا ، إلا إن كان قد أذن أو جعل الأمر بيد الوصي ،  
وعند إطلاق العشاء في رمضان ، فإن الموصين يريدون به الطبخ ،  
ويريدون به أيضًا العشاء . فعلى هذا لا يُخرج عن العشاء  
المطلق تمرًا إلا مع الإذن . ومع عدم الإذن لا يخرج التمر  
ولو فطورًا للصائمين ، اتباعًا لنصّ الموصى .

س ٣ - إذا أوصى أن يضحي عنه بفنم ، فتمدّر  
حصولها ، فهل يمدل إلى البقر ؟

ج - نعم يمدل إليها ، لأن الأضاحي الثلاث ، وهي : الشاة  
من الفنم ، وسُبع البدنة ، وسُبع البقرة ، يقوم بعضها مقام  
بعض ، خصوصًا وقد تمدّر عليه التضحية بالشاة ، لسبب قلة  
درام الوصية .

س ٤ - إذا أوصى بأضحيتين ، وكان الرّيع لا يكفي ،  
فهل تجمعان في واحدة ؟

ج - إن كانت الوصية لواحد ، بأن كان في وصيته أبوي  
الإنسان أضحيتان مثلاً : واحدة له ، وواحدة لوالديه ، ولم تبلغ  
إلا واحدة ، فإنها تُجمع في واحدة ، وينوى عنه وعن والديه  
ونحوهما . وإن كانت الوصية لاثنتين ، بأن كان وصية أهلك  
فيها أضحية واحدة ، ووصية أخيك فيها أضحية واحدة ،

وكل واحدة من الوصيتين لا تبلغ ثمن الأضحية ، فإنهما  
لا [تجمعان] ، لأنهما لاثنين ، فالتى تسكنى يُضحى بها ، والتى  
لا تسكنى ينتظر بها إلى أن تتم . والله أعلم .

س ٥ - [ إذا ] كان عنده وصية ، أو وصايا بعدة  
أضاحى ، والمغل لا يكنى ، فما الحكم ؟

ج - أما من كان عنده وصية واحدة وفيها عدة أضاحى ،  
فإن كان بعضها مقدماً على بعض ، بأن قال مثلاً : فى مغل  
أضحيتان : واحدة لفلان ، فإن فضل فواحدة لفلان ، فهذا على  
نصّ الموصى وتقدمه . ولو لم يُغَلَّ سوى واحدة ، لزم تعيينه  
للمقدم كل عام . وإن لم يصرح الموصى بتقديم أحد على أحد ،  
كما هو الغالب فى الوصايا ، وكان للمغل لا يكنى لجميع المعينات ،  
فإنه يُضحى بما حصل من المغل ولو واحدة ، وينويها عن  
[ جميع ] من عينهم الموصى فى وصيته ، لأن هذا غرضه  
ومقصوده . وإنما عددها بناء على أن الرّيع سيكنى ، فإذا  
تبين عدم كفايته ، لم تعطل ، لقوله تعالى :

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (١) .

والمقصود مقصود الموصى ، وحصول الأجر للمعينين .  
وأما من عنده وصيتان فأكثر ، فهما أضاحى ، ورّيع كل  
واحدة لا يكنى لواحدة ، فإذا جمعت كفى ، فالذى أرى أن



يجمع مثل هذه إلى هذه ، ويشترى بها أضعفية تُنَوَى عن  
الجميع ، وكلُّ له من الأجر على قدر ماله من المغل . والله أعلم  
[بمقدار] ما بكلّ منهما من الأجر والثواب ، وهو الكريم الجواد .  
وذلك أننا إذا نظرنا إلى مراد أهل الوصايا ، وأن قصدم  
أن تُنفذ وصاياهم كل عام ، وهم كثيراً ما يُصرّحون بمرادهم ،  
فيقولون : يُنفذ كل عام كذا وكذا ، فتُنصيصهم على العدد  
بناء على أن المغل يكفي لما عيّنوه ، فحيث ظهر أنه لا يكفي ،  
عملنا بمرادهم ، وجمعناها مع غيرها ، ونفذناها كل عام ،  
ويكون لكلّ ما يقابل وصيته منها ، حرصاً على تنفيذ الوصايا  
بحسب القدرة ، كما قال تعالى :

﴿ قَمَنَ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ،

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (١)

فهذا مأخذ قويٌّ جداً . ويدلُّ على ذلك أن تجويز جمعها  
كما ذكرنا ، أقرب إلى التنفيذ ، وأبعد عن إهمالها .  
وأما بقاء كل واحدة وجمعها سنين حتى تكمل ما فيها من  
الأضاحي ، فإنه ربما كان سبباً لمسدّم التنفيذ بموت الوصي  
أو نسيانه ، أو بصمب استخراجها منه بعد ذلك لِئسرة أو غيرها .  
ويؤيده أن الوصايا يستحقها كل عام من يستحق مُغَلَّ  
وقفها ، فإذا كانت لا تكفي إلا إذا ضمت مع غيرها ، صار

ضمتها سبباً لوصول كل مستحق إلى حقه كل عام ، من غير اشتباه ولا منازعة ، وإذا بقيت عامين أو ثلاثة أو أكثر ، ثم تمت بعد ذلك ، وقد زال في هذه المدة استحقاق المستحقين أو بعضهم ، وانتقل الاستحقاق إلى غيرهم ، [ وقع ] الاشتباه . وربما كان الحادثون هم المنتفعين بها وربما كان للأولين ، كما هو الواقع ، وربما كان هو الحاصل عند ورثة الأولين ، فلم يتمكن الآخرون من إخراجه . فكونها تُنفذ كل عام بحسبها [ سبب ] لدفع هذه المحاذير ، ومراعاة للمصالح .

وقال في « حاشية المنتهى » على قوله في الظهار : أو أعتق نصفى رقتين ، أجزاء ، لأن الأقسام كالأشخاص .

قوله : كالأشخاص . وكذا هدى وأضحية وعقيقة ، وأشار عثمان إلى ذلك في « تصحيح الفروع » كذا .

[ فإ ] ذكره المحشى بإلحاق المذكورات بالعتق بالتشقيص يدل على هذه المسألة ، وأن الوصيتين إذا كان كل منهما لا يكفي إلا نصف أضحية مثلاً ، فجعلتها في واحدة ، فإنه يُجزئ ، ويحصل به المقصود .

ويؤيد ما سبق أن الموصين ينصون في وصاياهم ، ويُستنون ما يريدون تسميته من الخيرات ، وأنه ينفذ كل عام ، فمنهم عليها كل عام يوجب عدم التمطيل ، كفت أو لم تسكف ، إلا إذا نفوا هذه الحال .

ويدلُّ على ذلك أيضًا أن الموصيِّين إذا قدَّروا شيئًا معينًا من دراهم أو طعام أو ثياب أو غيرها ، فلم تكف الوضعية جميع المميين أنه ينفذ الحاصل من الربيع بحسبه ، فالأضحعية كذلك . ويدلُّ على ذلك أيضًا ، إيجاب الأصحاب ، رحمهم الله ، أن يُحجَّ عنه النائب من بلده إذا كان الحج فرضًا ، إلا إذا لم يكف ، فيُحجَّ عنه من حيث بلغ ولو من مكة . فهذا كذلك ، إذا لم يكن واحدة ، فبعض واحدة .

ويدلُّ على ذلك كلُّه القاعدة المشهورة : إذا عجز عن جميع المأمورات ، أجزأ البعض ، ووجب عليه الإتيان به . ومسائل هذا الأصل كثيرة جدًا ، ومنها هذه المسألة : إذا عجز الربيع عن جميع الأضاحي المنصوص عليها ، فـلـ ما يكفى منها ، وإذا عجز عن الأضحعية الواحدة ، اكتفى ببعضها . والله أعلم .

س ٦ - إذا أوصى له بثمر بُستان أو شجرة ، فهل يلزم الآخر بالسقي معه ؟

ج - قال الأصحاب : إذا أوصى له بثمر بُستان أو شجرة ، فإنَّ كل واحد من الوارث والموصى له لا يملك إجبار الآخر على السقي .

أقول : الأصل وجوب إلزام أحد الشريكين الآخر في تمير ما يحتاج إليه المال المشترك ، وهذه المسألة تخالف الأصل ، ففيها نظر ظاهر .

باب : الموصى إليه

س ١ - إذا قال للوصى : اصنع بمالى ما شئت ونحوه ،  
فما الحكم ؟

ج - قال فى شرح « الإقناع » : وإن قال : اصنع فى  
مالى ما شئت ، أو : هو بحكمك اعمل فيه ما شئت ، ونحو  
ذلك من ألفاظ الإباحة لا الأمر :

قال أبو العباس : أفنتيت أن هذا الوصى ، له أن يخرج  
ثلثه ، وله ألا يُنخرجه ، فلا يكون الإخراج واجباً ولا حراماً ،  
بل هو موقوف على اختيار الوصى .

أقول : هذه الفتوى من أبى العباس تُخالف فتواه  
المعروفة فى مثل هذه الألفاظ : أنه يجب فيها العمل بأصلح  
ما يراه ، وهو الظاهر من مراد الموصى ، إلا إن كانت  
العبارة أن الوصى « إن شاء تملكها ، وإن شاء أخرجها »  
فهو على ما قال . والله أعلم .

س ٢ - إذا باع الوصى واشترى فى ثلث الميِّت ،  
فهل له أجره ؟

ج - إن كان متبرعاً ، فلا شيء له .  
وإن كان بجُمْلٍ ، فله الجُمْل الذى شرطه الميِّت .  
فإن لم يشترط شيئاً ، فله ما جرّت به عادة الناس .  
والله أعلم .

## كتاب : الفرائض

- س ١ - هل أداء الحقوق واجب على الفور ؟
- ج - أما أداء الحقوق لله من العبادات والديون ، فهي على الفور ، ما لم يكن عذر ، وكذلك ديون الآدميين المطالب بها ، أو الذي عين صاحبها وقتاً لوفائها .
- وكذلك الأمانات التي حصلت في يده بغير رضا صاحبها ، بمد علمه بصاحبها والتمكن من إيصالها إليه ، فيجبُ فيها : إما [ الردُّ ] أو إعلام من هي له بها . ثم صاحبها يطلبها متى شاء . وكذلك الأمانات إذا فسخت والأعيان المملوكة بعقد على [ من في ] يده التمكن منها .
- وأما الأعيان المضمونة ، فتجبُ المبادرة إلى ردها في كل حال : ويندرج تحت هذه الضوابط والصُّور شيء كثير .
- س ٢ - امرأة تُوفِّيت وهي ناشِز ، ولم تقبض المهر من زوجها ، فهل يكون ميراثاً أم لا ؟
- ج - نعم يكون جميع ما خلفت يورث عنها ، حتى الصِّدق الذي ماتت عنه ولم تقبضه ، ولا أبرأت زوجها منه ، فيكون محسوباً على [ الزوج ] من ميراثه ، وليس له حُجَّة في نُشوزها ، لأن النشوز إنما يُسقط النفقة ، وأما الصِّدق ، فهو كسائر الديون ، لا يسقط إلا بقبضه أو الإبراء الصحيح منه ، والله أعلم .

س ٣ - إشكال وجوابه في موضع من كلام الأصحاب  
حول اشتراط العلم بجهة الإرث ، أشكلت علينا هذه العبارات  
من كلام الأصحاب التي ظاهرها التّعارض ، فهل لها حلّ ظاهر ؟  
وهي قولهم من الفرائض : أحد شروط الميراث العلم بالجهة  
المقتضية للإرث . وقولهم في طريق الحكم وصفته : وإن ادعى  
إرثه ذكر سببه لاختلاف أسباب الإرث ، ولا بد أن تكون  
الشهادة على معين ، فكذا الدعوى .

وقال في « المنتهى » وشرحه في كتاب الشهادات : ومن  
ادعى إرث ميّت ، فشهد الشاهدان أنه وارثه لا يعلمان غيره ،  
أو قالا : لا نعلم وارثاً غيره في هذا البلد ، سواء كان من أهل الخبرة  
الباطنة أو لا ، سلم المال إليه بغير كفيل ، أو سلم بكفيل إذا  
شهدا بإرثه فقط ، بأن لم يقولا : ولا نعلم وارثاً سواه .

تتمة : قال الأزجى فيمن ادعى إرثاً : لا يحوج في دعواه  
إلى بيان السبب الذي يرث به ، وإنما يدعى الإرث مطلقاً ، لأن  
أدنى حالاته أن يرث الرحم وهو صحيح على أصلنا ، فإذا أتى  
ببيّنة ، فشهدت له بما ادّعاء من كونه وارثاً حكم به . انتهى .  
قال منصور : وفيه شيء .

وقال في « المنتهى » وشرحه أيضاً في باب الإقرار :  
والمرضى ولو مرض الموت المخوف يصحّ إقراره بوارث .

قال ابن نصر الله : يسأل عن صورة الإقرار بوارث هل معناه أن يقول : هذا وارثي ولا يذكر سبب إرثه ؟ أو معناه : أن يقول : هذا أخي أو عمي ، أو ابني أو مولاي ، فيذكر سبب الإرث ، وحينئذ إذا كان نسباً اعتبر الإمكان والتصديق ، وأن لا يدفع به نسباً معروفاً . انتهى . قلت : تقدم عن الأزجي أنه يكفي في الدعوة والشهادة . ثم ذكر كلامه السابق . هذا من « المنتهى » وشرحه .

ورأيت بهامشه نقلاً عن ابن ذهلان : إذا أقر من هو من قبيلة معروفة أن أقربهم إليه فلان ، صح ، لأنه لم يدفع به نسباً معروفاً ، ولو كان له وارث بفرض . وقوله : فلان لُحمة لي أو قريب لي ، فلا يرث منه ، إلا على قول الأزجي . هذا الكلام الذي نريد حله لما فيه من الإشكال ، أفتونا أنا بكم الله . وبالله التوفيق ، ونسأله الإعانة لإصابته .

ج — الصواب الذي يظهر لي من كلامهم ، ومرادهم بحسب عباراتهم وتعليقهم ، أنه إذا ادعى أنه وارث فقط ، وأقام بيّنة على أنه وارث من غير أن تبين البيّنة للسبب . وكذلك إذا أقر المريض بوارث ، ولم يُعيّن جهته . فهذه البيّنة المطلقة لا يخلو الحال إما أن يكون هناك عُصبة ، أو أصحاب فرض تستغرق التركة أو لا . فإن كان هناك عُصبة معروفة ، أو أصحاب فروض تستغرق ، فلا تكون تلك البيّنة التي شهدت

لذلك الشخص أنه وارث ، ولم تُعمّن سبب إرثه ، وكذلك ذلك الإقرار المطلق - لا يكون ذلك مبطلاً لحقوق العصابة المعروفين ، ولا لأصحاب الفروض المستغرقة ، وذلك لوجهين .

أحدهما : أن استحقاق المذكورين - وهم العصابة وأصحاب الفروض - ثابت محقق ، وثبوت ميراث المشهود به والمقرّ به مُتَوَهّم مجمل غير واضح ، والأصل عدم المزاحم أو الحاجب للورثة المعروفين ، المحقق .

الوجه الثاني : أن المشهود له والمقرّ له مُدّع مشاركة الورثة المعروفين ، أو حجبتهم وهم منكرون ، والبيّنة على المدعى ، واليمين على من أنكر ، وتلك البيّنة التي أدلى بها ، وذلك الإقرار ، لا يُفيد رفع أيديهم ومزاحمتهم .

وثمة وجه ثالث : وهو اتفاق أهل العلم أن من شرط الإرث العلم بالجهة المقتضية للإرث ، وتلك البيّنة المطلقة والإقرار لا نستفيد [ بهما ] العلم بالجهة المقتضية ، فيتعيّن في هذه الحال الحكم بالإرث الذي علمت جهته وتحققت . وكلام الأصحاب الذي نقله السائل ليس في شيء منه ما يُنافي هذه الحال ، بل إما موافق له ، أو يمكن حملُه على الحال الأخرى الآتية ، مع موافقة ما ذكرت للقواعد والأصول .

الحالة الثانية : ألا يكون هناك عصابة ولا أصحاب فرض بالكلية ، لا مستغرقة ولا غير مستغرقة ، ففي هذه الحال كلامهم



في الشهادات والإقرار ظاهر في أن هذا المدعى للإرث بالبينة التي شهدت أنه وارث فقط من دون تعيين الجهة ، وبالإقرار المذكور - يقتضى ذلك أنه يستحق الميراث ، وتمليهم كذلك من أن هذه الشهادة ، وذلك الإقرار ، [يفيدان] أنه وارث ، إما بفرض ، أو تمصيب ، أو رجم . وعلى كمال من هذه الأحوال توافق القاعدة المشهورة : أن من ادعى شيئاً لا يدعى أحد ، ولا يدعيه من هو في يده ، اكتفى فيه بأقل ما يكون من البينة أو القرينة ، كما ورد ذلك في اللقطة إذا وصفها مدعيها اكتفى بوصفه ، لسكون من هي في يده لا يدعيها لنفسه ، وكذلك من بيده مال جهل صاحبه .

ومن ادعى شيئاً بيد من يدعيه لنفسه ، أو أظهر وجه استحقاقه له ، فلا بد من البينة التامة الموضحة ، فالحالة الأولى : يدعى استحقاق أو مزاحمة ورثة معروفين قد ظهر استحقاقهم ، وبانت جهتهم ، فلا يكتفى بتلك البينة المطلقة ، والإقرار المطاق . والحالة الثانية لا يدعى الميراث أحد ، لسكون الميت ليس له وارث بفرض أو تمصيب ، فإذا حصلت تلك البينة ولو كانت مطلقة ، فإنها تفيد الاستحقاق . وهذا واضح ، والله الحمد .  
الحالة الثالثة : إذا كانت هذه الدعوى [المبينة] على تلك البينة ، وذلك الإقرار المطلق ، مع صاحب فرض لا يستغرق فرضه المال .

فظاهر كلام ابن ذهلان المذكور في السؤال يقتضى قبول هذه الدعوى ، وأنه يرث مع صاحب الفرض المحقق ، وكذلك عموم كلام الأزجى ، وإن لم يكن ظاهراً في هذا . ولكن في هذا نظر ، كما قال الشيخ منصور ، لما ذكر كلام الأزجى قال : وفيه شيء . ومراده ، والله أعلم ، أنه مُخالف لظاهر كلام الأصحاب ، فإنهم كلهم اشترطوا العلم بالجهة المقتضية للإرث ، وكأهم قالوا : إذا انفرد صاحب الفرض أخذ المال فرضاً ورداً ، فصاحب الفرض هنا قد ثبت استحقاقه للمال كله قطعاً ، بتقدير عدم المزاحم ، ولم يثبت هنا ثبوتاً شرعياً بمقتضى مزاحمته . ففي الحقيقة هذه الحال الثالثة لا فرق بينها وبين الحالة الأولى التي فيها عاصب أو ورثة مستغرقون .

ثم نقول أيضاً : ما يظهر من كلام الأزجى ، ومن صريح كلام ابن ذهلان ، عند التأمل ، يعلم ضعفه الواضح . فهذا الذى ادعى بتلك البيئنة المطلقة الميراث : ما المقدار الذى نُعطيه يتوقف على معرفة جهته ؟ فحاصل هذه الأقسام أنه إذا كان هنا وارث محقق بفرض أو تعصيب ، أو متفرع عليهما من ذوى الأرحام ، أو فرض مستغرق بدون رد ، أو مستغرق مع الرد ، أو البيئنة المطلقة والإقرار المطلق ، لم يُبيننا وجه الإرث ، لا يثبت فيها حُكم ولا ميراث .

وإن لم يكن هناك وريثة بالكلية لا بفرض ولا تمصيب ،  
ولا ما يتفرع عنهما ، اعتبرناهما . إذ هذا أولى من جعل  
التركة لبيت المال . لكن الاحتمالات المذكورة عند إطلاق  
الشهادة والإفرار تُفيد الإرث المطلق على كل تقدير .

وهذا التفصيل المذكور هو الذي نمتقده ونقول به ،  
لما ذكرنا من بنائه على الأصول الشرعية ، والقواعد المرضية ،  
عند الأصحاب وغيرهم . والحمد لله رب العالمين .

س ٤ - من تعجل شيئاً قبل أوانه ، عوقب بجرمانه ،  
ما الذي يدخل تحتها ؟

ج - يدخل في هذه القاعدة : إذا قتل المورث مورثه ،  
لم يرث ، أو الموصى له الموصى ، لم يستحق الوصية ، وغير ذلك .  
س ٥ - هل تحجب الإخوة الأم إذا كانوا محجوبين  
بالأب ؟

ج - قال الأصحاب : إن الإخوة إذا كانوا اثنين  
فأكثر يحجبون الأم من الثلث إلى السدس ، وإن كانوا  
محجوبين بلا أب .

أقول : وعند شيخ الإسلام أن المحجوب من الإخوة  
لا يحجب الأم من الثلث إلى السدس مطلقاً ، سواء بوصف  
أو بشخص وقوله أظهر ، لأن كل من ذكر الله من الوارثين ،  
حيث ذكر إرثه وإرث غيره ، فإن الوارث غير المحجوب ،

وذلك بالاتفاق في غير هذه المسألة ، بل بالاتفاق فيها بالحجب بالوصف ، ولأنه من الحكم في حجبها بجمع الإخوة ليتوقر عليهم ، فإن كانوا محجوبين عدم هذا المعنى .

س ٦ - إذا لم يكن له أب شرعاً ، فمن عَصَبْتَهُ ؟

ج - قال الأصحاب : ومن لا أب له شرعاً ، فَمَعَصَبْتَهُ من الإرث عَصَبَةٌ أُمَّه . قال في شرح « الإقناع » : واختار أبو بكر عبد العزيز أن عَصَبَتَهُ نفسُ أُمه ، فإن لم تكن [ فَمَعَصَبَتُهُ ] عَصَبَتُهَا .

أقول : واختاره أيضاً شيخ الإسلام ، وهو أقوى دليلاً من المذهب . لأنه لما انقطعت النسبة إلى أبيه انحصرت في الأم وتفرعت على عَصَبَاتِهَا . وأما كون عَصَبَتِهَا عَصَبَةٌ وهى ليست بعصبة ، فهذا يخالفه ظاهر النص لاحظاً [ إياها ] في القياس . بل إما أن نقول بتمصيبها ، أو بقول الجمهور : إنها لا تعصب ، ولا أحد ممن يدلى بها مطلقاً .

س ٧ - عن ميراث الجدّ مع الإخوة .

ج - قال الأصحاب : والجدُّ لأب مع الإخوة لغير أم ، كَأَخٍ مِنْهُمْ . ثم ذكروا تفصيل إرثهم .

أقول : والرواية الثانية عن الإمام أحمد ، الموافقة لقول الصديق وغيره ، هى الصحيحة ، بل هى الصواب المقطوع به ، لوجوه كثيرة :

منها: أن الجدّ نزله الشارعُ منزلة الأب في أبواب كثيرة، بل وفي الموارِيث ، وذلك بالإجماع .

ومنها : أنه بالإجماع أن الابن النازل ، بمنزلة الأب .

ومنها: أن القياس الذي ذكره المورثون منقوض عليهم بأبن الأخت مع جدّ الأب ، فإنه محبوب بالجدّ إجماعاً ، وبأنه لو كان بمنزلة الإخوة لأب لسقط بالأشقاء ، ولا قائل بذلك .

ومنها : أنه على تقدير ميراثه معهم تقتضى الحال أنه كواحد منهم مطلقاً ، ولم يحملوه كذلك ، بل جعلوه يُخَيَّر تارة بين الثلث والمقاسمة ، وتارة بين المقاسمة وثلث الباقي وسدس جميع المال . وهذا لا أصل له في الشرع يرجع إليه .

ومنها: أنه لو كان مثلهم ، لكان للأُم السدس مع جد وأخ .

ومنها : مسائل [ معادلة ] الأشقاء للإخوة لأب عليه ، ثم أخذهم ما بأيديهم ، وهذا لا أصل له يرجع إليه ، ومحال [ معادلة ] من لا ميراث له .

ومنها : مسألة الأكدرية ، فإنها متناقضة ، مخالفة للنص من جهة إرثها معه ، ومن جهة العول والفروض أقل من المال ، وهي نصف [ للزوج ] ، وثلث [ للأُم ] ، وأنها فرض لها أولاً ، فأُعيلت ، ثم عاد المفروض عصباً بين الجد والأخت . وهذا لا يمكن تطبيقه على نص ولا قياس ولا أصل أصلاً .

ومن جهة أن الله فرض للأمُّ الثالث مع عدم الأولاد وجمع الإخوة ، وللزوج النصف مع عدم الأولاد ، ولم يحصل ذلك لهما . فهذا القول كما ترى متناقض لا ينبغي على أصل صحيح ، ولا معنى رجح ، ولا ظاهر نص ولا إشارته .  
وأما القول بسقوطهم مطلقاً بالجدَّة ، فهو الموافق لظاهر الكتاب والسنة ، والموافق لمواقع الإجماع في غير هذه المسألة ، والموافق للمعاني الصحيحة . وهو قول منضبط لا تنافي فيه ولا غموض ولا إشكال ، كما هو شأن الأقوال الصحيحة .  
ولله الحمد .

س ٨ - هل تَرِثُ أُمُّ الأب مع وجوده ؟  
ج - والجَدَّةُ أُمُّ الأم تَرِثُ مع وجود الأب ، كما هو للذهب ، وهو الصحيح . ومن باب أولى : أم الأب .  
س ٩ - هل تَرِثُ الجَدَّةُ إذا أدلت بأب أعلى من الجدِّ ؟  
ج - قال الأصحاب : كل جدَّة أدت بأب أعلى من الجد ، فلا تَرِثُ . والرواية الأخرى اختارها شيخ الإسلام : أن كل جدَّة أدت بأب أو جد وارث ، فإنها تَرِثُ ، وهو أصح ، لأنه الموافق للقاعدة الصحيحة ، وهي أن كل جدَّة أدت بوارث من ذكر أو أنثى ، فهي وارثة ، ومن تُدلي بغير وارث فلا إرث لها .

## باب : أصول المسائل والعول والرد

س ١ - هل يُردّ على الزوجين ؟

ج - قال الأصحاب : ولا يُردّ على الزوجين . وما روى عن عثمان أنه ردّ على زوج ، فقال الموفق في « المغنى » :  
لعله كان عصبية أو ذا رحم ، فأعطاه لذلك ، أو أعطاه من بيت المال ، لا على سبيل الميراث . اهـ .

( واختار شيخنا - هو الشيخ عبد الرحمن السعدي ، صاحب هذه الفتاوى - : الردّ على الزوجين كغيرهما ، وقال ) :

لأن الأصل الذي ورث فيه أهل الفروض بزيادة على فروضهم ، وهو خوف سقوط بعضهم ، أو إضراره بالآخر ، موجود في الزوجين .

وإذا كان الزوجان يُشاركان أهل الفروض في العول ونقص الفروض ، فالقياس يقتضى أيضاً مشاركتهم لإيأم في الرد وزيادة الفروض .

ويؤيد هذا أن الله قدّر الفروض بحسب حكمته ، ذلّة وكثرة ، فكان يقتضى ذلك أن ما زاد عليها وزّع عليهم بقدرها . والله أعلم . اهـ .

## كتاب : النكاح

ص ١ - ما حكم تكرار عقد النكاح ؟

والتزويج على مهر ريال ؟

ج - أما المسألة الأولى ، فلا يشرع أن يقول الولي للزوج وقت العقد : زوجتك فلانة ، ثم إذا قبيل أعاد عليه ، وقال : أنكحتك فلانة ، ثم يقبل . فلم يرد هذا التكرار عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أحد من أصحابه ، ولم يذكر ذلك أحد من الأصحاب فيما علمت ، والذين يستعملونه من الناس لم يستدلوا على ذلك بدليل ، ولا بكلام أحد من أهل العلم المعتبرين ، وإنما يفعلونه على وجه الاستحسان منهم .

والأولى بلا شك ترك هذا التكرار ، والاكتفاء بإحدى اللفظتين في الإيجاب والقبول ، لعدم وروده ، ولأنه لا نظير له في جميع عقود المعاملات والتبرعات وغيرها . ولأنه إذا انعقد باللفظ الأول ، فقد تم الزواج ، وصارت زوجته بلا خلاف ، فإعادتهم للعقد ثانياً من باب العيب .

هذا كله بقطع النظر عما يقترن به من الاعتقاد الفاسد ، فإن الناس إذا داوموا على ذلك ، اعتقدوه مشروعاً واجباً ومستحباً . فتمين تركه .

والله أعلم .



وأما المسألة الثانية: [وهي] ما اعتاده أكثر الناس ، أنهم  
يسمّون المهر والصدّاق ، يقولون : على صدّاق ريال مثلاً .  
والحال أن الرّيال ليس هو الصدّاق ، ولا جزءاً يسيراً من  
الصدّاق . والسبب الذي حملهم على هذا أنهم لما سمعوا أنه  
يُسَنُّ تسمية الصدّاق في العقد ، وكان الصدّاق المستعمل عند  
أهل نجد شيئاً من الكسوة والفرش ونحوهما ، يدفعها الرجل  
إلى أهل المرأة ، فيرضون به ، ويخجلون من التصريح بذكره  
وقت العقد ، فاستحبّوا تسمية الريال تبرّكاً بذكر التسمية .  
هذا مبني من استحباب ذلك ، ومن المعلوم أن هذا  
لا يوجب استحباب للتسمية المذكورة ، لأن الاستحباب حكم  
شرعي ، لا يجوز إثباته إلا بدليل شرعي . وأما مجرد الاستحسان  
الخالئ من الدليل ، بل المعارض للدليل ، فلا يصلح أن تُثبت  
به الأحكام الشرعية ، ولهذا ينبغي - أو يتمين - ترك هذه  
التسمية ، لوجوه متعددة :

أحدها : أن هذا إثبات حكم بلا دليل شرعي .  
الثاني : أنه لم يقله أحد من الصحابة ، رضی الله عنهم ،  
ولا من الأصحاب المتقدمين والمتأخرين . وإنما ذكر استحباب  
المهر الحقيقي ، وهو الذي يدفع الزوج لزوجته عوضاً في النكاح  
حالا أو مؤجلاً ، وعللوا استحباب التسمية لثلاث يقع النزاع  
فيه ، فتسمية هذا المهر الحقيقي هو الذي يقطع النزاع .

وأما تسمية ما ليس بمهر ، فأعما جيء به على وجهه  
للتبرك ، فهذا لا يقطع النزاع .

الثالث : أن هذا من باب العبث ، وخلاف الحقيقة ، فإنهم  
يسمّون هذا الريال ، وهم يعلمون أن الصّدق غيره . فلهذا نقول :

الرابع : أن هذا يخشى من دخوله في الكذب ، فإن  
الكذب هو الإخبار بغير الواقع ، وهذا من باب الإخبار  
بغير الواقع ، كما هو معلوم لكل أحد ، فكيف يدخل الإنسان  
في باب التبرك من باب الكذب ، والإخبار بغير الحقيقة ؟

الخامس : أنه لو كان هو الصّدق لوجب أن تترتب عليه  
أحكام الصّدق كلها ، لأنه هو المسمّى . فإذا مات الزوج  
قبل الدخول ، أو دخل بها ، لم يثبت إلا ذلك الريال . وإذا  
طلق قبل الدخول ، وقد دفع لها ما يساوي عدّة مئآت ، وقد  
عقدوا على ريال ، تنصّف ذلك الريال ، فصار نصفه للزوج ،  
ونصفه للمرأة ، إلا أن يمفوا أحدهما عن نصفه . وأما ذلك  
المدفوع كله ، فيرجع إلى الزوج .

ومن المعلوم أنه لا يمكن أن يقول أحد بشيء من ذلك ،  
فلم أن المهر الذي يُستحبّ تسميته ، وتترتب عليه الأحكام  
الشرعية ، من تقرر ، أو سقوطه ، أو ثبوت نصفه ،  
هو الذي يسوقه ويدفعه الرجل إلى المرأة .

وأما هذا الرِّبَال ، فهو كَلْفٌ غير مقصود ، ولا يتعلّق به شيء . فكيف يُعلّق عليه استحباب التسمية ؟ ولما كان متقرراً عند الناس أنه كَلْفٌ غير مقصود ، صار من يقدّم لهم لا يسألهم عن المهر ، بل هو من عند نفسه ، يقول للولى : قُلْ : زوجتك على صدق رِبَال ، من غير أن يسألهم عن المهر ومقداره ، لا فرق بين الغنى والفقير عندهم . والذي حمل الناس على الاسترسال في هذه المادة جريان المادة ، فإن العوائد المستترة تقيّد الأذهان عن النظر في الأدلة ، وتوجب التسليم من المتأخر للمتقدّم جريئاً على المادة ، والمعادات المباحة لا بأس بها في المعادات وغير الأحكام الشرعية .

أما الأحكام الشرعية ، فالمباد مقيدون فيها بأحكام الشريعة ، فلا يوجبون ولا يستحبون ولا يحرّمون إلا ما دلّ الدليل الشرعى عليه . وأما مجرد الاستحسان ، فلا عبرة به إذا تجرّد عن المعارضة ، فكيف إذا عارضته الأدلة الشرعية ؟ والله أعلم .

من ٢ - قول الشيخ منصور في شرح « المنتهى » :

ولا يكون المعلق عليه ماضياً ، هل هو وجيه ؟

ج - ذكروا في تعليق النكاح بالشرط : الفرق بين الشرط المستقبل ، فلا يصحّ ، وبين الماضى أو الحال ، فيصحّ . ومثلوا لذلك بقوله : إن كانت بنتى ، أو كنت وليها ، فقد زوجتكها ،

أو: إن كانت انقضت عِدَّتْهَا ، فقد زَوَّجْتَكهَا . وهما يعلمان ذلك . فيصِحِّح ، لأنه لا محذور فيه ، مع أن الصحيح أن التعليق للمقود كلها بالشروط المألومة غير المجهولة : جائز لا محذور فيه . والله أعلم .

س ٣ - إذا خُطِبت ، فقالت : إذا رضى وليي هذا ، فإني راضية ، فهل يصح ؟

ج - نعم ، إذا رضى بعد ما قالت هذا القول ، ولم ترجع عن رضاها ، لأن العبرة برضاها ، خصوصًا إذا كان وليها غير أب . والله أعلم .

س ٤ - هل يجوز توكيل الأب في قبول النكاح لابنه ، وكيف يقبل ؟

ج - إذا أراد الأب أن يزوجه ابنه ، فإن وكله على ذلك ، وشهد بذلك شهود أن الابن وكل أباه بتزويجه ، صح ذلك . وإذا قبل الزواج لابنه ، قال : قبلت نكاحها من ابني فلان . وأما إذا قال الأب : إن ابني وكلني ، من دون شهادة أنه وكله ، فلا يكفي ذلك .

س ٥ - ما حكم التوكيل في النكاح ؟

ج - التوكيل في نكاح المولية على ثلاث حالات : الأولى : أن يميّن فيقول : زوج فلانة بفلان ، فلا يستفيد إلا المقعد الأول .

الثانية : أن يفوض ذلك إليه ، فيجوز له التزويج ، متى شاء بمن يشاء .

الثالثة : أن يُطلق . فلم أر من صرح تصريحًا يُزيل الإشكال ، ويتوجه أن ينظر إلى قرائن الأحوال .

س ٦ - ما حُكِمَ التَّهَانِي فِي الْمُنَاسِبَاتِ ؟

ج - هذه المسائل وما أشبهها مبنية على أصل عظيم نافع ، وهو أن الأصل في جميع العادات القولية والفعلية الإباحة والجواز ، فلا يحرم منها ولا يُكْرَهُ إلا ما نهى عنه الشارع ، أو تضمن مفسدة شرعية .

وهذا الأصل الكبير قد دلَّ عليه الكتاب والسنة في

مواضع ، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره .

فهذه الصور المسؤول عنها وما أشبهها من هذا القبيل ، فإن الناس لم يقصدوا التعمُّد بها ، وإنما هي عوائد وخطابات وجوابات جرّت بينهم في مناسبات لا محذور فيها ، بل فيها مصلحة دُعاؤ المؤمنين بعضهم لبعض بدعاء مناسب لتلك الأحوال ، فليس فيه محذور ، وفيه من المصلحة أيضاً أنه سبب للحبة وتآلف القلوب ، كما هو مشاهد .

أما الإجابة في هذه الأمور ، لمن ابتدأ بشيء من ذلك ، فالذي نرى أنه يجب عليه أن يُجيبه بالجواب المناسب مثل الأجوبة بينهم ، لأنها من العدل ، ولأن ترك الإجابة يُوغر

الصدور، ويُسوّش الخواطر. ثم اعلم أن ما هنا قاعدة حسنة ،  
وهي أن العادات المُباحات قد يقترن بها من المصالح والمنافع  
ما يلحقها بالأمور المحبوبة لله ، بحسب ما ينتج عنها ، وما  
ثمره . كما أنه قد يقترن بيمض العادات من المفاسد والمضار  
ما يلحقها بالأمور المنوعة . وأمثلة هذه القاعدة كثيرة جداً .  
س ٧ - هل يجوز للأب أن يزوّج ابنه الصغير بأكثر  
من واحدة ، أو يتقيّد ذلك بالمصلحة ؟

فإن قلنا : لا يجوز إلا لمصلحته فزوّجه ، فهل النكاح صحيح ؟  
وإذا صح ، فهل الصداق عليه أو على الابن ؟

ج - إن الأصحاب لم يختلفوا في جواز إنكاحه واحدة ،  
وإنما اختلفوا إذا زوّجه أكثر من واحدة . والمشهور من المذهب  
أنه يجوز له أن يزوّجه بأكثر من واحدة ، لكن إذا رأى الأب  
مصلحته - وبعض الأصحاب أطلق الكلام ، ولم يُقيّده بالمصلحة -  
فعلى المذهب باشتراط المصلحة : إذا زوّجه لغير مصلحته أزيد  
من واحدة ، لم يكن له ذلك ، أى : لا يجوز له ذلك .

وليس معناه أن نكاحه إياه فاسد ، وإنما قالوا ذلك ،  
لأنهم علّوا ذلك بأنه إذا لم يكن في ذلك مصلحة ، والنكاح  
يترتب عليه الصّداق والنفقة وغير ذلك ، ولا حاجة للولد بما  
زاد على ذلك ، بل عليه مضرّة من جهة نقص ماله لغير فائدة .  
وهذا التعليل يدلّ على أن النكاح صحيح ، وإنما الأب  
أساء بما ركّب على ابنه من الصداق والمهر .

وعلى كلِّ حال ، فالمر والنفقة وتوايِع ذلك من مال الصغير  
ليس على الأب منها شيء إلا ما تبرَّع به ، وسواء زوجه واحدة  
أو أكثر ، لمصلحته أم لا ، كلَّ هذا الصَّدَاق في مال الابن .  
س ٨ - هل يجوز إجبار البنت على تزويجها بمن لا ترضاه ؟  
ج - لا يُجبرها أبوها ، ولا تُجبرها أمها ، على تزويجها ،  
ولو أنهما يرتضيان لدينه .

س ٩ - هل يجوز أن يزوج اليتيمة أخوها بلا إذن ؟  
ج - البنت اليتيمة لا يزوجه أخوها ، إلا بإذنها .  
وإذن الشَّيْب أن تنطق وتأذن له .  
وإذن البكر : إما الكلام ، وإما السكوت ، بأن لا تقول : لا .  
وإذا كانت أمها أو خالتها أو أختها ثقة ، وقالت : إنها  
راضية ، قُبِلَ قولها ، فلا يحتاج إلى إظهار على إذنها ،  
إلا إذا خيف أن أخاها أو وليها يريد إكراهها على الزواج ،  
فلا بد من الشهادة على إذنها .

س ١٠ - إذا زوج موليته ولم يعلم : أثيب هي أم بكر ؟  
فما الحكم ؟

ج - من زوج امرأة ولم يعلم العاقد أنها ثيب أو بكر ،  
ولم يسألهم ، فيلزم المرأة أن تأذن ، فإن كانت بكراً ،  
فَنُطِقَها بالإذن ، أو سُكُوتَها إذا استؤذنت كافياً .  
وأما الشَّيْب ، فلا بد من نطقها ، ولا يكفي سُكُوتَها .

وعلى هذا إذا علم العاقد أنها نطقت بالإذن ، إما سمعها ،  
أو شهد بذلك مرضيُّ الشهادة ، عقد لهما ، ولو لم يعلم  
أنها بكر أو تيب .

وأما إذا لم يعلم أنها نطقت ، فلا بد أن يسأل : هل هي  
بكر أو تيب ؟ لأجل الفرق بين البكر والتيب .

س ١١ - ما حكم الوليِّ والشهادة في النكاح ،  
وما اختيار شيخ الإسلام في ذلك ؟

ج - اختيار شيخ الإسلام كغيره من الأصحاب ، اشتراط  
الوليِّ في النكاح ، كما دل عليه الكتاب والسنة وعمل الصحابة ،  
والقول بعدم اشتراطه قول الحنفية ، وهو قول ضعيف  
لا دليل عليه . وإنما الذي اختاره الشيخ ، رحمه الله ، أنه  
يميل إلى القول بعدم اشتراط الإشهاد على النكاح ، لكن  
بشرط أن يُعلن النكاح . فإذا أعلن ولو من دون شهادةٍ جاز  
عنده ، وهو رواية عن الإمام أحمد ، واحتجُّوا بضعف الحديث  
الوارد في الشهادة . وأما الأدلة على الوليِّ ، فهي قوية جداً ،  
ومع ذلك فالاحتياط في النكاح : الجمع بين الإعلان والإشهاد .  
ولا شك أن هذا هو المشروع .

س ١٢ - إذا كان الوليُّ مشكوكاً في بلوغه ،  
فهل يجب الاحتياط بأن يوكل من بعده من الأولياء ،  
أو لا يحتاج إلى ذلك ؟



ج - لا يجب التوكيل ، لأن الأصل عدم بلوغه ،  
فما لم يتيقن بلوغه ، فهو محكوم عليه بالصنّ ، والنكاح  
المعقود في هذه الحال ، إذا عقده مثلاً الأخ البالغ العاقل مع  
وجود الابن المشكوك في بلوغه لا تبعة فيه ، لأن الله تعالى قال :  
﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (١) .

وهذا نهاية المستطاع ، حتى ولو كان في نفس الأمر بالغاً ،  
ونحن لم نتيقن بلوغه ، فلا حرج علينا في ذلك . والله الحمد .  
س ١٣ - ما حكم اشتراط المدالة في ولاية النكاح ؟  
ج - اشتراط المدالة في ولاية النكاح قول تردّه الأدلة ،  
ويردّه عمل السلف .

س ١٤ - ما معنى الكفاءة في النكاح ؟  
ج - لا يطمئن القلب في الكفاءة إلا أنها الدين فقط ، وهو  
الذي يقوم عليه الدليل الشرعي ، بخلاف العوائد والعرف الحادث .  
س ١٥ - إذا وكل الولي الغائب وكيلاً على  
نكاح موليته .

ج - له ثلاث صور : إما أن يُعيّنه ، فيقول : وكلتك  
في تزويج فلانة فلاناً ، فهذا لا يستفيد به الوكيل إلا العقد  
الأول : فتي حصلت فرقة فيه ، وأريد تزويجها زوجاً آخر ،  
احتيج إلى توكيل غير الوكيل الأول .

(١) التغابن : ١٦ .

[وإما] أن يُفوض له الوكالة بأن يوكله أن يزوجه ، متى شاء ، على أى زوج شاء ، فهذا يستفيد به الوكيل العقد الأول وما بعده .

الثالث : أن يوكله ويطلق ، لا يفوضه ، ولا يعين له زوجًا ، بل يقول مثلاً : وكلتك فى تزويج موليتى ، فهل يستفيد به العقد الثانى وما بعده ، أم لا يستفيد به إلا العقد الأول ؟ لم أر من صرح تصريحًا يُزيل الإشكال فى هذا ، ويتوجه : أو يرجع فى ذلك إلى قرائن الأحوال ، فإنهم قالوا : ينعمد التوكيل [بما] دل عليه ، فإن دلت قرائن الأحوال على أنه وكيل بكل عقد تزوج به المرأة ، وصار غرض الولى اتصال موليته بلا زوج ، وأن لا يُعطلها عن الزواج ، صار بمنزلة التفويض . وإن كان غرضه فقط هذا الزواج الخاص ، اختص به . والله أعلم .

### باب : المحرمات فى النكاح

س ١ - إذا وطئ ابنُ ثمانٍ امرأةً بالغةً ، أو وطئ بنتَ ثمانٍ من يولد لثله ، فهل يثبت به تحريم المصاهرة ؟  
ج - إذا وطئ ابنُ ثمانٍ سنين امرأةً بالغةً ، أو وطئ بنتَ ثمانٍ من يولد لثله : الوطء المذكور لا يخلو من حالين : إما أن يكون الوطء حرامًا ، فالصحيح الذى لا ريب فيه أن الوطء الحرام لا ينشُر الحُرمة ، سواء كان الواطئ أو الموطوءة

كبيرًا أو صغيرًا ، لأنه لا يمكن قياس السّفاح على النكاح  
بوجه من الوجوه ، ولا يدخل في لفظ النكاح ولا في معناه .  
والمشهور من المذهب انتشار التحريم .

لسكن في وطء ابن عشر سنين ، وبنت تسع :  
فملى القولين كليهما : وطء من دون تسع من ذكر أو أنثى ،  
إذا كان حرامًا لا ينشر ، على المذهب ، لأنه لا يصلح للوطء ،  
والقول الآخر لعدم ثبوته بالسكينة .

والحال الثاني : أن يكون الوطء في ابن دون عشر ، أو بنت  
دون تسع في نكاح ، أو ملك عيني ، فهل ينشر حكم المصاهرة ؟  
على وجهين : المذهب منهما أنه لا ينشر ، ولو وجد الوطء ،  
لأنهما غير صالحين للوطء . ولو فرض وجوده ، فالنادر لا حكم  
له . هذا تعليل المشهور من المذهب .

والوجه الثاني ، وهو أصحّ ، إذا وجد منهما وطء حقيقي ،  
ثبتت به المصاهرة ، وسائر ما يترتب على مجرد الوطء ، من غسل  
وغيره ، وهو ظاهر النصوص الشرعية ، حيث علق هذه الأحكام  
بوجود الوطء من غير اشتراط سنّ لا للذكر ولا للأنثى .

والناس يتفاوتون في هذه الحال جدًّا ، فقد يوجد  
من له دون عشر يصلح للوطء ، ومن لها دون تسع  
كذلك ، وقد يكون من له أزيد من عشر ، أو لها أزيد  
من تسع ، لا [ يصلح ولا ] تصلح للوطء .

فالأحكام يجب أن تعلق على ما علقها عليه الشارع ، كما يجب تعليق أحكام السفر على ما يسمى سفراً ، وأحكام الحيض على وجوده ، لا عبرة بسنّها قلة أو كثرة ، ولا بزيادته ونقصه ، أو تقدمه أو تأخره ، أو قلة أو كثرة . فربطُ الأحكام بالنصوص الشرعية هو الواجب على المسكفين ، حتى يأتي من الشرع [القيود] التي يجب المصير إليها . والله أعلم .

س ٢ - إذا طلق الرجل زوجته طلاقاً رجعياً أو بائناً ، فهل يُباح له خطبة أختها أو خامسة من دون عقد ؟  
ج - الطلاق إذا كان رجعياً ، فإنه بالإجماع لا يجوز نكاح أختها أو نكاح خامسة ما دامت في العدة .

وإذا كان النكاح باطلاً محرماً بالإجماع ، فالخطبة كذلك حرام . لأن الخطبة سعى في هذا النكاح المحرم ، بل أعظم مساعيه . ووسائل المحرمات كلها محرمة .

فكلّ أنثى لا يحلُّ نكاحها لا [تحل] خطبتها ، إلا ما استثني الله تعالى ، وهي المتوفى عنها زوجها ، ومثلها البائنة ، فإن الله أباح التعريض فقط ، وأما التصريح فلا .

ويوجد في بعض فتاوى المشايخ المطبوعة طبع الشيوخ ، جواز خطبة أخت مُطلّقة ، وهذا وهم ظاهر لا مستند له ، ومخالف للأدلة الشرعية وللكلام الفقهاء ، فكلُّ المحرمات في النكاح ، سواء كان تحريمها مؤبداً أو إلى أمّد ، لا تحلُّ خطبتها . وتتبع سائر المحرمات تجدّها كذلك .

وأما إذا كان الطلاق بائناً ، بأن كان على عِوض ، أو في نكاح فاسد ، أو كان آخر ثلاث تطليقات ، فالخلاف في هذا مشهور المذهب عند المتأخرين ، أنه لا يجوز نكاح أختها أو خامسة ما دامت في المدّة ، فعلى هذا تحرم خطبتها .  
والرواية الثانية عن أحمد ، وهو مذهب كثير من أهل العلم ، واختاره شيخ الإسلام : جواز نكاح خامسة في عدة البائِثِ على عِوَضٍ أو نكاح فاسد ، أو آخر ثلاث تطليقات . وهو الصحيح ، لعدم الأدلة ، ولعدم أمر الشارع بذلك ، وليس حكمها حكم الزوجات ، بخلاف الرجعية ، ومثل ذلك نكاح أختها ، فإذا جاز النكاح ، فالخطبة من باب أولى .

ولكن كثيرا من الناس يظنون أن اختيار شيخ الإسلام في المبتوتة ثلاثاً بلفظ واحد ، أنه يجوز له نكاح خامسة في عدتها . وهذا غلط فاحش ، فإن شيخ الإسلام يرى أن المبتوتة ثلاثاً بكلمة واحدة ، أو كلمات قبل الرجعة ، أنها واحدة له الرجوع بها . فعلى قوله ، وعلى المذهب ، المطلقة ثلاثاً باللفظ الواحد لا يجوز في عدتها نكاح خامسة ولا أختها ، والخطبة تابعة لجواز النكاح أو لعدمه على نكاحه .

س ٣ - هل يجوز تزويج المطلقة ، قبل أن يتيقن

انقضاء عدتها ؟

ج - أما المطلقة من ذوات الحيض ، فلا يحمل لوليها أن يعقد لها حتى يتيقن أنها حاضت بعد الطلاق ثلاث

حيضات تامّات . وأما مع الشك ، فلا يحلُّ ، ولا يجوز .  
والأشهر ما تنوب مناب الحيض إلا في حق الآيسات ،  
واللّاتى لم يحضن من الصغار ونحو ذلك ، فيجب التحرّى التام  
من جهة العدة ، فالتى تحيض وإن طال زمن حيضها ، كالتى  
ترضع ، فإن عدتها ثلاث حيض تامّات .

س ٤ - إذا طلق زوجته ثلاثا على عوض ، ثم أراد  
أن يُراجعها ، فهل تحلُّ له ؟

ج - مسألة الطلاق الثلاث ، أنا لا أكاد أفى فيها بالكليّة .

س ٥ - عن قولهم : من لا فرقة بيده لا أثر لنتيته ،  
وقرّعوا عليه ما هو من أعظم صور التحليل ؟

ج - فى « المنتهى » قوله : ومن لا فرقة بيده إلى  
آخره ، تجوز من جواز هذه الصورة مع نهى الشارع البليغ  
عن نكاح المحلل ، لا يخفى أنه من أعظم صور التحليل ، بل  
أقواها . لأن هذا العبد فى الحقيقة آلة لها ، وهبتها لمن تثق  
به ليست حقيقية ، ثم زواجها صورى غير معنوى ، بل هو  
فى الحقيقة تزوّج لسيدته الممنوع نكاحها له إجماعاً . وأين  
المناسبة بين قولهم : لا فرقة بيدها ، وبين التحليل ؟ فإن الذى  
يسمى لجله متوقّف على الرجل والمرأة وهو بيده ويدها ،  
فالمصواب المقطوع به ما استظهره فى « التنقيح » : أنه من نكاح  
التحليل . والله أعلم . ولا ريب أن تجوز هذه الصورة فتح  
لباب التحليل المحرم شرعاً وعقلاً .

س ٦ - عن نكاح الكتابية إذا لم يكن أبواها كتابيين .  
ج - الصحيح أنه لا يشترط لجواز نكاح الكتابية أن  
يكون أبواها كتابيين ، وأن العبرة بها بنفسها .

واختاره الشيخ تقي الدين .

س ٧ - عن تقييد توبة الزانية ؟

ج - تفسير الأصحاب - رحمهم الله - توبة الزانية بأن  
تراود فتمتنع ، أنكره الموفق وغيره ، ويحقيق لهم إنكاره ،  
فإن المرادة من أعظم المنكرات ، ولو كان الفرض منها  
التجربة والامتحان ، وهي داخلة في قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا ﴾ (١) .

فإن المرادة من أقرب الوسائل لوقوع المختبر والمختبرة  
في الفاحشة ، فإن راودها فاجرّ وقع الفجور أو كاد ، وإن  
راودها تقى خشى عليه وعليها من وقوع المنكر ، فإن أحسّت  
أن تلك المرادة لأجل الاختبار ، لم يحصل بها المقصود .  
وليست هذه المسألة نظير من أراد معاملة شخص أو  
صداقته وهو يجهل حاله ، أن طريقه الاختبار ، فذلك يحصل  
المقصود به من غير حصول فتنة . وهذه المسألة على قولهم  
ليس لها نظير في الشرع ، فهي مضرّة محض .

س ٨ - عن بطلان منع الأبوين من نكاح عبد ولدهما ؟  
ج - قول الأصحاب : ليس لِحُرٍّ أو حُرَّة نكاح أمة - أو عبد -  
ولدهما إلخ . ذكر هذه المسألة القاضى أبو يعلى فمن بعده .  
والقول الثانى : يجوز ، وهو ظاهر الأدلة الشرعية ، وليس  
فى ذلك محذور شرعى . والتعليل الذى ذكروه لا يصلحُ مخصماً  
لعموم الإباحة ، وهو قياس ضعيف ، ورتّبوا على هذا القول  
الضعيف : إذا ملك ولدُ أحد الزوجين لزواج الآخر انفسخ .  
والحاصل أن هذا القول الذى اختاروه لا دليل عليه ،  
بل هو مخالف للدليل المبيح ، فعلى المانع أن يُجيب عن  
عمومات الإباحة بجواب يصلحُ للتخصيص ، وأنى له ذلك ؟

### باب : الشروط والعيوب فى النكاح

س ١ - عن قول الأصحاب : إذا شرطت أن لا يخرجها  
من منزل أبويها ، [ فتمذرت ] سُكْنَى المنزل ، فله أن يُنزلها  
حيث شاء ؟

ج - قولهم : فن شرطت ألا يُخرجها من منزل أبويها ،  
فتمذرت سُكْنَى المنزل لنحو خراب ، فله أن يسكن بها حيث أراد .  
قولهم هذا : غير ظاهر ، إذ عرف أن المقصد عدم  
مُفارقتها لأبويها ، فى أى منزل يكونان .

س ٢ - عمّا إذا شرطت فى زوجها صِفَةً ، فبان أقل ؟



ج - قولهم في النكاح : وإن شرطت في زوجها صفة ، فإن أقلّ منها ، فلا فسخ لها ، وقيل : لها الفسخ بفقد صفة مقصودة ، وهو الصواب . وأحقّ الشروط أن يوفى به ما استحلّت به الفروج . وكذلك الصحيح الرواية الثانية عن الإمام ، وهي ثبوت الخيار لمن مكنت زوجها الرقيق جاهلة عتقها ، أو ملكها الفسخ . وهي الصحيحة كسائر الحقوق : لا تسقط إلا بالرّضا ، أو بما يدلّ عليه . والله أعلم .

س ٣ - إذا كان بالمرأة عيب ، وهي ووليها جاهلان به ، فهل يرجع الزوج على أحد بما غرم ؟

ج - لا يشترط في عدم رجوعه على أحدهما الجهل بالحكم ، وإنما الذي اشترطوا الجهل بالمعيب .

فإذا كان الوليّ غير عالم بالمعيب ، فالرجوع عليها .

فإن كانت أيضاً جاهلة بمعيب نفسها ، وهو ممكن جهلها بمبيها ، وممكن صدقها ، لم يرجع على أحد ، لأن المهر استقرّ بالدخول ، وليس ثمّ مُنْعَرَضٌ يرجع إليه في المهر .

وأما إذا علم أحدهما بالمعيب ، لكنه يجهل الحكم الشرعي ، فليس بمنذر في الرجوع عليه وتفريعه ، لوجود التفجير .

س ٤ - إذا تزوّج معيّبة غير عالم بمبيها ، ولم تكن عاقلة ، وحلف وليها أنه لا يعلم المعيب . أو كانت عاقلة ، والمعيب باطن ، فحلقت هي ووليها أنهما لا يعلمان ، فإذا نفعل ؟

ج - مُراد السائل بسؤاله : بعد الدخول ، لأنه قبل الدخول : الأمر واضح . وإذا حصل الدخول بها فوجدتها معيبة ، وحلف وليها أنه لا يعلم بعيبها ، وأمکن صدقه ، فإنه في هذه الحالة يفوت الصّداق على الزوج ، ولا يرجع على الزوجة لأنها غير عاقلة ، ولا على الولي ، لِكَونه غير عالم ، والصّداق يتقرر للزوجة بالدخول .

وأما إذا كانت عاقلة ، وادّعى وليها عدم علمه بعيبها ، وأمکن صدقه ، حلف وبرئ . ولكن هي إذا ادّعت أنها لا تعلم بعيب نفسها ، فهذا غير معقول أن الإنسان لا يدري بعيب نفسه وهو عاقل ، وكلّ دعوى يُكذّبها الحسّ فهي مردودة ، فعلى هذا يرجع عليها بما أصدقها لوجود التنفير منها . وقد سبق في جواب المسألة قبلها ما يدل على إمكان جهلها بعيب نفسها ، وهو ظاهر ، مثل أن يكون بها برص في جسمها بمحلّ لا تراه .

س ٥ - إذا تزوج امرأة ، فوجدتها معيبة ، ثم اعترضا لأجل أن يفسخ النكاح ، ثم نسي فوطئها ، فهل يبطل خياره ؟  
ج - قد ذكر الأصحاب أن خيار العيب يسقط بما يدلّ على الرضا من وطء أو تمكين ، مع العلم بعيبها ، ولم يفرّقوا بين الوطء الواقع عمداً أو نسياناً ، فعلى هذا لا خيار له ، حيث وطئ بعد علمه بعيبها .

## كتاب : الصداق

س ١ - عن رجل دفع لزوجته صداقاً وعباءة وفراشاً ، ثم أقام عندها شهراً ، فحصل بينهما كلام ، فذهب أهل المرأة بها ، فطالبهم الزوج بإرجاعها إلى بيته ، فأخذ أهلها الفِراش والعباءة ، فلما طالبهم بهما ، قالوا : هي بنتنا ، وأخذناها ، إذا أردت أهلك ، فهم مستمدون .

ج - أما ذهاب المرأة عن بيت زوجها ، فليس لها حق أن تذهب ، وعلى أهلها أن يرجعوها إلى بيت زوجها ، ولا يؤدي الواجب عنهم قولهم : إن أردت أهلك فهم مستمدون ، بل عليهم إرجاعها ، إلا إن كان هنا موجب وداع لخروجها تمذراً فيه .

وأما مسألة الفراش والعباءة ، [فهما] للزوجة ، إلا أن الفراش ما دام أنها في عصمة الزوج ، فليس لها تصرف فيه ، لأن هذا هو العادة ، والشرط العرفي كاللفظي . هذا الذي نرى .

س ٢ - هل يجوز للأب أن يأخذ من صداق ابنته شيئاً ؟

ج - للأب أن يأخذ من صداق ابنته ما شاء ، ولو كان أكثره ، لأن له أن يملك من مالها ، فكيف بصداقها ؟ والله أعلم .

س ٣ - إذا تزوج بصدّق بمضه حاله ، وبعضه جرت  
عادتهم أنه لا يحل إلا بموت أو فراق ، فهل يصح ؟  
ج - هذا التأجيل صحيح ، سواء تلقّطوا به أو جرت  
عادتهم المتّردة بذلك . وعلى ذلك ، فليس للمرأة ولا لأهلها  
المطالبة في المؤجّل والزوجة في حباله ، وليس لها الامتناع  
حتى تقبض الصّدق المؤجّل ، لأنهم اتفقوا وقت العقد على  
تأجيله التأجيل المذكور ، وإذا ذهبت إلى أهلها ، وقالوا :  
لا نُسَلّمها حتى يُسَلّم الزوج الصّدق ، فليس لهم ذلك ، وامتناعهم  
عن تسليمها بغير حق ، ولو امتنعت على هذا الامتناع بهذه  
الحجّة فقط ، فليس لها على الزوج نفقة ، لأنها ناشز ،  
والناشز بغير حق ليس لها نفقة .

### باب : الوليّة

س ١ - ما سبب كراهية الفقهاء للنّثار ؟  
ج - أما كراهية الفقهاء للنّثار ، فهو النّثار الذي يُنثر في  
الأعراس ، ويُعلّون الكراهة بأن فيه دناءة ، وفيه امتيّهان  
للأطعمة . وأما النّثار الذي يستعمله بعض النّاس في عاشوراء  
محرم ، ففيه معنى المذكورات أنه أثر اعتقاد فاسد لضعفاء  
العقول ، يزعمون أنه يُطيل العمر ، وأيضاً فإنه من بدع الناصية  
الذين يُقابلون الرافضة بضدّ عملهم ، فيُحدّثون في عاشوراء  
شعائر الشّرور ، ضد إحداث الرافضة شعائر الحزن . وهذا

لا يكفي فيه السكرامة وحدها ، بل الذي ينبغي : أن يكون محرماً لما فيه من هذه المفسد ، مع ما يترتب على ذلك من ذم الصبيان وغيرهم من لم ينثر عليهم . والله أعلم .

س ٢ - ما الفرق بين القيام للرجل ، وإليه ، وعليه ؟

ج - أما الأول ، فمكروه ، إلا أن يكون في تركه مفسدة . وقد استحبّه طوائف من العلماء لأهل الفضل والولادة والوالدين ونحوهم .

وأما الثاني - وهو أن يقوم إليه ، أى : لإنزاله إذا كان راكباً ، أو كان قادماً من سفر ، فهو مستحب .

والثالث : محرّم ، للنهي ، فهذان الفرقان بين الأمور الثلاثة [ يوجبان ] لك أن تعطى الأمور حقّها من التأمل ، وتنظر الدّاعي والسبب الحامل [ عليه ] ، كما [ تتأمل ] ما يترتب [ عليه ] من الخير والشر ، والمصالح والمفاسد .

باب : عشرة النساء

س ١ - هل يجب القسم للحائض والنفساء ؟

ج - المشهور من المذهب وجوب القسم لكل منهما ، لأن الجميع زوجات ، ولكن الصحيح الذي عليه العمل أن الحائض لها القسم . وأما النفساء ، فلا قسم لها لجريان المادة بذلك ، ورضاها بترك القسم ، بل الغالب أن المرأة ما دامت نفساء لا ترغب أن يقسم لها زوجها ، وهذا وجه في المذهب .

س ٢ - ما حكم الدخول إلى بيت الضرة في ليلة الأخرى ، أو يومها ؟

ج - أما تحريم الدخول إلى غير ذات ليلة ، إلا لضرورة في الليل ، أو لحاجة في النهار ، فالصواب في هذا الرجوع إلى عادة الوقت ، وعرف الناس . وإذا كان دخوله على الأخرى ليلاً أو نهاراً ، لا يمدّه الناس جوراً ولا ظمناً ، فالرجوع إلى العادة أصل كبير في كثير من الأمور ، خصوصاً في المسائل التي لا دليل عليها ، وهذه من هذا الباب .

س ٣ - هل تجب التسوية بين الزوجات في النفقة والكسوة ؟

ج - الصحيح الرواية الأخرى التي اختارها شيخ الإسلام أنه يجب التسوية في ذلك ، لأن عدم التسوية ظلم وجور ، ليس لأجل عدم القيام بالواجب ، بل لأن كل عدل يقدر عليه بين زوجاته فإنه واجب عليه ، بخلاف ما لا قدرة له عليه ، كالوطء وتوابعه .

س ٤ - إذا كان لرجل زوجتان ، فألجأته أمه إلى التقصير في حق إحداهما ، فخير زوجته بين أن تبقى عنده ، وتصبر على التقصير ، وبين الفراق ، فاختارت البقاء ، فهل يجوز له ذلك ؟  
ج - هذا لا حرج عليه ، إذا خيرها واختارت البقاء ، ولا إثم عليه ، وإنما الإثم والخرج على أمه التي ألجأته إلى

هذه الحال ، فإن تمكن من نصيحة أمه بنفسه ، أو بواسطة من تقبل منه ، وأنه لا يحل لها هذا ، ويخشى عليها من العقوبة الدنيوية والأخروية ، فهو اللازم ، وإلا فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

س ٥ - [ إذا ] تزوج شخص ولم يقدر على وطء الزوجة الجديدة ، وكان يظن الأولى ، فما السبب وهل له دواء ؟  
ج - أما اعتقاد بعض الناس أن النكاح يفسخ ، ثم يعقد ثانية ، فهذا لا يصلح شرعاً ، ولا ينفع طبياً ، ولو زعم بعض الناس أنه مجرب ، فليس بصحيح . وأكثر الأسباب في هذا أن يكون قد أحب الزوجة الأولى دون الثانية ، وعدم الحب لا [ حيلة ] فيه . فأنت تسأله : إن كان ليس بقلبه عدم رغبة لها ، بل هو راغب فيها ، فلا طيب له إلا السؤال من الله ، وكثرة التعمّات والورد ، أوّل النهار وآخره .

وإن كان ليس بخاطره لها رغبة ، فهذا هو السبب الأقوى لعدم المحبة ، فالأحسن أن يؤمر بالصبر ، لعل الله أن يُبدّل الرغبة عنها بالرغبة فيها . والله أعلم .

س ٦ - هل تُجبر الزوجة الذميمة على غسل الجنابة ؟

ج - الصحيح فيه أنه يُجبرها عليها ، كما يُجبرها على كل ما يعود بنظافتها ، ويعنمها من كل ما يكره منها ، لأن طاعته واجبة ، وحقه واجب . وهذا من حقه .

س ٧ - هل ما يبيته الحاكم للنظر بين الزوجين عند الشقاق ، حكمان ، أو وكيلان ؟

ج - الصواب أنهما حكمان ، كما سماها الله تعالى ، فعلى هذا يحكمان بما يريانه : من جمع ، وتفريق بيموض ، وبغير عوض ، برضاها أو أحدها ، أو بغير رضا . وهو رواية عن الإمام أحمد ، اختارها الشيخ وغيره .

### باب : الخلع

س ١ - إذا خالع امرأته على عوض ، ثم أراد الرجوع بعد للمقابلة ، وقبل قبض العوض ، فهل له ذلك ؟

ج - إذا كان قد خلعها فعلاً ، بأن جرى بينهما الفسخ ، ولم يبق إلا تسليم العوض ، فهذا لا خيار فيه ، ولو لم يقبض عوضه . وإن كان قد تقاولا من دون أن يفسخها ، وإنما اتفقا على أنه سيخلمها إذا سأته العوض ، فهذا لم يحصل منه فسخ ، وإنما حصل منه وعد أنه سيفسخها ، فإذا كان لم يفسخها بعد ، فله الرجوع عما نواه ، ولم يفعله .

وإن كان قد قال لها : إن [ أعطيتني ] كذا وكذا ، فقد خلمتكَ ، أو فسختك ، فالمذهب ليس له الرجوع .

وعند الشيخ : إذا لم يقبض العوض ، فله الرجوع . والأحوط إن كانت جرت هذه الصورة الأخيرة ، وأراد الاتفاق ، أن يعقدا عقداً جديداً ، لينخرجا من الخلاف .



س ٢ - ذكروا أن الخُلْعَ لنقص دين الزوج مُباح ،  
فهل هذا صحيح ؟ أو يجب الخُلْع ؟

ج - إذا كان النقص الذي فيه : ترك عِفَّة ، أو ترك  
صلاة فريضة ، أو صيام ، أو بدعة كرفض ونحوه ، فالصواب  
أنه يتمين عليها أن تسمى بِمُفَارَقَتِهِ بكل طريقة ، لأنه لا يحلّ  
لها الإقامة مع من هذه حاله ، إذا لم يمكن تقويمه . وإن كان  
النقص التجرؤ على بعض المحرّمات ، خصوصًا الصغائر ، فلا  
يجب عليها أن تختلع ، إذا لم يُجبرها على فعل محرّم .

س ٣ - إذا خالمت الصغيرة ، أو المجنونة والسّفِيه ،  
فهل يصحّ الخلع ؟

ج - أما المجنونة ، فليس لها مباشرة شيء من الأموال  
ولو يأذن وليّها ، وليس للولي أن يأذن لها في مثل هذه  
الأشياء ، لعدم العقل والمعرفة منها . وأما السفِيهة أو الصغيرة ،  
[فمُخَالَفَتُهُمَا] بغير إذن [وليّهما] ظاهر أنه غير صحيح ،  
كسائر المعاملات . وأما إذن الولي ، فالصحيح أنه كسائر  
المعاملات . فكما يصح بيع الصغير والصغيرة ، والسّفِيه والسّفِيهة ،  
[وإجارتهم] ونحوها يأذن [أوليائهم] ، فكذلك مُخَالَفَتُهُمْ ،  
لا فرق بين الأمرين ، لكنّ الولي لا يحلّ له أن يأذن  
فيما فيه مضرة ، أو لا مصلحة [فيه] . والله أعلم .

س ٤ - إذا طلبت الزوجة أن يُطلقها زوجها ،  
فأبى إلا أن تبرئه [مما] في ذمته لها ، فأبرأته ، فهل يصح ،  
وإن لم يأذن أبوها ؟

ج - إن كانت عاقلة رشيدة لم يشترط إذن والديها ،  
فأتفائها مع الزوج على الإبراء المذكور يثبت ، ولو أبى الوالدان .  
وأما إن كانت غير رشيدة : إما صغيرة ، وإما سفهية ،  
فليس لها الإبراء إلا بإذن والديها أو أخيها ، إذا كان لها في  
ذلك مصلحة ، مثل راحة كل منهما من الآخر .

س ٥ - إذا خلع زوجة ابنه الصغير أو المجنون  
من مال [الولد] ، أو [خالع] ابنته من مالها ، فهل له ذلك ؟  
ج - أما خلع الأب زوجة ابنه الصغير أو المجنون بشيء  
من مال الولد ، وخلع ابنته بشيء من مالها ، فالمشهور من  
المذهب معروف : أنه لا يملك ذلك ، ولسكن لا وجه له ،  
ولا دليل عليه . فالصواب أنه يملك ذلك ، خصوصاً والأب له  
أن يملك ، ويأخذ من مال ولده ما شاء ، بلا مضرة على  
الولد ، فكيف لا يملك مُفاداة ابنته ، وإزالة [الضرر] عنها  
بشء من مالها ، أو قبول الفداء لابنته بشيء تبذله زوجته ،  
إذا كانت العشرة بين الزوجين غير مستقيمة ؟

وأما إذا حسنت العشرة ، فلا ينبغي للأب ، ولا لغيره ،  
السمى في كل أمر فيه التفريق بينهما ، بخلع وغيره .

س ٦ - هل للأب أن يُخَالِعَ من مال ابنته الصغيرة ،  
أو عن ابنه الصغير ؟

ج - للأب أن يُخَالِعَ عن ابنه الصغير ، وَيُطَلِّقَ ،  
وكذلك له أن يخالع من مال ابنته الصغيرة .

ومالَ إليه الموفق والشارح ، حيث [ رأياً ] فيه مصلحة ،  
وصوّبه في « الإنصاف » . وهذا هو الموافق للأصل ، لأن  
الأب نائب مناب ولده الذي لا يستقلّ بأمره في أحوالها كلها .

س ٧ - إذا لم يكن في الخُلْعِ عِوَضٌ ، فهل يقع ؟

ج - أما الخلع ؛ فكما قالوا : لا بد أن يكون بعوض ،  
لأنه رُكْنُهُ الذي ينبني عليه ، وإذا خلا منه ، فليس بخلع ،  
بل يكون طلاقاً رجعيّاً ، إذا نوى به الطلاق .

س ٨ - هل يصحّ الخُلْعُ بالمجهول ؟

ج - أما الخلع بالمجهول كما في نَيْتِهَا من درام ونحوها  
فهو صحيح ، لاغتفارهم الفرر في الخلع ، لأن المقصود منه  
الافتداء ، كما اغتفروا ذلك في الوصية بالمجهول ، والإقرار ،  
والصدّاق ، [ وطرّد ] صحّته في الهبة ونحوها ، لوجود العِلَّةِ ،  
لأن ما كان عوضه غير مالى دخله من المسامحة والساهلة  
ما لا يدخل الأعواض المالية . وما كان تبرُّهاً فكذلك ،  
لأنه لا مقابل له ، فيحتاج أن يُحرَّرَ ويعرف .

س ٩ - هل يصحّ جعل نفقة الحامِلِ عوض خلع ؟

ج - يصبح ذلك، وهو المشهور من المذهب، لأنها وإن كانت للحمل فهي في حكم المالكه لها . والله أعلم .  
مس ١٠ - عن فتوى ابن نصر الله فيمن قال لزوجته :  
إن أبرأتني من حقوق الزوجية ، ومن المدّة ، أى : نفقتها ،  
فأنت طالق . فأبرأته بدم البراءة ، وعدم وقوع الطلاق .  
وفي هذه الفتوى نظر .

ج - في فتوى ابن نصر الله نظر ، سواء قلنا بصحة  
البراءة من نفقة المدّة قبل الشروع فيها ، كما هو الصحيح فيها  
وفي إسقاط كل حق انعقد بسببه ، أو لم نقل بذلك .  
وحيثذ ، فإن مراده ولفظه صريح في تعليق طلاقها على  
مجرد الإجابة فيها والإبراء المذكور .

مس ١١ - إذا [علق] طلاقها بصفة ، ثم أبانها ، فوجدت ،  
ثم نكحها ، فوجدت ، فهل تطلق ؟

ج - ذكروا بأنها تطلق ، من غير تفريق بين الصفات  
التي يقصد بها التعليق المحض ، كدخول شهر ، أو سنة ، أو  
قدوم أحد . أو الصفات التي يقصد بها الحلف ، كتعليقه  
على دخول دار ، وتكليم أحد ، مما يقصد به الحث أو المنع .  
وشيخ الإسلام يفرق بين الاثنين ، فيجعل الأخير  
من باب الحلف الذي فيه كفارة يمين ، سواء كان [ووقوعه]  
في النكاح الذي علقها به ، أو في غيره ،  
ولا شك أن قوله هو الصحيح . والله أعلم .

## كتاب : الطلاق

س ١ - هل يجب الطلاق بتركها الصلاة أو العفة ؟  
ج - الصواب وجوب طلاقها ، إذا لم يمكنه تقويمها ،  
كما اختاره الشيخ وغيره .

س ٢ - هل يقع طلاق الغضبان ؟  
ج - أما طلاق الغضبان ، فهو واقع كما قالوا ، لأنه لا يكاد  
الطلاق يصدُر إلا في الغضب ، وليس بمندور بغضبه ، إلا إن  
غضب حتى أغمى عليه ، وزال تمييزه وعقله ، فهو في حكم  
المجنون . وكذلك السكران ، على الصحيح : أنه لا يقع طلاقه ،  
ولا إفراره ، ولا تصيح جميع معاملاته ، لعدم عقله .

س ٣ - هل يُعدُّ تلزيم أهله بالطلاق إكراهاً ؟  
ج - أما تلزيم أهله عليه بالطلاق ، فلا يقال له :  
إكراه ، ولو أكدوا عليه ، وانزموا عليه كثيراً .  
فإن الإكراه الذي لا يقع به طلاق من إكراه ،  
إذا [ أُلجئ ] بضرب أو تهديد بقتل أو نحو ذلك . هذا  
هو المكره الذي لا يقع طلاقه ، ولا جميع تصرفاته .  
والله أعلم .

## باب : صريح الطلاق وكنايته

س ١ - ما هو الحد الذي يُعرف به الصريح من الكناية ؟  
ج - ذكروا ضابطه ، وهو أن اللفظ الذي لا يحتمل غير  
معناه ، فهو صريح ، وما يحتمله ويحتمل غيره ، فهو كناية .  
وذلك في الطلاق والخلع والرجعة ، والعتيق ، ونحوها .

س ٢ - ما هي الصيغ المعتبرة في الطلاق ؟  
ج - الأصحاب ، رحمهم الله ، حصروها بألفاظ معينة ،  
جملوا الصريح لفظ : الطلاق ، وما تصرف منه . والكناية  
قسموها إلى ظاهرة وخفية . وذكروا ألفاظ كل منها ، كما هو  
موجود عندكم في شرح « الزاد » و « المنتهى » و « الإقناع » .  
وأما الصحيح وهو قياس الذهب ، واختيار الشيخ وغيره  
من المحققين ، فإنه لا ينحصر ، ولا يتمين بانظ مخصوص ،  
بل كل لفظ أفاد معنى الطلاق ، فإنه يصحح أن يكون من  
ألفاظ الطلاق ، كما في ألفاظ الماملات [ وغيرها ] . والله أعلم .

س ٣ - مما ذكر من صرائح الطلاق ؟  
ج - صريح الطلاق أنواع : لفظه وما تصرف منه ،  
غير ما استثنى . الثاني : الجواب الصريح بالألفاظ .  
الثالث : إذا حمل معها محلاً ، وقال : هذا طلاقك .  
الرابع : إذا أشركها ونحوه فيمن طلقها بصريح الطلاق .  
الخامس : قول النجديين : أنت بالثلاث ونحوه .

السادس : الألفاظ الصريحة في اللغات الأخرى ، إذا كان  
عارفاً [بمعناها] .

س ٤ - ما [معنى] قولهم : يُدَيِّنُ في كثيرٍ من ألفاظ الطلاق؟  
ج - أما معنى قولهم : يُدَيِّنُ في كثيرٍ من ألفاظ الطلاق  
التي فيها نوع احتمال لغير الطلاق :

فإنهم لا يقبلون حكماً حيث رافعته إلى الحاكم ، وطلبت  
من الحاكم أن يحكم عليه بما صدر منه ، فالحاكم لا يسمه  
أن يحكم إلا بما يقتضيه لفظ الذي نطق بالطلاق .

إلا أنه إنما يحكم بالظاهر من لفظه ، لا بما قال : إنه نواه ،  
لا احتمال كسذبه . فأما إذا لم تُرافمه زوجته ، فإن العبرة بما نوى .  
ومعنى قولهم : يُدَيِّنُ ، أى : يرجع إلى دينه وأمانته ،  
وأن هذا أمر بينه وبين الله تعالى ، لا يطلع عليه إلا الله .  
فحيث عرف من نفسه أنه لم يقصد الطلاق ، وإنما قصد  
معنى آخر ، لم يقع عليه . والله أعلم .

س ٥ - هل كِنَايَاتُ الطَّلَاقِ مَحْصُورَةٌ ؟

ج - أما على المذهب ، فهي محصورة بما ذكره ،  
وأما على القول الصحيح الذي لا شك فيه ، فلا تنحصر  
الكِنَايَاتُ ولا الصرَائِحُ بحدود ، بل كل لفظ دلّ دلالة واضحة  
لا احتمال [فيها] على الطلاق فهو صريح ، وكلّ لفظ احتمال  
الطلاق وغيره ، فهو كناية لا بد أن ينضمّ إليه ما يُقَوِّيه

من نية أو قرينة . وكما أنه الصواب فهو الموافق لقاعدة  
المذهب : أن التَّقْوِدَ وَالْفُسُوخَ تَمَقِّدٌ وَتَنْفِيسٌ ، بما دلَّ عليها  
من أى لفظ كان .

س ٦ - إذا ألبأته زوجته ألا يتزوج عليها حتى يُطَلِّقها ،  
فتخلص من إلجائها بأن أودع رجلا شهادة بأنه سيقول لها :  
أنت بالثلاث ، ويقصد بالثلاث مناصب القدر ، فهل يقع الطلاق ؟  
ج - لا يقع على مثل هذا طلاق ، لأنه صرَّح لهذا  
الرجل الذى أودعه الشهادة على مراده بقوله : أنت بالثلاث :  
أنه يريد ويؤمن المناصب الثلاث ، لا وقوع الطلاق عليها .  
وهذا أبلغ مما لو قال بعد ما نطق بصريح الطلاق ، أريد  
طلاقاً من وثاق أو زوج قبلى ، أنه يُدَيِّنُ فيما بينه وبين الله ،  
ويرجع إلى نِيَّتِهِ ، وهو مجرد دعوى .

وهذه دعوى قد قارنتها القرينة [وهى] الإلحاح منها ، والإلجاء  
بغير حق ، وضاحتها يودع هذه الشهادة التى بنى كلامه عليها .  
وإذا كانت الأعمال بالنيات ، والنية يرجع فيها إلى  
ما نوى الناطق ، فكيف وقد اجتمع أمور ثلاثة :

نية المتكلم ، وقرينة الحال ، وإيداع الشهادة ؟  
فهذا ليس فى النفس شىء من فضيئته : أنه لا يقع عليه شىء .  
وهنا ملاحظة رابعة ، فإن قوله : أنت بالثلاث ، نهاية  
ما تكون أن تلحق بقوله : أنت بالطلاق الثلاث ، إذا خلت



من نية أو قرينة . لأن قوله : أنت بالثلاث صفة لموصوف محذوف ، فلو كان هذا المذكور موجوداً في الكلام ، كان حُكْمُه ما تقدّم : عدم الوقوع ، فكيف وهو ملحق إلخافاً مع عدم الترائن بالكليّة ؟

وهذا مما يزيد المسألة وضوحاً وطأينة . والله أعلم .

س ٧ - كم طلاقاً يقع بالكناية الظاهرة ؟

ج - أما وقوع الطلاق ثلاثاً مع الكناية الظاهرة ، فهو ظاهر المذهب ، واختار أبو الخطاب وغيره أن يقع واحدة ، إلا إن نواه ثلاثاً ، وهو رواية عن الإمام أحمد .  
وأما اختيار شيخ الإسلام ، فهو معروف .

باب : ما يختلف به عدد الطلاق

س ١ - إذا قال لزوجته : إن عقببت هذا المحل ، فأنت

طالق ، ولم يذكر عدداً ، فعقبت المحل ؛ فكم تطلق ؟

ج - نرى أنه لا يقع على الزوجة إلا طلاقاً واحدة .

فإذا كانت في العدة ، فله أن يُراجعها .

وإن كانت قد خرجت من العدة ، فلا بد من عقد زواج

بشهود وصدّاق ووليّ وغيرها من شروط النكاح . والله أعلم .

س ٢ - هل يقع الطلاق إذا أضيف إلى الرّوح ؟

ج - الصواب وقوعه ، وإن كان المشهور غيره .

وأما إضافته إلى السنِّ والشعر ، فعندى فيه توقُّف وإشكال ، لا أبزم بواحد من الأمرين .  
س ٣ - هل يصح الاستثناء ، وإن لم ينوهِ حالَ تَلْفُظِهِ  
بالمستثنى منه ؟

ج - أما إذا استثنى في الطلاق ، واتصل استثناءؤه بكلامه ، فالصحيح اعتبار هذا الاستثناء ، سواء نواه قبل كمال لفظ الطلاق ، أو لم ينوهِ حتى فرغ من اللفظ ، ولكنه حالاً وصله بالطلاق .

### باب : الشك في الطلاق

س ١ - إذا شك في الطلاق أو شرطه ، فهل يقع ؟  
ج - أما حكم الشك في الطلاق أو في شرطه ، فكما قالوا :  
يُبنى على اليقين ، فإن الأصل المضممة ، وبقاء الزوجية ، فتي شككنا في وجود ما يُزيلها ، ألغينا ذلك ، حتى نصل إلى اليقين .

س ٢ - إذا قال : إن كان هذا الطائر غراباً ، ففلانة طالق ، وإن كان حماماً ففلانة طالق ، وجهل ، فهل يقع الطلاق عليهما ، أو على [ إحداهما ] ؟

ج - الأمر كما قالوا ، إذا قال : إن كان الطائر غراباً ، ففلانة طالق ، وإن كان حماماً ، ففلانة طالق : أنه لا تُطلق واحدة منهما ، لاحتمال أنه غيرهما من الطيور حيث جهات الحال .

س ٣ - إذا قال لمن ظنّها أجنبية : أنت طالق .

فتبين أنها امرأته ، فهل تطلق ؟

ج - المشهور أنها تطلق ، اعتباراً بأنه خاطبها بالطلاق .  
والقول الآخر في المذهب أن زوجته لا تطلق ، لأنه لم ينوها ،  
بل ظنّها أجنبية ، والأعمال بالنيات . وهذا أقوى مأخذاً .

س ٤ - ما رأيكم في قول الأصحاب ، رحمهم الله ، في  
بعض مسائل الطلاق المشتبه فيه ، أو في وجود ما علق عليه :  
إن الاحتياط التزم الطلاق ؟

ج - فيه نظر ظاهر ، فإن الاحتياط يحسن في توقي  
المشتبهات ، إذا لم تُمدخل العبد في محذور شرعي ، فإذا أدخلته  
فيه ، فتركه الاحتياط : هو التين . وذلك أن الطلاق أبهى  
الحلال إلى الله ، لما فيه من كثير المفسد ، وزوال كثير من  
المصالح . فتنى قلنا : الاحتياط التزم الطلاق ، وقمنا في هذه  
المحاذير ، ونحن معنا الأصل ، وهو المصمة ، فإن الأصل بقاء  
النكاح حتى يجزم بزواله ، فتمسكنا بهذا الأصل أولى بنا من  
تركه وتمسكنا بالاحتياط . ونظير ذلك أن من عنده مال مشتبه ،  
وعليه دين أو واجبات مالية ، لا يمكن أداؤها إلا بذلك المال  
المشتبه : فليس له أن يقول : أنا احتاط وأترك هذا المال  
المشتبه ، فيترتب عليه ترك واجب محقق . والله أعلم .

## باب : تعليق الطلاق بالشروط

س ١ - قولهم : لو علق الطلاق ولم يملك تمجيله ...  
وهل على كلامهم إذا علق ثلاثاً قبيل موته ، ثم أراد فراقها ،  
فهل يملك شيئاً أم يُعابا بها ؟

ج - أما قولهم : إذا علق الطلاق ولم يملك تمجيله .  
وجه ذلك أن التعليق للطلاق لازم ، ليس له إبطاله ولا تغييره ،  
فكما لا يملك إذا قال لزوجته : إذا جاء رمضان ، فأنت طالق ،  
لا يملك الرجوع عنه ، ولا يملك بمد هذا التعليق أن يؤخره  
إلى ذى الحجة مثلاً ، [ كما لا ] يملك جعل بدل رمضان شهراً قبله  
كرجب وشعبان ، بل إذا قال : عنخلته وأراد طلاقاً جديداً ،  
وقع ، والمعلق بحاله ، فصار الحاصل أنه لا يملك إبطاله ولا تقديمه  
ولا تأخيره ولا تغييره . وإن وقع [ شئ ] ، صار شيئاً جديداً .  
وأما قولهم : إذا علق ثلاثاً قبيل موته ، ثم أراد فراقها ،  
فإنه يملك الفراق ، ولا تصير هذه المسألة من مسائل المعاياة ،  
لأنكم ظننتم أن الثلاث المعلقة قبيل الموت تمنع من وقوع  
فرقة قبلها ، فحينئذ تصح المعاياة ، ولكنه ظن لو تأملتوه  
لمعرفتم أنه لا دخل لهذا التعليق بالفراق الأول ، وإنما انقلبت  
عليكم المسألة السريجية التي من صورها أن يقول : متى وقع  
عليك طلاق ، فأنت طالق قبله ثلاثاً ، وأنه لا يقع على هذا  
القول طلاق . ولكنه قول معروف وضعفه وشذوذه .

س ٢ - قولهم : إذا قال : أنت طالق ، وعبدى حر ،  
إن شاء الله ، وإن لم يشأ الله ، بالزنى والإيهاث ، وقما ،  
هل هو وجيه ؟

ج - نعم وجيه ، لأنه أوقمه ، فإذا أوتع الطلاق والمثق  
فقد وقما ، فقوله بعمه : إن شاء الله أو لا إن يشأ الله ، لا  
يرفع ما وقع ، فإنه مع الإثبات حقيقة ، وأما مع النفي فبأى  
شئ نعرف أن الله لم يشأ وقوعه وقد وقع ؟ بل وقوعه دلنا  
أن الله شاءه ، لأنه ما شاء كان ، ولا بد من وقوعه .

س ٣ - من حلف بالطلاق ألا يفعل شيئاً ، ثم حنث  
وفعله وقد تزوج قبل حنثه وبعد حلفه ، فهل يقع بها أم لا ؟  
ج - لا يقع إلا بزوجة موجودة وقت تعليقه ، ووقت  
حنثه . وأما الزوجة التي يستحدثها بعد تعليقه ، وقبل حنثه  
فلا يقع بها . وقد صرح به الأصحاب . وعيَّته ظاهرة ، لأنه  
إنما حلف على الفعل الذى يملكه ، وهو الذى تصد الامتناع  
منه ، فعمله على فراق من يكره فراقها . والعبرة بذلك وقت  
عقد يمينه . وأما الإشكال الذى نشأ لكم من كلام صاحب  
« الفروع » نقلاً عن « الروضة » وهو قوله : فإن لم يبق تحته  
أحد ، ثم تزوج أخرى ، وفعل ذلك ، وتنع أيضاً . كذا  
قال . فصاحب « الفروع » ، رحمه الله ، كفاكم الإشكال ،  
لأن قوله منه : كذا قال ، تضيف له ، ويبان أنه يخالف

للقواعد ولما عليه الأصحاب ، مع أن كتاب « الروضة » لا يعلم مصنفه ، ولكنه كتاب فيه فوائد جليلة ، وله اعتبار عند الأصحاب ، ولكن فيه بعض المسائل المخالفة للمذهب ، كهذه المسألة . والله أعلم .

س ٤ - إذا طلقها بشرط أن تبرئه من نفقة الحمل ، فما الحكم ؟

ج - قد نصّوا على جوازه . وعلى هذا فإذا كانت حاملاً صار طلاقاً على عوض ، فيكون بائناً ، وليس عليه من نفقة الحمل شيء ، وإنما جوزوا الخلع على نفقة ما في بطنها ، لأنها في حكم المالك لها ، لأنها في التحقيق لها ، ولو كانت المفاداة المذكورة ظانّة أنه ليس فيها حمل ، ثم تبين بعد ذلك ، فإن العوض في الخلع قد اغتفروا فيه [ من ] الجهالة ما لا يغتفر في غيره .

س ٥ - قولهم : وإن خرجت إلا بإذني ، وأذن لها ولم تعلم ، ثم خرجت ، طالقت ، فهل هو وجيه ؟

ج - نعم ، هو وجيه ، لأنه قيده في هذه الحال ، وهو الموقع له ، فإذا أزال هذا القيد من نفسه ، فالأمر راجع إليه ، لا إليها . أما هي ، فإنه وإن كان لا يحل لها الخروج حتى تعلم أنه أذن ، لكن الطلاق تمليقه وإيقاعه ليس بيدها ، بل بيده هو . فما ذكره وجيه . والله أعلم .

س ٦ - إذا قال لزوجته : إن أخرجت شيئاً من بيتي  
بغير إذني ، فليلا كان أو كثيراً ، فأنت طالق . ثم بعد ذلك  
بيومين استثنى : إلا ما أخرجت لسائل ونحوه ، هل يقع ،  
أم لا ؟ وهل هو يمين ، أو شرط ؟

ج - هذا يمين بالطلاق ، لأن اليمين : الذي يقصد منه  
الحدث أو المنع . وهذا قصده منها بكلامه [ منعه ] لها من  
الإخراج من بيته . وأما استثناءه بعد يومين لسائل ونحوه ،  
فإن كان قصده أولاً قصداً ، فلا تخرج من بيته شيئاً لا لسائل  
ولا لغيره ، فلا ينفمه هذا الاستثناء ، لأنه لم يتصل بكلامه ،  
والاستثناء الذي لم يتصل لا يفيد شيئاً ، لأنه لو أفاد ،  
لخرجت الأيمان عن المقصود بها . وأما إذا كان لم يقصد  
السائل ونحوه - وعلامة ذلك أنه لو قيل له حال تكلمه  
باليمين المذكورة : هل أردت دخول السائل يمينك ، أم  
لا ؟ فقال : قصدي إخراجها لغير السائل - فإن نيته كافية  
إذا أخبر بعد ذلك أنه لم يدخلها في يمينه ، وكذلك لو كان  
سبب اليمين الذي هيجهامراً لا يدخل فيه إطعام السائل ،  
لم يدخل في يمينه المقصود .

والأصل أن كلام الخالف عام ، إلا إن نوى تخصيصه  
وقت حلفه ، أو كان السبب أمراً خاصاً . والله أعلم .

س ٧ - إذا قال : عليّ الطلاق أني لا أدخل المحل  
الفلاني ، ثم دخله ؛ فما الحكم ؟

ج - من قال : عليّ الطلاق أنى لا أدخل المحل الفلانى ،  
ثم دخله متممداً غير ناس ، وقع عليه طلقة واحدة ، فإن لم  
يدخل المحل المذكور ، لم يقع عليه شيء .

س ٨ - إذا حلف على شيء ليفعله ، فهل يبرأ بفعل بعضه ؟  
ج - إذا حلف على شيء ليفعله ، ففعل بعضه وهو  
يمكنه فعل جميعه ، فإنه لا يبرأ حتى يفعله جميعه ، إذا كان نوى  
ذلك أو أطلق . وأما إذا نوى أنه يفعل بعضه ، فالأيمان  
كلها مبناها على النية . وإذا حلف لا يفعل شيئاً ، ففعل  
بعضه ، قالوا : لا يحنت . وعندى : فيه تفصيل ، وهو أنه  
إن كانت النية أو سبب اليمين الذى هيجهما : أن القصد  
الامتناع من فعل الشيء جميعه أو بعضه ، ككثير من الأمور  
التي يحلف أنه لا يفعلها ، والقصد منه أنه لا يفعل شيئاً  
منها ، فهذا يحنت بفعل البعض . وإن كان القصد الذى يتبادر  
إلى الأذهان من هذا الحلف أنه يمتنع من فعل جميعه ، فالأعمال  
بالنيات . وقد ذكر الأصحاب فى « باب الأيمان » وجوب  
تقديم النية فى الأيمان على كل شيء ، ثم سبب اليمين [ الذى ]  
هيجهما ، ثم مقتضى الألفاظ . والله أعلم .

س ٩ - إذا فعل المحلوف عليه ناسياً أو جاهلاً ، فهل يحنت ؟  
ج - الصحيح أنه إذا فعل المحلوف عليه ناسياً أو جاهلاً ،  
فلا يحنت فى الطلاق والعتق ، كغيرهما من الأيمان ، ومثله  
التأول والمقلد والماقد يظن صدق نفسه . الجميع حكمها واحد .



## باب : الرجعة

س ١ - إذا طلق زوجته طلقة واحدة ، ثم تبين أنها حامل ، فهل له رجعتها ، وإن كرهت ؟

ج - نعم ، له أن يُراجِعها قبل الوضع ، رضيت أو كرهت .  
وأما بعد الوضع ، فلا يُراجِعها ، لكن له أن يتزوجها زواجاً جديداً ، بصداق ووليّ وشهود .

س ٢ - بماذا تحصل الرجعة ؟

أما الرجعة ، فإنها تحصل بالقول ، كقوله : راجعتها . وينبغي أن يُشهد على ذلك ، وأوجبه بعض العلماء ، وكذلك تحصل بالوطء إذا قصد به الرجعة . وأما إذا لم يقصد بالوطء الرجعة ، فالشهور من المذهب : تحصل به الرجعة ، والرواية الأخرى عن الإمام : لا بد فيه من النية . وهو الصحيح :

وأما مجرد الخلوة ، فلا تحصل به الرجعة ، لأن الرجعة زوجة في جميع الأحكام : يجوز أن تنزّه له ، وينظر إليها ، ويخلو بها ، إلا أنه لا قسم لها . فالحاصل أن الرجعة تحصل بالقول ، وما يدل عليها من الفعل ، وهو : الوطء خاصة ، مع النية أو مع عدمها ، على ما ذكرنا من الخلاف .

س ٣ - إذا طلق زوجته ، ثم راجعها ظناً منه أن عدتها لم تنقض ، فتبين انقضاؤها ، فمقد عليها عقداً جديداً ، ثم طلقها ، فهل تحلّ له رجعتها ؟

( ٢٥٢ - فتاوى )

ج - إذا راجعها قبل انقضاء عدتها بعد الطلقة الثانية ، فله ذلك ، ولا يحتاج إلى عقد إن كانت العدة لم تنقض ، فإن كانت العدة قد انقضت ، احتاج إلى عقد جديد بجميع الشروط .

س ٤ - قال الأصحاب : إذا طهرت من الحيضة الثالثة ، ولم تغتسل ، فله رجعتها ، فهل هو وجيه ؟

ج - فيه نظر ، فإن جميع الأحكام تتعلق بانقطاع دمها من الحيضة الثالثة ، فيجب أن يكون هذا منها ، وهو قول جمهور العلماء ، وهو ظاهر القرآن ، حيث قال تعالى : ﴿ وَبُؤْسَاتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ (١) .

والإشارة إلى ما تقدم من القروء ، فهي بعد الطهر ليست في قروء ، لأن القروء هي الحيض .

س ٥ - ما حكم المطلقة الرجعية ؟

ج - حكمها حكم الزوجات ، يجوز له النظر إليها ، والخلو بها ، ويجوز لها خدمته ما دامت في العدة ، وينبغي عليها أن لا تخرج من منزله حتى تم العدة .

س ٦ - إذا كانت قد انقضت عدتها ، فقال الزوج : كنت قد راجعتك قبل . فكذبته . فما الحكم ؟

ج - الذي جرى عليه صاحب متن « الزاد » أنه نظير قولها ابتداء : انقضت عدتي قبل أن تراجعني ، أن القول قولها حتى يأتي

بيّنة تشهد بأنه راجع قبل انقضاء العدة ، هو : الصحيح ،  
لأنه لا فرق بين أن يكون هو المبتدئ أو هي المبتدئة .  
والقاعدة : أن البيّنة على المدعى ، واليمين على من أنكر ،  
سواء ابتدأ أحدهما بالدعوى ، أو ابتدأ الآخر .

وأما [الشهود] ، فيفرقون بين ابتدائه وابتدائها ، فيجعلون  
ابتدائه : يقبل فيه قوله ، ولكنّه قول ضعيف جداً .

س ٧ - هل تحلّ المطلقة ثلاثاً لزوجها الأول ، إذا وطئها  
لثاني حال الحيض ، أو كان خصياً أو موجوعاً أو نحوهما ؟  
ج - عند الموفق ، والشارح : يحلها لزوجها الأول اعتباراً  
بحقيقة الوطء ، والمشهور عدم الإحلال لعدم الإحلال  
كذا بخطه .

وعندي فيها إشكال ، لا أرجح واحداً من القولين .  
وأما وطء الخصي وللوجوء ونحوهما ، فإذا وجسد حقيقة  
الوطء أحلها بذلك ، لتحقيق الشرط الذي ذكره النبي صلى الله  
عليه وسلم ، وهو ذوق المسئلة .

### باب : الإيلاء

س ١ - هل تحصل الفياة من المكره والناسي  
والجاهل ونحوهم ؟

ج - قال الأصحاب : تحصل الفياة من المكره والناسي  
والجاهل والمجنون والنائم . والأمر كما قالوا .

## كتاب : الظهار

س ١ - هل يصحّ الظهار من الأجنبية ؟  
ج - الصحيح أنه كطلاقها ، فلا يقع على أجنبية طلاق ولا ظهار ، سواء نجّزه بأن قال : أنتِ طالق ، وأنتِ عليّ كظهر أمي ، أو علّقه على تزويجه لها ، كقوله : إن تزوجتك فأنت طالق ، أو عليّ كظهر أمي .

هذا هو الصحيح ، وهو إحدى الروايتين ، وهو ظاهر النصوص . والمشهور من المذهب أن الطلاق لا يصح ، والظهار يصحّ من الأجنبي .

وهذا قول غريب . فإن الظهار فرع عن الطلاق ، فإذا لم يصح طلاقها ، وهو فراق يؤول إلى البينونة ، فمدم صحة الظهار أولى .

س ٢ - هل يصحّ ظهار المميز ؟  
ج - أما الصبيّ المميّز ، فإن ظهاره وإيلاءه مباح على صحّة طلاقه ، فإذا صح طلاقه كما هو المذهب ، صح ظهاره . وإذا لم يصح طلاقه - كما هو أحد القولين في المذهب - لم يصح ظهاره . أما الإيلاء فإنه يعين ، واليمين لا تنعقد من الصغير ، بل لا بد أن يكون بالغاً .

س ٣ - إذا قال لزوجته : أنتِ عليّ حرام أو كالميتة ، فما الحكم ؟

ج - إذا قال لزوجته : أنت على حرام ، أو كالميتة والدم ، فهو مظاهر ، كما قال الأصحاب ، فإنه صريح في الظهار .  
س ٤ - إذا ظهرت الزوجة من زوجها ، فهل يكون ظهارا ؟

ج - الأصحاب قاسوها على الزوج في وجوب كفارة الظهار عليها ، لا في الظهار ، وهو قياس متناقض يخالف لظاهر القرآن . فإن حكم الكفارة المذكورة في القرآن إنما هو في ظهار الزوج من زوجته ، وهو الرواية الأخرى الصحيحة عن الإمام .  
س ٥ - إذا كرر الظهار ، فهل تتكرر الكفارة ؟

ج - وإذا كرر الظهار من زوجة واحدة ، فعليه كفارة واحدة ، إلا إن ظاهر ثم كفر ، ثم ظاهر بعد الكفارة ، فعليه كفارة أخرى .

س ٦ - ما المعتبر في الكفارات ؟

ج - المعتبر في الكفارات كلها وقت وجوبها ، فلو أيسر أو أيسر بعد ذلك ، كان النظر للوقت الذي وجبت فيه .  
س ٧ - هل يشترط لوجوب الرقبة في الكفارة ، أن تفضل عن حاجته ؟

ج - الشروط التي ذكر الأصحاب في شراء الرقبة من كونه واجداً ما يزيد عن حوائجه الأصلية وقضاء دينه وما يتعلق به حاجته : هو وجبه . لأن ما تعلق به حاجة الإنسان شبيه بالمعدوم .

س ٨ - قولهم في شرح « الزاد » : تُمهَل الرقبة ثلاثة أيام ، مفهومه لا يُمهَل للصَّيَام والإطعام ، فهل هو وجيه ؟  
ج - نعم وجيه ، لأن الكفَّارات كلها تجب على الفور ، والإطعام متيسر ، والرقبة - في الغالب - غير متيسرة .  
فلذلك حصل فيها الإمهال المذكور . والأولى أن لا يقيد بثلاثة أيام ، بل بالتَّرف .

س ٩ - ما هي الرقبة التي تُجزئ في العتق ؟  
ج - التي يجزئ في العتق في جميع الكفَّارات ، [ هو ] الرقبة المؤمنة ، السليمة من العيوب الضَّارة بالعمل ، لأن العيوب لها عدة إطلاقات عند الأصحاب ، ففي الأضاحي : عُيوبها معيّنة معروفة ، وفي البيع وأنواع التجارة : ما عدّه التجار عيباً ، وفي هذا الباب : ما سلّم من كُفر وعيب ضار بالعمل .  
والعيوب في النكاح مضبوطة عندم معيّنة .

فإذا أعتق رقبة لا تجزئ في الكفَّارات ، عتقت ولم تجز .  
وأما إذا أعتقه عنه غيره بغير أمره ، فلا ينفذ ، ولا يجزئ إن كان العبد ملكاً للكفر ، لأن المعتق غير مالك ولا مأذون له في العتق . وإن كان المعتق الذي نوى عن غيره أعتق عبد نفسه بهذه النية ، وقع العتق ولم يقع عن النوى عنه ، لعدم النية ، ولعدم دخوله في ملكه .

س ١٠ - هل يمنع قطع أصابع الرجل من أجزاء الرقبة في الكفارة ؟

ج - ظاهر كلام الأصحاب إجزاء ذلك ، لأن قطع أصابع  
الرجلين إذا لم يحدث مرضاً لا يضّر بعمل .

س ١١ - ما الذي يقطع التتابع في صيام الكفارة ؟  
ج - [هو] الفطر من غير عُذر سقر أو مرض أو عيد  
أو تشريق أو حيض أو نفاس ، فاعذر فيه عن صيام رمضان ،  
عذر فيه عن تتابع صيام الكفارة .

س ١٢ - هل يُجزئ إخراج القيمة في الكفارة ؟  
ج - أما إخراج القيمة في الكفارات ، فلا ينبغي إذا لم  
يُحتج إلى ذلك ، فإن احتج إلى ذلك ، بأن كانت المصلحة  
في إخراج القيمة أرجح ، فالصحيح جواز ذلك .  
س ١٣ - إذا عجز عن الكفارة وقت الوجوب ،  
فهل تسقط ؟

ج - الصواب إبقاؤها في ذمته ديناً ، من غير فرق بين  
كفارة وكفارة ، كسائر الديون التي لله أو للآدميين .

س ١٤ - إذا وطئ أثناء التكفير ، فهل ينقطع التتابع ؟  
ج - أما المكفر بالإطعام في الظهر ، فقد ذكروا أنه  
لا يحلّ له الوطء قبل أن يكمل الإطعام ، فإن فعل فهو آثم ،  
وبنى على إطعامه السابق ، بخلاف الصيام ، فإن الوطء للمظاهر  
منها في أثناءه - مع تحريمه - يقطع التتابع .  
والله أعلم .

# كتاب: اللعان

وما يلحق من النسب

س ١ - هل يصح اللعان قبل الدخول ؟

ج - نعم لأنها زوجة ، فتدخل في عموم قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾ (١) إلى آخر الآيات .

لأنها تصير فراشاً بمجرد العقد ، ولو لم يحصل دخول ، فيحتاج إلى نفي الولد قبل الدخول كما يحتاج إليه بعده . وعلى هذا فيثبت لها نصف الصداق ، فإنه وإن لم تحصل الفرقة إلا بتام التمانها ، فإنها كأنها صادرة منه .

س ٢ - ما الذي يُعتبر في إلحاق النسب ؟

ج - هذا سؤال مهم جداً ، وفيه اختلاف كثير بين أهل العلم .

وأصل ذلك كله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ »

فمن كانت المرأة فراشاً ، زوجة كانت أو سرورية ،

فوجد منها الولد ، كانت لصاحب الفراش .

ولكن بأي شيء يتحقق الفراش ؟

أما على المشهور من المذهب ، فإن الزوجة تكون

فراشاً بمجرد العقد ، إذا أمكن اجتماعه بها .



وإن لم يتحقق اجتماعه ، وأمكن أنه منه ، بأن تأتي به  
لأكثر من ستة أشهر ، أو لسته أشهر منذ عقد عليها ،  
أو قبل أربع سنين منذ أبانها .

ومع هذا الفراش لا يعتبر شبه ولا دعوى أحد ولا غيرها .  
فأما إذا لم يكن اجتماعه ، كمن تزوجها ثم أبانها  
في مجلس العقد ، أو علم أنه لم يجتمع بها ، كمن هو في بلد  
بعيد ، ولا يخفى مسيره ، فإنه لا يلحق ، وكذلك إذا ولدته  
لِدُون ستة أشهر منذ عقد عليها ، أو أكثر من أربع سنين من  
وقت يبنوتها ، فإنه لا يلحقه . هذا كله في حق الزوجة .  
وأما السُرِّيَّة ، فإنها لا تكون فراشاً حتى يطأها ويثبت  
وطؤها بإقراره أو بالبينة . فإذا ثبت الفراش فيها ، فحُكْمها  
كما تقدم . وأما إذا لم يُقَرَّ بوطنها - إذا لم تقم البينة به -  
فلا تكون فراشاً .

هذا تحرير المذهب في ذلك .

واختار الشيخ تقي الدين أن الزوجة كالأمّة ، لا تكون  
فراشاً إلا بتحقيق الوطء . وقوله أقرب للصواب .  
وكذلك الصحيح : أن أكثر مدة الحمل لا تتقيد بأربع  
سنين ، بل قد تكون أكثر ، وهو قول في المذهب ،  
ورجحه بعض الأصحاب ، لأنه الموافق للواقع .

س ٣ — عن تبعض الأحكام ؟

ج — قد تتبعض الأحكام في المحل الواحد ، وذلك بسبب تباین الأسباب ، ولذلك أمثلة كثيرة .

منها : أنه يتبع الولد أباه في النسب وأمه في الحرّية والرقّ .  
وفي الدين يتبع المسلم منهما ، وفي الطهارة والنجاسة أخيهما .  
ومنها : إذا ثبتت السرقة بشاهد وامرأتين أو عین ،  
يثبت المال دون القطع .

ومنها : اللقيط يتبع من ادّعاه في النسب ، لافي الدين والرقّ .  
ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم :  
« هُوَ لَكَ يَا عَبْدُ بَنَ زَمْعَةَ ،  
وَاحْتَجِجِي مِنِّي يَا سَوْدَةَ »  
فأعمل الفراش ، وأعمل الشبّه .

## كتاب : العدد

س ١ - ذكروا أن العِدَّةَ تَجِبُ إذا خلا بها ،  
ولو مع مانع حِسِّيٍّ أو شرعيٍّ ، فهل هو وجيه ؟

ج - نعم هو وجيه ، فإذا خلا بها واستحلَّ منها بذلك  
ما لا يستحلُّه ممن لا تحلُّ له ، ولو كان لم يَطَأْ ، فالصِّدَاقُ  
تقرَّرَ ، والعِدَّةُ تثبُتُ ، والحكمُ مُعلِّقٌ بالخلوة التي هي مَظَنَّةُ  
الوطء ، والمظنَّاتُ تُعتبر ولو لم توجد الحقيقة ، خصوصاً وقد  
حكم الخلفاء الراشدون - رضی الله عنهم - بوجوب العِدَّةِ على  
من خلا بها ، وأطلقوا ذلك . والله أعلم .

س ٢ - هل تلزم العِدَّةُ بالخلوة ، إذا كانت فيهما ،  
أو في أحدهما ، مانع حِسِّيٍّ أو شرعيٍّ ؟

ج - إذا حصل الدخول وجبت العِدَّةُ ، ولو مع المانع  
المذكور ، لمعوم قوله تعالى :

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ <sup>(١)</sup> ﴾ .

واستثنى منها غير المدخول بها للآية :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ <sup>(٢)</sup> . .

الآية . ولأن العِدَّةَ لها عدة مقاضد :

(٢) الأحزاب : ٤٩ .

(١) البقرة : ٢٢٨ .

- ١ - العِلم ببراءة الرَّحيم .
  - ٢ - أداء حقّ الزوج الأول .
  - ٣ - الاستبراء لحق الزوج الآخر .
  - ٤ - الانتظار ، لَمَّا يُراجع في الرّجعية .
- إلى غير ذلك من المقاصد الشرعية . فلو كان المقصود منها غير المعنى الأول فقط ، توجه الإشكال .  
وبمعرفة هذه الأشياء ينحلّ الإشكال .
- س ٣ - هل تُلزم العِدّة من خلاها مكرهة ؟
- ج - الصواب أن الخلوّة [بها] مكرهة كخلوّته بها مطاوعة ، لعموم قضاء الخلفاء الراشدين ، ولاحتمال الوطء هنا احتمالاً قوياً ، فكيف تكون الخلوّة مع الجب والعنة والرتق موجبة للعِدّة ، والخلوّة مكرهة غير موجبة ؟ فإن هذا أحقّ بلا ريب .
- ٤ - هل تُلزم العِدّة بتحمل الماء من الأجنبي أو الزوج ؟
- ج - إذا تحمّلت بقاء الزوج ، فالصواب وجوب العِدّة ، مع أن كلام المتأخرين من الأصحاب مختلف ، ولكن علمنا بتحملها ماءه يوجب اشتغال رحمها بقاء الزوج ، فيتعيّن الاعتداد .  
وأما تحملها بقاء الأجنبي ، فعلى المذهب حكمه حكم الزوج في الخلاف فيه . وعلى مقتضى اختيار شيخ الإسلام أنه لا يجب فيه إلا الاستبراء فقط ، لأن عند الشيخ جميع الفسوخ والطلاق في النكاح الفاسد ووطء الشبهة والزنا - كلّها موجب للاستبراء فقط . وقوله هو الصحيح .

س ٥ - إذا مات الحمل ، فهل يسقط الاعتداد به ؟  
ج - على كلام شارح « المنتهى » قوله : وظاهره : ولو مات  
ببطنها ، لعدم الآية .

قلت : وقد يقال : إن قوله تعالى :

﴿ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضْمَنَّ حَمْلُهُنَّ ﴾ <sup>(١)</sup>

أنه الوضع المعتاد .

فتى وضعته حيًا أو ميتًا ، خرجت من العدة . ومتى  
بقي في بطنها حيًا أو ميتًا يُرجى خروجه ، فهي في العدة .  
فإن مات في بطنها ولم يبق رجاء بين لخروجه ، فهذه إن أمرت  
بالبقاء حتى يخرج من بطنها ، وهو لا يظن له وقت يخرج فيه ،  
كان عليها من الضرر شيء عظيم . فيظهر أنها متى تحققت  
موته ، وصار بحال لا يُرجى له خروج ، أنها تقيّد بغير الحمل ،  
لسقوط حكمه ، كما سقطت نفقة الحامل بذلك .

يؤيد هذا الظاهر ، أن الحكمة في الاعتداد بالحمل ، لئلا  
تختلط المياه ، وتشبهه الأنساب ، وهو مفقود هنا . فالذي يظهر  
لي أنه في هذه الحال يسقط حكمه بلا اعتداد ، كما سقطت  
بقية أحكامه من الميراث واستحقاق الوصية ونحوها والنفقة .  
والله أعلم بالصواب .

(١) الطلاق : ٤

س ٦ - ما هي أكثر مدة الحمل ؟  
ج - قد مضى ما يدل على أن الذي نختاره أنه لا يُحدِّد بأربع سنين ، بل قد يكون أكثر ، وهو الواقع كثيراً . والشارع لم يحدِّد له حدًّا ، فعلم أنه رجعة إلى الوجود . والله أعلم .  
س ٧ - إذا طلق زوجته وهي حامل ، ثم وضعت ، فماذا تمتد ؟

ج - إذا كان طلاقها صادراً من زوجها قبل أن تضع حملها ، فعمدتها وضع الحمل ولو مدة يسيرة . وإن كان طلاقها صادراً من الزوج بعد ما وضعت حملها ، مثل أن وضعت حملها في ذى الحجة ، وطلقها في محرم أو صفر ، فعمدتها ثلاث حيض ، ولو طال مدة ذلك ، لأن المرضع تبطن عنها الحيضة .  
س ٨ - إذا مات زوج المعتدة ، فهل ترثه ؟

وهل تنتقل إلى عِدَّة الوفاة ، أو لا ؟  
ج - أما المعتدة الرجعية ، فحكمها حكم الزوجات ، مادامت في العدة ، فترثه وتمتدَّ عِدَّة وفاة ، سواء كان الطلاق في المرض أو الصحة . وأما المعتدة البائن ، فإن كانت أمة أو ذميمة وزوجها مسلم أو سأله الطلاق ، فلا ترث ، ولا تعتدَّ عِدَّة الوفاة ، وكذلك لو كانت إبانها في صحته ، فلا ترث ولا تعتدَّ عِدَّة وفاة ، بل تبني على عِدَّة الحياة .  
وإن أبانها في مرضه من غير سؤاها ، وكان مرض الموت المخوف . ومات عنها ، ورثته ، ولو انقضت عدتها .

وكذلك تعتمد أطول المدتين ، مراعاة لميراثها ومراعاة لانقطاع علقه منها . والله أعلم .

س ٩ - إذا وردت عدة على عدة ، فهل تدخل إحداها على الأخرى ، أم يلزم إتمام كل واحدة منهما ، أم ماذا ؟  
ج - في هذا تفصيل على مذهب الإمام أحمد ، رحمه الله :  
وصورة ذلك أن تكون المرأة معتدة ثم توطأ في عدتها ، فلا يخلو : إما أن يكون الواطئ فيها صاحب العدة الأولى ، أو يكون غيره .

فإن كان صاحب العدة الأولى ، وكان في الوطء الواقع في العدة ووطء شبهة أو نكاح فاسد ، فإنها تُبتدأ العدة منه ، وتدخل فيها الأولى ، لأن للنسب ملحق في الوطء الأول والآخر . وإن كان الوطء الواقع منه زناً ، أتمت العدة الأولى ، ثم استأنفت عدة الواطئ الثاني ، لاختلاف الوطنين ، لأن الوطء الأول يلحق فيه الولد ، ووطء الزنا لا يلحق ، فوجب تمييز المدتين وعدم تداخلهما .  
وإن كان [ الواطئ ] غير صاحب العدة ، وجب لكل واحد من الأول والآخر عدة مستقلة ، فتتمت للأول ، ثم تمت للثاني . إلا أنه إذا وطئها الثاني ، فإن من وطئه إلى مفارقتها لا تُحتسب من العدة . فإذا فارقتها ثبتت على عدة الأول ، ثم تمت للثاني عدة كاملة ، إلا إن حملت من أحدهما ، وولدت منه فإنها تنقضي عدتها منه ، ثم تكمل عدة الأول .

هذا كله بناء على المذهب وأما على ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية ، وهو أن الموطوءة بشبهة أو زنا أو نكاح فاسد ليس عليها إلا الاستبراء ، فإن الأمر في هذه الصورة واضح ، وهو أنه بعد الوطاء الثاني ، سواء كان من صاحب العدة أو غيره ، تكفى ببقية العدة ، إن تضمنت الاستبراء ، أو تستبرئ براءة معتبرة تبرئ الوطاء الثاني . فعدة الأول لا بد منها ، والوطاء الثاني مطلقاً يكفى فيه باستبراء داخل في عدة الأول ، وإلا فستقل . والله أعلم .

س ١٠ - ما السبب في تنصيف عدة الأمة ؟

وما مستند هذا القول ؟

ج - سببه أنه ورد حديث في « السنن » : عدة الأمة حيضتان . ولكن الحديث فيه كلام لأهل العلم . وإنما مستند الإمام أحمد : أن الصحابة رضوا الله عنهم : عمر ، وعلياً وغيرهما من الصحابة ، حكموا بأن عدتها حيضتان ولم يخالفهم أحد ، وقاسوا ذلك على تنصيف الجلد ، في قوله تعالى :

﴿ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ (١)

وقاسوا عدة الوفاة على عدة الحياة ، وفي عدة الوفاة قول قوي في المذهب : أنها تمتد بأربعة أشهر وعشر ، كالحرة ، لوجود المعنى الذي [ قُدِّرَتْ ] له تلك المدة في حقها مما . والله أعلم .



س ١١ - ما هي عدة المطلقة التي تحيض ؟

ج - من كانت تحيض ، فعدتها ثلاث حيض ، سواء زادت على ثلاثة أشهر أو نقصت ، لا عبرة بالأشهر إلا في حق من لا تحيض أصغر أو إياس .

س ١٢ - إذا طلق زوجته وهو غائب عنها سنين ، فاذا تمتد ؟

ج - تمتد بثلاث حيض من وقت طلاقه ، ولو أنه كل هذه السنين ما واجهها ، باتفاق العلماء . والله أعلم .

س ١٣ - إذا طلق زوجته ، وهي تُرضع ، فبماذا تمتد ؟

ج - لا تمتد بالأشهر بإجماع العلماء ، إنما عدتها ثلاث حيض . ولو طال عليها الوقت ، لو يمكث الدم عنها سنة أو سنتين ، فليس لها عدة إلا بالحيض ثلاث مرات بعد الطلاق .

س ١٤ - ما عدة من ارتفع حيضها من مرض أو رضاع أو غيرها ؟

ج - من ارتفع حيضها من مرض أو رضاع أو غيرها ، ولم تعلم ما رفعه ، فالمذهب : لا تزال في عدة حتى يعود الحيض أو تبلغ سن الإياس ، فتتعد عدة آيسة ، والصحيح القول الآخر الذي اختاره الموفق والشيخ وغيرهما : أنها تنتظر تسعة أشهر احتياطاً للحمل ، ثم تمتد بثلاثة أشهر . لأن القول الأول لا دليل عليه ، وفيه ضرر لا يُوافق أصلاً من أصول الشريعة بوجه .  
( ٣٦٢ - فتاوى )

س ١٥ - إذا قديم المفقود بعد تزوج امرأته ، فهل يلزم الزوج الثاني تطليقها ؟

ج - لا يلزمه تطليقها ، لأن الخيرة في بقائها ورجوعها إلى الزوج الأول ، وهو شبيهه بتصرف الفضولي إذا قدم . إن شاء أبقاها عند الثاني ، وأجاز النكاح من غير حاجة إلى عقد ولا تطليق ، وإن اختار رجوعها فكذلك .

س ١٦ - هل تحل الموطوءة بشبهة أو نكاح فاسد ، لمن له العدة ، ويلحقه نسبه ؟

ج - نعم ، وهو المذهب . وأما كلام بعض الأصحاب المتأخرين في بعض المواضع بخلاف هذا ، فإن لهم كلاماً آخر في جواز ذلك .

وتعليقه أن الولد لاجق به ، والعدة له دون غيره .

س ١٧ - هل يلزم الإحداد في النكاح الفاسد ؟

ج - يلزم ، لأنه جار مجرى الصحيح في كثير من الأحكام ، خصوصاً في الأحكام التي يحتاط لها ، وهذا من باب الاحتياط .

س ١٨ - هل يلزم الورثة بذل المسكن للمتوفى عنها ،

لتمتد فيه ؟

ج - لا يجب عليهم ذلك ، لأن الله قسم تركة الميت

بينهم على قدر حقوقهم ، ولم يجعل فيها شيئاً زائداً ولا موقوفاً ،

فلا يجب على الورثة الإسكان ، ولكن ينبغي لهم ، ويندب

في حقهم ، لأن فيه جبراً لخطاها ، وبراً بميتهم ، واحتساباً  
لحصول السكن المأمور به ، فحيث بذلوه وجب عليها ،  
وحيث لم يبذلوه لم يجب عليها . والله أعلم .

س ١٩ - قولهم في الممتدة : إذا لم تجد كراء المسكن ،  
إلا من مالها ، لم يلزمها أن تقيم فيه . فهل هو وجيه ؟

ج - ظاهر الأدلة [يدل] على هذا القول ، لأن الله خاطب  
الأولياء والورثة أن لا يخرجوها بقوله : ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ  
مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَلَا يُخْرِجَنَّ ﴾ (١)

فدل على أنهم متى بذلوا لها المسكن ولم يخرجوها ، وجب  
عليها السكنى ، وإذا لم يبذلوا ذلك ، فليس عليها أن تكتري  
من مالها ، فعليها السكنى ، لا [تحصيل] المسكن من مالها .  
س ٢٠ - هل يجوز للممتدة أن تخرج لسماع حديث  
أو خطبة ، إذا لم يرها الرجال ؟

ج - لا يجوز لها ذلك ، لأنه لا يجوز لها الخروج إلا  
لحاجة وأمر هي محتاجة له . وهذا بخلاف ما ذكر ، وليس  
لعلّة رؤية الرجال لها ، وإنما نفس الخروج من منزلها هو  
المحذور ، إذا لم يكن ضرورة أو حاجة .

س ٢١ - قولهم في الممتدة : ولها لباس الأبيض ، ولو  
كان حسنا ، هل هو وجيه ؟

---

(١) الطلاق : ١

ج - ليس بوجيه ، فإن الأبيض الحسن كالأخضر والأصفر ، والملة موجودة فيه ، كما هي موجودة في سائر الألوان ، ولم يتعمدنا الشارع بالألون ، وإنما منعها من الزينة حينما كانت ، وهو قول في المذهب اختاره ابن القيم وغيره .

س ٢٢ - هل تستبرأ الآيسة والصغيرة ؟

ج - المذهب معروف ، أنهما يستبران بشهر ، واختيار الشيخ تقي الدين أن الاستبراء إنما يكون حيث شك في اشتغال الرحم ، وأما مع اليقين أن رجما غير مشتغل كالصغيرة التي لم يأت وقت حيضها ، والآيسة ومن ملكها من امرأة أو صبي أو رجل صدوق قد أخبره أنه لم يظأ أو أنه استبرأ ؛ فلا يجب عنده الاستبراء في هذه المواضع لعدم فائدته .  
وقوله أقرب إلى الصواب .

## كتاب : الرضاع

س ١ - هل يجوز رَضاع الطفل الذي فوق السنتين ؟  
ج - لا بأس برضاعه ، لكنه لا يفيد التحريم ، أى  
لا تكون المرأة التي أرضعته بعد الحولين أمًا له من الرضاع ،  
على المذهب .

س ٢ - إذا تزوجت ذات اللبن بزواج آخر ، فمن  
يكون الرضيع ولدا له من الزوجين : الأول ، أم الثانى ؟

ج - إذا لم يَطأها الزوج الثانى ، أو وطئها ولكن  
اللبن لم يزد ، فالرضيع ولد للأول ، وكذلك إذا زاد فى غير  
وقته ، فهو للأول ، سواء حملت من الثانى أم لا . وإن  
حملت من الثانى وزاد اللبن فى أوانه ، صار ولدهما جميعًا .

هذا كله إذا لم ينقطع لبن الأول ، فإذا انقطع ثم تاب  
بحملها من الثانى ، فهو لهما ، على المذهب . وعلى الصحيح :  
يكون للثانى . ومتى ولدت ، فاللبن للثانى وحده ، لأن زيادته  
بعد الولادة تدل على أنه لحاجة المولود ، فتمنع المشاركة فيه ،  
وإن استمر حتى ولدت من الثانى فهو لهما .

هذا تفصيل القول فى ذلك .

س ٣ - قولهم : وإن أفسدت نكاح نفسها بعد الدخول ،

لم يرجع عليها بشئ ، هل هو وجيه ؟

ج - اختار الشيخ تقى الدين فى هذه أنه يرجع عليها بالمهر ، لأن خروج البضع من الزوج يتقوم . وهو الصحيح الموافق للأدلة ، كما يرجع عليها إذا حصل التفرير منها بعيب من الميوب ، بل هذا أولى .

### باب : النفقات

س ١ - قولهم : ولها الكسوة كل عام ، هل هو وجيه ؟  
ج - الصواب أن الكسوة تابعة لحاجتها إليها وللعرف ، ففى كانت الكسوة باقية ، لم يلزمه شىء ولو بمد عام ، ومتى بليت وجبت ولو قبل أن ينقضى العام . وهو أحد القولين للأصحاب ، وهو الصحيح . وهذا القول رجحه الشيخ الموفق فى « المغنى » . وكذا ذكر الأصحاب وجهاً : أنها إذا قبضت الكسوة ، ومات الزوج أو ماتت : أنها تملكها ، ولا يرجع عليها بشىء منها . وهو المختار .

س ٢ - قولهم : إذا غاب الزوج ولم يدع لها نفقة ، وتمنر أخذها من ماله ، واستدانتها عليه ، فلها الفسخ .  
فما معنى الاستدانة ؟ وهل هذا وجيه ؟

ج - معنى الاستدانة : أخذ الدين من الغير ، على أن الوفاء يكون من مال الزوج . ومعنى هذا أن المستدين سواء كانت هى التى باشرت ، أو وليها الخاص أو العام ، أو ولي الزوج : لا يلزمه وفاء الدين ، وإنما يؤطن صاحب الدين نفسه على أن

القضاء لا يلزم إلا من مال الزوج . ويدخل في الاستدانة الاقتراض ، وشراء طعام وكسوة [ ونحوهما ] ، بشمن يكون ديناً على الزوج ، وشراء عَرْضٍ بشمن مؤجَّل يكون قضاؤه من مال الزوج . كل هذا يدخل في الاستدانة .

وأما قولكم : هل هو وجيه ؟ فنعم ، هو وجيه ، لأن الزوج هو المقصّر بما وجب عليه ، حيث لم يدع لها شيئاً تُنفق منه ، وهي ممدورة لعدم الوجود والتّوجيد ، فلا نجد من ماله ما تنفق ، ولا تتمكن من إيجاد ذلك بالاستدانة ، فكانت بذلك ممدورة . أما التي فيها الخلاف القويّ ، فهي التي يعسر زوجها بالنفقة . والله أعلم .

س ٣ - إذا سقط حقّ زوجته عشر سنين ، ثم أرادت الرجوع إليه ، فاعتذر بأنه لا يتحمّل امرأتين ، وقصدها تمجيّزه . فما الحكم ؟

ج - لا يسقط حق المرأة إذا رجعت إلى بيت زوجها وطاعته ، ولو [ أسقطه ] الزوج لم [ يسقط ] ، فهو يُجبر على ضمّها بإحسان أو تمريحها بإحسان ، وعصيانها السابق لا يسقط حقّها إذا عادت إلى طاعته .

س ٤ - إذا أنفق على البائنة يظنّها حاملة ، فبانت حائلاً ، فهل يرجع عليها ؟

ج - نعم يرجع عليها ، وعِلّته ظاهرة ، لأنه أنفق بحسب وجوبه عليه ، فتبيّن بخلافه ، كما ترجع عليه بمكسها .

س ٥ — هل نفقة الحامل للحمل ، أو لها من أجله ؟  
ج — فيه قولان ، المذهب : أنها تجب للحمل ، لا لها من  
أجله ، لأنها تجب بوجود الحمل ، وتسقط بمدمه ، وتجب  
حتى للناشئز . فلو كانت لها من أجله ، لم تجب للناشئز .  
ومأخذ الاختلاف أنه لما كانت نفس النفقة الجارية على  
الحامل لها بنفسها قوتاً وكسوة مثلها ومسكن مثلها ، ولا  
يجب عليها المشاركة في النفقة ، بل هي على من تلزمه مؤنة  
ما في بطنها . وهي من غرائب العلم ، إذ الأصل أن جميع الأمور  
للمشاركة : على كل واحد من المشتركين القيام بمقدار حقه ،  
والمشاركة في تحصيل المصالح ، ودفع المضار .

وهذه المرأة مضطرة إلى النفقة ، ونفقتها على نفسها ، لأنها  
ليست في حباله ، بل بائن عنه ، والذي في بطنها نفقته على  
وليّه ، والحال مضطرة من جهتها [ وجهة ] ما في بطنها إلى  
إبصال النفقة إلى المرأة ، لتحميا فيتغذى ما في بطنها .

ومع ذلك وجبت النفقة كلها نفقة زوجته على الولي له .  
وكنت وقت كتابتي لهذه الأسطر مستغرباً لها ولعلتها ،  
فقدح في ذهني مناسبة لا تبعد أنها هي الحكمة في ذلك ،  
وهي : وإن كان الأصل التشارك في النفقة لأجل بقاء الحياتين ،  
ولكن نفقته على ما في بطنها واجبة على وجه الانفراد ، وحملها  
للولد في بطنها والمشقة الناشئة عن ذلك [ أو جباً ] أن تكون



كالأجرة لها وجب خاظرها ، وأن لا يكون عليها فيها شيء .  
وهذا من تمام الحكمة والرحمة والمدل . والله أعلم .  
س ٦ - إذا تزوجته عالة بمسرتة ، أو رضيت بها ،  
فهل لها الفسخ ؟

ج - المذهب فيها معروف ، وهو أنها تملك الفسخ ، وهو  
ضعيف جداً ، لا دليل عليه . بل الأدلة الشرعية والعملية تدل  
على أنها لا تملك الفسخ ، حيث تزوجته عالة بمسرتة ، أو رضيت  
بها بمد ذلك . بل لو لم ترض بمسرتة إذا أعسر بمد المقدم ،  
فإنها على الصحيح لا تملك ذلك ، ولهذا قال تعالى :

﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ ،

وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ﴾<sup>(١)</sup>

ولم يثبت لها الفسخ ، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم  
لم يثبت لها الفسخ . وإنما يثبت لها الفسخ إذا امتنع من  
الإنفاق وهو قادر عليه ، أو تزوجها وهو قد أظهر لها أنه  
غني ، فتبين فقره ، وغررها بذلك .

وكما أن هذا مقتضى النصوص الشرعية ، فإنه عمل  
الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، يُعسرون ويفتقرون ، ولا  
تطلب نساؤهم الفسخ ، ولا تُمكن من ذلك لو طلبت .

س ٧ - هل يشترط في نفقة القريب أن يكون وارثاً له ؟

(١) الطلاق : ٧ .

ج - لا بد في وجوب نفقة الأقارب من شرطين: غنى المنفق ،  
وفقر المنفق عليه . وفي عمود النسب لا يشترط غيرها .  
وأما في الحوائى فيُشترط أن يكون وارثاً بفرض أو  
تعصيب ، واختار الشيخ تقي الدين أن الإرث ليس بشرط  
مطلقاً ، وأن الشرط إنما هو غنى المنفق وفقر المنفق عليه ،  
وكونه من الأقارب لوجوب صلتهم ، وتحريم قطيعتهم . ومن  
المعلوم أن من قطع النفقة لم يبرأ ولم يصل . والله أعلم .  
س ٨ - هل يشترط لوجوب النفقة اتفاق الدين ؟

ج - المذهب : الاشتراط مطلقاً . والرواية الثانية :  
عدم الاشتراط مطلقاً . والثالث - وهو الصحيح - : أن الأصول  
والفروع تجب نفقتهم وإن تباينت أديانهم ، وهو الصحيح  
إن شاء الله تعالى .

س ٩ - هل تُجبر الزوجة على إرضاع ولدها بلا ضرورة ؟  
ج - المذهب معروف ، أنها لا تُجبر ، والصواب الإيجاب  
في الموضع الذي جرت العادة بإرضاع الأمهات لأولادهن ، كما  
هو العادة في وقت السلف ، وكما هو العادة المعروفة الآن .  
وجميع الحقوق الواقعة بين الزوجين راجعة إلى العرف والعادة ،  
فمن أراد الخروج عن العرف في شيء مما يكون بين الزوجين ،  
وأراد الآخر العمل والرجوع إلى العرف ، كان الصواب  
الرجوع إلى العرف ، كما أراد الله ورسوله . فمن ذلك

الرّضاع ، ينزل على هذا الأصل الشرعيّ ، وكما أنه الشرع ، فهو الذي يستحسنه الناس ، ويستقبحون ضيّده . والله أعلم .

س ١٠ — إذا كان سبب الحقّ ظاهرًا ؛ جاز لمن هو له أن يأخذ قدرَ حقّه ممن هو عليه ، إلا إن كان سببه خفيًا ، فما مثال ذلك ؟

ج — مثال الظاهر : مثل المرأة تأخذ من مال زوجها نفقتها ونفقة أولادها إذا كان الزوج مقصّرًا فيها ، ولو لم يعلم . ومثل أخذ الضيف إذا امتنع من ضيافته من مال من أضافه ، ولو لم يعلم . هذا الحقّ ظاهر . وأما الخفيّ : فمثل من له طالب على إنسان من دين ، وامتنع من الوفاء ، فليس لصاحب الدين أن يأخذ من مال المدين ، لحديث : « وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ » ، لأن السبب خفيّ ، وذلك يجرّ إلى مفسدة .

س ١١ — هل تجب نفقة الرقيق : الآبق ، والناشز ؟

ج — مُراد الأصحاب ، رحمهم الله ، في قولهم : [ إنه ] تجب نفقه الرقيق الآبق والناشز ، أنه لو رده أحدٌ من إباةه وأنفق عليه ، فإنه يرجع على سيّده ، لوجوب النفقة عليه . ولا يمكن أن يُجمل مثل الزوجة التي تسقط نفقتها بنشوزها ، لأنه لا مال له ولا ملك ، وكذلك الرقيق إذا نشز ، بأن عصى سيّده ، فإن وجوب نفقته باقية ، ولا تسقط بمصيانه ، ولا يكون عصيانه لسَيِّده مستقطًا لنفقته . وعرفه مرادم

يظهر المعنى ، وإلا فبمجرد مرور العبارة على الإنسان يستغرب من ذلك . والله أعلم .

س ١٢ - هل للرقيق أن يتسرى ؟

ج - فيها قولان مشهوران ، هما روايتان عن الإمام أحمد : المذهب منهما والصحيح : أنه ليس له ذلك .

وروجه ذلك أن الله تعالى لم يُبيح للإنسان إلا زوجته أو ما ملكت يمينه ، وهذا العبد المأذون له في التسرى ليس زوجاً ولا مالكاً . أما كونه ليس بزواج ، فظاهر .

وأما كونه ليس بمالك لها ، فلأن الرقيق لا يملك شيئاً . وإن ملك ، فليسئده ، فلا يزول ملك السيد عن الجارية بالإذن له في التسرى ، بل لو قال لعبده : هي لك ملك لك ، لم يملكها العبد بهذا ، ولا يجزئ له وطؤها .

ومذا هو الحق الذي لا ريب فيه وأما تزويجه إياها ، فهذا هو الذي يجوز ويجزئ . والله أعلم .

س ١٣ - ما الذي يدخل في قولنا : من أدى عن غيره واجباً عليه ، رجع عليه ؟

ج - مثل إنسان يطلب من إنسان ديناً ، فتوفي من مالك ، نأويك الرجوع على من قضيته عنه ، فلك الرجوع عليه بما قضيته عنه . ومثل أن تُنفق على أهله وبهأعه ، لغنيته ، وتنوى الرجوع عليه ، فلك أن ترجع عليه بالنفقة الآن . هذا واجب عليه ، وأنت قد أدّيت عنه واجباً . والله أعلم .

س ١٤ - إذا كان الوالد يكسو ولده ، ويُنفق عليه ، ثم مات الولد وعنده شيء من النفقة والكسوة ، فهل يكون [ تركة ] ، أو يرجع للوالد ؟

ج - هذه المسألة ترجع إلى العرف ، كما أن أصل النفقة والكسوة يُعتبر [فيهما] العرف ، فالنفقة الماضية قبل الموت ، والثياب التي قد لبسها الولد ، لا ترجع للوالد .

وأما الثياب التي لم يلبسها ، والنفقة التي لم يستعملها ، فإنها باقية في ملك الأب ، لأن الأب إنما يدفع ذلك لولده على وجه القيام بالواجب ، لا على وجه الهبة والمطية ، ولا يجب عليه نفقة ولده إلا ما دام حيًا ، فإذا مات وقد بقي عنده من النفقة شيء ، رجعت للأب . والله أعلم .

س ١٥ - ما رأيكم في قول الأصحاب ، رحمهم الله ، في نفقة الزوجة : ولا يُعتاض عن النفقة الماضية بربوي ، كأن عوّضها عن الخبز بمحنة أو دقيقتها ، فلا يصح ولو تراضيا عليه ، لأنه ربا ؟

ج - فيه نظر . لأن هذا ليس بمعاوضة حقيقية ، فإن الشارع لم يعتبر الواجب بأكثر من الكفاية ، فأى شيء حصصت الكفاية به ، كان ذلك هو الواجب .

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لهند بنت عتبة : « خُذِي ما يكفينكِ وولداكِ بالمعروفِ » ؛ فقدّر ذلك بالكفاية .

وإنما صيرَ إلى إيجاب الخبز عند الاختلاف لترجُّحه ؛ بكونه القوت المعتاد ؛ فالأصل : أن الواجب لزوجه ما يكفيها ؛ فأى شيء كفأها ، من خبز ، أو تمر ، أو زبيب ، أو شعير ؛ أو ذرة ، مما يُنفق ويُوافق العرف ، كان هذا هو الواجب وقت الوفاء . وهذه ليست في الحقيقة عوضاً في شيء معين مستقرّ في الذمّة .

### باب : الحضانة

س ١ — هل تسقط حضانة الفاسق ؟

ج — حضانة الفاسق ، وولايته لأولاده لمالهم ولأنكحهم ، وإمامته الجميع : المشهور فيها [ أنه ] تسقط ولايته بالفسق ، ولا تصحّ إمامته . وهو قول في غاية الضعف ، مناقض للأدلة الشرعية ، والعمل المستمر . والصواب فيها جميعها بقاؤه على ولايته لأولاده ، مآلاً ونكاحاً وحضانة ، [ وأنه ] تصحّ إمامته . وشفقة الأب ولو فاسقاً على أولاده ، وحميئته عليهم ، لا يُشابهه فيها أحد ، وهي المقصود بالولاية والحضانة . والله أعلم .

س ٢ — هل للرقيق والمبعض حضانة ؟

ج — على المذهب : لا حضانة له . وقال ابن القيم : اشتراط الحرية في الحضانة قول لا دليل عليه ، وهو . كذلك ، فإن رافة الأم ولو رقيقة ، لا تشبهها رافة أحد ، والحضانة لا تشغلها عن خدمة سيدها ، بل تتمكّن من القيام بالحقّين . والله أعلم .

س ٣ - قولهم : ولا حضانة لمتزوجة بأجنبي من  
محضون ، فما الفرق بينه وبين القريب ؟

ج - إذا تزوجت بقريب من المحضون ، ولم يمنع من  
حضانتها ، فحقتها ثابت لعدم ما يسقطه .

وأما الأجنبي ، فلأنها إذا تزوجت واجتمع مع شغلها  
بالزواج ، [عدم] شفقة الأجنبي عليه غالباً ، أنه مظنة لتضييع  
بعض مصالح المحضون . فهذا ما يمكن أن يُعمَل به .

س ٤ - إذا تزوجت بأجنبي ، فهل لها حضانة ؟

ج - المذهب : لا ، والصحيح أنه إذا رضی فحقتها باقٍ ،  
لأن سقوط حقتها لأجل قيامها بحقه ، فإذا رضی ببقائها على  
حقتها ، فهي باقية . وهذا قياس المذهب في جميع الحقوق .

س ٥ - من أحق بحضانة الأنثى بعد تمام سبع سنين ؟

ج - المشهور من المذهب : أنها لأبيها ،  
والرواية الثانية : أنها لأمها .

وهذان القولان : مع قيام كل منهما بما يجب ويلزم .

فأما إذا أهمل أحدهما ما يجب عليه من حضانة ولده ،  
وأهمله عما يُصلحه ، فإن ولايته تسقط ، ويتعين الآخر .

والذي أرى في ترجيح أحد القولين : أنه ينظر للمصلحة  
الراجعة . فن كانت المصلحة في حقّ الصبي بقاؤه عنده ، رجح ،  
لأن هذا الباب منظور فيه إلى مصلحة المحضون ، حتى قال

الفقهاء : لا يقرُّ المحضون بيد من لا يصونه ويُصلِّحه . وقدّموا من قدّموا مراعاة المصلحة . وبهذا الأصل يتضح ترتيب الفقهاء في الأحقّ بالحضانة ، ومن هو أولى : أن هذا كله حيث كان للمحضون مصلحة في تقديم المتقدم منهم ، ومن ترك منهم ما يلزم سقط حقه .

وأما أيُّ القولين أصحُّ في الترتيب ، هل هم قرابة الأم ، أو قرابة الأب ؟ فشيخ الإسلام وابن القيم يقدمان قرابة الأب ، لأنهم هم القرابة المقدمون في كثير من الأحكام . والمذهب تقديم قرابة الأم . والله أعلم بالصواب من القولين ، فإنني لم أعرف الراجح منهما . والله أعلم .

س ٦ - قول الأصحاب : إذا اختار أمّه ، كان عندها إيلا فقط ، فهل هو وجيه ؟

ج - قد عللوا ذلك بأن للنهار محلّ التربية ، والذي يقوم بها الأب ، فتعين أنه للأب ، ولو اختار أمّه مراعاة المصلحة ، فلو كان الأب لا يقوم بمصلحته ، ويُهمله ، بقى عند أمّه إيلا ونهارًا ، إذا كانت قائمة بذلك ، غير مهملة وقته .

س ٧ - هل تلزم الحضانة من استوجرت للرضاع ؟

ج - لا تلزمها ، كما قال الأصحاب ، بلا شرط ، فإن شرطت حضانتها للطفل ، أو كان العرف جاريًا بذلك ، فهو كالشرط . والله أعلم .



## كتاب : الجنایات

س ١ - مَثَلُ الْأَصْحَابِ الْقَتْلِ الْعَمْدِ : أَنْ يَضْرِبَ بِهِ  
بِهَا فَوْقَ عَمُودِ الْفُسْطَاطِ ، فَمَا مَرَادُهُ ؟

ج - مَرَادُهُ بِذَلِكَ : التَّمْثِيلُ ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا فِي حَدِّ الْعَمْدِ :  
أَنْ يَقْتُلَهُ بِجُنَايَةِ تَقْتُلُ خَالِبًا ، وَمَثَلُوا بِذَلِكَ ، وَالْمَثَلُ لَا يُفِيدُ  
الْحَصْرَ وَالِاقْتِصَارَ عَلَيْهِ ، بَلْ كُلُّ مَا دَخَلَ فِي الْحَدِّ الْجَامِعِ ،  
فَهُوَ نَظِيرُهُ . فَاعْرِفْ هَذَا .

س ٢ - هَلْ لِلْقَاتِلِ عَمْدًا تَوْبَةً ؟

ج - دَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ عَلَى أَنَّ كُلَّ  
ذَنْبٍ مَهْمَا كَانَ ، كُفْرًا أَوْ قَتْلًا أَوْ زِنَا أَوْ غَيْرَهَا ، وَلَوْ تَكَرَّرَ  
الذُّنُوبُ ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ مَقْبُولَةٌ ، وَلَا يَسْتَثْنَى مِنْ هَذَا شَيْءٌ ،  
وَالنُّصُوصُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى هَذَا أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُحْصَى .  
وَأَمَّا مَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ ، أَنَّ تَوْبَةَ الْقَاتِلِ لَا تُقْبَلُ ،  
فَهَذَا - مَعَ مَخَالَفَتِهِ لِلْأَدْلَةِ السَّابِقَةِ - مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُمْ أَرَادُوا  
أَنَّهُ إِذَا تَابَ الْقَاتِلُ ، أَنَّ حَقَّ الْمَقْتُولِ لَا يُضَيِّعُ فِي الْآخِرَةِ ،  
بَلْ لَا بَدَّ أَنْ يَمُوتَ بِهِ اللَّهُ عَنْهُ . وَهَذَا مُسَلَّمٌ ، لَا شَكَّ فِيهِ . فَإِذَا  
تَابَ الْقَاتِلُ تَوْبَةً نَصُوحًا ، بِجَامِعَةِ لَشُرُوطِهَا ، فَتَوْبَتُهُ مَقْبُولَةٌ ،  
وَذَنْبُهُ مَبْقُوطٌ .

وَمِنْ تَعَامُّ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَمُوتَ لِلْمَقْتُولِ فِي الْآخِرَةِ ،  
مِنْ جُودِهِ وَكِرَمِهِ ، عَنْ مَصِيبَةِ قَتْلِهِ ، وَلَا يُضَيِّعُ مِنْ ذَلِكَ  
( ٢٧٢ - فتاوى )

شيئاً، مع مغفرته للقاتل . وفصة الذي قتل تسمية وتسمين نفساً  
بغير حق ، وكَمَل المائة بالمايد ، في « الصحيحين » ،  
وهي صريحة في قبول التوبة ، وقوله تعالى :  
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ (١) .

أى للتائبين من أى ذنب كان . وكم آية وحديث  
[ يدلان ] على ذلك . فن فهم أن قول ابن عباس - إن صح -  
أنه لا تُقبل لقاتل توبة ، أنه لا يعفى عنه إثم قتله :  
فقد فهم غلطاً فاحشاً .

س ٣ - إذا رمى كافراً معصوماً ، أو بهيمة محترمة ،  
فأصاب مسلماً ، لم يقصده ، فهل يكون عمداً أو خطأ ؟  
ج - هذا ، وإن كان لا يجوز له ذلك الفعل [ لمصمة ]  
المقتول ، فإذا ثبت أنه نوى بقتله كافراً ولو معصوماً ، فأصاب  
مسلماً ، فهو خطأ . ومن باب أولى إذا قصد برميهِ بهيمة  
لا يجِلّ له رميها فأصاب مسلماً ، فكل هذا من قسم الخطأ .  
س ٤ - إذا أكره مكلف عالم بتحريم القتل على القتل ،  
فهل عليه قود ؟

ج - نعم ، عليه القود ، فإن الإكراه على قتل المعصوم  
لا يُبيح له ذلك ، فلا يُباح له إحياء نفسه بقتل غيره ، فبقى  
على الأصل : يجب عليه القود . بخلاف الإكراه على التسكّم

بالكفر ، وقلبه مطمئن بالإيمان ، فإنه يُباح له ، لأنه حقّ لله فقط ، ومبنى حقوق الله على المسامحة . وأما القتل ، فحقّ الآدمي ، يُوجب القصاص ، ولا يجزئ بلا إكراه عليه .

س ٥ - إذا اشترك في القتل اثنان ، لا يجب القود على أحدهما ، فما حكم الآخر ؟

ج - قد ذكر الأضحاب صورًا ممتددة ، وأن الآخر حيث اجتمعت فيه الشروط ، فإن عليه القود ، وإن سقط القود عن الآخر لمانع ، وذلك مثل إذا شارك الأب غيره ، أو شارك القنّ حرّ في قتل القن ، أو شارك المسلم الكافر في قتل كافر ، أو شارك غير المكفّ المكفّ في قتل أي مكف ، وسبع أو مقتول شارك قاتله - فكل هذه الصور القود على شريك الأب ، وشريك الحرّ ، وشريك المسلم ، وشريك غير المكف ، وشريك السبع . والله أعلم .

س ٦ - عن فرق بين أشياء متشابهة في الجنائيات وغيرها .

ج ١ - وإن نكح من أباها في عِدتها ، ثم طلقها قبل الدخول ، بَنَتْ على المدة الأولى .

وإن راجعها في المدة ، ثم طلقها قبل الدخول ، استأنفت .

٢ - وإن قالت : انقضت عِدتي ، فقال : كنت راجعتك قبل انقضائها ، فقولها . وإن ابتدأ فقال : كنت راجعتك قبل انقضائها ، وقالت : بل انقضت قبل رجعتك ، فقوله ، على المذهب ، وعلى الرواية الصحيحة : قولها .

٣ - إذا اشترك في القتل اثنان لا يجب القود على أحدهما .  
فإن كان القصور في السبب كالعائد مع المخطئ ونحوه ،  
لم يجب القود على الآخر .

وإن كان السبب تاماً ، لكن قام بالشريك مانع ، من  
أبوة ونحوها ، وجب القود على الآخر .

٤ - إذا كان مستحق القصاص صغيراً أو مجنوناً ، حبس  
الجاني إلى بلوغه [أو] إفاقة ، فإن احتاجا إلى نفقة ، فَلَوْلِيَّ  
المجنون : العفو إلى الدية ، لا ولي الصغير .

٥ - ينزل الوكيل بعزله ، ولو لم يعلم ، على المذهب ،  
إلا في القصاص .

٦ - سرية الجناية مضمونة ، ما لم يقتصر قبل البرء ،  
وسرية القود مهدورة .

٧ - من سرق تمراً أو كسراً أو جواراً أو ماشية من غير  
حرز ، أضعفت عليه القيمة ، دون غيرها ، على المذهب .  
والصواب : استواء الجميع ، لوجود العلة .

٧ - هل تجب على الصغير والمجنون كفارة القتل؟  
ج - نعم ، كما قال الأصحاب ، رحمهم الله ، للعمومات .  
وليس المراد بالكفارة أنها تكفر ذنباً ، فإنها تجب على  
المخطئ ، وهو لا إثم عليه ، بل هي بمنزلة وجوب ما يجب  
في أموالهما . والله أعلم .

## باب : استيفاء القصاص

س ١ - هل يقوم الوليُّ مقام الصغير والمجنون في استيفاء القصاص ؟

ج - المذهب : أنه ينتظر في القصاص بلوغ الصبي ، وإفاقة المجنون ، وأن الولي لا يقوم مقامهما في استيفاء القصاص ، إلا أنهم قالوا : إن المجنون إذا احتاج إلى نفقة ، فلوائيه العفو إلى الدية ، في هذه الحال ، لأنه لا يرجى له إفاقة ، بخلاف الصغير .

والقول الآخر في المذهب : أنه يقوم مقامه في استيفاء القصاص ، كما يقوم مقامه في جميع التصرفات وما ينوبه مما له وعليه ، وهو الأقرب إلى الصواب ، وأطرّد للقاعدة ، ولما يترتب عليه من فوات وتفويت أو [غيرها] . والله أعلم .

س ٢ - هل يجب استيفاء القصاص في النفس ، أن يكون بالسيف ؟

ج - نعم ، يجب ذلك ، على المذهب مطلقاً . والصحيح التفصيل ، وأنه إن قتلته بتحريق ، أو إلقاء من شاهق ، أو رضّ رأس ، أو تقطيع أو نحوها : أنه يفعل به كما فعل ، كما رضّ النبي صلى الله عليه وسلم رأس اليهودي برضّه رأس الجارية ، ولأنه هو العدل ، والقصاص الواجب ، وإلا قتل بالسيف . وهذا رواية عن الإمام أحمد ، اختارها شيخ الإسلام .

## باب : العفو عن القصاص

س ١ - إذا عفا من الجاني وأطلق ، فما الواجب ؟  
ج - إذا عفا مطلقاً ، فلم يُقَل : عفوت على قصاص ،  
ولا دية ، فله الدية ، لأن إطلاق العفو ينصرف إلى  
القصاص ، لأنه المطلوب الأعظم .

س ٢ - إذا هلك الجاني ولا مال له ، فعلى من تجب الدية ؟  
ج - إذا كانت الجناية خطأ أو شبه عمد ، فإنها على  
عاقلة الجاني ، هلك أو بقي . وإن كان عمداً عدواناً ولم يخلف  
تركة ، فهي من جملة الديون التي تتلف بتلف محلها . والله أعلم .  
س ٣ - إذا عفا على غير مال ، فهل تضمن السراية ؟  
ج - لا ضمان في السراية في هذه المسألة ، لأن الجناية قد  
عفى عنها ، فعفى عما ترتب عليها ، بخلاف ما لو عفا على مال ،  
فإنه لم يرض إلا بالتعويض ، فيجب التعويض عن السراية ،  
كما وجب التعويض عن أصل الجناية . والله أعلم .

## باب : ما يوجب القصاص فيما دون النفس

س ١ - هل الأمن من الحيف شرط لوجوب القصاص  
أو لاستيفائه ؟

ج - ذكر الفقهاء ، رحمهم الله ، أنه شرط للاستيفاء  
لا للوجوب ، والفرق بين الأمرين أنه إذا تمت شروط وجوب  
القصاص التي هي تسكين القاتل ، وعصمة المقتول ، والكفاة

بينهما بالدين والحُرِّيَّة والرُّقَّ وعدم الولادة من القاتل ، فإنه يجب على القاتل القَوَد . ولكن قد يجب الامتناع من القود لموجب ، مثل أن يكون الجاني امرأة في بطنها ولد ، فإنه لا يجعل قتلها ، مع وجوب القصاص عليها ، حتى تضع الولد ، وتسقيه ما يعيش به .

س ٢ - إذا اتفقا على أخذ عيّن بيسار : أو بالعكس ، فما المانع ؟ وهل الحقّ لهما ؟

ج - ينبغى أن تعرف أصلاً تبتين فيه هذه المسألة وغيرها ، وهو أن الحقوق الجارية بين الناس نومان : حقّ محض للآدمي ، كالتصرّفات المالية ، والحقوق المالية . فهذا النوع يرجع إلى رضا المتصرّفين ، ومن [ بينه ] حق من الحقوق . ولهذا لو بذل الإنسان الرشيد جميع ماله ؛ أو أسقط كل حقّ له ماليّ ، لم يمنع ، إلا إذا تضمن ظمناً للغير ، كغريمه ونحوه . والنوع الثاني : حقوق الله ، وفيها أيضاً حقّ للآدمي ، فهذا النوع : الناس مقيّدون فيه بالقيود الشرعية ، والحدود التي لا يجعل مَجَاوِزَتها . والسؤال المذكور من هذا النوع . رأيت لو أن الجاني رضى بأن تُؤخذ العين باليد ، والرجل باليد ، ورضى الآخر ، فإنه لا يجوز ذلك . وكذلك لو كانت الجناية خطأً أو شبهةً عند ، ورضى الجاني أن تؤخذ نفسه أو بعض أطرافه عن الدية ، هل يسوغ ذلك ؟

بل لو قال [لإنسان] : اقتلني أو اجرحني ، هل يحل ذلك ؟  
فكذلك اليد اليمنى باليد اليسرى ، لأن الله شرط في هذا  
النوع التقصاص ، وهو المماثلة [والمساواة] من كل وجه .  
فهذا جواب السؤال .

س ٣ - ما الفرق بين أخذ أذن السميع بأذن الأصم ،  
دون العين الصحيحة بالقائمة ؟

ج - بينهما فرق ظاهر ، فإن العين الصحيحة إذا أخذت  
بالقائمة ، وهي التي ذهب بصرها مع وجود بياضها وسوادها ،  
فهو ظلم للجاني ، لأن الجاني لم يأخذ إلا نفس الحدقة ، ويراد  
أن يؤخذ منه الحدقة والبصر الذي هو نور العين المفقود في  
العين القائمة . بخلاف نفس الأذن ، فإن أخذ أذن السميع ،  
بأخذ أذن الأصم ، فيه عدل ، [لأنه] أخذت أذن بأذن ،  
والسمع لم يؤخذ ، لأن السمع في الدماغ ، وإنما عضو الأذن  
مجرى له وطريق . وبهذا عدل الفقهاء .  
باب : الديات

س ١ - ما حكم ضمان ما تتلفه السيارات ، أو يتلف  
من جرّائها من نفس أو مال ؟

ج - ينبغي في مثل هذه المسائل وشبهها أن تُبنى على  
الأصول الفقهية ، ليسكون أخذها منها متيسراً . فنقول :  
لا يخلو الإلتلاف المذكور إما أن يكون عمداً ، [و] مثله يقتل



غالبًا ، أو خطأ ، ولا يخلو الخطأ إما أن يحصل بتفريط من السائق والمُدبّر أو تمددًا ، أو لا يخلو : إما أن يكون [إتلافًا] من السيارة وصاحبها ، أو يكون تلفًا بغير إتلاف . أما إذا كان الإتلاف عمدًا عدوانًا ، ومثله يقتل غالبًا ، فإنه يدخل في أحكام القتل العمد الموجب للقصاص أو الدية ، على حسب شروطه المذكورة في كتب الفقه ، وهي معروفة .

وكذلك إتلاف الأطراف والجروح ، كما هو معروف .  
وأما إن كان الإتلاف للنفوس المحترمة خطأ أو عمدًا ، [و] لا يقتل مثله غالبًا ، ففيه الدية .

وهو داخل في كلام الأصحاب الحنابلة ، رحمهم الله .  
وهنا : لا فرق بين إتلاف النفوس والأموال للقتل أو تلف الأموال . وإنما مثلًا الصبيان ونحوهم إذا تعلقوا بها ، فسقطوا منها أو نزلوا اختيارًا ، وتلقوا من شدة جريها ؛ وصاحب السيارة لا يعلم بذلك ، لعلّ الجواب : فلا ضمان .  
وأما إن تعلق صبي أو غيره ، وعلم به صاحب السيارة ، السائق ، أو من له قدرة على منع سير السيارة في تلك الحال ، فأجرهما حتى تلف المتملق ، فإنه وإن لم يكن له تسبب في ابتداء الأمر ، فإنه بعد ما علم وجود ذلك الصبي ونحوه في سيارته ، عليه أن يفعل الأسباب المانعة من تلفه ، فإن لم يفعل ، كان ظالمًا ، وترتب عليه الضمان ، وليس له أن يقول : هو الذي

تعلق بها من نفسه ، فلا ضمان على ، فيقال له : وأنت بمد ما علمت ، يجب عليك أن تسمى له في سبب السلامة ، ويجرم عليك أن تمينه على سبب العطب .<sup>١</sup>

وأما من ركب في السيارة بأجرة أو غيرها ، ثم نزل منها وهي تسير ، فحصل بذلك عطب أو تلف ، فلا ضمان على السائق ، لأنه لم يعلم بنزوله ، وهو الذي جنى على نفسه .

وأما إذا أمره السائق أو غيره بالنزول وهي تسير ، وهو جاهل لا يدري ، ثم نزل ، فإن القائل له قد غرّه ، فعليه ضمانه . فهذه المسائل وما أشبهها ، ينبغى لأهل العلم أن يطبقوها على الكلام الكلي للأصحاب ، وينظروا ما يطابقه وينطبق عليه ، ليتم لهم معرفة مأخذ الصور ، ويسهل عليهم تطبيق الحوادث الجزئيات على النصوص الكليات . ولا [ياخذوا] المسائل مجردة عن الأصل الذي أخذت عنه ، فإن هذا قصور ؛ ولا تكاد الجزئيات في هذه الحال تثبت في الذهن ؛ ولا يزال الإشكال عند طالب العلم قائماً ؛ فإن أهل العلم رحمهم الله ، وجزاهم عن المسلمين خير الجزاء ، قصدوا في كلماتهم المحكمة الكلية أن تحيط بجميع ما يحدث من الجزئيات ؛ ولهذا لا يكاد البصير أن يجد مسألة خارجة عن دخولها في عباراتهم .

نسأل الله أن يفتح علينا وعليكم ، كما فتح على أوليائه .  
فعليك بهذا الأصل النافع ، فإنه يقضى لك حاجات كثيرة .

من ٢ -- إذا وضع حجراً ، أو قشر بطيخ ، في الطريق ،  
فهل يضمن ما تلف به ؟

ج - قد ذكر الأصحاب : أنه إذا وضع شيئاً من  
المذكورات في الطريق ، فإنه يضمن ما تلف .

بل ذكر بعضهم أنه إذا بالت دابته في الطريق ، فزاق  
يَتَبَوَّأُهَا أَحَدٌ ، ضَمِنَهُ . قالوا : لأنه غير مأذون فيه .

والذي أرى في ذلك : التفصيل ، وأن وضع الأحجار  
والأخشاب ونحوها في طريق المارة على وجه التعمد ، فيه  
الضمان . وما جرت به العادة من رمي قشر بطيخ ، أو بول  
الدواب فيه ، ولو كان متصرفاً فيها بركوب أو غيره ، فإن  
هذا النوع لا يُعَدُّ في العرف تعدياً ، فلا ضمان فيه في هذا .  
وهو وجه للأصحاب ، وهذا الذي يراه المسلمون حسناً .

من ٣ - إذا أخذ أحد صبيين الماء كله ، وانفرد به عن الآخر ،  
فمات الآخر من جرّاء ذلك ، فهل في ذلك دية ؟ وهل من تكون ؟

ج - هذا فيه الدية على الماكلة ، سواء كان الآخر متممداً  
أو مخطئاً ، لأن عمد الصبي وخطأه واحد ، ولكن بشرط أن  
يتحققوا أن موت الصبي بسبب أخذ الآخر الماء .

وقد ذكر الأصحاب ، رحمهم الله ، هذه المسألة في عموم  
قولهم في أحد صور القتل : أن يأخذ طعامه أو شرابه ،  
فيموت من الجوع أو العطش . وأما إذا لم يتحقق أن موته

بهذا السبب ، وإنما دلت القرينة فقط ، فلا تجب الدية ، لأن شرط وجوبها تحقق وجود السبب الذي حصل به القتل ، ولكن في هذه الحال لو صار صلح برضا ، ويكف النزاع بين الطرفين ، لكان حسناً . والله أعلم .

س ٤ - - إذا غضب حرًا ، فمات بمرض ، فأى الروايتين أصح : الضمان أو عدمه ؟

ج - إذا كان مرضه بسبب غضبه بانزجاج ، أو رداة بقعة ، أو كون الغضب أثر معه تأثيرًا يُوجب المرض أو موته : فهذا لا شك في ضمانه ، كما نص عليه كثير من الأصحاب ، وإن كان بنير سبب أصلًا ولا تأثير ، فلا ضمان ، لأن الحر لا تثبت عليه اليد .

س ٥ - - إذا طلبت المرأة للحضور منسد الحاكم ، فماتت فزعًا ، أو مات الجنين ، فما الدليل على الضمان ؟

ج - أما الدليل على تضمين الولد ، فلأنه بسببه ، حيث طلبها ، أو استمدى عليها ، فهو وإن لم يكن فعل محرماً ، بل ربما كان أمرًا واجبًا على الحاكم طلبها ، فإنه ترتب على ذلك هلاك الجنين الذي يضمن متلفه بكل حال . ولهذا وجبت الدية في الخطأ ، وإن لم يكن فيه إثم . وأما ضمانها إذا تلفت ، ففيه الخلاف المعروف . والأصح : لا ضمان لأنه تلف بفعل مأذون فيه ، وما ترتب على المأذون غير مضمون .

س ٦ - إذا جرت عادة البدو أو السواويق بتحمل بعضهم ما يصدر من بعض من قتل أو جراح أو إتلافات ، فهل يلزمون بها ؟

ج - أما الالتزامات والعوائد بينهم في ذلك ، فإنها عوائد طيبة حسنة ، ولا تُنافي الشرع ، بل توافقه ، لأنها تعاون على القيام بالمصائب التي تنتابهم . وأما إزام المتنع منهم ، فلا يلزم قهراً ، وإنما يُشار عليه ، ويشجع على المجاورة المذكورة ، من غير تحميم .

وهكذا كل ما كان في معنى ذلك من العوائد التي فيها نفع ، بلا محذور شرعى ، فإنها تجرى هذا المجرى : والله أعلم .

باب : مقادير ديات النفس فما دونها

س ١ - هل الأجناس التي ذكروا أنها أصول في الدية ، كما ذكروا ، أم فيها خلاف ؟

ج - [فيها] خلاف مشهور في المذهب ، وهو رواية قوية عن الإمام أحمد : أن الأصل في الدية الإبل ، والباقي من الأصناف تقويمات لا بأس بالتراضى عليه . فمند طلب الأصل المذكور إذا طلب أحدهما فله ذلك ، وهو قول تكثر الأدلة على ترجيحه . ولو لم يكن . إلا أن جميع الجروح ، وقطع الأعضاء ، وكسر العظام ، مُقدّر بالإبل ، والغرة ، ونحو ذلك . وهو القول الذي ما زلنا نختاره ونقرره . والله أعلم .

س ٢ - ما قولكم في مقدار دية المشركين ؟  
ج - ليس عندي فيها ما يُمارِض ما ذكر الأصحاب ، وأن  
دية المشركين ثمانمائة درم ، للأثر المروى في ذلك . والله أعلم .

س ٣ - هل تُضَفِّف دية السكتابيّ المصوم ؟  
ج - نعم . وهو مبنى على أصل ذكره ابن رجب في  
« القواعد » ، وهو أنه من سقطت عنه العقوبة لموجب ،  
ضوعيف عليه الفرم ، لأن قتل المسلم له في هذه الحال عمدًا  
عدوان ، ولكن لأجل كفر المقتول وإسلام القاتل سقطت  
العقوبة ، وضوعيف الفرم ، كما يُضاعف غرم من سرق من  
غير حرز ، لأنه لا قطع عليه ، فيضمنه بقيمته مرتين . وكما  
يضاعف الفرم على من قلع عينًا من صحيح العينين ، والقلع  
أعور ، فإنه لا يقتص منه ، لأنه يتضمن أخذ جميع بصره ،  
ولكن عليه دية كاملة . ولها نظائر ذكرها في « القواعد » .  
وبهذا الأصل يعرف الجواب عن السؤال .

س ٤ - إذا قلع الأعور عين صحيح عمدًا ، بمائة لعينه -  
أو بالعكس ، فما الواجب ؟

ج - قال الأصحاب : وإذا قلع صحيح عين أعور ، أُقيد  
بشرطه ، وعليه مع ذلك نصف الدية ، وذلك لأنه أذهب عينه  
فيقتص له ، وأذهب جميع البصر ، ففيه دية كاملة ، يسقط  
منها نصفها ، لأنه اقتص عنها . والله أعلم .

## باب : ديات الأعضاء ومنافعها

س ١ - ما الفرق بين قول الفقهاء : إذا قلع سنّه ،  
أو أزال شعره ، ثم عاد على حاله ، سقط ما وجب فيه من  
الدية . وإن كسر ضلعه [ونحوها] ، ثم عاد مستقيماً ، أو أجافه  
ثم برئ ، لم يسقط ما وجب فيه ؟

ج - الفرق بين الأمرين أن الشعر والسنّ في حكم  
المنفصّلات التي لا ثبوت لها ، فإذا أزال الموجود ، ثم عاد  
مثل الأول من غير نقص ، فكأن الجنابة ما كانت ، فيسقط  
موجبها . وأما إذا كسر عظمه ، ثم جبر مستقيماً وعاد كما كان ،  
أو أجافه ثم برئ من جائفتّه ، وعادت صحته كما كانت -  
فإن موجب ذلك من الدية لا يسقط ، لأن الدية لم تجب  
فيه بإذهاب عضو يعود بدله ، وإنما وجبت لأجل اختلاله  
بالكسر ، فإن عاد مستقيماً ، كانت الدية الموجبة فيه في مقابلة  
ذلك الألم عند الكسر وبمده ، وعند الجرح وبمده ، إلى  
تمام الاستقامة والصحة . فلو أسقطنا ذلك ، كان ظمناً للمجنى  
عليه . ولذلك إذا جبر غير مستقيم ، وجب فيه حكومة  
تشتمل على المقدّر وزيادة لنقصه المستمر . فإذا قال لنا قائل :  
فكذلك السنّ [كسرُها] فيه من الألم المقارن للكسر ، وربما  
يمعّب الكسر أيضاً ألم بدنيّ وألم قلبيّ لفقد السنّ ، وكذلك  
الشعر - فهذا الإيراد ، يعكس علينا التعميل الذي ذكرناه ،

وليس لهم عنه جواب ، إلا أن الشعر والسنن [منفصلان] فقط ،  
[وغيرهما] متصل ليس فيه ذهاب شيء . هذا أقصى ما تملأ به .  
ومع هذا ، فهذا التمايل لا يشفي ما في النفس . واستشكالكم  
لهذه الصُّور في محله . والله أعلم .

### باب : العاقلة وما تحمله

س ١ - إذا كان الجاني غنيًا ، فهل يلزمه أن يحمل  
مع العاقلة ؟

ج - المذهب معروف : أنه لا شيء عليه مطلقًا . والقول  
الآخر في المذهب : أنه يحمل مع العاقلة ، لأنهم حملوا بسببه .  
ولا يُناقى هذا أن الشارع جعل الدية على العاقلة ، فإنها من  
باب التحمل ، لأنها في الأصل على المتلف . ولكن لما كانت  
الدية مبلغًا جسيماً ، ناسب أن يكون العصابة المتساعدون يتعاونون  
على حملها ، فلا يُناسب ذلك ألا يُحمّل القاتل ، وهو غني .  
وهذا القول هو الذي نختاره .

س ٢ - قولهم : إذا عرف الجاني من قبيلة ، ولم يعلم  
من أي بطونها ، لم يحملوا عنه . فهل هو صحيح ؟

ج - لما كان حمل العاقل الدية على خلاف الأصل المستقرّ :  
أن المتلفات على من أتلفها ، صار لا يحمل إلا من علم اتصال  
نسبه ، وكيفية قرابته ، فكما أنهم لا يرثون حتى تعلم الجهة  
المقتضية للإرث ، فكذلك لا يعقلون . والله أعلم .



س ٣ - ما قدر ما يحمل كل واحد من العاقلة ؟

ج - ليس لذلك قدر معين ، وإنما عند تمام الحول  
يحمل الحاكم كلا منهم ما يتحمله ، بحسب غناه وعدمه ، وقربه  
وبعده ، إلا إن اتفقوا فيما بينهم على تقدير ، فالأمر راجع  
إليهم . والله أعلم .

### باب : القسامة

س ١ - من ادعى عليه القتل بلا لوث ، فهل يجب  
عليه الحلف ؟

ج - المذهب معروف : أنه لا يحلف ، لأنه في هذه  
الحال لا يقضى عليه بالنكول ، فإنه لا يحلف<sup>(١)</sup> . وفيه قول  
آخر : أنه يحلف ، فإن حلف برئ ، وإن نكل صار نكوله  
مع دعوى المدعى لوثاً يترتب عليه مقتضاه . وهذا مقتضى  
اختيار شيخ الإسلام ، لأن عنده اللوث : كل قرينة يغلب  
[بها] على الظن أنه للقاتل ، ومع نكول المدعى عليه يغلب على  
الظن أنه هو القاتل . والله أعلم .

---

(١) فهم من هذا التعليل أن فرض السؤال فيما إذا كانت الدعوى  
بقتل عمد . وأما إذا كانت بقتل خطأ ، فإن المدعى عليه يحلف ،  
فإن حلف ، وإلا قضى عليه بالدية لنكوله .

## كتاب : الحدود

س ١ - هل للسيد إقامة الحدّ على مكاتبه ؟  
ج - المكاتب يدخل في عموم قوله : والسيد مكلف ،  
عالم به وبشرطه إقامته بجلده ، وبشرطه [ إقامة ] تعزير على  
[ رقيقه ] كله .

وأما القطع في السرقة والقتل ، فلا يُقيمه عليه مطلقاً ،  
وإنما ذلك للإمام .

س ٢ - قولهم : ولا تعتبر الموالاة في الجلد ، هل  
هو صحيح ؟

ج - الصحيح : اعتبار الموالاة ، لأنه يفوت المقصود  
من النكاحية والزجر ، إذا لم تحصل الموالاة . ولأنه لم يُنقل  
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فرّق الحدّ تفريقاً طويلاً  
يفوت الموالاة .  
والله أعلم .

س ٣ - هل يؤخّر الحدّ لمرض أو حرّاً ونحوه ؟  
ج - المذهب معروف : أنه لا يؤخّر لشيء من المذكورات ،  
فإن أمكن إقامته على المهود ، وإلا أُقيم بطرف ثوب ونحوه .  
وبعض الأصحاب يرى أنه يؤخّر ، ليستوفى على الوجه  
الشرعي ، وهذا أولى ، إن شاء الله .

س ٤ - ما رأيكم في ولاية الإمارة ؟

ج - الإمارة كبيرة كانت أو صغيرة من ضرورات الناس ومن الواجبات الشرعية ، لما ترتب عليها من المصالح الكثيرة ، ودفع المفاسد المتنوعة . فيجب على من تولى على الناس أن يتخذ الولاية ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله ، ووسيلة يتوسل بها إلى إقامة الشرع والعدل ، وأن يجتهد في تحقيق هذه النية ، ويخلص لله فيها ، ويستعين بالله على إقامة ما يتعلق بولايته من الواجبات العامة والخاصة .

فبذلك يُعينه الله ، وتهون عليه المشاق المترضة في إقامة العدل . وبذلك تملو درجته عند الله ، ويعلو مقامه عند الخلق . وبذلك يمكنه الله ، ويدفع عنه الأعداء من الحاسدين وغيرهم . ولا تشبهه الموقق بأغلب الناس الذين لا غرض لهم في مثل الولاية ، إمارة أو غيرها ، إلا التراس ، والتوسل إلى المآكل والأطماع الضارة . ومع ذلك فن كانت هذه حاله ، الغالب أن تسكون عاقبته أسوأ العواقب ، وطريقه شر الطريق . فأولى بالعبد أن ينظر إلى واجبه الحاضر ، وإلى ما يقربه إلى مولاه ، وإلى العواقب المتأخرة المترتبة على سلوك طريق العدل ، أو على ضده . نسأل الله تعالى أن لا يكلنا وإياكم إلى أنفسنا طرفة عين ، وأن يمدنا وإياكم بمونه وتوفيقه .

باب : حد الزنا

س ١ - هل حد اللوطي كالزاني ؟

ج - الصواب أن حد اللوطي القتل ، برجم أو غيره ، على كل حال ، وهو إحدى الروايتين عن أحمد ، واختارها شيخ الإسلام ، وفيه آثار عن الصحابة تدلّ على ذلك . والله أعلم .

س ٢ إذا وطئ ما فيه شبهة معتقدا تحريمه ، فهل عليه الحد ؟

ج - قد ذكر الأصحاب ، رحمهم الله ، أن الشبهة مانعة من إقامة الحد ، سواء كانت شبهة عقد أو شبهة اعتقاد ، وأنه لا فرق في سقوط الحد بين المعتقد الحيل أو التحريم ، لكن بشرط أن تقوم شبهة بينة يُدْرَأُ الحدُّ لأجلها .

ولكن تمّ مسائل ذكروها ضعيفة شبيها ، وفيها خلاف . والصحيح أن الاحتمالات البعيدة لا تُعتبر في سقوط الحد ، إذا لم يعتقد الواطئ الحيل . والله أعلم .

س ٣ - إذا أكره الرجل على الزنا ، فهل يجب عليه الحد ؟

ج - الإكراه على الزنا أو شرب الخمر أو السرقة ، ونحو ذلك ، لا حدّ على المكره فيها . وبمض الأصحاب قال : إن الزنا لا يتصور الإكراه عليه ، لأنه إذا انتشرت آتبه فقد اختار ، وليس هذا بصحيح ، فإنه قد يكون قوياً الشهوة ، فيُسكره على الزنا ، وهو لا يختار ، وشدة شهوته توجب له الانتشار ، ولو على الإكراه .

## باب : حد القذف

س ١ - هل قذف المحبوب والرتقاء يوجب الحدَّ والتعزير ؟  
ج - نعم يوجب التعزير . والسبب في ذلك أن القذف إنما أوجب الحدَّ ، لأنه يهتك المقدوف ، ويُرْضنه للظنون المتنوعة ومن كان محبوباً أو رتقاءً ، فالوطء ممتنع منه وعليه . وهكذا يدفع كثيراً من الظنون المتوجهة إليه ، كما لو قذف أهل بلد أو جماعة لا يتصور الزنا منهم عادة ، فعليه التعزير دون الحدَّ . والله أعلم .

س ٢ - هل القذف حقُّ لله أو للآدمي ؟

ج - المذهب أنه حقُّ للآدمي ، يسقط بمفوف المقذوف .  
وقيل : لا يسقط بمفوفه ، لأن فيه حقاً لله تعالى ، ولهذا أمر الله بإقامته ، ولم يشترط رضا المقذوف .

## باب : التعزير

س ١ - إذا ظلم صبيٌّ صبيّاً أو بهيمة ، أو فعل به محرماً ، فهل عليه تعزير ؟ وهل يُعزّره الوالي أو الولي ؟

ج - الصبي إذا فعل محرماً أو تكلم بمحرم يُعزّر تعزيراً يردّعه عن ذلك الفعل ، وليس فيه شيء مقدر ، ولكنه يختلف باختلاف الأفعال المحرّمة وقبحها . والذي يتولّى تعزيره في مثل ذلك الولي [ للأمر ] ، من أمير ونحوه ، لأنه لو ترك الناس يُعزّر بعضهم بعضاً لكثرت الشرّ ، ولم يقفوا على حدٍّ محدود .

وأكثر الناس لا يقف عند المشروع ، فلذلك وجب تفويض هذه الأمور إلى ولي الأمر ليحصل المقصود ، ولينحسب الشر ، وتقل الفتن . والله أعلم .

س ٢ — إذا دخل بيتا فيه امرأة متهمة ، وادعى أن له شغلا ، فهل يقبل منه أو يُعزَّر ؟

ج — لا يُطاع قوله بمجرد ذلك ، بل يُنظر : فإن كان صادقا على وجه مُباح ، بأن كان في البيت محارم له ، فلا شيء عليه . وإن كان على وجه محرّم ، مثل أن يدخل على امرأة أجنبية ، وليس له في البيت محارم ، فهذا عليه الأدب ، وخصوصا إذا كان متهما وهي متهمة ، فيتعين عليهما الأدب .

س ٣ — هل تجوز الزيادة في التعزير على عشرة أسواط ؟

ج — المذهب : لا تجوز الزيادة على العشرة ، إلا في مسألتين إذا وطئ أمة مشتركة بينه وبين غيره ، فيعزَّر بمائة سوط إلا سوطا ، وإذا شرب مسكرا نهار رمضان ، فيعزَّر بعشرين مع الحد ، فيكون عليه مائة : ثمانون للحد ، وعشرون للقطر في رمضان<sup>(١)</sup> . واختار الشيخ تقي الدين مراعاة المصلحة ، [ وأنه ] تجوز الزيادة على العشرة ، حيث لم يحصل الردع إلا بها . والله أعلم .

(١) وهنا موضع ثالث ، وهو وطء أمة امرأته التي أحلتها له ، فيعزَّر بمائة بلا تعزير ، فإن لم [تكن] أحلتها له حد حدا .

س ٤ -- هل يُحَرِّم التعزير بحاق اللحية وأخذ المال ؟  
وما مصرف المال إن أبيع التعزير به ؟

ج - على المذهب كذلك ، وعلى الصحيح فيه تفصيل .  
أما حلق اللحية ، والأمور المحرمة شرعاً ، فلا يحل التعزير  
فيها . وأما التعزير بأخذ المال ونحوه ، إذا كان في ذلك  
مصلحة ، فيجوز بحسب المصلحة . والمال المأخوذ في هذا  
النوع يُصرف للمصالح العامة ، وهو اختيار شيخ الإسلام .

باب : حد السرقة

س ١ - قولهم : من سَقَطت عنه العقوبة لموجب ،  
ضوعف عليه العُرم ، فما مثاله ؟

ج - يدخل في هذا من سرق من غير حرز ، فعملية  
ضمانه بقيمته مرتين ، وإذا قلع الأعور عين الصحيح المماثلة  
لعينه الصحيحة عمداً فلا يقتص منه ، ولكن يلزمه قيمة ذلك  
مرتين ، فيلزمه دية كاملة ، دية عينين .

باب : حكم المرتد

مُناظرة في تكفير الشخص المدين بصدور ما يوجب الكفر عنه .  
قال أحد المذكورين : قد دلّ الكتاب والسنة وإجماع  
المسلمين أن من دعا غير الله تعالى ، ملكاً أو نبياً أو صالحاً أو  
صنماً أو غير ذلك ، أنه كافر بالله مُشرك مُخَلَّد في نار جهنم .

وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة ، لا يمكن إنكاره . فحتى فعله أحد من الناس ، فهو مشرك كافر ، لا فرق بين كونه معانداً أو جاهلاً أو متأولاً أو مقلداً . ولهذا جعل الله في كتابه الكفار كلهم كفاراً ، لم يفرق بين التابع والمتبوع ، ولا بين المماند والجاهل ، بل أخبر أنهم يقولون :

﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ،

وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ (١) .

وهذا أمر لا يشك فيه : أن كثيراً منهم يظن أنه على حق ، كما قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ،

وَهُمْ يَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا .

أَلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ (٢) .

فلم يمنهم تكفيرهم اعتقادهم أن ما فعلوه إحسان . فهكذا من دعا غير الله ، أو استغاث بما لا يقدر عليه إلا الله ، فهو مشرك كافر ، عاند أو لم يُماند ، عرف الدليل ، أو عُرفه ، أو لم يعرف .

وأى فرق بين تكفير جهلة اليهود والنصارى وغيرهم ، وجهلة من يشرك ، ولو انتسب إلى دين الإسلام ؟



بل أى فرق بين تكفير من ينكر البعث ولو جهلاً ،  
وبين من يدعو غير الله ؟

فالكفر كفار ، والرسول قد بلغ البلاغ المبين ، ومن بلغه  
القرآن فقد قامت عليه الحجّة ، سواء فهمها أو لم يفهمها .

قال الآخر : ما ذكرت من دلالة الكتاب والسنة  
والإجماع ، على أن دعاء غير الله والاستغاثة به شرك وكفر  
مُخَلَّدٌ فى النار : فهذا لا شك فيه ، ولا ريب .

وما ذكرته من مساواة جهلة اليهود والنصارى ، وجميع  
الكفار الذين لا يؤمنون بالرسول ولا يُصدّقونه ، بجهلة من  
يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ويمتدّد صدق كلّ ما قاله  
فى كلّ شيء ، ويلتزم طاعته ، ثم يقع منه دعاء لغير الله ، وشرك  
به ، وهو لا يدري ولا يشعر أنه من الشرك ، بل يحسبه  
تعظيماً لذلك المدعوّ ، مأموراً به :

[ ما ] ذكرته من المساواة بين هذا وبين ذلك ،  
فإنه خطأ واضح ، دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة  
والتابعين لهم بإحسان على التفريق بين الأمرين .

فإنه من المعلوم من الدين بالضرورة كُفر جهال اليهود  
والنصارى ، وجميع أصناف الكفار .

وهذا أمر لا يمكن إنكاره .

وأما من كان مؤمناً بالرسول ، ومصداقاً له في كل ما قاله ،  
وملتزماً لدينه ، ثم وقع منه خطأ في الاعتقاد أو القول والعمل ،  
جَمَلاً أو تقليداً أو تأويلاً ، فإن الله يقول :

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (١) .

عُنِيَ له عن أُمَّته الخَطَأُ والنسيان ، وما استُكْرهُوا عليه .  
فالمقالة والاعتقاد وإن كان كُفْراً ، ويقال : من اعتقدهما  
أو عمل بها ، فهو كافر ، لكن قد يقع ويوجد مانع في بعض  
الأشخاص يمنع من تكفيره ، لعدم علمه أنه كفر وشرك ،  
فيوجب لنا التوقف في إطلاق الكفر على عينه - وإن كُنَّا  
لا نشك أن المقالة كفر - لوجود ذلك المانع المذكور .

وعلى هذا عمل الصحابة والتابعين في البدع ، فإن البدع  
التي ظهرت في زمانهم ، كبدعة الخوارج والمعتزلة والقدرية  
ونحوهم ، مشتملة على ردّ النصوص من الكتاب والسنة ،  
وتكذيبها وتحريفها . وذلك كفر .

لكن امتنعوا من تكفيرهم بأعيانهم ، لوجود التأويل ؛  
فلا فرق بين تكذيب الخوارج لنصوص الشفاعة وتكذيبهم  
لنصوص الدالة على إسلام وإيمان أهل الكبائر ، واستحلالهم  
لدماء الصحابة والمسلمين ، وتكذيب المعتزلة بالشفاعة لأهل

الكبائر ، ونفى القدر ، والتعطيل لصفات الله ، وغير ذلك من مقالاتهم ، وبين تأويل من أجاز دُعاء غير الله ، والاستغاثة به . وقد صرح شيخ الإسلام في كثير من كتبه ، كردّه على البكرى والإخنائى وغيرهما ، حين ذكر وقوع مثل هذه الأمور من بعض المشايخ المشار إليهم ، فذكر أنه لا يمكن تكفيرهم ، لغلبة الجهل ، وقلة العلم بآثار الرسالة ، حتى تُبين لهم الحجّة التي يُكفّرُ مُنكرها . وكلامه معروف مشهور .

فأتّضح لنا من ذلك أن من وقعت منه مثل هذه الأمور جهلاً وتقليداً ، أو تأويلاً من غير عناد ، أنه لا يُحْكَم بتكفيره بعينه ، وإن كانت هذه الأمور الواقعة منه كفرًا ، للمانع المذكور .

فقال الأول : أما قوله تعالى :

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (١) .

ورفع الشارع المؤاخذة عن هذه الأمة بالخطأ ، فإنما ذلك في الخطأ في المسائل الفرعية والاجتهادية .

أما أصول الدين ، بل أصل الدين على الإطلاق الذي هو التوحيد ، فالخطأ فيه والعمد ، السكّل على حدّ سواء ، كما ذكرنا في تكفير مقلّدة الكفار .

وأما قولكم : إن هذا مصدق للرسول ، ملتزم لطاعته ، فهو ممنوع ، فكيف يُصدّقه من كان مكذّبا له في وجوب توحيد الله ، ووجوب إفراد الله بالدعاء والاستغاثة وغيرها من أنواع العبادات ؟

وكيف يكون ملتزما لطاعة الرسول من عصاه في أصل الطاعات وأساس الدين ، وهو التوحيد ؟ فجهل يدعو غير الله ويستغيث به ، ناسيا ربّه ، مقبلا بقلبه على المخلوقين ، مُعرضا عن ربّ العالمين ؟

فأين الالتزام ؟ وأين التصديق ؟

وأما الدعوى المجردة ، فإنها غير مقبولة ، حتى يُقام عليها الدليل والبرهان .

وأما تشبيهكم هذا ببِدَع الخوارج والمعتزلة ، إلى آخر ما قلتم ، فما أبعد الفرق بين الأمرين :

بين التوحيد الذي هو أصل دين الرُّسُل وأساس دعوتهم ، وهو الذي جاهد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكاد القرآن من أوله إلى آخره أن يكون في بيان هذا : تأصيلا وتفصيلا وتبيانا وتقريراً ، وبين البِدَع التي ضلّ أهلها ، وأخطأوا في عقائدهم وأعمالهم ، مع توحيدهم وإيمانهم بالله ورسوله .

فالفرق بين الأمرين فرق واضح ، والجامع بينهما غلطى ، لم يهتد إلى الصواب .

فقال الثاني: إن القول بأن الخطأ المذكور في الآية وغيرها من نصوص الشرع، إنما هو الخطأ في الفروع لا في الأصول: قول بلا برهان .

فلم يفرّق الله ورسوله بين مسائل الأصول والفروع في العفو عن هذه الأمة . وما ذكرناه من عدم تكفير السلف لأهل البدع حيث كانوا متأولين، إلا [في] مسائل أصول الدين، خصوصاً من عطل صفات البارئ من المعزلة ونحوهم، فإن التوحيد مداره على إثبات صفات الكمال لله تعالى، وعبادته وحده لا شريك له . فكما امتنعنا من التكفير [للمعين] الذي لم تقوم عليه الحجّة في القسم الأول، إذا أنكر بعض الصفات جهلاً وتأويلاً وتقليداً - فكذلك نمتنع من تكفير من صرف بعض العبادات لبعض المخلوقات جهلاً وتأويلاً وتقليداً . والمانع في هذا كالمانع في هذا، وكلا الأمرين قد أتى به الرسول وبلّغه لأُمَّته، لسكن الضلال من أُمَّته ضلّوا في البابين أو فيهما، وسلكوا ما علم بالضرورة من دينه أنه جاء بإنكاره والنهي عنه، والتحذير لأُمَّته عن هذا المسلك . فمن علم ما جاء به في البابين، وعانده وشاقه من بعد ما تبين له الحق، فهو الكافر حقاً .

ومن كان مؤمناً به ظاهراً وباطناً، ولكنه ضلّ في ذلك، وجهل الحق فيه، فإننا لا نجزم بكفره في هذه الحال، مع وجود هذا المانع، حتى تقوم عليه الحجّة التي يكفر مُعانداها .

وبهذا المعنى امتنعنا : نحن وأنتم ، من إطلاق الكفر على من جرت منه مثل هذه الأمور ، كالصرصرى ونحوه ، ممن فى كلامهم من الاستفائة بالرسول ودعائه ، وطلب الحوائج منه ، لهذه العلة المذكورة .

وهو وأمثاله ممن يدخل فى كلام شيخ الإسلام السابق .  
وأما قولك : إن إنكار البعث ممن أنكروه لا تتوقفون فى تكفيره ، كما كفره الله ورسوله ، من غير تفريق بين المماند وغير المماند ، فنحن نقول : الباب واحد ، ولكن حصل التأويل ، وراج الأمر فى مسائل الصفات والتوحيد على كثير ممن هو مصدق للرسول فى كل شىء ، بخلاف مسألة إنكار البعث ، فإن هذا لا يكاد يوجد . ومع ذلك لو فرض وجوده ممن نشأ فى بلدة بعيدة أو حديث عهد بإسلام ، فإنه يُعرفُ حكمه ، وبعد ذلك يحكم بكفره .

فكل من كان مؤمناً بالله ورسوله ، مصدقاً لهما ، ملتزماً طاعتها ، وأنكر بعض ما جاء به الرسول جهلاً ، أو عدمَ علم أن الرسول جاء به ، فإنه - وإن كان ذلك كفوفاً ، ومن فعله فهو كافر - إلا أن الجهل بما جاء به الرسول يمنع من تكفير ذلك الشخص المبتلى ، من غير فرق بين المسائل الأصولية والفرعية ، لأن الكفر جحد ما جاء به الرسول أو جحد بعضه ، مع العلم بذلك

وبهذا عرفت الفرق بين المقلّدين من الكفار بالرسول ،  
وبين المؤمن الجاحد لبعض ما جاء به جهلاً وضلالاً ،  
لا علماً وعناداً .

س ٢ - ما يجوز للمكره فعله ، فهل الأولى فعله  
أم الصّبر ؟

ج - قد فصل العلماء ، رحمهم الله ، ما يجوز للمكره  
فعله ، وما لا يجوز . أما الأقوال ، فلا أعظم من كلمة  
الكفر ، وقد قال تعالى :

﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾<sup>(١)</sup>

فالإكراه على الأقوال كلها يُجِلُّ للمكره إنجاء نفسه من  
الإكراه بالقتل ونحوه بالتكلم بها ، ولكن لا يترتب عليه  
شيء من أحكامها ، ولذلك إذا طلق أو أعتق ، أو عقد  
أو فسخ عقداً ، فلا حرج عليه ، ولا يصح منه .

وأما الإكراه على الأفعال ، كشرّب الخمر ، والزنا  
ونحوه ، مما ليس فيه قتل ولا قطع طرف ، فكذلك لا حرج  
على المكره فيها .

وأما الإكراه على القتل وقطع الأطراف ونحوها ، فلا  
يبيح ذلك ، ولذلك لا يجوز أن ينجى نفسه بقتله لغيره .

(١) النحل : ١٠٦ .

## كتاب : الأئمة

س ١ - أيُّ المكاسب أولى ؟

ج - اختلف أهل العلم : أي المكاسب الدنيوية أولى وأرجح ؟ فمنهم من فضل الحَرث والزراعة ، ويحتج لهؤلاء بما ورد في الحديث الصحيح :

« مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا ، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا ،  
فِيَا كُلِّ مِنْهُ إِنْسَانٌ أَوْ طَيْرٌ ، إِلَّا كَانَ لَهُ حَسَنَاتٌ . »

فالحَرث من ثمار وزروع يحصل فيها لصاحبها خير كثير ،  
فالحوانات والطيور والحشرات تقتات منها ، وذلك أجرٌ  
لصاحبها ، خصوصًا إذا كان محتسبًا للأجر والثواب .

وأيضًا ، فإن صاحب الثمار والزروع يترتب على غلته من  
الزكاة ، ومن الهدايا والصدقات ، ما لا يوجد في غيرها .

وأيضًا ، فصاحب الزرع مثلاً يكون عنده من التوكل  
على الله ، والطمع في فضله ، وبرجاء الغيث الذي منه  
مادة حيرائه ، ما يُعَدُّ من أعظم المكاسب .

وأيضًا ، فصاحب الحيرائه تتوقف حيرائه على عملة كثيرة  
بحسبها ، وهؤلاء العملة بأسبابه اعتاشوا ، وكلُّ من انتفع  
بسببك في دينه أو دنياه ، فإنك - عند احتساب الأجر -  
مُثاب على ذلك .



وأيضاً ، فَمُعَلُّ الحِرَاثَةِ من حبوب وثمار وخضر وعلف  
وغيرها ، داخل في المنافع العمومية التي تنفع الناس .  
ولا تَسْتَهْوُونَ بذلك ، فمن نوى هذه الأمور كلها حصل  
خيراً كثيراً .

ومنهم من فضل البيع والشراء والتجارة بأقسامها ،  
ويحتج لهم بالحديث المرفوع :  
« أَفْضَلُ الْكَسْبِ عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٌ »  
وقوله صلى الله عليه وسلم في البائع والمشتري :  
« فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا ، بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا » .  
فهذه البركة التي وعدّها التاجر الصدوق تمتاز على غيرها .  
وكذلك الحديث الآخر :  
« يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :

[ أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ ، مَا لَمْ يَنْخُنْ أَحَدُهُمَا ] . . . »  
إلى آخره ، فمعيته للمشارك في التجارة لا يفضلها شيء .  
وقد يُقال : إن الحديث كما يحتج به أهل التجارة ، فإنه  
يحتج به أهل الحِرَاثَةِ وأهل الصناعات كلها ، وهو حُجَّةٌ لكل  
مشاركين في مرادٍ يراد به الكسب والنفع . والله أعلم .  
وأيضاً فالتاجر الذي يبيع ويشترى ، إذا تقيّد بالشرع ،  
حصل خيراً كثيراً ، فإن نفس المعاملة للصحيحة السالمة من  
المعاملات الخبيثة ، يُثَابُ العبد عليها من جهتين : من جهة

تجنُّبه للمكاسب المحرَّمة ، ومباشرته للمكاسب الطَّيِّبة ، ومن جهة ما يحصل له من معاملات الناس من الفضل والإحسان . فإن الله تعالى قال :

﴿ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ (١) .

ومن أعظم ما يدخل في الفضل : كل معاملة فيها مسامحة ومراعاة ومُجَاباة وعدم استقصاء . فالتاجر الموفق إذا أسقط من بعض الثمن ، أو زاد المشتري عما يجب له ، أو أنظر للمسر ، أو يسر على ممسر ، فمستفيد بذلك خيراً كثيراً . وأيضاً فالبيع والشراء فيه من الفوائد أنه تتوسَّع فيه معارف العبد في المعاملات ، ويهتدى إلى طرقها النافعة ، ويختز من طرقها الضارة ، ولهذا أمر الله باختيار اليتامى وتعليمهم المعاملات النافعة . فالتجارة نفسٌ مباشرتها مباشرة للتعليم بالفعل . فكلمة بَيْنَ من هو مستقلٌّ في أموره ، مدير لشؤونه ، لا يزال يترقى ويتنوّر ، ويمتقل من حالة إلى أرق منها ، [ومن] هو مدير خادم لغيره ، أفعاله وحركاته تحت تدبير غيره ، قد جمد ذهنه ، وكلَّ عقله ، ولم يحدث نفسه بالاستقلال بمصالحه ، ولا طمحت نفسه بالانتقال من حالته التي هو عليها إلى أرق منها . ولهذا نجد الفرق بين معارف هؤلاء ومعارف الأولين بلا نسبة .

ومن العلماء من فضل العمل باليد والصناعات والحِرَف ،  
كالنجارة ، والحداة ، والخياطة ، والكتابة ، والاحتشاش ،  
والاحتطاب ، وغيرها ، واحتجوا بما تقدم من الحديث :  
« أفضل الكسب عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور » ، وبأن  
الصناعات أجورها معلومة ، وفوائدها حاصلة ، وإن كانت  
كثيرة تكون قليلة ، فهي مكاسب متيقنة . والتجارة والحراثة  
ونحوها تارة وتارة ، أحياناً تكسب ، وأحياناً تُخفق .  
والصناعة بحسبها ، ثمرتها معروفة وأجرها مقدر أيضاً . فقد  
قال كثير من أهل العلم : إن الصناعات كلها من فروض  
الكفاية ، لعموم الحاجة إليها ، فالمستغل بها مشتمل بفرض  
من الفروض ، وقائم عن غيره بهذا الواجب .

وأيضاً ففناصع عمومية ، يحتاجها الناس لدينهم ، كما يحتاجونها  
لديانهم ، وخصوصاً الصناعات التي فيها إهانة للمسلمين على الجهاد  
في سبيل الله ، الداخلة في قوله تعالى :

﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَظَنُّكُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ (١) .

وثبت في الصحيح أن الله جل وعلا ، يُدخل في السهم  
الواحد ثلاثة الجئة : صانعه ، وراميه ، والميد له .

وأيضاً من الصناعات : الكتابة ، ولا يخفى ما في كتابة  
أصناف العلوم النافعة من الفضل والخير ، وأن من كتب كتاباً  
فله أجر من انتفع به . وفي الصناعات من الفوائد شيء كثير .

وأحسن ما يُقال في هذا الباب : أن الأفضل لكل أحد ما يُناسب حاله . فالاعتاد للبيع والشراء الذي لا يُحسن حِرَاثَةَ ولا عملاً آخر ، فالأولى له اشتغاله بالتجارة . والحِرَاثُ ينبغي أن يلزم حِرَاثَتَهُ ، ولا يشتغل بأمر لا يدري عن كفاءته فيه . وكذلك الصانع : الأولى لزوم صنعته ، إذا كان لا يثق من نفسه أن يُحسن غيرها . فإن كان الإنسان يحسن الأمور كلها أو بعضها ، فليُنظَر في حاله وفي وقته : أيها أكثر كسباً ، وأبلغ عمرة ؟ ولينظر أيضاً : أن كل كسب فيه راحة ومساعدة على الطاعة . فهو أفضل .

وكذلك كل كسب يكون أسلم لصاحبه من الإثم والحرام ، فهو أفضل من كسب يخشى وقوع صاحبه في أمور محرّمة . ولا بدّ في جميع المكاسب من النصح وعدم الغش ، والقيام بالواجب للمعاملين والمعمّلة ، من جميع الوجوه . والله أعلم .

س ٢ - هل كَيْلُ الطعام سبب لبركته ؟

ج - قوله صلى الله عليه وسلم في حديث المقدم :  
« كَيْلُوا طَعَامَكُمْ ، يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ » .

أصح ما قيل فيه وفي معناه : أنه الطعام الذي يُخرجه صاحب البيت على عائلته ، وهو الذي يدلّ عليه ، وهو المناسب للمعنى .

وهذا الكلام من النبي صلى الله عليه وسلم أصل كبير ،  
وقاعدة أساسية ، وميزان لما دلت عليه الآية الكريمة :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ،  
وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (١)

فمعنى « كيلوا طاممكم » أى قدروه بمقدار كفاية المنفق عليهم من غير زيادة ولا نقصان ، فإن فى ذلك سلوكًا لطريق الاقتصاد . والحزم والعقل والبركة المقولة فى هذا من وجوه :  
أولًا : امتثال أمر الشارع الذى هو البركة ، وخير وسعادة وصلاح .

ثانيًا : أن فى السكيل للذكور يخرج المنفق من خُلُقَيْن ذميين ، وهما : التقدير والتقصير فى النفقات الواجبة والمستحبة ، وإذا حصل التقصير ، اشتغلت الذمُّ بالحقوق الواجبة ، والمآثم الحاضرة ، ولم يقع الإحسان والإنفاق موقعه ، بل لا يصير له فى هذه الحالة موقع أصلاً ، فيقع الذمُّ موقع الحمد ، والتضعُّر والتسخط بدل الشكر والدعاء والثناء .

والخلق الثانى : التبذير والإسراف ، فإن هذا خلق يُنافى الحكمة ، وهو من أخلاق الجاهلية . وما أسرع ما يؤدى هذا الخلق بصاحبه إلى القلة والذلة .

فإذا سلم من هذين الخلقين ، اتَّصف بخُلق الحكمة  
والمعدل والقوام الذي هو أصل الخير ومِداد الصلاح .  
ثالثاً : أن في سلوك هذا الطريق النافع السالم من التقصير  
والتبذير ، تمريناً للنفس على التوازن والتعادل في كل الأمور ،  
وفي هذا من الخير والبركة ما لا يخفى .

رابعاً : أن النفقات إذا خرجت عن طورها وموضوعها ،  
تفرِّع عنها الشرّ والفساد . فإنه إذا لم يكلِّ ويُقدِّر ما يُطعمه  
لمن يعوله ، فإما أن يكون أزيد من الكفاية ، فالزائد إما أن  
يأكلوه ، وهو عين ضررهم إذا كان زائداً عن الحاجة ، فكثير  
من الأضرار البدنية والآلام إنما تنشأ من زيادة الطعام ، وإما  
أن ي تلف عليه ، وذلك فساد . وقد يوجد الأمران .

وقد يتصدق به بعض الناس ، لكن الصدقة في هذه  
الحال لا يكون لها موقع : [ لا ] في حقّ المعطى ، لأنه  
يعرف أنه لا يُعطى إلا ما زهد فيه صاحبه ، وقد يكون  
قد اكتفى واستمد لنفسه بطعام ، ولا في حق المتصدق ،  
لأن النية غير تامة ، لسكون الحامل له [ على ] الإنفاق خوفاً  
تلفه ، لا الإخلاص المحض .

فإذا سلك الطريق الذي أرشده إليه النبي صلى الله عليه  
وسلم ، وهو السكِّيل والتقدير ، بحسب ما يليق بالحال ، سلم  
من هذه الأمور .

فهذا الحديث ينبغى أن يكون أصلاً من أصول التربية المنزلية ، والنفقات المائلية ، وأن يكون عليه الموعول . فقد بُعث صلى الله عليه وسلم بكل أمر فيه صلاح العباد ، في معاشهم ومعادهم . فأخلاقه وإرشاداته وهدىه تُنفى عن كل شيء . والحمد لله على نعمه .

ص ٣ - ما حكم شرب الدخان ، والاتجار به ، والمعاونة عليه ؟

ج - أما الدخان ، فشربه ، والاتجار به ، والإعانة على ذلك : [ حرام ] . لا يحل لمسلم تعاطيه شرباً واستعمالاً واتجاراً : وعلى من كان يتعاطاه أن يتوب إلى الله توبة نصوحاً ، كما يجب عليه التوبة من جميع الذنوب . وذلك أنه داخل في عموم النصوص الدالة على التحريم ، داخل في لفظها العام وفي معناها ، [ بتلك المضار ] الدينية والبدنية والمالية ، التي يكفى بعضها في الحكم بتحريمه ، فكيف إذا اجتمعت ؟ !

### فصل

أما [ المضار ] الدينية ، ودلالة النصوص على منعه وتحريمه ، فن وجوه كثيرة ، منها قوله تعالى :

﴿ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْغَبَاثَاتِ ﴾ (١) .  
وقوله : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (٢) .

(١) الأعراف : ١٥٧ . (٢) البقرة : ١٩٥ .

وقوله :

( وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا )<sup>(٥)</sup> .  
فهذه الآيات وما أشبهها ، حرّم الله بها كل خبيث أو ضارّ ،  
فكل ما يستخبث أو يضرّ ، فإنه لا يجلّ . والحبيث و[الضارّ]  
يعرف بأثاره ، وما يترتب عليه من المفسد . فهذا الدخان  
مفسده وأضراره كثيرة محسوسة ، كل أحد يعرفها ، وأهله من  
أعرّف الناس بها ، ولكن إرادتهم ضميقة ، ونفوسهم تغلبهم ،  
مع شعورهم بالضرر .

وقد قال العلماء : يحرم كل طعام أو شراب فيه مضرة .  
ومن مضاره الدينية أن يثقل على العبد العبادات ، والقيام  
بالمأمورات ، خصوصاً الصيام . وما كرهه العبد بالخير فإنه  
شرّ . وكذلك يدعو إلى مخالطة الأراذل ، ويؤمّد في مُجالسة  
الأخيار ، كما هو مشاهد . وهذا من أعظم النقائص : أن يكون  
العبد مألفاً للأشرار ، متباعداً عن الأخيار . ويتربّ على  
ذلك المداوة لأهل الخير ، والبُغض لهم ، والقُدح فيهم ،  
والزهد في طريقهم . ومتى ابتلى به الصغار والشباب ، سقطوا  
بالمرّة ، ودخلوا في مداخِل قبيحة ، وكان ذلك عنواناً على  
سقوط أخلاقهم .

فهو باب الشرور السكثيرة ، فضلاً عن ضرره الذاتي .



## فصل

وأما أضراره البدنية ، فكثيرة جدًا . فإنه يُوهن القوة ويضعفها ، ويضعف البصر ، وله سريان ونفوذ في البدن والعروق ، فيوهن القوى ، ويمنع الانتفاع السكليّ بالغذاء . ومتى اجتمع الأمران - وهما : إضعاف القلب والصدر ، والكبد والأمعاء شيئًا فشيئًا ، ثم ينشأ عن ذلك الأمر الثاني ، وهو سدُّ منافذ الغذاء ، لانشغالها بما يتراكم عليها من الدخان المستمر - متى اجتمع الأمران نشأ عنهما أمراض عديدة ، منها : إضعاف عروق القلب المؤدى إلى الهلاك ، والأمراض العسيرة ، ومنها : السعال والتنزلات الشديدة التي ربما أدت إلى الاختناق وضعف النفس . فكم له في هذا من قتل أو مشرف على الهلاك . وقد قرر غير واحد من الأطباء المعتبرين أن لشرب الدخان الأثر الأكبر في الأمراض الصدرية ، وهي السُّل وتوابعه ، وله أثر محسوس في مرض السرطان ، وهذه من أخطر الأمراض وأصعبها .

فيا عجباً لما قل حريص على حفظ صحته ، وهو مقيم على شربه ، مع مشاهدة الأضرار أو بعضها ، فكم تلف بسببه خلق كثير . وكم يمرض منهم أكثر من ذلك . وكم قويت بسببه الأمراض البسيطة حتى عظمت ، وعزَّ على الأطباء دواؤها . وكم أسرع بصاحبه إلى الانحطاط السريع في قوته وصحته

ومن العجب أن كثيراً من الناس يعتقدون بإرشادات الأطباء في الأمور التي دون هذا بكثير .. فكيف يتهاونون بهذا الأمر الخطير ؟! ذلك لغلبة الهوى ، واستيلاء النفس على إرادة الإنسان ، وضعف إرادته عن مقاومتها ، وتقديم العادات على ما تعلم مضرته .

ولا تستغرب حالة كثير من الأطباء الذين يدخنون ، وهم يعترفون بلسان مقالهم أو لسان حالهم بمضرتهم الطيبة ، فإن العوائد تسيطر على عقل صاحبها ، وعلى إرادته ، ويشعر كثيراً أو أحياناً بالمضرة ، وهو مقيم على ما يضره .

وهذه المضارة التي أشرنا إليها إشارة ، مع ما فيه من تسويد الفم والشففتين والأسنان ، ومن سرعة بلائها وتحطيمها وتأكلها بالسُّوس ، ومن انهيار الفم والبلعوم ومداخل الطعام والشراب ، حتى يجعلها كاللحم المنهار المحترق : تتألم مما لا يتألم منه ، وكثير من أمراض الالتهابات ناشئة عنه .

ومن تتبع مضارته البدنية ، وجدها أكثر مما ذكرنا .

### فصل

وأما مضارته المالية ، فقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن إضاعة المال ، وأى إضاعة أبلغ [من] صرفه في هذا الدُّخان الذي لا يُسَمِّن ولا يُغنى من جوع ، ولا نفع فيه بوجه من الوجوه ؟! حتى إن كثيراً من المهيمكين فيه

يفرّمون فيه الأموال الكثيرة ، وربما تركوا ما يجب عليهم من النفقات الواجبة . وهذا انحراف عظيم وضرر جسيم . فصرف المال في الأمور التي لا نفع فيها منهي عنه ، فكيف يصرفه في شيء يحقق ضرره ؟

ولما كان الدُّخَانُ بهذه المثابة ، مضرًا بالدين ، وبالبدن والمال ، كانت التجارة فيه محرمة ، وتجارته بائرة غير رابحة . وقد شاهد الناس أن كل متجر فيه ، وإن اشتدج ونفا في وقت مؤقت ، فإنه يبتلى بالقلّة في آخر أمره ، وتكون عواقبه وخيمة .

ثم إن النجديين ، ولله الحمد ، جميع علمائهم متفقون على تحريمه ، والعوام تبع لعلمائهم ليسوا مستقلين ، وليس لهم أن يخرجوا عن أقوال علمائهم ، وهذا واجبهم ، كما قال تعالى :

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

ولا يحلّ للعوام أن يتأولوا ويقولوا : إنه يوجد من علماء الأمصار من يحلّه ولا يحرمه . وما نظير هذا التأويل الفاسد الجاري على السنة بعض العوام - نبع الهوى لا تبع الحق والهدى - إلا كما قال بعضهم : يوجد بعض علماء الأمصار لا يوجبون الطمأنينة في الصلاة ، فلا تُنكروا علينا إذا اتبعناهم . أو يوجد من يبيح ربا الفضل ، فلنا أن تتبعهم .

(١) النحل : ٤٣ .

أو يوجد من لا يحرم أكل ذوات الخالب من الطير ،  
فلنا أن نتبعهم .

ولو قُتِح هذا الباب ، قُتِح على الناس شرٌّ كثير ، وصار  
سبباً لانحلال الموائم عن دينهم ، ولكن كل أحد يعرف أن  
تتبع مثل هذه الأقوال المخالفة لما دلت عليه الأدلة الشرعية ،  
ولما عليه أهل العلم : من الأمور التي لا تحل ولا تجوز .  
والليزان الحقيقي هو ما دلت عليه أصول الشرع وقواعده ،  
ولما يترتب على الأمور من المضار والفساد للتنوع . فكل  
أمر فيه ضرر على العبد في دينه أو بدنه أو ماله ، من غير  
نفع ، فهو محرّم . فكيف إذا تنوعت المفسدات وتجمعت ؟  
أليس من المتعمين شرعاً وعقلاً وطبياً تركها والتحذير منها ،  
ونصيحة من يقبل النصيحة ؟ فالواجب على من نصح نفسه وصار  
لها عنده قدر وقيمة ، أن يتوب إلى ربه من شره ، ويعزم  
عزمًا حازمًا مقرونًا بالاستمانة بالله لا تردّديه ولا ضعف عزيمة .  
فإن من فعل ذلك أعانه الله على تركه ، وهوّن عليه ذلك .  
ومما يهون الأمر أن يعرف أن من ترك شيئاً لله ، عوّضه  
الله خيراً منه ، وكما أن ثواب الطاعة الشاقة أعظم مما لا مشقة  
فيه ، فكذلك ثواب ترك المعصية إذا شقّ عليه الأمر وصعب ،  
أعظم أجراً ، وأكثر ثواباً . فمن وفقه الله وأعانه على ترك  
الدخان ، فإنه يجد مشقة في أول الأمر ، ثم لا يزال يسلو شيئاً

فشيئاً ، حتى يتمَّ اللهُ نِعْمته عليه ، وينتبطِ بفضل الله عليه ،  
وحِفْظه وإِعانتِه ، وينصح إخوانه بما نصح به نفسه .  
والتوفيق بيد الله ، ومن علم الله من قلبه صدق النية في  
طلب ما عنده ، بفعل المأمور ، وترك المحذور ، يسره لليسرى ،  
وجنَّبه العسرى ، وسهل له طرق الخير كلها .

فنسأل الله الذي بيده أزمّة الأمور أن يأخذ بنواصينا  
ونواصي إخواننا إلى الخير ، وأن يحفظنا وإيَّام من الشر ،  
إنه جواد كريم ، رؤوف رحيم . وصلى الله على محمد وسلم .

### باب : الزكاة

س ١ - ذكر الأصحاب صحّة الذبح بالمعظم غير السن ،  
فهل ذلك وجيه أم لا ؟

ج - هذا الذي ذكروه هو المشهور من المذهب ، وأنه  
لا يستثنى من العظام إلا السنّ ، والصحيح القول الآخر في  
المذهب ، اختاره ابن القيم وغيره : أن جميع العظام لا تحلّ  
الذكاة بها ، كما علل بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث  
[ قال ] : « أمّا السنُّ فمَظْمٌ ، فتعليل الخاص بالمعنى العام يدلّ  
على ربط الحكم بالمعنى العام ، وأنه بمنزلة نهيه عن الذبح بكل  
عظم ، وهذا واضح ، والله الحمد ومن الحكمة في ذلك : أنها إن  
كانت نجسة فلنجامتها ، وإن كانت طاهرة ، فلتنجيسها على  
إخواننا من العبيد . والله أعلم .

س ٢ - ذكر الأصحاب أنه إذا وضع مناجل الصيد ،  
وذكر اسم الله عليها : أنها تحلّ ، فهل هو وجيه ؟  
ج - ليست بوجيهة ، ويمسّر تطبيقها على الأسباب التي  
تحل بها الذبيحة . فإن الأسباب التي ورد بها الحلّ ، إما مباشرة  
الذبح من آدمى عاقل لمقدور عليه بذبحه في محله وغيره ، مقدور  
عليه بإصابته بمحدد ، من الآدمي العاقل ، أو بجرح الجوارح المسكوبة .  
ومع هذا فاشترطوا لذلك شروطاً ممتددة معروفة ، وهذه  
الصورة المذكورة ليست منها ، ولا شبيهة بها . فإنه لا بد من  
مقارنة مباشرة الذابح وفعله للذبح ، أو تقدمه يسيراً . وهذه  
ذكروا : ولو طال الزمن بين الوضع والإصابة أنها تحلّ ، مع  
أن الأصل في الذبح الحظر ، حتى نتيقن سبب الحل .

س ٣ - إذا ذبح ذبيحة ، فأنجذب جرانها قبل الذبح ،  
فماتت والدم يسيل ، فهل هي حلال ؟ أو لم تحق مذبحها ،  
هل هي حلال أيضا ؟

ج - هذا السؤال فيه ألفاظ غامضة ، ولكن الظاهر  
منه مراد المقصود : أن الذابح إذا قطع جرانها ولو بعد  
انجذابه ما دامت حيّة ، وقطع مع ذلك المرى ، حلت .  
فالجران هو الحلقوم ، والمرى مجرى الطعام والشراب ، فلا بد  
من قطعهما قبل موت الذبيحة . فإن ماتت قبل قطعهما ،  
أو قبل قطع أحدهما ، لم تحلّ .

وانجذاب الجران من دون قطع ، لا قبل ولا بعد ، لا يُفيد .  
فإذا حصل قطع الحلقوم والمرى ، حلت الذبيحة ، سواء  
كان ذلك في أعلى الرقبة أو أسفلها أو وسطها .  
فأما إذا ارتفع عن الذبيح ، ولم يقطع الحلقوم ولا المرى ،  
لم يحل . وأما الأسفل فلا يتصور فيه إلا القطع ، لأن اتصال  
الحلقوم والمرى .

س ٤ - إذا وجد أكلة السبع تضطرب كاضطراب  
الذبيحة ، ثم ذبحها فخرج منها دم ، فهل تحل ؟  
ج - أما المذهب ، فإن أكلة السبع إذا وجدها تتحرك  
حركة ضعيفة ، مثل حركة المذبوح أو أقل ، فإنها لا تحل ،  
بل لا بد من الحياة المستقرّة ، وهي ما تزيد على حركة المذبوح .  
وكذلك على المذهب : لو قطع السبع أمعاءها وحشوتها ،  
لم تحل ، ولو بقي لها حركة أكثر من حركة المذبوح ، لأنه  
يتيقن أنها لا تبقى بعد هذا . ولكن القول الآخر في المذهب  
الذي اختاره شيخ الإسلام ، رحمه الله ، وهو الذي تدل عليه  
النصوص الشرعية : أن أكلة السبع ، سواء قطع أمعاءها  
أو حشوتها ، أم لا ، إذا أدركها وفيها حياة ، ولو علمنا أنها  
لا تبقى معها ، ثم أتم ذكاتها وذبحها الذبيح الشرعى ، وصال  
منها الدم الذى جرت العادة بسيلانه من الذبيحة ، فإنها  
حلال ، لأن الله تعالى لما ذكر عدة أشياء ، [قال] :

﴿ وَمَا أَكَلَ السَّمِيعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ (١)

أى تتمم ذكاته ، وهو هام فيما فيه حركة طويلة أو قصيرة ، وما قطعت حشوته ، وما ليس كذلك . فإذا ذكاه قبل أن يموت ، حلّ ذلك . ومن أبلغ ما يعرف به الميتة إذا جمد الدم واسودّ ، فقد جرت المادة أنها قد ماتت .

س ٥ - هل يجوز تخليل الجراد المتمدّد بعود ونحوه ؟

ج - هذا من أشنع المحرمات ، فإنه لا يحلّ تمذيب

شئ من الحيوانات . وفي « صحيح مسلم » مرفوعاً :

« إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ،

فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ ،

وَلْيُحِدِّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ، وَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ .

فإن كان لا يحلّ الذبح بآلة كآلة ، ولا هلى وجهه يكون

فيه تمذيب للحيوان ، فكيف يجعل الجراد يخلّ [ من صدوره ]

في عود ، ويبقى مدة طويلة يلعب به الصبيان ؟

هذا يخشى على صاحبه العقوبة ، في الدنيا قبل الآخرة .

وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من جعل ما فيه

الرؤح غرضاً . وفي « مسند الإمام أحمد » مرفوعاً :

« مَنْ مَثَلَ بِذِي رُوحٍ ، ثُمَّ لَمْ يَنْبُ ، مَثَلَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

فيجب النهي الشديد عن هذه الحالة التي هي شذيمة في

الدين والعقل ، نسأل الله العافية .



## كتاب : الأيمان

س ١ - إذا حلف ألا يأكل من لحم هذه البقرة ،  
فاشترها آخر ، فدعاه وأكل منه ، فهل يحنث ، أم لا ؟  
ج - إن كان قصده ألا يأكل منه وهو في ملك الأول ،  
بأن كان قصده الامتناع من مَنته ، فلا يحنث .  
وإن لم يقصد ذلك ، وأكله عالمًا ذا كرا غير ناسٍ ولا  
جاهل الأمر ، ولا جاهل الحكم : حنث ؛ لأن هذا عين ما حلف  
على تركه ، ولا عُذر له من جهل ولا نسيان ولا إكراه .  
فإن كان له عُذر من ذلك ، فلا حنث .

والله أعلم

س ٢ - قول الأصحاب : إذا حلف لا يتزوج  
أو لا يتطهر أو لا يتطيب ، فاستدام ذلك ، لم يحنث .  
وإن حلف لا يركب أو لا يلبس ، فاستدام ذلك حنث ،  
فما الفرق بين المسألتين ؟

ج - قد ذكروا الفرق بينهما ، بأن الحَلْف في المسائل  
الأولى يقتضى أن لا يوجد منه تزوُّج جديد ، أو طهارة جديدة ،  
أو طيب جديد ، للعلم بأنه ليس مراده أن إمساك زوجته  
الموجودة وقت حلفه ، داخل في حلفه على الزواج ، واستدامة  
الطهارة الموجودة والطيب الموجود وقت الحلف داخل في يمينه .  
( م ٤٠ - فتاوى )

وأما حلفه ألا يركب وهو راكب ، ثم استدام ذلك ، فإنه بعد حلفه حصل له ركوب جديد ، لأن مفردات الركوب منفصل بعضها عن بعض ، وكذلك اللبس ، بخلاف الأول .  
واعلم أن مرادهم في هذه الألفاظ وما أشبهها مجرد ، يدخل في اللفظ الذي عقده الإنسان . وما لا يدخل في لفظه :  
فلو قارن اللفظ نية أو قرينة تدخل الاستدامة أو تُخرجها ،  
وجب اعتبارها . والله أعلم .

س ٣ - قولهم : وإن حلف على نفسه أو غيره ممن يمتنع  
بيمينه ، كالزوجة والولد ، هل يمتنع بهما ، أو يمتنع كل ذي رحم ؟  
ج - هو عام لكل من وجدت فيه هذه الصفة ، وهو  
الذي يمتنع بيمينه من قريب ، بل ومن صديق مشفق . فمن  
يتمنع بيمينه ولو كان غير قريب ، فإنه داخل في هذا ومن  
لا يمتنع ، ولو كان ولدًا قد عرف امتناعه عن طاعة أبيه ومخالفته  
له ، وإنما هذا من باب التمثيل ، [فالعبرة] على المعنى الذي علق  
عليه الحكم والله أعلم ، وصلى الله على محمد وسلم .

س ٤ - رجل نزل به ضيف ، فدعاه أناس ، فأقسم  
الرجل المضيف ألا يجيب دعوة أحد ، فخالفه الضيف وأجاب  
الدعوة . فهل على الحالف كفارة ؟

ج - أما على المذهب ، ففيه الكفارة ، لأنه حنت  
بإجابة الضيف الذي حلف على عدم الإجابة ، وهو عالم ذاكر

اليمين ، فإن كان الضيف أجاب ناسياً ليمين صاحب المحل ،  
أو جاهلاً لها ، أو كان في نية صاحب المحل أنه لا يجيب  
بنفسه مباشرة دون ضيفه ، فإنه لا يحنت في هذه الصورة .  
والظاهر أن حلفه : أنه لا يجيب ، ولا يجيب الضيف .

س ٥ - رجل حلف على آخر أن يأتيه في الوقت الفلاني ،  
فلم يأت ، فهل يحنت أم [ لا ] ؟

ج - إذا ترك المجيء متممداً ذاكراً غير مُسكراً ،  
فإنه يحنت . إلا أن شيخ الإسلام رحمه الله قال : من حلف  
على غيره ، ظاناً أنه يُكرمه ويطيبه ، فلم يطعه ، وأخلف  
ما ظنه فيه ، أنه لا كفارة فيه ، لأنه يراها من لغو اليمين ،  
لكن الأحوط أن يكفر ، كما هو المذهب .

س ٦ - حلف على شخص ألا يجلس في هذا المكان ،  
أو قال : على الحرام ألا يجلس فيه ، ثم جلس فيه ،  
فهل يحنت ؟

ج - هو حانت ، عليه كفارة يمين : إطعام عشرة  
مساكين ، لـكل مسكين مُدٌّ بُرٌّ أو نصف صاع تمر أو شعير  
عن الحليف ، وعن التحريم ، إلا إذا نوى بقوله : على الحرام ،  
يريد زوجته ، يعنى عليه الحرام من زوجته ، فإن كان نوى  
ذلك ، فعليه كفارة ظهار كفارة غليظة : عتق رقبة ، فإن لم يجد  
فصيام شهرين متتابعين ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً .

وأما إذا ما نوى [غير] زوجته ، فكما ذكرنا : ليس عليه إلا كفارة يمين : إطعام عشرة مساكين .

### باب : النذر

س ١ - إذا اختلفا في عين بمير ، فقال أحدهما : هي لفلان ، وقال الآخر : بل لفلان ، ونذر كل واحد نذراً فما الحكم ؟  
ج - ليس هذا بنذر ، وإنما هو مراهنه وميسر ، لا يحل ، سواء كان بلفظ المراهنه أو المصدقة أو النذر أو نحوها ، فإن العبارة بالمعنى لا بالألفاظ .

س ٢ - إذا نذر ذبيح فاطر ، فهل يجوز أن يذبح بدلها جملاً ؟

ج - من نذر [فاطرا] ، فليس له أن يذبح بدلها جملاً ، لأن لحم الأثني أطيب وأحسن ، وكذلك لا يذبح إلا ما يُجزئ في الأضحية .

فإذا كانت [خلستها] ، فيها شحم ، والمظام لا مخ فيها ، فلا تجزئ عن نذره ، كما لا تجزئ عن أضحيته .

وأما الأكل مما نذره ، فله في ذلك اليوم الذي يذبحها [فيه] أن يأكل منها هو وأهل بيته ، والباقي يتصدق به ، وليس له أن يدخر منها شيئاً . والله أعلم .

## كتاب : القضاء

س ١ - من قال : كلّ هدية على فعل قربة ،  
أو دفع شرّ ، لا يحلّ قبولها ، على مقتضى منصوص أحمد ،  
فهل هو وجيه ؟

ج - أما إطلاق هذه العبارة وتعميمها ، فعندى فيه  
إشكال ، وفي النفس منه شيء . إلا أنه يوجد في الشرع  
مسائل تدخّل فيها ، كمن أهدى إليه ليكفّ شره ، ولولا  
الهدية لما انكفّ شره ، فإنه يجب عليه كفت شره ،  
أهدى له أم لا . وإذا أعطى على هذا الوجه فهو حرام عليه .  
وكذلك هدايا العمال غلول . وكذلك هدية من يشفع له  
شفاعة حسنة ، لا يحلّ قبولها ، وأمثال ذلك .

ويوجد أيضاً مسائل أخرى ، لا يُحرّم قبول الهدية فيها ،  
كمن أحسن إلى غيره إحساناً ، متقرباً به إلى الله ، فإنه إذا  
كافأه على ذلك ، فلا بأس ، بل هو مأمور بالمكافأة . وكذلك  
من أهدى له هدية لأجل تقربه إلى الله ، بقيامه بعبادة من  
العبادات القاصرة والتمدية . ويوجد صورٌ متعددة من هذا  
النوع . فَعَلِمَ أن هذا الإطلاق فيه نظر . والله أعلم .

س ٢ - من توسط لغيره ، أو شفع له في أمر من الأمور  
الدينية أو الدنيوية ، كالوظائف والعطايا ونحوها ، فما حكمه ؟

ج - حكم ذلك تابع للأمر المتوسط فيه : إن كان  
مأمورًا به - بأن كان المتوسط مستحقًا لتلك الوظيفة أو ذلك  
المطاء ، فالمتوسط محمود - بل قد يكون واجبًا . وإن كان  
المتوسط فيه منهيًا عنه ، بأن كانت المشفوع له لا يستحق  
المطاء ، أو لا يستحق الولاية ، أو غيره خيرًا منه وأنفع ،  
كان المتوسط مذمومًا ، غشًا لله ورسوله ، لأن ذلك ممهية ،  
وغش للمتوسط عنه ، لأنه يجب عليه أن ينصح له فيمن  
يؤتى أو يعطى ، ومن هو الأولى والأأنفع . وغش أيضًا  
لمن توسط له ، لكونه أمانه على ما هو منهى عنه .  
هذا داخل في قوله تعالى :

﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ،  
وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾ (١)

والله أعلم .

باب : طريق الحكم وصفته

س ١ - إذا تساب الخصمان أمام القاضى ،  
فهل عليهما تعزير ؟

ج - أما تساب الخصمين بين يدي القاضى ، فإن كان  
متعلقًا بنفس الدعوى ، وهو السبب الذى مضمونه تكذيب  
كل واحد منهما للآخر ، وتفجير بالكذب ، فإن كل واحد

يدعى ظلم الآخر ، والسبب المذكور يتعلق بدعواه واعتقاده ، وهو يرى أنه مصيب فيه ، والحاكم في هذه الحال إنما ينظر في قضيتهما ، ويقطع النظر عما تملق بهما من سبب أحدهما الآخر بما يتعلق بنفس الدعوى . وعلى هذا النوع ينطبق كلام الخطابي على الحديث الذي ذكرت .

وأما لو سببه سبباً لا يتعلق بالدعوى ، فهذا يجب [ تمزيقه ] ، كما لو وجد بدون دعوى ، فليست الدعوى مما تسقط حق الآخر ، لأن الكلام الصادر من السبب أجنبي عن الدعوى ، وإنما حمل عليه مغاضبة الخصم ، وليس ذلك عذراً . والله أعلم .

### باب : آداب القاضى

- س ١ - هل تجوز مُحاباة الموظف من أجل وظيفته ؟  
ج - لا بأس بذلك ، إلا إذا كان غرض المحابي التوسل بذلك إلى أمر لا يجوز ، وإلا ليس في ذلك محذور .

### باب : القسمة

- س ١ - إذا اشترك جماعة في ناقة ، وطلب بعضهم ذبها للأكل ، وطلب بعضهم بيعها ، فنأخذ بقوله ؟  
ج - إذا لم يتفقوا ، كان القول قول من يريد بيعها ، ولو أنهم القليل ، فيبيعونها ، إما على شركائهم أو على آخرين .

س ٢ - هل تجوز قسمة الثمار خرصاً ؟

وإذا كان سهم فيه زيادة ، فإذا يؤخذ عنها ؟

ج - نعم ، تجوز قسمة الثمار من النخل وغيره خرصاً ،  
والقسمة تميز للحقوق وإفراز لها ، لا يبيع وإذا حصل في أحد  
السهم زيادة على الآخر ، فإن شاءوا نظروا الزائد مثل نخلتين  
أو ثلاث أو أكثر ، وقسموها على القسمة الأصلية .  
وإن شاءوا باعوا حقوقهم منها على الذي عنده الزيادة بدراهم  
ونحوها . وإن شاءوا أبقوا ما زاد على حِدِّته ، ثم يقسمونه  
بعد جَدِّه بالميزان . وأما أخذ بدل الزيادة تمرّاً في الميزان ،  
بأن يكون مثلاً لزيد عند عمرو زيادة نخلّة تخصّص بثلاثين  
وزنة فيعطيه عنها ثلاثين موزونة ، فلا ينبغي ذلك ، خوفاً  
أن يكون داخلًا في بيع التمر بالتمر . والله أعلم .

س ٣ - إذا كان المقار بمضه وقف ، وبمضه

طلق ، وهو لا ينقسم إلا بضرر ، هل يجوز بيعه ؟

ج - إذا نظرنا إلى عموم كلام الأصحاب ، أن الوقف

لا يجوز بيعه إلا إن تعطلت منافعه ، كانت هذه الصورة

المسؤول عنها داخلية في العموم ، وأنه لا يجوز بيعه . لكن

في هذه الحال صاحب الملك إذا منع عن بيعه ، تضرّر ضرراً

كبيراً ، وإن بقيت الحال على ما هي عليه ، صارت حالته حالة

أهل الوقف ، فيكون بمنزلة الممنوع من التصرف في الرقبة ،



وهذا لا نظير له في الأملاك . وإن قسمنا له ، تضرر الوقف والمالك . فالأولى جواز البيع دفماً للضرر ، وتنزيله على كلام الأصحاب من قولهم في الوقف الذي اعتراه خراب : يجوز بيع بعضه لإصلاح باقيه ، إذا كان هيناً واحدة ، ولم تنقص القيمة بالتشقيص ، فإن نقصت ، جاز بيعه جميعه .

فهنا أجازوا بيع الجميع ، مع إمكان أن يباع بعضه لتعمير باقيه . فالمسألة المسؤول عنها مثل هذه ، وهو أن يبيع الملك وحده فيه ضرر بالتشقيص ، إذا لم يبيع معه الوقف . ولا فرق بين المسألتين . والله أعلم .

### باب : الدعاوى والبيئات

س ١ - عن قوله صلى الله عليه وسلم :  
« الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي ، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ » .

ج - قوله صلى الله عليه وسلم :  
« الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي ، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ »

ياله من كلام ! ما أبلغه وأجمعه لجميع الوقائع والجزئيات الواقعة بين الناس في الحقوق والأموال والذئبون ، عند الاختلاف والتنازع ، وعند الإشكالات !

فهذا أصل تنطبق عليه جميع هذه المشكلات ، فحكم صلى الله عليه وسلم أن البيئنة على المدعى شيئاً من ذلك ، واليمين على من أنكر تلك الدعوى . ويدخل في هذا أمور :

أحدهما : من ادعى حقًا على غيره ، دَمًا أو مَالًا ، أو غيرهما ، وأنكر المدعى عليه .

الثاني : من ثبت عليه حقٌ من الحقوق ، ثم ادعى بزيادة ذمته بقضاء أو إبراء أو غيرها ، وأنكر صاحب الحق .

الثالث : من ثبت له اليد على شيء من الأشياء ، وادعى آخر أنه له ، وأنكر صاحب اليد .

الرابع : من كان الشيء تحت يده على وجه الأمانة ، وادعى تلفًا أو تصرفًا ، وأنكر من له المال ، وذلك الوكيل والوصى وناظر الوقف ووليُّ اليتيم ، وكذلك الشريك في المضاربة والعنان وشركة الوجوه ونحوها ، وأنكر الآخر التلف أو التصرف .

الخامس : الغارم إذا ثبت عليه غُرم متلف ، أو مبيع أو غيره ، واختلف مع صاحب الحق في مقدار ما يغرم ، فالقول قوله .

السادس : من يتصرف لنفسه ولغيره ، أو اشترى شيئًا أو استأجر ، وقال : إنه لنفسه ، وقال الآخر : إنه تبع للمال الذي معه لي ، فالقول قول المتصرف .

السابع : إذا [ اتفقا ] على عقد من العقود ، وأنه صدر ، وقال أحدهما : إن العقد مختلفٌ لفقد شرط من شروطه ، أو ركن من أركانه ، أو وجد مانع ، وأنكر الآخر ، فالقول قول مدعى السلامة .

الثامن : من ادعى شرطاً من الشروط ، أو قيداً ، أو شرط  
صفةً أو أجلاً ، أو خياراً أو رهناً ونحوها ، وأنكر الآخر ،  
فالقول قول المنكر .

التاسع : من ادعى فسخ عقد من العقود من بيع أو إجارة  
أو رهن أو نكاح أو غيرها ، وأنكر الآخر ، فالقول قول المنكر .  
العاشر : من ادعى زيادة أو نقصاناً في أمر اتفقا عليه ،  
وادعى الآخر خلافه ، فالقول قول من ادعى عدم الزيادة  
أو عدم النقصان .

الحادى عشر : من ثبت عليه مال بعدة أسباب يتفاوت  
حكما ، فقضى المدين البعض ، أو أبرأ من له الحق من البعض ،  
واختلفا بعد ذلك ، فالقول قول القاضى والمبرئ .

الثانى عشر : من أدّى عن غيره واجباً بنيتة الرجوع ،  
رجع ، وإلا فلا . فإذا اختلفا ، فالقول قول المؤدى ، نوى  
الرجوع أم لا .

الثالث عشر : مسائل الإقرار بالمجملات عند الاختلاف ،  
القول فيها قول المقر .

الرابع عشر : جميع الاختلافات الواقعة بين الناس ، إذا  
كان مع أحدهما أصل ، فالقول قوله : وفي جميع هذه الصُّور  
من كان القول قوله ، إذا لم يُقيم الآخر بينة ، فإنه  
يُحلف ويبرأ .

الخامس عشر : الجمالات والمعلومات التي تجعل على من قام بعمل من الأعمال ، إذا وقع الخلاف فيها ، فالقول قول الجاهل . وكل من قلنا : القول قوله ، فشرط ذلك ألا يُخالف الحس ، ويخرج عن المادة خروجاً يكذبه الواقع . فحينئذ يسقط قوله . ويرجع في ذلك إلى قول أهل الخبرة والعرف .

السادس عشر : مسائل الكنايات في العتق والطلاق ونحوهما التي يرجع فيها إلى نية المتكلم ، إذا اختلف مع غيره في إرادة شيء من ذلك ، فالقول قول المتكلم ، نوى أو لم ينو .

السابع عشر : قول المرأة مقبول في الخيض والحمل ، وجوداً وعدمًا . وعند الاختلاف مع عدم البينة ، يقبل قولها .

س ٢ - إذا وقع الاختلاف بين اثنين في الحقوق المالية ، فن تقدم ؟

ج - إذا وقع الاختلاف بين اثنين فأكثر في الحقوق المالية ، ولم يكن لأحدهما بيّنة يقدم بها قوله ، قُدّم قول من معه الأصل منهما ، لأنه منكر ، والآخر مُدّع ، والبيّنة على المدعى ، واليبين على من أنكر . فإن كان أحدهما أميناً على الآخر قد ائتمنه بوكالة أو ائتمنه عليه الشارع بولاية ، واختلفا ، قُدّم قول الأمين ، لأن هذا فائدة الائتمان ، وقد تسكون القرائن وشواهد الحال يحصل بها التقديم لمن هي معه .

والحاصل أنه يقدم قول من معه مرجح ظاهر من بيّنة أو أصل أو قرينة أو أمانة أو غيرها . وعند تتبع هذه الضوابط في كلام الفقهاء يظهر عظيم فائدتها . والله أعلم .

س ٣ - ما معنى قولنا : الأصل بقاء ما في الذم ، حتى يحزم بزواله ؟

ج - معنى هذا : إذا كان لزيد على عمرو طلب دراهم أو طعام أو غيرها ، فالأصل أنه باق . فلو تخالفا ، فقال عمرو : وقئتك حقتك ، وقال زيد : ما وصلني شيء . فالقول قول زيد ، إلا إذا أتى عمرو ببينة أنه أعطاه الذي بذمته له . والله أعلم .

س ٤ - إذا وجد ضالته بيد إنسان ، وحكم له بها ، فطلبها من هي بيده بالقيمة ، ليمكن من ردها على من صدرت عنه ، فأبى من حكم له بها ، فهل يُجبر على ذلك ؟

ج - الأصل أنه لا يجبر على إبقائها عند من عرفت عنده بالقيمة ، وأيضاً الفقهاء أطلقوا الكلام : أن له أخذها ، ولم يستثنوا [حالا] من الأحوال ولكن قد يقال : إما أن يوافقها من ثبتت العين له على الأخذ بالقيمة ، أو يُبقئها بيده مدة يتمكن فيها عرفاً من إقامة البيّنة ليسترجع ما بذله من الثمن . وإذا قيل : من أين نأخذ هذا ؟

فيقال : إن هذا الذي عرفت عنده ليس بغاصب ، لأن الغاصب لا ينظر إلى مضرته في وجوب ترجيمه العين .

وإنما هو منور ، وقد كان أيضاً سبباً لوصولها إلى ربها ،  
فلا يضر وقت أخذها منه ، فلا ضرر ولا إضرار .  
وأيضاً ، فهو شبيه بالمستنقذ لمال غيره من الهلاك ،  
فأقل ما له أن ينفي عنه الضرر .

والأصحاب نصّوا على مسائل كثيرة في إبقاء العين عند غير  
صاحبها حتى يزول ضررّه ، ونصّوا أيضاً على مسائل كثيرة في  
الإجبار على البيع لإزالة ضرر الشريك لسبب من الأسباب .  
فهذه المسألة لا يبعد أن تكون من هذا النوع .  
هذا الذي نرى في هذه المسألة . والله أعلم .

٥ - إذا رعى إبلا أو نحوها مدة سنة ،  
ثم مات صاحب الماشية ، فأدعى الراعي أنه لم يُسلم له  
الأجرة ، فهل يقبل قوله ؟

ج - هذا ينظر في حاله : إن كانت العادة جارية أنه  
يُسلم له كل وقت بوقته ، فلا تقبل دعوى الداعي .

وإن كانت العادة ليست جارية على ذلك ، فالأصل أن  
الأجرة باقية في ذمة صاحب الماشية ، فيحلف الراعي أن  
أجرته ما وصلته ، ويعطى أجرته من تركته .

باب : اليمين في الدعاوى

١ - قولهم : الأيمان على البتّ ، إلا على نفي  
فعل الغير ثقی العلم ، هل هو وجيه ؟

ج - وبالله التوفيق . إطلاق هذه العبارة ، وإدخال بعض الفروع فيها ، فيه نظر . فإن القول الصحيح الذي لا شك فيه ، أن الأمور المحلوف عليها نوعان :

نوع يُحيط به الحالف ويعرفه تمامًا ، كحلفه على أفعال نفسه التي قد عرفها ، أو على أفعال غيره التي حضرها وأحاط علمه بها . فهذا يتمين حلفه على البت ، لأن عنده علم ثبوتها ونفيها ، فحلفه على نفي العلم لا معنى له ، ولا يحصل به المقصود .

وأما النوع الثاني ، و[هو] أفعال الغير التي لم يحضرها ، أو الدعوى التي ادعت عليه ونفى أسبابها ، فله الحلف على نفي العلم بصحة دعوى المدعى ، لأنه لو حلف على البت في مثل هذه الأشياء التي لم يُحيط علمه بها ، أو لم يصل علمه إليها ، علمنا أنه قائل ما لا علم له به ، وحالف على ما لم يتيقنه . والأدلة الشرعية تمنع ذلك .

فهذا التقسيم الذي ذكرناه هو الذي يتمين القول به ، وهو قول في المذهب . وأحمد ، رحمه الله ، لما نصّ على بعض فروع هذا الأصل ، استشهد بقوله صلى الله عليه وسلم :

« لَا تَضُرُّوا النَّاسَ بِأَيْمَانِهِمْ ،

أَنْ يَخْلِفُوا عَلَى مَا لَا يَعْلَمُونَ »

نقله في « الإصناف » من الزركشي .

## كتاب : الشهادات

س ١ - هل يجوز أن تكتب أو تشهد على من لا تعرفه ؟  
ج - إذا أردت أن تكتب أو تشهد على إنسان لا تعرفه ، فلا يصلح ، إلا إذا عرفك [ به ] من تثق بقوله ، وتطمئن إليه .  
وأما إذا لم تعرفه ، ولم يحضر أحد يعرفك على ما تطمئن إليه ، فليس لك أن تكتب عليه ، ولا أن تشهد على اسمه .  
نعم ، لك أن تشهد على شخصه ، وإذا [ احتجج ] إلى أداء الشهادة ، وأنت شاهد على شخصه ، فلا بد من مشاهدته .  
والله أعلم .

س ٢ - هل يعمل بورقة الطلاق إذا لم يعرف خط الكاتب ؟  
ج - أما ورقة الطلاق إذا لم يعلم خط الكاتب ، فلا يعمل بها .  
س ٣ - هل يحكم بنقل الشهادة في الطلاق ، أى بالشهادة على الشهادة فيه ؟

ج - الطلاق لا بد فيه من شهادة رجلين عدلين ، يشهدان بذلك ، فإن تمدرت شهادتهما [ لغيريتهما ] ، وحمل كل واحد منهما شهادة لرجل عدل ، كفى ذلك ، فإن حملاها من دون عذر ، لم يشهدا ، ولم تُفد شهادتهما .

س ٤ - إذا نقل شهادة من الولى أنه راض بتزويج موليته ، فهل يكفي ؟



ج - أما نقل الشهادة من الولي ، وأنه راض بزواج موليته وهو غائب ، فيكفي إذا كان الناقل عدلاً ثقة .  
س ٥ - ما يحكم الغناء ، وآلات اللهو ؟

ج - اعلموا ، رحمكم الله ، أن الغناء والممازف وآلات اللهو من المحرمات ، فاجتنبوها ، فقد جاءتُ نصوص الشرع بتحريمها ، وحذّر منها العلماء وجرّموها . وقد تهاون بذلك بعض الذين يفتحون الراديو على إذاعات العزف والغناء ، وذلك لا يحل ولا يجوز ، وفيه مفسد وشور كثيرة ، تضدّ القلوب عن الخير ، وترغبها في الشر ، ويؤذون الملائين والسامعين والجيران . فنفتح على الغناء والممازف ، فقد باء بإثم وإثم كل من سمعه من رجال ونساء ، وأصحاب وإخوان :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾<sup>(١)</sup>  
وفي الحلال غنية للمؤمن عن الحرام ، فاكتفوا رحمكم الله بالفتح على الإذاعات المباحة ، والإذاعات النافعة ، كقراءة القرآن والأخبار والمحاضرات ، والإفادات الدينية والدينيوية . فنترك شيئاً لله ، عوضه الله خيراً منه ، وسلم من الإثم ، ونال الثواب . ومن تجرأ على الحرام ، فقد تعرض للعقاب . فثوبوا إلى ربكم واستغفروه ، وتمسكوا بالهدى الصالح ولازموه ، قبل :  
﴿ إِنَّ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾<sup>(٢)</sup>

(١) لقمان : ٦ . (٢) الزمر : ٥٦ .

يا ليتنى حذرت من قُرْآنِ الشُّوءِ ، واتَّبعت رسول الله .  
يا ليتنى أرجع إلى الدنيا ، وأعمل صالحًا ، وأتوب .  
فالآن فات المطلوب ، وحصل العاصي على كلِّ مرهوب ،  
وأحاطت به الخطايا والذنوب :

﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ،  
يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا .  
يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا .  
لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ،  
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ (١)

س ٦ - ما حكم الاستماع إلى الراديو ؟

ج - هذا يختلف باختلاف المسموع منه . وإن كان محرّمًا  
كالغناء ، وآلات الملاهي ، فهو حرام لا يحلّ سماعه ، ولا تمكين  
من يقصد فتحه على ذلك . وأما سماع ما فيه من الأخبار  
والأحاديث التي هي غير محرمة ، فهذا داخل في حكم المباح ،  
وخصوصًا سماع ما فيه من المحاضرات العلمية ، وقراءة القرآن ،  
فإياه لا بأس بذلك ، ولكنه مع ذلك يلهي الإنسان عن  
كثير من الأمور النافعة ، وقد يتدرّج بالمباح إلى المحرّم .  
فتلى العبد التحفّظ عن الأمور الضارة ، والبُلُوّ قد عمّت بذلك .  
نسأل الله العافية . والحمد لله رب العالمين .

وائد

في آداب المعلمين والمتعلمين

وحسن الخلق

## فائدة تشتمل على نبد

### من آداب المعلمين والمتعلمين

يتعمّن على أهل العلم من المتعلمين والمعلمين : أن يحملوا أساس أمرهم الذي يبُنون عليه حركاتهم وسكناتهم : الإخلاص الكامل ، والتقرّب إلى الله تعالى بهذه العبادة التي هي أجلّ للمبادات ، وأكلها وأنعمها ، وأعمّها نفعا ، ويتفقدوا هذا الأصل النافع في كل دقيق من أمورهم وجليل .

فإن درسوا أو دارسوا ، أو بحثوا أو ناظروا ، أو أسمعوا أو استمعوا ، أو كتبوا أو حفظوا ، أو كرّروا دروسهم الخاصة ، أو راجعوا عليها أو على غيرها الكتب الأخرى ، أو جلسوا مجلس علم ، أو نقلوا أقدامهم لمجالس العلم ، أو اشتروا كتبًا ، أو ما يُعين على العلم - كان الإخلاص لله ، واحتساب أجره وثوابه ، ملازمًا لهم ، ليصير اشتغالهم كله قوة وطاعة ، وسيرًا إلى الله وإلى كرامته ، وليتحققوا بقوله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ،

سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ » .

فكل طريق حتى أو معنوي يسلكه أهل العلم ، يُعين

على العلم أو يحصله ، فإنه داخل في هذا .

ثم بعد هذا يتمين البداية بالأهم فالأهم من العلوم الشرعية ،  
وما يُعين عليها من علوم المرئية . وتفصيل هذه الجملة كثير  
معروف ، يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص . وينبغي أن  
يسلك أقرب طريق يوصل إلى المقصود الذي يطلبه ، وأن ينتقى  
من مُصنّفات الفن الذي يشتمل فيه أحسنها وأوضحها ،  
وأكثرها فائدة . ويجعل جُلَّ همّه واشتغاله بذلك الكتاب  
حفظاً عند الإمكان ، أو دراسة تكرير بحيث نصير فعاليه  
معقولة في ذهنه محفوظة ، ثم لا يزال يكرّر ما مرّ عليه ويُعيد .  
وعلى المعلم أن ينظر إلى ذهن المتعلم ، وقوة استعداده  
أوضحه ، فلا يدعه يشغل بكتاب لا يناسب حاله ، فإن هذا  
من عدم النصيح ، فإن القليل الذي يفهمه ويمثله خير من الكثير  
الذي هو عرضة لعدم الفهم وللنسيان . وكذلك يلقى عليه  
من التوضيح والتقرير لدرسه ، بقدر ما يتيسر فهمه لإدراكه  
ولا يخلط المسائل بعضها ببعض . وينبغي أن لا ينتقل من  
نوع من أنواع المسائل إلى نوع آخر ، حتى يتصوّر ويحقّق  
السابق ، فإنه درك للسابق ، وبه يتوفّر الفهم على اللاحق .  
فأما إذا أدخل المسائل والأنواع بعضها ببعض ، قبل فهم  
التعلم ، فإنه سبب لإضاعة الأول ، وعدم فهم اللاحق ، ثم  
تتراحم المسائل التي لم يحقّقها على ذهنه فيملأها ، ويضيق عطنه  
عن الورد إليها . فلا ينبغي أن يهمل هذا الأمر .

وعلى المعلم النصيح المتعلم بكل ما يقدر عليه من التعليم ،  
والصبر على عدم إدراكه ، وعلى عدم أدبه وجفائه ، مع شدة  
حرصه وملاحظته لكل ما يقوّمه ويهذّبه ويحسن أدبه .  
لأن المتعلم له حقّ على المعلم ، حيث أقبل على الاشتغال بالعلم  
الذي ينفعه وينفع الناس . وحيث توجه المعلم دون غيره .  
وحيث كان ما يحمله من العلم عن المعلم هو عين بضاعة المعلم ،  
فيحفظها ويُنمّيها ، ويتطلب بها المكاسب الرابحة ، فهو الولد  
الحقيقي للمعلم ، الوارث له . قال تعالى :

﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا . يَرِيئِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ (١)  
والمراد وريثة العلم والحكمة . فالمعلم مأجور على نفس  
تعليمه ، سواء أفهم المتعلم أم لم يفهم ، فإذا فهم ما علمه ،  
وانتفع به بنفسه ، ونفع غيره ، كان أجرًا جاريًا للمعلم ،  
ما دام ذلك النفع متسلسلاً متصلًا .  
وهذه تجارة يثلها يتنافس المتنافسون .

فعلى المعلم أن يسمى سعيًا شديدًا في إيجاد هذه التجارة  
وتنميتها ، فهي من عمله ، وآثار عمله . قال تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ (٢)  
فما قدّموا : ما باشروا عمله ، وآثارهم : ما ترتب على  
أعمالهم من المصالح والمنافع أو ضدها في حياتهم وبعد مماتهم .

وينبغي أن يُرغَّب المتعلم بكل طريق ، وينشطه ولا يُملِّه ،  
بإشغاله بما يمشر على فهمه من أنواع العلم ومفرداته .  
وعلى المتعلم أن يوقر معلمه ، ويتأدب معه ، غاية ما يقدر عليه ،  
لما له من الحق العام والخاص . أما العام ، فإن معلم الخير قد  
استتمد لنفع الخلق بتعليمه وقنواه ، فحقه على الناس حق  
المحسنين ، ولا إحسان أعظم وأنفع من إحسان من يُرشد  
الناس لأمر دينهم ، ويعلمهم ما جهلوا ، ويُنبِّههم لما عنه غفلوا .  
ويحصل من الخير وانقياع الشر ، ونشر الدين والمعارف النافعة  
ما هو من أنفع شيء للموحدين ، ولمن أتى من بعدهم من  
ذُرِّيَّتِهِمْ وغيرهم . فلولا العلم كان الناس كالبهائم في ظلمة يتخبطون .  
فهو النور الذي يَهْتَدَى به في الظلمات ، والحياة للقلوب  
والأرواح في الدين والدنيا . والبلد الذي ليس فيه من يُبَيِّن  
للناس أمور دينهم ، ويُرشدهم لما ينتابهم ، مما هم في غاية  
للضرورة إليه ، قد فقد أهله من ضروراتهم ومصالحهم  
ما يضره فقدُه بدينهم ودنياهم .

فمن كان هذا إحسانه ، وأثره على الخلق : كيف لا يجب  
على كل مسلم محبته وتوقيره ، والقيام [بحقوقه] ؟  
وأما حقه الخاص على المتعلم ، فلما بذله من تعليمه ، والحرص  
على ما يُرشده ، ويوصله إلى أعلى الدرجات . فليس نفع الآباء  
والأمهات نظيرًا لنفع المعلمين المرئيين للناس بصيفار العلم قبل

كباره ، الباذلين نفائس أوقاتهم ، وصفوة أفكارهم ، في تفهيم  
المسترشدين بكل طريق ووسيلة يقدرون عليها .

وإذا كان من أحسن إلى الإنسان بهديّة مالية ينتفع بها ،  
ثم تزول وتذهب ، له حق كبير على المحسن إليه ، فإلّا الظنّ  
بهدايا العلم النافع الكثيرة المتنوّعة ، الباقى نفعها ما دام المبدعيّاً  
وبعد مماته ، المتسلسل بحسب حال تلك الهدايا ؟

فحينئذ يعرف أن له من الحقّ والتّوقير ، وحسن الأدب  
معه ، والوقوف مع إشارته ، وعدم الخروج عنها أشار إليه  
بما ينفعه من الأمور التي قد جرّبها ، وهو أعرف بها منه  
من كميّات التّعليم ونحوها - ما ليس لغيره .

وليجلس بين يديه متادّبياً ، ويظهر غاية حاجته إلى علمه ،  
[ ويَدْعُ ] له حاضرًا وغائبًا . وإذا أتمّفه بفائدة أو توضيح  
لشكّل ، فلا يظهر أنه قد عرفه قبله ، وإن كان عارفاً له ،  
بل يُصنّف إليه إصغاء المتطلّب بشدة [ للفائدة ] .

هذا فيما يعرفه ، فكيف بما لم يعرفه ؟  
ولهذا كان هذا الأدب مستحسنًا مع كل أحد في العلوم  
والمخاطبات في الأمور الدنيوية والدينيّة .

وإذا أخطأ المعلّم في شيء ، فليُنبّهه برِفْقٍ واطفٍ ، بحسب  
المقام ، ولا يقول له : أخطأت ، أو : ليس الأمر كما تقول .  
بل يأتي بعبارة لطيفة ، يدرك بها المعلّم خطأه ، من دون أن  
ينشوش قلبه . فإن هذا من الحقوق اللازمة ، وهو أدعى



إلى الرسول إلى الصواب ، فإن الرد الذي يصحبه سوء الأدب وإزجاج القلب ، يمنع من تصوّر الصواب ومن قصده .  
وكما أن هذا لازم على المتعلم ، فعلى المعلم إذا أخطأ أن يرجع إلى الحق ، ولا يمنعه قول قائله ثم رأى الصواب في خلافه ، من مراجعة الحق ، والرجوع إليه . فإن هذا علامة الإنصاف والتواضع للحق . فالواجب اتباع الصواب ، سواء جاء على يد الصغير أو الكبير .

ومن نعمة الله على المعلم ، أن يجد من تلاميذه من يُنبهه على خطئه ، ويرشده إلى الصواب ، ليزول استمراره على جهله ، فهذا يحتاج إلى شكر لله تعالى ، ثم إلى شكر من أجرى الله الهدى على يديه ، متملماً كان أو غيره .

ومن أعظم ما يجب على المعلمين أن يقولوا لما لا يعلمونه :  
الله أعلم . وليس هذا بناقص لأقدارهم ، بل هذا مما يزيد قدرهم ، ويستدل به على كمال دينهم ، وتحريرهم للصواب .

وفي توقّفه مما لا يعلم فوائد كثيرة :

منها : أن هذا هو الواجب عليه .

ومنها : أنه إذا توقّف وقال : الله أعلم ، فما أسرع ما يأتيه علم ذلك من مراجعته أو مراجعة غيره . فإن المتعلم إذا رأى معلمه قد توقّف . جده واجتهده في تحصيل علمها ، وإتحاف المعلم بها ، فما أحسن هذا الأثر !

ومنها : أنه إذا توقّف فيما لا يعرف ، كان دليلاً على ثقته وأمانته وإتقانه فيما يحزّم به من المسائل . كما أن من عُرفَ منه الإقدام على الكلام فيما لا يعلم ، كان ذلك داعياً للرّيب في كلّ ما يتكلّم به ، حتى في الأمور الواضحة .

ومنها : أن المعلّم إذا رأى منه المتعلّمون التوقّف فيما لا يعلم ، كان ذلك تعليماً لهم ، وإرشاداً لهذه الطريقة الحسنة .

والافتداء بالأحوال والأعمال ، أبلغ من الافتداء بالأقوال .

ومما يُعين على هذا المطلوب ، [أن] يفتح المعلم المتملمين باب المناظرة في المسائل والاحتجاج ، وأن يكون القصد واحداً ، وهو اتباع ما رجّحته الأدلة . فإنه إذا جعل هذا الأمر نصب عينيه وأعينهم ، تنوّرت الأفكار ، وعُرفت المآخذ والبراهين ، واتّبعت الحقائق ، وكان القصد الأصلي معرفة الحق واتباعه .

فالحذر الحذر من التمسّب للأقوال والقائلين ، وهو أن يجعل القصد من المناظرة والمباحثة ، نصر القول الذي قاله ، أو قاله من يمظّمه . فإن التمسّب مذهب الإخلاص ، مزيل لبهجة العلم ، مُعم للحقائق ، فاتح باب الحقد والخصام الضار . كما أن الإنصاف هو زينة العلم ، وعنوان الإخلاص والنصح والفلاح .

ثم الحذر الحذر من طلب العلم للأغراض الفاسدة والمقاصد السيئة : من المباهاة ، والمماراة ، والرّياء ، والشّمة . وأن يجعله وسيلة للأمور الدنيوية والرّيائية . فليست هذه حال

أهل العلم الذين هم أهل في الحقيقة . ومن طلب العلم أو استعمله في أغراضه السيئة ، فليس له في الآخرة من خلاق .

ومن أعظم ما يتمين على أهل العلم : الاتصاف بما يدعو إليه العلم من الأخلاق والأعمال والتعليم ، [ فهم ] أحق الناس بالاتصاف بالأخلاق الجميلة ، والتخلّي من كل خلق رذيل . وهم أولى الناس بالقيام بالواجبات الظاهرة والباطنة ، وترك المحرمات ، لما تميّزوا به من العلم والمعارف التي لم تحصل لغيرهم ، ولأنهم قدوة للناس ، والناس يحبولون على الاقتداء بعلماهم شاؤوا أم أبوا ، في كثير من أمورهم . ولأنهم يتطرق إليهم ، من الاعتراض والقوادح عندما يتركون ما يدعو إليه العلم ، أعظم مما يتطرق [ إلى ] غيرهم .

وأيضاً ، فكان السلف يستمعون بالعمل على العلم . فإن عمل به [ المعلم ] استقرّ ودام ونما وكثرت بركته . وإن ترك العمل به ، ذهب أو عدمت بركته . فرُوح العلم وحياته وقوامه ، إنما هو بالقيام به : عملاً ، وتخلّقاً ، وتعليمياً ، ونصحاً .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

وينبغي سلوك الطريق النافع عند البحث تعلمًا وتعليمًا . فإذا شرع المعلم في مسألة وضعها وأوصلها [ إلى ] أفهام المتعلمين بكل ما يقدر عليه من التعبير ، وضرب الأمثال ، والتصوير والتحرير . ثم لا ينتقل منها إلى غيرها قبل تفهيمها المتعلمين . ولا يدع المتعلمين يخرجون من الموضوع الذي لم يتمّ تعليمه

وتقريره إلى موضوع آخر ، حتى يحكموه ويفهموه ، فإن الخروج من الموضوع إلى غيره ، قبل الانتهاء منه ، يحرم الفائدة كما تقدم . وينبغي تعاهد محفوظات المتعلمين ومعلوماتهم بالإعادة والامتحان والحث على المذاكرة والمراجعة وتكرار الدرس ، فإن التمسك بمنزلة الغرس للأشجار ، والدرس والمذاكرة والإعادة بمنزلة السقي لها ، وإزالة الأشياء الضارة عنها ، لتنمو وتزداد على الدوام . وكما أن على المتعلم توقيف معلمه ، والأدب معه ؛ فسكذلك أقرانه والمتعلمون معه : عليه من مراعاة حقوقهم ، والأدب معهم ، أعظم من حقوق الأصحاب بعضهم على بعض .

فالشعبة في طلب العلم تجتمع حقوقاً كثيرة ، لأن لهم حق الأخوة والشعبة ، وحقوق الاحترام ، لما قاموا به من الاشتغال بما ينفعهم وينفع الناس ، وحقّ الانتباه إلى معلمهم ، وأنهم بمنزلة أولاده ، وحقاً لنفع بعضهم بعضاً .

ولهذا ينبغي أن لا يدع ممكناً من نفع من يقدر على نفعه منه ، بتعليمه ما يجهل ، والبحث معه ، للتعاون على الخير ، وإرشاده لما فيه نفعه . وينبغي أن يكون اجتماعهم في كل وقت غنيمة يتعلم فيها القاصر ممن هو أعلى منه . ويعلم المارء غير المارء ، ويتطارحون من المسائل النافعة . وليجعلوا همهم معقوداً [ على ما ] هم بصدده . وليحذروا من الاشتغال بالناس ، والتفتيش عن أحوالهم ، والتعيب لهم ، فإن ذلك إثم حاضر ، والمعصية من أهل العلم أعظم منها من غيرهم ، ولأن غيرهم يقتدى بهم . ومن كان طبعه

الشتر من غير فم جعلهم حجة له ، ولأن الاشتغال بالناس يضيع المصالح  
النافعة ، والوقت النفيس ، ويذهب بهجة العلم ونوره .

واعلم أن القناعة باليسير والاقتصاد في أمر المعيشة ، مطلوب  
من كل أحد ، لا سيما المشتغلون بالعلم ، فإنه كالمتمتعين عليهم ،  
لأن العلم وظيفته العمر كله أو معظمه ، فتق زاحته الأشغال  
الدنيوية والضروريات ، جعلت التقص بحسب ذلك .

والاقتصاد والقناعة من أكبر العوامل لحصر الأشغال  
الدنيوية ، وإقبال المتعلم على ما هو بضدده .

ومن آداب العالم والمتعلم : التصحح ، وبت العلوم النافعة  
بحسب الإمكان ، حتى لو تعلم الإنسان مسألة واحدة ، ثم بثها ،  
كان من بركة علمه ، ولأن ثمرات العلم أن يأخذها الناس عنك .  
فمن شح بعلمه ، مات علمه بموته ، وربما نسيه وهو حي ،  
كما أن من بث علمه ، كان حياة ثانية ، وحفظاً لما علمه ،  
ونجازاً لله من جنس عمله .

ومن أهم ما يتعين على أهل العلم : معلمين أو متعلمين ،  
السمى في جمع كلمتهم ، وتأليف القلوب على ذلك ، وحسن  
أسباب الشر والعداوة والبغضاء بينهم . وأن يحملوا هذا الأمر  
تصنّب أعينهم ، يسمعون له بكل طريق ، لأن المطلوب واحد ،  
والقصد واحد ، والمصلحة مشتركة .

[ فيحققون ] هذا الأمر بحجة كل من كان من أهل العلم ،  
ومن له قدم فيه واشتغال أو نفع ، ولا يدعون الأغراض

الضارّة تملِكهم وتمنهم من هذا المقصود الجليل ، فيُجِب بعضهم بعضاً ، ويذُبُّ بعضهم عن بعض ، ويبذلون النصيحة لمن رأوه منحرفاً عن الآخر ، ويُبرهنون على النزاع في الأمور الجزئية التي تدعو إلى ضد المحبة والائتلاف ، لا تقدّم على الأمور الكلية التي فيها جمع الكلمة ، ولا يدعّون أعداء العلم من العوام وغيرهم يتمكّنون من إفساد ذاتِ بينهم ، وتفريق كلمتهم .

فإن في تحقيق هذا المقصد الجليل والقيام به من المنافع ، ما لا يمدّ ولا يحصى . ولو لم يكن فيه إلا أن هذا هو الدين الذي حثّ عليه الشارع بكل طريق ، وأعظم من يلزم القيام به أهله ، وأنه من أعظم الأدلة على الإخلاص والتضحية اللذين هما رُوح الدّين ، وقُطب دائرته ، وأن بهذا الأمر يتصيف العبد أن يكون من أهل العلم الذين هم أهله الذين ورد في الكتاب والسنة من مدحهم والثناء عليهم ما لا يتسع هذا الموضع لذكره .

وفيه أيضاً من تكثير العلم ، وتوسعة الوصول إليه ، وتنوع طُرُقِهِ ما هو ظاهر ، فإن أهل العلم إذا كانت طريقتهم واحدة ، تمكّن أن يتعلم بعضهم من بعض ، وأن يعلم بعضهم بعضاً .

وإذا كان كل طائفة منهم مُنزويّة عن الأخرى ، منحرفة عنها ، انقطعت الفائدة ، وحلّ محلّها ضدها ، من حصول البفضاء والتعصّب والتفتيش من كل منهما عن عيوب الطائفة الأخرى وأغلاطها والتوسّل [بها] للقُدح . وكلُّ هذا مُنافٍ للدين والعقل ولما عليه السلف الصالح ، حيث يظنّه الجاهل من الدّين .

فالموفق تجده ناصحاً لله بشروحيده ، والقيام بعبوديته ، ظاهراً  
وباطناً ، بإخلاص واحتساب ، وتكميلاتها بحسب وُسعه .

وناصحاً لكتاب الله بالإيمان بما اشتمل عليه ، والإقبال على  
تعلّمه ، وتعلّم ما يتعلّق به ويتفرّع عنه من علوم الشريعة .

وناصحاً لرسوله صلى الله عليه وسلم بالإيمان بكل ما جاء به  
من أصول الدين وفروعه ، وتقديم محبّته على كل محبة بمدح  
الله ، وتحقيق متابعتها في شرائع الدين الظاهرة والباطنة .

وناصحاً لأئمة المسلمين من وُلائهم وعلمائهم وروّسائهم ، في  
محبة النعير لهم ، والسعى في إعانتهم عليه ، قولاً وفعلًا ، ومحبّة  
اجتماع الرعيّة على طاعتهم ، وعدم مخالفتهم الضارّة .

وناصحاً لعامة المسلمين ، يُحبّ لهم ما يحبّ لنفسه ، ويكره  
لهم ما يكره لنفسه ، ويسعى في إيصال النفع إليهم بكلّ  
ممكن ، ويصدّق ظاهره باطنه ، وأقواله أفعاله ، ويدعو إلى  
هذا الأصل العظيم ، والصراط المستقيم .

فنسأله تعالى أن يرزقنا حُبّه ، وحبّ من يحبّه ، وحبّ  
العامل الذي يُقرّبنا إلى حُبّه ، ويهب لنا من لدّنه رحمة ،  
إنه هو الوهاب . وصلى الله على محمد وسلم .

قال ذلك وكتبه الفقير إلى الله في أحيانه كلّها :

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين . آمين .

## حسن الخلق

كم في الكتاب والسنة من النصوص الحاثثة على حسن الخلق ، المثنية على أصحابه ، الذاكرة ما لهم من الفضائل والفواضل ، وذلك لما [ اشتملت ] عليه من الخلق الجميل ، وما يترتب عليه من المنافع ، والمصالح العامة والخاصة .

فن أجّل فوائده : امتثال أمر الله وأمر رسوله ، والافتداء بخلق النبي ، صلى الله عليه وسلم ، العظيم ، وإنه في نفسه عبادة عظيمة تتناول من زمان المبد وقتاً طويلاً ، وهو في راحة ونعيم ، مع حصول الأجر العظيم .

ومن فوائده أنه يحبب صاحبه للقريب والبعيد ، ويجمّل البدو صديقاً ، والبعيد قريباً ، وبه يتمكن الداعي إلى الله والمعلم للخير من دعوته ، ويجمع الخلق إليه بقلوب راغبة ، وقبول واستعداد ، لوجود السبب ، وانتفاء المانع !

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ،

وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١)

وهو بنفسه إحسان قد يزيد على الإحسان المالى :

﴿ إِنَّكُمْ لَنْ تَسْمَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ ،

وَأَكِنَّ لَيَسْمَعَهُمْ مِنْكُمْ حُسْنُ الْخُلُقِ ،



فتى اجتمع الأمران ، فهو الكمال ، ومتى فقد الإجمال  
المالى ، ناب عنه حُسن الخُلُق والإحسان الحالى والمقالى ،  
فربما صار له موقع أكبر من نفع المال .

وبالخُلُق الحسن ، وطمانينة القلب وراحته ، يتمكن من  
معرفة العلوم التى سعى لإدراكها ، والمعارف التى يفسرُ فى  
تحصيلها وبه يتمكن المناظر والمخاصم من إبداء حجته ، وفهم  
حجة صاحبه ، ويسترشد بذلك إلى الصواب قولاً وعملاً .  
وكما أنه سبب لهذين الأمرين فى نفسه ، فهو من أقوى  
الدواعى لمصولهما لمن خاصمه أو ناظره :

« إن الله يعطى على الرفق ، ما لا يعطى على العنف » .  
وبالخُلُق الحسن يسلم العبد من مضارِّ المعجَلَة والطيش ،  
لرزاقته وصبره ، ونظره لكل ما يمكن من الاحتمالات ،  
وتجنب ما يخشى ضرره .

وبالخُلُق الحسن يتمكن من الوفاء بالحقوق الواجبة والمستحبة  
[ للأهل ] والأولاد والأقارب والأصحاب ، والجيران والمعاملين ،  
وسائر من بينه وبينه مُخالطة أو حق .

فكم من حقوق أُضيعت من جرّاء ضوئه الخُلُق !  
وإن حسن الخُلُق ليدعو إلى صِفَة الإنصاف ، فإن صاحب الخُلُق  
الحسن يسلم غالباً من الانتصار لنفسه ، والتعصب لقوله ، لأن  
الانتصار للنفس والتعصب يحمل على الاعتساف ، وعدم الإنصاف .

وإن صاحب الخلق الحسن في راحة حاضرة ، ونعيم عاجل ، فإن قلبه مطمئن ، ونفسه ساكنة ، وهذا مادة الراحة العاجلة ، وطيب العيش . كما أن سيئ الخلق في شقاء حاضر ، وعذاب مستمر ، ونزاع ظاهري وباطني مع نفسه ، وأولاده ، وغالطيه ، يشوش عليه حياته ويكدر أوقاته ، مع ما يترتب على ذلك من فوات تلك الآثار الطيبة ، والتعرض لضدّها . وبهذا ونحوه يتبين معنى قوله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ الْعَبْدَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ » .  
فإن قلت : إذا كان حُسن الخلق له هذه الفضائل والآثار الحسنة ، فهل للائصاف به أسباب يتمكن العبد من فعلها ؟ [ أو هو ] مجرد موهبة ؟

قلت : ما من [ صفة ] حميدة ، ظاهرة أو باطنة ، إلا وقد يستر الله للعبد حُصولها ، ونهج الطرق الموصلة إليها ، وأعان عليها بكل وسيلة . وكلما كملت الصفات ، كثرت الطرق المُفضية إليها ، مع أن الغرائز والطبائع الأصلية أعظم عون عليها ، وصاحبها إذا سعى أدنى سعى أدرك مُرادَه .

فاعلم أن من أعظم ما يُعين على هذا الخلق الجميل : التفكر في الآثار السابقة المترتبة عليه ، فإن معرفة ثمرات الأشياء وحُسن عواقبها من أكبر الدواعي إلى فعلها ، والسمي إليها ، وإن عظم الأمر ، واعترضت الصعوبات . فإن الثمارة

إذا أفضت إلى ضدها ، هانت وحلت . وكلما تصمبت  
النفس عليه ، ذكرها تلك الآثار ، وما تجتنى بالصبر من الثمار ،  
فإنها تلين وتنقاد طائعة ، منشرحة الصدر ، محتسبة ، راجية  
حصول تلك المطالب .

ومن أعظم الأسباب : علو الهمة ، ورغبة العبد في مكارم  
الأخلاق ، وأنها أولى ما اكتسبته النفوس ، وأجل غنيمته  
غنيمتها الموقفون . فبحسب قوة رغبته في ذلك ، يسهل عليه  
تبل هذا الخلق الجميل .

ومن الأسباب : أن يتأمل : هل يجلب له سوء  
الخلق إلا الأسف الدائم ، والهم الملازم ، والآثار القبيحة ؟  
فيربأ بنفسه عن هذا الخلق الذميم .

ومن الأسباب : رياضة النفس وتمارينها على هذا الخلق ،  
وتوطينها على كل سبب يدرك به هذا الخلق الفاضل ، فيوطنها  
على ممارسات الأقوال ، وأنه لا بد من مخالفتهم في العلوم والإرادات  
ولا بد أيضاً من أذية قولية أو فعلية ، فليتوطن على  
تحمل الأذى ، وليعلم أن الأذى القولى لا يضر إلا من قاله .  
وإن من الحزم والقوة أن يكون الإنسان بحيث لا يتأثر بكلام  
يقصد به إحفاظه وإغضابه . بل يعلم أنه إذا غضب أو تأثر ،  
فقد أعان المتكلم على نفسه . وإن لم يبال به ، ولم يلقه باله ،  
ولم يهتم به ، ويكثر به ، فقد قابل القائل بما يكرهه .

لأن جُلَّ مقصِدِ عدوّه إيّلام قلبه ، وإدخال الهم والنغم والخوف على قلبه . فكما يسمى بدفع ما يريد إيّلام ظاهره ، فليسع بدفع ما يريد إيّلام باطنه ، بترك الاهتمام به . وما أنفع في هذا المقام وغيره ، أن يجعل الإنسان نصب عينيه وجُلَّ مقصده ، الإبقاء على قلبه من المشوشات والواردات المؤلمة ، وأن يحفظ راحة قلبه بكل ما يُفضى إلى الراحة من تحصيل الأسباب المريحة للقلب ، ودفع كلّ مُمَارِض لها . فإن راحة القلب أصل طيب العيش في هذه الدار .

فلو كان الإنسان بكل نعيم ، وتوفّرت لديه أسباب الراحة ، وقلبه في قلق وحرص ، لا يخرج من همّ إلا وقع في آخر ، ولا يفرح بوجود محبوب إلا وجد حشو قلبه ما يسكدره ، فإنه حتى الآن لم يصل إلى المقصود الذي يسمى له أهل العقول الراقية ، فإنهم يسمون أولاً لراحة قلوبهم وطمأنينتها ، بالإنبابة إلى الله في مُهِمَّاتِهِمْ ومُهِمَّاتِهِمْ وأحوالهم كلها ، ويُسَمُّون ذلك بالحِلم وحُسن الخُلق ، وحِفظ قلوبهم من كل مشوش يسكدر عليهم حياتهم الطيبة ، ونعيمهم العاجل والآجل .

فتأمل في بعض قصص الأخيار ، وما هم عليه من الحياة الطيبة ، سواء كانوا في فقر أو غنى ، أو شِدَّة أو رخاء - وحيث تنقلت بهم الأحوال - فإنك تجد الواحد منهم

أَبْسَطَ النَّاسَ خُلُقًا ، وَأَرْوَحَهُمْ نَفْسًا ، وَأَفْرَمَ هَيْبًا ، بَلِ تَجِدُ  
مَنْ هُوَ فِي يَسَارَةِ مَنْهَمٍ وَفَقْرٍ ، رَاضِيًا قَانِعًا ، غَيْرَ مُتَسَخِّطٍ  
عَلَى اللَّهِ وَعَلَى الْخَلْقِ . وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ،  
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

### [ الرِّجَاءُ مَمْدُوحٌ وَالْيَأْسُ مَذْمُومٌ ]

الرِّجَاءُ مَمْدُوحٌ شَرَاهَا وَعَقْلًا ، وَالْيَأْسُ مَذْمُومٌ شَرَاهَا وَعَقْلًا .  
لَا رَيْبَ أَنَّ الشَّارِعَ مَدَحَ الرِّجَاءِ الَّذِي هُوَ الرِّجَاءُ ، وَأَمَرَ  
بِهِ وَبَكَلَ وَسَيْلَةَ تَوْصُلٍ إِلَيْهِ ، وَذَمَّ الْيَأْسَ وَنَهَى عَنْهُ ، وَأَخْبَرَ  
أَنَّهُ مِنْ مَوْبِقَاتِ الذَّنُوبِ ، وَكَذَلِكَ لَمَّا يَتَرْتَبُ عَلَى الرِّجَاءِ  
مِنْ لِلصَّالِحِ وَالشَّمْرَاتِ النَّافِعَةِ ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ الْأَسْبَابِ  
الْمُوصِلَةِ لِمَقَاصِدِ الْجَلِيلَةِ ، وَمَا يَتَرْتَبُ عَلَى الْيَأْسِ مِنْ ضِدِّ ذَلِكَ .  
مِثَالُ ذَلِكَ : أَنَّ الرَّاجِيَ لِرَحْمَةِ اللَّهِ وَمَغْفِرَتِهِ بِحَسَبِ قُوَّةِ رَجَائِهِ  
يَسْعَى بِكُلِّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَى الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ اللَّتَيْنِ تَعَلَّقَ بِهِمَا  
رَجَاؤُهُ ، بَلِ لَا يَكُونُ الرِّجَاءُ حَقِيقِيًّا حَتَّى يَقُومَ بِالْأَعْمَالِ  
الْمُوصِلَةِ إِلَى الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ . قَالَ تَعَالَى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ ﴾ (١)

فَخَصَّ هَؤُلَاءِ بِرِجَاءِ رَحْمَةِ اللَّهِ ، لَمَّا حَصَلَ مِنْهُمْ مِنَ السَّبَبِ  
الْأَقْوَمِ الَّذِي تَنَالُ بِهِ الرَّحْمَةُ وَقَالَ تَعَالَى :  
﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا  
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُهِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ .  
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ،  
وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ... ﴾ (١) .

إلى آخر الآية التي فيها ذكر الأسباب الموصلة إلى ذلك ،  
المحققة له . فقوة الرجاء تحمل العبد على كل عمل صالح ، فإذا  
صمله على الوجه المرضي ، قوى رجاءه ، فلم يزل في ازدياد من  
الأعمال ، ورغبة فيما يقرب إلى الله تعالى ورضوانه وثوابه .  
وكلما ضعف رجاءه ، كسل عن الخيرات ، وتجراً على السيئات ،  
ودعته نفسه الأمانة بالسوء إلى كل سوء ، فانقاد لها ، لأنه  
ليس عنده من رجاء رحمة الله ومغفرته ، ما يكسر مسورتها ،  
ويقمع شرها . ثم لا يزال الرجاء يضعف من قلبه ، واليأس  
يقوى ، فيضعف إيمانه ، وتضعف دواعيه إلى الخير ، كما تقوى  
دواعيه إلى الشر ، فيقع في اليأس المحض من رَوْحِ اللَّهِ ، فلا يزال  
مكثباً على الذنوب ، مصراً على المعاصي ، لا يحدث نفسه بتوبة ،  
ولا يرجع إلى ربه ، لاستيلاء اليأس عليه ، وضعف الرجاء .  
وهذا هو الهلاك المبين .

(١) آل عمران : ١٣٤ .

ومع أنه هلاك ، يُرجى إن سعى في علاجه أن يزول وتعود  
الصحة ، وذلك بأن يتأمل ويتفكر في الأسباب التي أوصلته  
إلى هذه الحال ، وأنها أسباب قابلة للزوال ، إذا مرّن نفسه  
على إضعاف اليأس الذي يرمى به إلى الهلاك ، وتقوية الرجاء  
الحامل له على التوبة والإنابة ، لأنه إذا علم أنه غفار لمن تاب  
وآمن وحمل صالحاً ثم اهتدى ، ولو بلغت الحال ما بلغت ،  
طمع في مغفرة ربه ، واستعان به على التوبة التي هي الإقلاع  
عن المعاصي ، والندم على ما مضى منها ، والتصميم على أن لا  
يعود ، وحصل من علوم الإيمان وأعماله ما يقوى عزيمته ،  
ويوقظ همته ، خصوصاً الإيمان الخاص في هذا المقام ، وهو  
توحيده ، وعلمه أنه لا يغفر الذنوب إلا الله ، وأن العبد إذا  
تاب توبة نصوحاً ، فإن الله يغفر له ويتقبل منه . فلا يزال  
إيمانه يمدّ توبته ، وتوبته تمدّ إيمانه ، ويعمل من الأعمال  
المصالحة ما يتم به الإيمان والتوبة ، ويسلك الصراط المستقيم  
في علمه وعمله ، حتى يضمحل يأسه ، ويقوى رجأؤه ، ويسير  
إلى ربه سيراً جميلاً .

فهذا كلام عام في أمور الدين كلها ، العملية والعملية .  
ومن مفردات هذا : طالب العلم إذا اشتغل بفن من فنونه ،  
فبعد اشتغاله به رأى من صعوبته وبطء فهمه لمسائله ما أوجب  
له اليأس من تحصيله ، فإنه يمسك اليأس ، ويدعوه إلى تركه .

وكلما خطر بباله الاشتغال به ، أو ذكر لهذا الأمر ،  
فإذا اليأس من إدراكه مائل بين عينيه ، كأنه حجر عظيم في  
طريقه . فإن هو أخذ إلى هذه واسترسل معها ، قتله لليأس ،  
ورأى هذا المطلوب من المستحيلات عليه وإن كان موفقا ،  
ينظر إلى حقائق الأشياء على ما هي عليه ، ولم يملك الخيال  
الضّار ، علم أن الأدنى قابل لتعلم كلّ علم ، مهياً لذلك ،  
وأن مجرد اشتغاله بالعلوم النافعة ، ولو لم يحصل منها ويستفد  
شيئا يذكر ، مصلحة وعبادة ، لأنه تصحبه النية الصالحة .  
وإن لم يشتغل به إلا لنفع نفسه ونفع غيره ، فلا يزال ساعياً  
في هذا الأمر ، إذا لم يحصل له مراده أو بعضه في وقت ،  
حدث نفسه أنه سيحصله في وقت آخر ، إذا استمر على السعى  
والاجتهاد ؛ فهوى حينئذ رجأؤه ، وينشط في المسير في طلبه ،  
وينفض عنه غبار اليأس ، حتى يرتقى إلى درجته اللاتمة به .  
وكما أن الإنسان يطبق هذا المعنى على نفسه ، فليستعمله  
في غيره ، إذا أراد هداية أحد ، أو دعوته إلى الإسلام ،  
أو أصل من أصوله ، أو فرع من فروعه ، أو تعليمه لعلم  
نافع ، ثم رأى من المدعو نفورا وإعراضا ، أو بلادة وقلة  
فطنة . فإن أخذه الملل واليأس من إدراك المقصود منه ،  
وعدم رجاء انتفاعه ، لم يلبث إلا قليلا حتى يدع دعوته وتعليمه ،  
فيفوت بذلك خير كثير .



وإن هو سلك مسلك نبيه صلى الله عليه وسلم في دعوته ،  
وهداية الخلق ، وعلم أنه مكث مدة طويلة يدعو الناس إلى  
الإسلام والتوحيد ، فلا ياقى أذناً سامعة ، ولا قلباً محيياً ،  
فلم يضمف ولم ين ، بل لم يزل قوى الرجاء ، عالمًا أن الله  
سيتم أمره ، ماضيًا على دعوته ، حتى فتح الله به أعيننا  
صمياً ، وآذاننا صماً ، وقلوبنا غافلاً ، وبأخت دعوته وهدايته  
ما بلغ الليل والنهار .

فإذا جعل هذا بين عينيه ، لم يشتدَّ عليه أمر من الأمور .  
ولو لم يحصل له إلا أن مجرد دعوته إلى الله من أكبر  
الحسنات ، لكفى الموفق داعياً إلى الصبر والرجاء . وكم من  
أمر تأيوس منه ، انتقل من طىّ العدم إلى الوجود بالصبر  
والمزاولة ، فلا يزال راجياً طامعاً في إدراك معقوده أو بعضه ،  
ساعياً السعى اللائق به ، حتى يرى من آثار سميه خيراً كثيراً .  
وكما أن هذا المعنى ثابت في دقيق الأمور وجليلها ، فخبر  
ما استعمل هذا الأصل المهم في أحوال المسلمين اليوم ، حيث  
كانوا من زمان طويل ، والتفرق سار فيهم ، والعداوة قاعة  
بينهم ، وكثير من مصاحبات دينهم متروكة ، حتى تفككت  
قوام ، وضُف أمرم ، وتلكهم اليأس والقنوط ، خصوصاً  
إذا نظروا إلى أعدائهم الحقيقيين ، وقد بلغوا من القوة مبلغاً  
هائلاً . فحينئذ يستولى عليهم الكسل واليأس ، ويتوهمون  
( ٤٣ م - فتاوى )

أنه كالحمال وجود قوة كافية ، تدفع عنهم حادية الأعداء ،  
فضلاً عن أن يكونوا في صفوف الأمم القوية .  
ومن حدث نفسه بهذا أو غيره فقد حدثها بالحمال ، فاستولى  
عليهم الذل ، وتوهمت نفوسهم أنهم طعمة لسكل أحد .  
وهذا ناشئ من ضعف الإيمان واستيلاء اليأس وضعف الرجاء .  
فلو أنهم جعلوا الرجاء لرحمة الله ، ونصره وإعزاز دينه ،  
نُصِبَ أعينهم ، وعلموا أن من ينصر الله ينصره ، ويثبت  
قدمه ، فَسَعَوْا بما يمكن تلافيه من أمرهم ، وجمعوا كلمتهم ،  
وجعلوا وحدة دينهم وحفظه من كل عاد هو الجامعة التي تربط  
أفصام وأدنام ، وتركوا لهذا كل ما عارضه من الأغراض  
الفاسدة ، والأهوية الضارة ، وقاموا في هذا الأمر قياماً  
حقيقياً ، ولم يمنهم ما يعترض لهم من العقبات والتهويلات ،  
لسكان أول فائدة يجنونها الأمن على دينهم الذي لولاه لم  
يسعدوا دنيا ولا أخرى ، وسلامتهم من الضربات الممددة له  
ولهم ، الموجهة إليهم . ولأمكنهم أن يمشوا بأنفسهم ومع  
الأمم بطمأنينة وحفظ للمصالح الدينية والدنيوية ، من غير أن  
يضربوا بسلاح ، ولا يُشَوْشوا على أحد . لأن كل مُنْصَف  
يعذرهم ، حيث سَعَوْا لحفظ كياناتهم ، ودفع الظلم عنهم بكل  
طريق ، وهو حقٌ يُدلى به القوي والضعيف ، ثم يَسْعَوْنَ  
في الاستمداد السكاني لمقاومة المعتدين .

فلو جعل الرؤساء هذا الأمر الواجب قبلة قلوبهم ، وجُلَّ مقصدهم ، وحصل البحث التام في كيفية الوصول إلى هذا المقصد ، ومن أى طريق [ينفذ] ، وَرَجَّزُوا عَوَاقِبَهُ الْحَمِيدَةَ ، لَرَأَوْا مِنْ آثَارِهِ خَيْرًا كَثِيرًا .

فندرجو الله أن يوفق جميع المسلمين في أقطار الأرض كلها ، للقيام بدينهم حق القيام ، وأن يكونوا يداً واحدة على من ناوأهم ، واعتدى عليهم ، وأن ييسر لهم الأسباب النافعة ، ويُزِيلَ عَنْ قُلُوبِهِمُ الَّذِي اسْتَوْلَى عَلَى أَكْثَرِهِمْ .

فلو نظروا بأعينهم لبعض الأمم الصغيرة التي عملت لوحدة مصالحها الخاصة : كيف عاشت مع الأمم القوية ، حتى سادتهم في حفظ الحقوق والنظام والمصالح ، خصوصاً في هذا الوقت العصيب الذي وقع فيه التفاني بين أكبر قوة في العالم مع نظيرتها ، وكلّ واحدة منهما تُبدئُ وتُعيد أنها مستخرج العالم من الظلم والاعتداء ، وتجعل لهم نظاماً جديداً من العدل يحفظ جميع الأمم . فلا علينا أن يكون هذا الكلام منهم حقيقة . وإنما هو دعاية .

فالمسلمون أحقُّ الناس كلهم للتنبيه لهذا الأمر ، وفيهم من البكثرة والقوة المستمدة ما يؤهلهم إلى أعلى المقامات ، من الإيمان ، والمؤمن الإلهي ، وقوة الرجاء ، وما في دينهم من الدعوة إلى كل إصلاح ، وتبذير كل ضار .

### بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ-

مما قال المرحوم الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي ،  
رحمة الله عليه : نظم معنى الحديث الذي في « الصحيحين » .  
قوله صلى الله عليه وسلم :

« إِنْ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ - عَزَّ وَجَلَّ -

مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ : كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا : -

فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ ، قَبِلَتْ الْمَاءَ ،

فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ .

وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَفَنَعَ اللَّهُ

بِهَا النَّاسَ ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا .

وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى ، إِنَّمَا هِيَ قِيَمَانٌ ،

لَا تُمَسِّكُ مَاءً ، وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا . .

فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فُقِيَ فِي دِينِ اللَّهِ ،

وَأَنْفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ .

وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ،

وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِنَتْ بِهِ . .

\*\*\*

قال رحمه الله يبحث على طلب العلم :

قد طال شوقى إلى الأحباب والفكر

وقد عرّانى لذاك الهَمُّ والسَّهْرُ

وَكَمْ يُجِيشُ الْهَوَى قَلْبِي فَيَتَرُكُنِي  
لَا أُسْتَفِيقُ لِمَا آتَى وَمَا أَدَّرُ  
وَكَمْ نَمِيعٍ أَتَى بَوْمًا لِيَعْمَدَانِي  
فَقَصَارَ يَمْدُرُنِي فِيهِمْ وَيَمْتَدِرُ  
يَا [لَاثِمًا] فِي الْهَوَى [صَبًّا] أَضْرَّ بِهِ  
طَوْلُ الْبِمَادِ عَنِ الْأَحْيَابِ مُذْ هَجَرُوا  
فَبَاتَ يَرْعَى الدَّرَارِي مِنْ تَشْوُفِهِ  
قَد بَاتَ مِنْهُ الْمَشَا وَالْقَابِ بِنَفْطَرُ  
لَوْ كُنْتَ تَدْرِي الْهَوَى أَوْ قَدْ بُلِيتَ بِهِ  
وَذُتَّ آلامُهُ كَالنَّارِ تَسْتَمِيرُ  
لِمَا نَطَقْتَ وَلَمْ [تَنْطِقْ] بِلَاثِمِيَّةِ  
لَوْمُ الْمُحِبِّينَ ذَنْبٌ لَيْسَ يُغْتَفَرُ  
دَعَّ مِنْكَ ذِكْرُ الْهَوَى وَالْمَوْلَعِينَ بِهِ  
وَأَنْهَضَ إِلَى مَنْزِلٍ عَالٍ بِهِ الدَّرَرُ  
تَسْلُو بِمَرْبِيئِهِ عَنِ كُلِّ غَالِيَةِ  
وَعَنْ نَعِيمِ لَدَيْنَا صَفْوَةٍ كَدَّرُ  
رَمَنَ نَدِيمٍ بِهِ يَلْهُو مُجَالِسُهُ  
وَعَنْ رِيَاضٍ [كَسَاهَا] التَّوْرُ وَالزُّهْرُ  
أَنْهَضَ إِلَى الْعَلَمِ فِي جِدِّ بِلَا كَسَلِ  
نَهْوَضُ عِبْدَ إِلَى الْخَيْرَاتِ يَنْتَدِرُ

واصبر على نيله صبر المجد له  
فليس يدركه من ليس يصطبر  
فكم نصوص أتت تثني وتمجده  
للطالبين بها معنى ومعتبر  
أما نفي الله بين العالمين به  
والجاهلين مساواة إذا ذكروا  
وقال للمصطفى مع ما حباه به :  
ازدد من العلم في علم به بصير  
وخصص الله أهل العلم يشهدم  
على العبادة والتوحيد فاعتبروا  
[وذم] خالقنا للجاهلين به  
في ضمنه مدح أهل العلم منحصر  
وفي الحديث أن برذ رب الوري كرما  
بعبده الخير والمخلوق مفتقر  
أعطاء فقها بدين الله يحمله  
يا حبسدا نعمة تأتي وتنتظر  
أما سمعت مثالا يستضاء به  
ويستفز ذوى الأبواب إن نظروا  
بأن علم الهدى كالغيث ينزله  
على القلوب فيمنها الصفو والكدر

أما الرياض التي طابت فقد حسنت  
منها الرُّبِي بنبات كلُّهُ نَفِيرُ  
فأصبح الخلقُ والأَنعامُ راتِعَةً  
بكلِّ زوجٍ بهيِّحٍ ليس يَنْحَصِرُ  
وبعضها سَبِيحٌ ليست بِقابِلَةٍ  
إنباتٍ عُشْبٍ به نَفَعٌ ولا ضَرَرُ  
يكفيك بالعلم فضلًا أن صاحبه  
بالعِزِّ نال العِلا ، والخيرَ ينتظر  
يكفيك بالجهل قُبْحًا أن صاحبه  
ينفيه عن نفسه والعلمَ يبتكر  
يكفيك بالجهل قُبْحًا أن مؤثِرُهُ  
قد آثر المطلبَ الأدنى ويفتخر  
أى المفاخر ترضى أن تُزَان بها  
[أجهلك] النفسَ جهلاً ما له قدر ؟  
أم بالجهالة منك في شريعته  
كيف الصلاة وكيف الصوم والطُّهر ؟  
أم كيف تعقِد عقداً نافذاً أبداً  
كيف الطلاق ؟ وكيف العِتق يا غُدْرُ ؟  
أم افتخارك بالجهل البسيط ، نعم  
وبالمركَّب لا تُبقي ولا تَدْرُ ؟

تَبًّا لِعَقْلِ رَزِينٍ قَدْ أَحَاطَ بِهِ  
مَعَ الْجَهَالَةِ دَيْنَ الذَّنْبِ وَالْفَرَرُ  
كَمْ بَيْنَ مَنْ هُوَ كَسْلَانٌ أَخُو مَلَلٍ  
فَمَا لَهُ عَنِ ضِيَاعِ الْوَقْتِ مُزْدَجَرٌ  
قَدْ اسْتَلَانَ فِرَاشَ الْعَجْزِ مَرْتَفَعًا  
حَتَّى أَتَى الْمَضْعِفَانِ : الشَّيْبُ وَالسَّكِبُ  
وَبَيْنَ مَنْ هُوَ ذُو شَوْقٍ أَخُو كَلْفٍ  
عَلَى الْمَلُومِ ، فَلَا يَبْدُو لَهُ الضُّجْرُ  
يُرَعَى [ التَّوَقُّ ] وَيُرَعَى مِنْ تَحْفُظِهِ  
أَوْقَاتِهِ مِنْ ضِيَاعِ كُلِّهِ ضَرَرٌ  
لَا يَسْتَرِيحُ وَلَا يَلْوِي أَعْيَتَهُ  
مَنْ الْوَصُولِ إِلَى مَطْلُوبِهِ وَطَرٌ  
[ تُنْفِيهِ ] طَوْرًا عَلَى كُتُبِ يَطَالِمَهَا  
يَجْلُو لَهُ مِنْ جَنَاهَا مَا حَوَى الْفِكْرُ  
تُلَهِيهِ عَنِ رَوْضَةِ غِنَاءِ مَزْمَرَةٍ  
أَطْيَارَهَا غَرَّدَتْ وَالْمَاءُ مِنْهَبِرٌ  
وَبَاحِثًا تَارَةً مَعَ كُلِّ مَنْتَسِبٍ  
يَبْنِي الرُّشَادَ ، فَلَا يَطْفَى وَيَحْتَقِرُ  
وَأَمَّا لَهُ رَجُلًا فَرْدًا مَحَاسِنُهُ  
بِالْحَزْمِ وَالْعَزْمِ هَانَ الصَّعْبِ وَالْعَسِيرُ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال رحمه الله يمدح شيخ الإسلام : ابن تيمية ،  
وتلميذه ابن القيم ، ومؤلفاتهم :

يا طالباً له - اوم - الشرع مجتهداً  
يبغى انكشاف الحق والبرهان

احرص على كتب الإمامين اللذين  
- ن - هما المحك لهذه الأزمان

العالمين العالمين الحافظين  
- ن - للمرضيين عن العظام الفاني

غاشا زماناً داعيين إلى الهدى  
من زائع ومقلد حيران

سبوا النفوس على جهاد مدوّها  
للقاب والأقوال والأركان

كم نالهم من نكبة وأذية  
هانت لذات الخالق الديان

نشر الإله لهم ثناء صادقاً  
إذ أحسنوا في العالم والإيمان

فقلوب أهل الخير من حُب لهم  
قد أشربت ونبأؤم بلسان

أعنى به شيخ الوزى وإمامهم  
يُعزى إلى تيميّة الحرّان  
والآخر المدعوّ بابن القيم  
ببحر العلوم العالم الربّانى  
فهما اللذان قدّ أودعا في كتبهم  
عُررَ العلوم كثيرة الألوان  
فيها الفوائد والمسائل جُمعت  
من كلِّ فاكهة بها زوجان  
إن رُمت معرفة الإله وما له  
من وصفه وكماله الربّانى  
أو رُمت تفسير الكتاب وما حوى  
من كثرة الأسرار والتّبيان  
أو رمت معرفة الرسول حقيقة  
وجلاله المبعوث بالفرقان  
أو رمت فقه الدين مرتبطًا به  
أصل الدليل أدلة الإتيان  
أو رمت معرفة القصائد كلها  
للمبطلين وردّها بيان  
أو رُمت معرفة الفنون جميعها  
من نحوها والطّب للأبدان

تلقَ الجميع مقرراً وموضحاً قد بيناها أجسن التبيان  
جمعت على حسن العبارة رونقاً

وبهاء معنى ، جل ذو الإتيان  
تدعو القلوب إلى محبة ربها والذكر للرحمن كل أوان  
يدري بهذا من له نوع اعتنا

في كتبهم مع صحة العرفان  
فاحمد إله الخلق إن كنت امرؤاً

تشأتاها وتحبها بجنان

واحمد إله الخلق أيضاً ثانياً في نشرها في هذه الأزمان  
حتى غدت بين العباد كثيرة مشهورة في سائر البلدان  
فسمى الذي بعث القروم لنشرها

أن يبعث العزّات بعد تّوان

حتى تكون إلى العلوم سريرة مشتاقة للعالم والعرفان  
ويزيل عن هذى القلوب موانعاً

عانت وصول العلم والإيقان

وَيَلْمُ هذا الدين بعد تشعت قد كاد أن ينهد للأركان

ويفتح الأبواب بعد مضيها دهرًا على التخليق والأدران

ويؤلف الرحمن بعد تفرّق أرواح أهل العلم والإيمان

بجلاله وجماله متوسلاً يا دائم المعروف والإحسان

وعلى الرسول مصلياً ومسلماً والصّخب والأتباع بالإحسان

[ مرثية الأصحاب الثلاثة ]

وقد توفى ثلاثة من أخصّاء أصحابه ، وهم مشتملون في طلب العلم ، ودائبون عليه ، مع الديانة والعناية وحسن الأخلاق ، [ فقال ] في مرثيتهم ، وقد وقف على مرثية الموفق لمز الدين ، وشرف الدين ، ومحّب الدين : المقدسيين ، مع سلب أبياتها وتغيير الروى ، وزيادة بعض الأبيات .  
وأول نظم موفّق بن قدامة :

مات المحبّ ومات العزّ والشرف  
أئمة سادة ما منهم خلف

إلى آخره ...

قال الشيخ عبد الرحمن السعدى يرثى أصحابه :

مات المحبّ ومات الخلّ يتبعه      ومات ثالثهم والوقت مقرب  
ماتوا جميعاً وما ماتت فضائلهم      بل كان فضاهم للناس يكتسب  
كانوا نجوم دياج يُستضاء بهم      لمضى على فقدم من بعد ما ذهبوا  
كانوا جميعاً ذوى فضلٍ ومنقبة      كلٌّ إلى عالي الأخلاق يُنتدب  
كانوا جميعاً ذوى حلمٍ ومكرمة      وفعل خير وإحسان كما يجب  
وقد تربوا على الخيرات مُدّ نشأوا

وعن فعال الردى والزور قد [رغبوا]

ما ودعوني غداة البين إذ رحلوا

بل أودعوا قلبي الأحزان وانقلبوا

شيعتهم ودموع العين ساكبةً      افقدتم وفؤادي حشوه لخب  
اكفكف الدمع من عيني فيغلبني  
واحبس الصبر في قلبي فلا يجيبُ  
وقلت : ردوا سلامي أرقفوا وهنأ  
رفقاً بقلبي . فما ردوا ولا اقتربوا  
ولم يهوجوا على صب بهم دنفُ  
يُنخسِي عليه لما قد مسّه المطب  
أحبابَ قلبي ما هذا بمادتكم  
تركُ السلام مع المجران والغضبُ  
ما كان حادتكم يوماً سوى أدبٍ  
يُبدى وداً صفاً من غشه الذهبُ  
لله ما أورث البين المُشيتُ لنا  
من صدعة في سواد القلب تنشعب  
كانوا أحبةً قلبي إن همو رحلوا  
وإن أقاموا إذا تتابنا نوبُ  
لما رأيت فؤادي غير ساليهم      ولم يزل لصنوف الحزن ينجذب  
فقلت للقلب : يا قلبي على مهل  
ألا اصطباراً عن الأحباب تكتسب  
اصبر على فرقة الأحباب محتسباً      فضل الثواب ، فعند الله يحتسب  
واسأل إلهك خلفاً عاجلاً بهم      هو المحيب لمن يدعو ويرتقب

\* وقد كان [ لبعض ] أصحابه معه فتور عن الاجتهاد  
في طلب العلم ، فكتب إليه بهذه الأبيات :

سلام الله يتبعه سلام على من في الضمير له مقام  
على الحب المكرّم من ترقى إلى أعلى مكارم لا تُترام  
وفاق الطالبين ذكًا وحرصًا وآدابًا ومعرفة تُسام  
وفارق للقواطع باشتياق ومن طلب المكارم ما يُلام  
[ وخلّي ] كلّ مشغل ينادى

ألا ليبي بمنزله أقاموا

فبعد الدأب ترضى أن تساوى

لأرباب البطالة أو تنام

وبعد صعودك الدرّج العوالى

تجاذب للنزول ، فذا سقام

فما أهلك عن علم تسامى

إلى تحصيله النُسر الكرام

أأهلك اشتغالك بالدنايا

وعزّ عليك يا هذا العظام

أم أهلك اقتداؤك بالكسالى

فضاع الوقت وانفرط النّظام

\* وقال أيضاً في جواب لصاحب له قد كتب إليه ،  
وهو في بلدة نائية :

وقفت على كتابك يا حبيبي  
فأذكي الشوق من حسن الخطاب  
تريد ، حبيبنا ، منا جواباً  
ودمعُ العينِ أحرى بالجواب  
متى ذكرت ضمائرنا زماناً مُسرّاً باجتماع بالجناب  
سكنتنا بَهْتَةً ورضناً وصبراً كفعل الصابرين على المصاب  
لعلّ الله يلفظ ثم يُدنى فلفظ الله يأتي باقتراب  
فكم لله من لطف خفيّ يُصيب العبد من غير احتساب

\*\*\*

\* وقال رحمه الله أيضاً أول ما ركب السيارة مسافراً للحجج :  
يا راحلين إلى الحمى برواحلٍ  
تطوى الفلا والبيد طىّ المسرع  
ليست تبول ولا تروث ، وما لها  
رُوحٌ تحنُّ إلى الربيع المُمرع  
ما استولدت من نوقنا ، بل صنمها  
من بهض تلميم اللطيف المبدع  
كم أوصلت دار الحبيب ، وكم سرت  
بجملها نحو الديار الشُّسع

\*\*\*

• وكتب إليه بعض الأصحاب ، حين خرج للحج  
عام ١٣٣١ يعتذر عن الوداع ، وأنه لا يقدر على تحمل ألمه ،  
وتجرح غصصه .

فكتب إليه هذه الآيات ، وأرسالها مع المشيمين :

إلى الله أشكو ما ألمَّ فأوجما  
من البين والتفريق بين أحبتي

لقد أصف القاب المعنى لبعدمكم  
وكاد من الوجد العظيم يُفثت

وقد كان وقتي عامراً بقاءكم  
بكم ينجلي همتي وتحصل مسرتي

فترجو الذي قد قدر البعد بيننا  
يعيض ثواباً للتوى والمصيبة

فلولا حبيب يستحق جميعنا  
جوانته القلوب من ضفا ومودة

لما رحلت يوماً من الدار رحلنا  
وخل الديار بالأحبة نزهتي

ولكنه كيف التخلف بعد ما  
توالت دواعي الشوق نحو الخافية

فلتي لها قوم أصاغت قلوبهم  
فحننت إلى ذلك الحمى فاستمرت



فخلت جميع الإلف مع حُبِّها له  
تسير بهم عيس الشرى مستقلة  
ولما دنا منهم ووصول رُبوعه  
تبين ما في القلب من عظم صبوة  
تأدبت الأرقام عند ازدلافهم  
إلى بابه ، نعم المرجى لشدة  
يريدون من رب كريم تفضلاً  
وعفواً وتقريباً لأعظم حضرة  
ونحن وإن كنا بغير صفاتهم  
فقد يسمد المصحوب عنهم بصحبة  
عسى وعسى من فضل ربي يعمنا  
بمغفرة من فضله وسماحة

\* وورد عليه كتاب من بعض أصحابه ، فيه نظم أبيات  
يرثى بها بعض المحبين [الذين] هو وإياهم في محبتهم مشتركون ،  
فأجابه بهذه الأبيات :

صدع الفؤاد وهاج للأحزان      خط أتى من شاسع البلدان  
من بلدة بالهند يبكي إلفه      وينوح نوح الفاقد الشكلان  
ويعتد الأوصاف في كلماته      ندب الحمام على غصون البان  
يبكى لمن ملكوا الفؤاد وفارقوا      بالرثوح والأشباح والسؤلوان  
يبكى لمن ملك الضمير بحبهم      والمصبر عزاً لفقدهم للماني  
يبكى لمن لو كان يمكن عدلهم      لفسدتهم بالرثوح والولدان  
يبكى لمن كانوا لعين قرّة      ومسرّة للواله الحيران  
أرجو من الرحمن أن قد خصهم

بوفاتهم بالرثوح والريحان  
أرجو من الرحمن أن قد عتّمهم  
من فضله بالجد والإحسان

أرجو من الرحمن يجمعنا بهم      في جنة الفردوس والرضوان  
أرجو من الرحمن يُعظم أجرم      ويزيدهم من واسع الغفران  
أرجو من الرحمن يحمل قبرهم      ذا بهجة ومسرّة وأمان  
هيجتنا يا خيلنا وحيبينا      وبمشت منا كامن الأحزان  
وفجتنا برسالة تُذكي الحشا      وتُشب فيها موقد النيران  
لولا الرجا لجزائه لرأيتنا      قد هدمت منا قوى الأركان

لكننا نرجو جزيل عطائه  
أو ما علمت بأنه وعد [الألى]  
أو ما علمت بأنه سبحانه  
أو ما [علمت] بأنه أولاهم  
وحباهم من فضله صلواته  
وتسلم الأملاك في دار الرضا  
والصبر خير للعباد إذا تروا  
والصبر في حكم الإله وأمره  
والعبد إن عرف الإله وأنه  
صَبَرَ النفوسَ على البلاء لعله  
يا دائم الإحسان يا مولى الثنا  
يا خالق يا رازق ومُدبِّرِي  
يا سيدي وذخيرتي في شدتي  
أنت الذي أعطيتني ومنحتني  
فاربط على قلبي وثبت خاطرِي  
واجعل ثوابي يا إلهي مُضَعَفًا  
واقذف بقلبي من وداك ما به  
واجعل لساني دائماً مترطبًا  
واجعل صلواتك والسلام على الذي  
ما ناحت الأحباب عند فراقهم  
فيَهون عنا متلف الأحزان  
صبروا لوجه الله بالرضوان  
أعطاهم أجرًا بلا حساب  
فحرف العنان ومنزل الرضوان  
مع رحمة وهداية المنان  
حقًا عليه بصبرهم بتهان  
وجهَ الإله ومِنَّة المنان  
فرض علينا لازم الإنسان  
مولى حكيم دائم الإحسان  
بفضيلة الصبر الجميل الشأن  
يا صاحب المعروف كلَّ أوان  
ومُصرِّفي في سائر الأحيان  
يا مُبدهي من أضعف الأركان  
وبلوتني بلوى القريب الداني  
وارزقني التسليم مع رضوان  
متجددًا بتجدد الأزمان  
أسلو عن الأهلين والولدان  
بالذكر في الإسرار والإعلان  
قد جاء بالقرآن والتبيان  
أحبابهم أو ما استقال الجاني

\* وقال أيضاً : [ في تذكر مواطن من مدينة الرسول  
صلى الله عليه وسلم ] :

بين العقيق وبين سَلْعِ موضع

للقلب فيه والنواظر مرتع

يا منزلاً فيه لأرباب الهوى

[ مزأى ] يرُوق من الجمال ومسمع

ويعرّض الحادى بجرماه الحمى

والجزع من [ وادى ] الأراك فأجزعُ

شوقاً لبانات العقيق وإنما وجه اشتياق بالحِجَاز مُبرِّقع

أسفاً لجسم بالقصيم مخلف وقُوَّاده مغرَى بِطَيِّبَةِ مَوْلِع

ولكيف لا تحنو الأضالع نحوها

شوقاً وتُدْرَف في هواها الأدمع

وبها رسول الله خير مَنبأ

تخذو الرِّكاب إلى حِماه وتوضع

أزكى البرية عنصراً، وأعزّم بيتاً، وأولى بالفخار وأجمع

وأمدّم بالجود، ثم أتمهم حِلماً، وأصدق في المقال وأبرع

وأشدم بأساً إذا التقت الوغى

والسمهرية بالأسِنَّة تُشْرَع

جمعت له كل المناقب مفخرًا وله المقامات التي تترفع

## جدول الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
بحسب	يحسب	١٧	١٧
قضائه	قضائيه	١	٣٣
المخبرين	المخبرين	٥	٥٠
إلا من شاء الله	لا ما شاء الله	الأخير	١٠٨
قولي، له	قولي له	١٥	١١٧
المتعمد	المتعمد	١٢	١٣٢
فلا بأس	فلا باس	٣	١٥٨
زيادتها	زيادتها	٣ الهامش	١٦٣
مآثم	مآثم	١٠	١٩٨
الحالة	الحاملة	١٦	٢٠٢
احتيج	احتيج	٤	٢٣٩
حدثت	حدثت	٣	٢٤١
للحرَم	للحرَم	٣	٢٦٥
من أراد أن	من أرا أن	٩	٢٨٣
خاص؟ وما	خاص وما	الأخير	٣٢٤
ما فيها	ما فيها	١٥	٣٤٣

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٥٨	٧	نهوه	نوه
٣٧٤	١	فدفع إليه	فدفع إلى
٣٧٤	٢	أشترى	إشترى
٣٧٤	٥	أشترى	إشترى
٣٩٠	٥	لفبره	لفبره
٤٤١	١	المستاجر	المستأجر
٤٦٨	٨	الوضوه	الوضوء
٤٩٩	١٥	الام	الأم
٥٢٦	٦	يمده	يمده
٥٣٦	الآخر	ما نكون	ما تكون
٥٥٢	الآخر	اجتماعه بها .	اجتماعه بها ،
٥٥٣		الأول (لأجل اتصال الكلام آخر من ٥٥٢ بأول ٥٥٣)	
٥٥٣	٥	لم يكن	لم يمكن
٥٦٢	٤ ، ٣	ورجوعها إلى الزوج	لا في رجوعها إلى
		الأول	الزوج الأول
٥٧٨	٦	بدلان	يدلان
٦٠٠	١٣	ارائك	أوائك
٦٣٣	٧	وهو أن	وهي أن

---

رقم الإبداع بدار الكتب ٣٦٠٢ / ١٩٨٣  
التوقيع الدولي ٩٧٧

---

مطبعة الكيلاني  
البريد المسجل: رشاد كامل كيلاني  
٢٤ شارع فيصلية - باب الخليل  
ت ٩١٨٥٩٨

وقف على طبع الكتاب : تصحيحا ، وضبطا ، وإخراجا :  
الأستاذ فتحي أمين غريب الخبير بمجمع اللغة العربية .

والأستاذ رشاد كامل كيلاني

خريج كلية الآداب ، وصاحب مطبعة الكيلاني  
وذلك بإشراف : الأستاذ محمد شوقي أمين

عضو مجمع اللغة العربية .